الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

# الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والكوارث الطبيعية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق وبلاد الشام

## ( ١٣٢-٤٤٧هـ / ٧٥٠-١٠٥٥م)

**أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب والإسلام**

**إعداد الطالب:**

**ملاذ سليمان غالي**

**إشـــراف:**

**أ.د. اكتمال إسماعيل**

دمشق١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م

## شكر وتقدير

أتوجه بالشكر والتقدير إلى جامعة دمشق التي منحتني فرصة الدراسة لهذا المستوى، كما أشكر كلية الآداب التي ذلّلت كل الصعوبات ووفّرت كلّ السبل من أجل تحقيق هذا الهدف، وأخصّ بالشكر قسم التاريخ وأساتذتي الكرام فيه.

وأتوجه بخالص شكري وتقديري وامتناني إلى الأستاذة الدكتورة اكتمال إسماعيل التي أنارت دربي بتوجيهاتها واهتمامها ومتابعتها لدراستي وتحصيلي، والتي نقلتني من عالمي المحدود إلى عالمٍ رحبٍ بالمعارف والعلوم بواسطة المنهج العلمي والصبر والعمل الدؤوب للوصول إلى الحقيقة، فكانت معي وإلى جانبي في دراستي وتحصيلي، وبفضل متابعتها الحثيثة توصّلت إلى رسالتي، وتتقزّم عبارات الشكر أمام عَظمة عطائها ونُبل مسعاها، لها مني كلَّ الاحترام والتقدير والامتنان.

# المحتويات

شكر وتقدير ..... أ
المحتويات ..... ب
الملخص ..... ح
مقدمة ..... د
إشكالية البحث ..... ز
أهداف البحث ..... س
أهمية البحث وسبب اختياره ..... ش
صعوبات البحث ..... ص
حدود البحث ..... ص
الدراسات السابقة ..... ص
منهج البحث ..... ط
مكونات البحث ..... ط
التعريف بأهم المصادر والمراجع ..... ظ
الفصل الأول: الأزمات الاقتصادية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق من ( ١٣٢-٤٤٧هـ / ٧٥٠-١٠٥٥م) ..... ١
أولاً: مقومات الاقتصاد في العصر العباسي ..... ٢
ثانياً: العوامل السياسية وأثرها في الوضع الاقتصادي ..... ٩
أ-الحروب بين الخلفاء على منصب الخلافة ..... ٩
ب-الحروب بين الأمراء البويهيين والحمدانيين في العصر البويهي ..... ١٤
ت-الحروب بين الأمراء البويهيين ..... ١٨
ثالثاً: العوامل التي زادت الأزمات الاقتصادية حدّةً في العراق ..... ٢٨
أ-الترف والبذخ ..... ٢٩
١-الترف والبذخ عند الخلفاء العباسيين ..... ٢٩
٢-الترف والبذخ عند أمراء بني بويه ..... ٣٩

ب–انفصال الأقاليم عن الخلافة العباسية ..... ٤١
ج– الحروب الداخلية والخارجية ..... ٤٢
١– الحروب الداخلية في عصر القوة للخلفاء العباسيين ..... ٤٢
٢– الحروب الداخلية في عصر ضعف خلفاء بني العباس ..... ٤٨
٣– الحروب الخارجية في عصر القوة للخلفاء العباسيين ..... ٥٤
٤–الحروب الخارجية في عصر الضعف للخلفاء العباسيين ..... ٦١
٥– الحروب الخارجية للخلفاء العباسيين في الحجاز ..... ٦٣
٦– الحروب الخارجية للخلفاء العباسيين في مشرق الخلافة ..... ٦٥
د–استحداث منصب أمير الأمراء ..... ٧٠
الفصل الثاني: الأزمات الاقتصادية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في بلاد الشام من ( ١٣٢–٤٤٧هـ / ٧٥٠–١٠٥٥م) ..... ٧٥
أولاً: الحياة الاقتصادية في بلاد الشام خلال العصر العباسي ..... ٧٦
ثانياً: الأزمات الاقتصادية الناجمة عن الحروب والثورات في بلاد الشام ومنعكساتها على الأوضاع السياسية ..... ٧٩
١– الأزمات الاقتصادية ومنعكساتها في بلاد الشام في عصر القوة للخلافة العباسية. ..... ٧٩
٢– الأزمات الاقتصادية ومنعكساتها في بلاد الشام في عصر الضعف للخلافة العباسية. ..... ٩٣
الفصل الثالث: الأزمات الاجتماعية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق ( ١٣٢–٤٤٧هـ / ٧٥٠–١٠٥٥م) ..... ١٠٧
أولاً: الحياة الاجتماعية خلال العصر العباسي ..... ١٠٨
ثانياً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن الثورات ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق ..... ١١٠
أ– ثورة الموصل سنة ( ١٣٣هـ / ٧٥٠م) ..... ١١٠
ب–ثورة الزط ..... ١١٢
ج–ثورة الزنج ..... ١١٤
د–ثورة القرامطة ..... ١١٩
ثالثاً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن التعدد المذهبي والطائفي ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق ..... ١٢٦
رابعاً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن التعدد العرقي ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق ..... ١٣٠
خامساً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن سوء إدارة الخلافة وتسلّط الأجانب عليها ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق ..... ١٣٣

أ–سوء الإدارة وردّة فعل السكان وتمرّد الأعراب..... ١٣٣
ب–تسلّط الأتراك ..... ١٣٩
ج– تسلّط النساء وفساد الوزراء ..... ١٤٣
الفصل الرابع: الأزمات الاجتماعية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في بلاد الشام من ( ١٣٢–٤٤٧هـ / ٧٥٠–١٠٥٥م)..... ١٤٩
أولاً: الأزمة الاجتماعية الناجمة عن أعمال منظمة الأحداث ومنعكساتها على الأوضاع السياسية. ..... ١٥٠
ثانياً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن هجمات العرب على المدن والقرى في بلاد الشام ومنعكساتها على الأوضاع السياسية. ..... ١٥٦
ثالثاً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن هجمات القرامطة ومنعكساتها على الأوضاع السياسية ..... ١٦٠
رابعاً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن هجمات البيزنطيين ومنعكساتها على الأوضاع السياسية..... ١٦٢
الفصل الخامس: الكوارث الطبيعية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق وبلاد الشام من سنة ( ١٣٢–٤٤٧هـ / ٧٥٠–١٠٥٥م)..... ١٧٣
أولاً: الكوارث الطبيعية في العراق ومنعكساتها الاقتصادية والاجتماعية..... ١٧٤
١–الفيضانات..... ١٧٤
٢–الأمطار والثلوج والرياح..... ١٧٨
٣– الجفاف ..... ١٨١
٤–الجراد ..... ١٨٣
٥–الأوبئة والطواعين ..... ١٨٤
٦–الزلازل ..... ١٨٨
٧–الحرائق ..... ١٩٠
ثانياً: الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومنعكساتها الاقتصادية والاجتماعية..... ١٩٢
١–الأمطار والرياح..... ١٩٢
٢–الجراد ..... ١٩٣
٣–الأوبئة ..... ١٩٣
٤–الزلازل ..... ١٩٤
٥–الحرائق ..... ١٩٦
الخاتمة..... ١٩٨

قائمة المصادر والمراجع ..... ٢٠٢
أولاً: المصادر ..... ٢٠٢
ثانياً: المراجع. ..... ٢٠٩
ثالثاً: المراجع المعربة..... ٢١٣
رابعاً: المراجع الأجنبية ..... ٢١٣
خامساً: المجلات الأجنبية..... ٢١٣
سادساً: الأبحاث الجامعية..... ٢١٤
الملاحق ..... ٢١٥
Abstract ..... ٢٢١

## الملخص

ارتكزت معظم الدراسات والأبحاث في التاريخ العربي والإسلامي على الجوانب السياسية أو الحضارية للدول، ونتيجة لأهمية الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والكوارث الطبيعية، يوجد ثمّة دراسات تناولت هذه الجوانب لأنّها تشير إلى قوة وضعف الدولة، كما تؤثّر على سياستها وكتابة تاريخها مستقبلاً.

فتأتي أهمية هذا البحث من كونه يبحث في الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والكوارث الطبيعية في العراق وبلاد الشام، وآثارها على الوضع السياسي للخلافة العباسية، وعلى السكان سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وكيف عالجت الخلافة العباسية هذه الأزمات التي أثّرت على مجرى سياستها، وأجبرت الخليفة على تغيير سياسته بإصدار قرارات عدّة لمعالجة هذه الأزمات.

بدايةً تمّت دراسة الأزمات الاقتصادية في العراق ومنعكساتها على الأوضاع السياسية من سنة (١٣٢-٤٤٧هـ/٧٥٠-١٠٥٥م) من أسباب حدوثها كالحروب، ودراسة العوامل التي زادت من حدّتها من ترف وبذخ، وانفصال للأقاليم عن الخلافة العباسية، واستحداث منصب أمير الأمراء الذي جاء ليعالج أزمة اقتصادية، فزاد الطين بلّة، وتأثير هذه الأزمات على السكان، وعلى الخلافة العباسية والأمراء والسلاطين، وردّات فعل الخلافة تجاه هذه الأزمات.

وكان للحروب والثورات التي قامت على أرض بلاد الشام الدور الرئيسي في حدوث الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، واستقبلت الخلافة العباسية في عصر القوة هذه الثورات والحروب بالحزم والقوة وفرض سيطرتها لإخمادها، واعتمادها سياسة المهادنة واللين في عصر الضعف، وكنتيجة طبيعية لهذه الثورة وإخمادها، سينتج عنها أزمات اقتصادية من قلّة مواد غذائية، وفقدان بعض السلع، وتوقف الحركة التجارية، وضعف المستوى المعيشي.

وهذا يعني أنّ الحروب والكوارث الطبيعية ولّدت أزمات اقتصادية واجتماعية في العراق كثورة الموصل والزط والزنج والقرامطة والتي كانت سبباً لمعاناة اجتماعية من فقر ومجاعة وتشرّد وتهجير للسكان وكثرة الوفيات، الذي أدّى بدوره إلى انتشار الأمراض والأوبئة، ولم يغب عن مسرح العراق السياسي والعسكري ما يسبّبه التعدد المذهبي والطائفي والعرقي في خلق أزمات اجتماعية عانى منها السكان، يضاف إليها ضعف الخلافة العباسية وتسلّط العنصر غير العربي عليها، وتسلّط نساء الخلفاء والحكّام وانتشار الفساد مما أطال في عمر الأزمات الاجتماعية، ناهيك على أنه بحدّ ذاته أزمة اجتماعية واقتصادية.

غير أنّ ما حصل في بلاد الشام في هذه الحقبة كان له لون مختلف عن العراق فقد ظهرت في هذه الآونة أو الحقبة منظمة دُعيت بالأحداث شغلت أدواراً متناقضة فتارة تصدّت للدفاع عن البلاد ضد المحتلين وحكام البلاد الظالمين، وتارة أخرى تحولت إلى مسبب للأزمات الاجتماعية، وما زاد الطين بلّة

أنّ قرى ومدن بلاد الشام لم تسلم من غارات القبائل العربية ومحاولة هذه القبائل فرض سيطرتها على المنطقة، تزامن هذا مع هجمات القرامطة والبيزنطيين على بلاد الشام.

وفي خضمّ هذه الحروب تأتي الكوارث الطبيعية في العراق وبلاد الشام لتزيد من معاناة السكان ألماً، فالفيضانات والأمطار الغزيرة والجفاف والجراد والأوبئة والزلازل والحرائق وتأثيرها الكبير على السكان كهدم دورهم وحوانيتهم، وتخريب الأراضي الزراعية، وهجرة السكان ناهيك عن كثرة الوفيات التي نجم عنها أمراض وأوبئة، وهذا ما دفع بعض الخلفاء إلى معالجة هذه المسائل بدفع أموالٍ للمتضررين من جهة والتشجيع اللامحدود للأطباء وما يخصّ العلوم المعنيّة للوقوف بوجه هذه الأمراض والأوبئة من جهة أخرى.

**الكلمات المفتاحية:**

الأزمات الاقتصادية. الأزمات الاجتماعية. الكوارث الطبيعية. العراق في العصر العباسي. بلاد الشام في العصر العباسي.

**مقدمة:**

سعى الإنسان من خلال إمكاناته وتطورات تفكيره إلى توفير شروط البيئة وتسخير كل الطاقات وتأمين فرص المساهمة في إنشاء وتطور التصوّرات الجمعية والتطور الإيجابي المؤثّر في البنية المجتمعية ومواكبته والتأثير فيه.

إلا أنّ مقالات النمو الاقتصادي تخضع لرياح التغيير التي تهبّ باستمرار، فهي تحمل افتراضات متعلّقة بعوامل متغيّرة في النظام المعقّد للسلوك الإنساني، فمعدل نمو اقتصاد ما مهما كانت طريقة قياسه هو حاصل عوامل كثيرة متداخلة في البناء العام للمجتمع فهي لا تسير صعوداً بشكل متسارع ومنضبط وفق إيقاعٍ منتظم، بل تعترضها اهتزازات في خصائص هذا النظام، هذه الشدائد والضائقات وغير ذلك من الظواهر التي يلزم عدّها ظواهر كميّة بحكم تعانقها وجدليتها وطلب كشفها واستبانتها يدفعها إلى كشف السلوكيات التي تتبعها الجماعات والدول.

لقد شكّلت الأزمات الاقتصادية والاجتماعية عبر تاريخ البشرية عائقاً من أخطر العوائق التي وقفت بوجه التطور الحضاري للمجتمعات الإنسانية، وبالتالي افتراضات أولية تحمل منعكسات البؤس والشقاء على البنية المجتمعية.

على أنّ هذه الاهتزازات والنكبات منها ما كان للإنسان وبفعل يده استنكبت فعول المعاناة كالسطوة وحب الملك والتنازع والتخاصم والحروب التي أفرزت كنتيجة حتمية لها القتل والتشريد والمجاعة والفقر والتغيير في البنية المجتمعية والديموغرافية والتأثر الحضاري واعتلال الدور التاريخي صعوداً وهبوطاً.

ومن هذه العوامل ما كان خارجاً عن إرادة الإنسان وسيطرته، حملتها القوى الكونية المؤثّرة بشكل أكبر من قُدرات الإنسان وانعكاسها الملموس والحاسم على المؤشر الاقتصادي وتوازنه والمظهر الكمّي لسلوك الجماعات.

فقد تعرّض السكان في العراق وبلاد الشام إلى أزمات اقتصادية واجتماعية عديدة خلال الحقبة ما بين (١٣٢-٤٤٧هـ/٧٥٠-١٠٥٥م) من تاريخ الخلافة العباسية، وقد اختلفت أسباب هذه الأزمات وعوامل نشوئها ونتائجها ومنعكساتها وتأثيرها على المجتمع والسكان والتطور الحضاري بشكل عام.

وإذا ما بحث المرء عن تجليات هذه الأزمات وأسبابها ودور الإنسان الفاعل فيها، يلاحظ أنّ الحروب المتعددة المختلفة البواعث والأسباب لها دور كبير في حدوث الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، كالحرب ما بين الأخوين الأمين والمأمون من أجل السيطرة على كرسي الخلافة مع ما حمله هذا الصراع وما نتج عنه من تبعات ذات أثر تراجعي حضاري شمل السياسة والاقتصاد والاجتماع، وأوقف الزحف الحضاري وحمل في ضبابيته تغيّراً في البنية المجتمعية وسياسة الدولة اللاحقة، وفتح الباب على مصراعيه لصراع النفوذ، وهذا ما تجلّى لاحقاً في عهد الخليفة المستعين بالله والمعتز بالله ووثوب الأتراك والأعاجم

وبالتالي تقهقر السلطة السياسية التي هي الرافع الأساسي والمتحكّم الأول في ميزان القوى الاقتصادية والبنية المجتمعية التي عانى من انحناءاتها أبناء العراق بشكل خاص وبنية الخلافة بشكل عام، ودفع فاتورة الاقتتال الداخلي والصراع السلطوي وتبعثر القيادات والولاءات وتشرذم الاقتصاد وتآكله مع ما رافقه من فساد إداري ومالي وانغماس السلطة الحاكمة بحياة الترف والبذخ وانفصالها شبه الفعلي عن القاعدة الأساس للحكم وهم الشعب، هذا عدا عن سياسة السلاطين المتنفّذين الفعليين كبني بويه الرامية إلى الترف المفرط سواء في العمارة وبناء القصور أو الإنفاق المبالغ على أوجه الحياة المختلفة كالمغنين والشعراء وغيرهم وإقامة الحفلات التي جعلت من المقياس الصفري حال الخزينة العامة، وبالتالي وقع العبء الأكبر على الشعب الذي أدّى بدوره إلى تراجع الحالة المجتمعية والبؤس والشقاء والتهجير والموت المفضي بدوره إلى التقهقر أو الجمود الحضاري في أفضل الأحوال.

هذا من جانب الإنسان الفاعل والذي إن تمّ تجاوزه إلى المقلب الآخر فقد وُجِدت قوى كونية تُحدث وتتحدّى بطبيعتها قدرة الإنسان الفاعل، فالكوارث الطبيعية من فيضانات وأمطار وثلوج ورياح وزلازل وجراد ألقت بظلالها على الإنسان وعلى منتوجه الحضاري وخلقت أزمات مجتمعية واقتصادية ألمّت بإنسان العراق وبلاد الشام.

وقد حمل الفصل الأول عنوان الأزمات الاقتصادية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق من ( ١٣٢-٤٤٧هـ / ٧٥٠-١٠٥٥م)، حيث تضمّن الحرب التي وقعت ما بين الأخوين الأمين والمأمون وما نجم عنها من أزمات وكذلك الحروب التي جرت بين الخليفتين المستعين بالله والمعتز بالله، وما بين أمراء بني بويه والحمدانيين، ومما زاد في حدّة الأزمات الترف والبذخ وانفصال الأقاليم عن الخلافة العباسية، كما أنّ الحروب الداخلية والخارجية في عصري القوة والضعف كانت من مضامين هذا الفصل، بالإضافة إلى استحداث منصب إمرة الأمراء والاقتتال الداخلي بين الأمراء من أجل الوصول إلى هذا المنصب الذي تحكّم بميزانية الدولة، وما جلب من فقر وعجز للدولة.

أمّا الفصل الثاني المعنون بالأزمات الاقتصادية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في بلاد الشام من ( ١٣٢-٤٤٧هـ / ٧٥٠-١٠٥٥م) فاستعرض ردود فعل الخلافة العباسية عسكرياً في عصري القوة والضعف على المتمردين والثائرين وما أفرزته من أزمات اقتصادية.

وعنون الفصل الثالث من الأطروحة الأزمات الاجتماعية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق ( ١٣٢-٤٤٧هـ / ٧٥٠-١٠٥٥م) وعُولج في هذا الفصل الأزمات الاجتماعية الناجمة عن ثورة الموصل، والزط، والزنوج، والقرامطة، وما أحدثته من خراب ودمار بفعل الحروب التي جرت بينها وبين جيوش الخلافة العباسية، كما تطرّق إلى الحروب ما بين مكوّنات الشعب العراقي المذهبية والعرقية

ونتائجها الاجتماعية التي أدّت إلى إضعاف بنية المجتمع العراقي، وتماهى ذلك مع الأزمات الاجتماعية الناجمة عن سوء إدارة الخلافة وتسلّط الأجانب عليها.

وتناول الفصل الرابع الأزمات الاجتماعية التي حلّت بسكان بلاد الشام ضمن المدّة المدروسة من تاريخ الخلافة العباسية والناجمة عن منظمة الأحداث وعن هجمات القبائل العربية على المدن والأرياف وتصدّي جيوش الخلافة العباسية لها وما نجم عنها من أزمات ومآسٍ، ناهيك عن الأزمات الناجمة عن حرب القرامطة وهجماتهم المتكررة على مدن بلاد الشام من جهة، وحروبهم ضد الجيوش العباسية والجيوش الفاطمية من جهة أخرى، وما نجم عن ذلك من أزمات وويلات والنتائج المتوقعة لتلك الحروب، كما عالج الفصل الهجمات البيزنطية على بلاد الشام وما خلّفته من دمار ونكبات اجتماعية.

وجاء في الفصل الخامس الأزمات الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن الكوارث الطبيعية في العراق وبلاد الشام ضمن المدّة المدروسة من تاريخ الخلافة العباسية، إذ أدّت الفيضانات والأمطار الغزيرة والجفاف والجراد والأوبئة والزلازل والحرائق إلى نكبات اقتصادية واجتماعية تمثّلت بكثرة الوفيات وهجرة السكان، وانتشار الفقر، وندرة المواد الغذائية الناجمة عن تخريب المزروعات، بالإضافة إلى هدم المنازل والمحلات التجارية، الأمر الذي أدّى إلى شلل في الحركة المعيشية، وتناول الفصل اجراءات الخلافة العباسية حيال هذه الأزمات، وما قامت به من ردود أفعال للتخفيف من نتائجها الكارثية للسكان.

إنّ ما حدث من أزمات اقتصادية واجتماعية حلّت بسكان العراق وبلاد الشام ضمن المدّة الواقعة ما بين (١٣٢-٤٤٧هـ/٧٥٠-١٠٥٥م) استدعت ردود أفعال من الخلافة العباسية ومن ملوك وسلاطين الدولة البويهية تجلّت في أحيانٍ كثيرة بعزل وال وتكليف آخر أو عزل قائد عسكري وتكليف البديل عنه، كما تجلّت أحياناً بمهادنة الثائرين عندما لا تسمح الظروف بمعاقبتهم ومن ردود الخلافة أحياناً تقديم بعض الإعانات والمساعدات للمتضررين والمنكوبين وهي قليلة ومحدودة.

إنّ ما ذكرته المصادر التاريخية حول الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي حلّت بسكان العراق وبلاد الشام ضمن المدّة المدروسة قد توفّرت وتقاطعت حول أزمة ما وقد تُذكر بعض الأزمات عند مصدر وحيد لها، وقد تنعدم روايات المصادر والمراجع حول أسباب ونتائج أزمة من المحتمل حدوثها بناءً على معلومات تاريخية قد ذكرت بعضاً منها.

إنّ ما تمّ عرضه في هذه الأطروحة من أزمات اقتصادية واجتماعية بناءً على المصادر والروايات التاريخية والمقارنات والتقاطعات فيما بينها، وما تمّ من استقراء واستنتاج حول أسباب ونتائج هذه الأزمات وانعكاس ذلك على القرار السياسي المتّخذ من قبل الخلفاء والسلاطين والحكّام حيال هذه الأزمات، قد سلّط الضوء على الأزمات وعلى كلّ ما يتعلّق بها من أسباب ونتائج وانعكاس ذلك على

الناس وعلى الخلافة والإدارة العباسية من خلال الربط بين الظروف المختلفة التي أدّت إلى الأسباب وما نجم عنها من معاناة طالت معظم شرائح المجتمع في العراق وبلاد الشام خاصة الفقراء منهم.

وقد تمّ عرض الأوضاع والقضايا التي تتعلق بالأزمات الاقتصادية والاجتماعية من خلال الملاحظات العديدة التي تمّ ذكرها في الأطروحة، كما عُرضت الأزمات وأسبابها وطرق معالجتها في كل إقليم على حده وفي عصري القوة والضعف لخلفاء بني العباس، ليسهل على القارئ التعرف على المعلومة المتعلقة بالأزمة في المكان والزمان الذي يريده.

ومن المتوقّع أن يكشف القادم من الأيام مصادر جديدة تسلّط الضوء على أحداث وأزمات حدثت في تلك المدّة مما يزيد في شمولية البحث وفي عمق مضامينه وفقاً لتطور البحث ومنهجه العلمي.

**إشكالية البحث:**

يقوم البحث بالكشف عن الأسباب الحقيقية للأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في العراق وبلاد الشام في العصر العباسي ضمن المدة المذكورة، والتي غيّبتها المصادر التاريخية ولا يُعرف السبب وراء هذا الإهمال أو التقصير من قبل مؤرخي تلك الحقبة، كما يبحث عن حلول محتملة لم تشر المصادر التاريخية إلى حدوثها ومن الممكن أن تكون الخلافة العباسية قد قامت بها لكنها غُيّبت وقد تركت هذه التساؤلات احتمالات عدّة لا بدّ من الإجابة عليها:

١- ماهي العوامل السياسية وأثرها في الوضع الاقتصادي، كالحروب بين الخلفاء العباسيين، والحروب بين الأمراء البويهيين؟

٢- ماهي العوامل التي زادت الأزمات الاقتصادية حدّة في العراق، من ترف وبذخ، وحروب داخلية وخارجية؟

٣- ماهي الأزمات الاقتصادية الناجمة عن الحروب والثورات في بلاد الشام ومنعكساتها على الأوضاع السياسية؟

٤- ماهي الأسباب الحقيقية لاندلاع ثورات اجتماعية في العراق، كثورة الموصل، والزط، والزنج، والقرامطة، وماهي المنعكسات السياسية لها؟

٥- هل التعدد العرقي والمذهبي في المجتمع العراقي وراء الاقتتال الداخلي كما ورد في الأسباب المعلنة، أم أنّ هناك أيادٍ خفيّة كانت وراء ذلك؟

٦- هل سوء الإدارة العباسية، وتسلّط الأجانب، والنساء، وفساد الوزراء، كان له دوراً في خلق الأزمات الاجتماعية في العراق؟

٧- هل كان لأعمال منظمة الأحداث في بلاد الشام أثر سلبي على الحياة الاجتماعية؟

٨- ماهي الأزمات الاجتماعية في بلاد الشام التي سببتها هجمات العرب والقرامطة والبيزنطيين؟

٩- هل أدّت الكوارث الطبيعية إلى أزمات اقتصادية واجتماعية في العراق وبلاد الشام، وماهي منعكساتها على الأوضاع السياسية؟

١٠- هل الإجراءات الاحترازية المحدودة تجاه الأخطار الناجمة عن الكوارث الطبيعية ناتجة عن الضعف المادي للخلافة العباسية أم أنّ هناك أسباب أخرى؟

إنّ ما جاء في البحث عن الأزمات الاقتصادية والاجتماعية وعن أسبابها ونتائجها في العراق وبلاد الشام وفقاً لما أوردته المصادر التاريخية وعلى الرغم من ذلك ظلّت أسئلة عديدة تدور حول الأزمات وأسباب نشوئها وكيفية معالجتها من قبل الخلافة والسلطات المسؤولة ومن المحتمل أنّ القادم من الأيام سيجيب عليها بعد أن يتمّ اكتشاف مصادر تاريخية جديدة.

**أهداف البحث:**

يهدف البحث إلى التعرّف على الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى أسبابها، وتصنيفها بشرياً وطبيعياً في العراق وبلاد الشام في العصر العباسي ضمن المدّة المدروسة، ومعرفة ما تفعله هذه الأزمات في حياة المجتمع، وبالتالي قياس ما حدث في تلك المدّة بما يحدث مستقبلاً من مثيلات لها، يمكن الاستفادة منها باتّقاء ما يحدث من أزمات وكوارث مستقبلاً، وهذا ما ينطبق على المجتمع وعلى الأفراد، ومن النقاط التي تشير إلى أهداف البحث مايلي:

- التعرّف على الأزمات الاقتصادية ذات المنشأ السياسي، وانعكاس هذه الأزمات على الخلافة والمجتمع.
- تسليط الضوء على العوامل التي زادت الأزمات الاقتصادية حدّة في العراق، كالترف والبذخ، وانفصال الأقاليم عن الخلافة العباسية، والحروب الداخلية والخارجية في عصري القوة والضعف، واستخدام منصب أمير الأمراء.
- معرفة أسباب الأزمات الاقتصادية في بلاد الشام في عصري القوة والضعف، ومنعكساتها على الأوضاع السياسية.
- دراسة الثورات الاجتماعية التي قامت في العراق، ومنعكساتها على الأوضاع السياسية، وطريقة معالجة الخلافة لهذه الثورات.
- تسليط الضوء على التعدد المذهبي والعرقي في العراق، ومساهمته في خلق الأزمات الاجتماعية.
- تسليط الضوء على خطورة المفاسد وتسلّط الأعاجم على الخلافة والدولة وما لذلك من دور خطير في إضعاف الدولة وبالتالي حدوث الأزمات.

- دراسة الأزمات الاجتماعية التي حلّت ببلاد الشام، والتعرف على مسبّباتها، من أعمال منظمة الأحداث، وهجمات العرب والقرامطة والبيزنطيين.
- تسليط الضوء على الكوارث الطبيعية وما أحدثته من أزمات اقتصادية واجتماعية أصابت حياة السكان وممتلكاتهم وكيف تعاملت الإدارة العباسية على اختلاف مستوياتها مع الكوارث الطبيعية حتى تخفف من وقعها السيء على السكان في الإقليمين.
- معرفة ردود فعل الخلافة العباسية والملوك والسلاطين البويهيين في تلك المدّة حيال الأزمات وما نتج عنها والمنعكسات في عصري القوة والضعف، وهل كانت الاجراءات المتخذة من قبل الإدارة العباسية متناسبة مع الأزمات وثقلها بالرغم من تعددها وتباينها، وهل كانت كافية أو مخففة لمصاب السكان ومعاناتهم من نتائج الأزمات.

**أهمية البحث وسبب اختياره:**

تأتي أهمية البحث من كونه يندرج ضمن ما يسمى بالتاريخ الحضاري للدول وهو المنهج الذي تسير عليه المدارس التاريخية في الوقت الحاضر وبالتالي فهو يدرس ما تعرّض إليه سكان العراق وبلاد الشام من أزمات اقتصادية واجتماعية وأسباب حدوثها ومظاهرها وخطورة وقعها على الخلافة والإدارة العباسية وعلى عامة السكان.

وتأتي أهمية البحث من خلال تقديم الأدلة الكافية عن أسباب الأزمات وعوامل قيامها من خلال الروايات التاريخية وتقاطع معظمها حول المعلومة المطلوبة، وكذلك الأمر عن انعكاسات هذه الأزمات على المجتمع وعلى الخلافة والسلطة العباسية.

كما أنّ التعريف بالأسباب الموضوعية والذاتية ومعرفة خطورة كل منهما ودورها في قيام الأزمات، يُعد من الأهمية بمكان لهذا البحث، ومما يدلّ على أهميته تسليط الضوء على مكونات المجتمع المذهبية منها والعرقية في العراق وبلاد الشام وإيجابية هذا التنوع الديموغرافي واستغلاله من قبل مثيري الفتن والتمردات من أجل زعزعة استقرار المجتمع، وخلق الأزمات الضارة بالدولة والمجتمع.

وتظهر أهمية البحث لدارسي التاريخ وللمهتمين بمعرفة الأزمات التي حلّت بسكان العراق وبلاد الشام ضمن المدة المدروسة من تاريخ العصر العباسي ربط نتائج الأزمات بأسباب قيامها وعدم الاقتصار في الدراسة على نتائجها فقط، كما أنّ ما تمّ عرضه من استقراءات واستنتاجات وتساؤلات يسلط الضوء على الجوانب الغائبة عن روايات المصادر التاريخية ويحثّ على استكمالها وهذا ما يندرج ضمن أهمية هذا البحث.

**صعوبات البحث:**

إنّ أغلب المصادر التاريخية تتحدّث عن الأوضاع السياسية والعسكرية للدول العربية والإسلامية، وتتطرّق بشكل قليل على موضوع الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والكوارث الطبيعية، لذلك تمّ الاعتماد من قبل الباحث على استقراء الأزمات السياسية بكونها العامل الرئيسي لهذه الأزمات، كما إنّ ندرة المصادر التاريخية لبلاد الشام كانت عائقاً لهذا البحث، بالإضافة إلى ندرة المصادر التي تتحدّث عن المنعكسات السياسية لهذه الأزمات.

**حدود البحث:**

الحدود الزمنية: من سنة (١٣٢-٤٤٧هـ/٧٥٠-١٠٥٥م).

الحدود المكانية: العراق وبلاد الشام.

**الدراسات السابقة:**

لا توجد دراسة شاملة عن الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والكوارث الطبيعية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق وبلاد الشام (١٣٢-٤٤٧هـ/٧٥٠-١٠٥٥م)، وإنّما هناك دراسة اقتصرت على الأزمات الاقتصادية في العصر العباسي الثاني (٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧-٩٤٨م) في العراق دون بلاد الشام، ولم تذكر المنعكسات على الأوضاع السياسية، فمعظم الدراسات سلّطت الضوء على التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ذاكرةً الأزمات في فصلٍ من فصول دراستها، وهذه الدراسة هي:

١- رسالة ماجستير بعنوان: الأحداث والأزمات الاقتصادية في العصر العباسي الثاني (٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧-٩٤٨م) إعداد الطلبة: ريان عطية وميساء بوسبسي، إشراف أ.د رابح أولاد ضياف. جامعة ٨ ماي ٤٥ قالمة، الجزائر، ٢٠٢١م.

واستعرضت الرسالة الأحداث السياسية والثورات والأزمات الاقتصادية في العصر العباسي الثاني، كما تناولت آثار الأحداث والأزمات الاقتصادية على الدولة العباسية.

٢- وتوجد رسالة ماجستير غير منشورة بعنوان: الأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية في بلاد الشام في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م)، إعداد: أمجد إسماعيل محمد، كلية الآداب جامعة الموصل، ٢٠٢٣م. ومن خلال العنوان يتضح بأنها مقتصرة على بلاد الشام ولم تذكر العراق، وتختلف بالمدّة الزمنية عن الأطروحة، فهي تشمل المدّة الزمنية للعصر العباسي بكامله.

أمّا من ناحية الكوارث الطبيعية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق وبلاد الشام (١٣٢-٤٤٧هـ/٧٥٠-١٠٥٥م)، وُجِدت عدّة مقالات حول الكوارث الطبيعية تقاطعت مع البحث واختلفت معه بنقاط رئيسية، ومن هذه المقالات:

١- مقال بعنوان: (الكوارث والنكبات وأثرها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العراق والمشرق الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري) إعداد: د. محمد عبد المعطي محمد مخرُم، مجلة كلية اللغة العربية، القاهرة، العدد (٣٢) مج٢، ٢٠١٩م.

تقاطعت هذه الدراسة مع البحث بذكرها للكوارث الطبيعية في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) في العراق فقط، وأثرها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

واختلفت مع البحث بذكرها للمشرق الإسلامي، وبتحديد المقال ضمن القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، ولم يذكر المقال اهتمام الخلفاء العباسيين بالطب، عند ذكره لدور الدولة في العلاج والمكافحة.

٢- مقال بعنوان: ( تأثير الفيضانات على سجون بغداد في العصر العباسي) إعداد: د. رائد محمد حامد، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد (١٣) مج: ٧، ٢٠١٣م.

نقاط التقائه مع البحث بسنوات الفيضانات التي وقعت في بغداد في العصر العباسي حتى سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م).

وتعارض مع البحث بعدم ذكره للأزمات الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن الفيضانات، واجراءات الخلافة العباسية تجاه هذه الكوارث، ولم يذكر بلاد الشام، كما أنّ المقال ذكر سنوات الفيضانات طيلة العصر العباسي حتى انتهى بسنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م).

٣- مقال بعنوان: (الكوارث الطبيعية وآثارها على بلاد الشام في العهد العباسي الثاني (٢٣٢-٦٥٦هـ/٨٤٦-١٢٥٨م)، إعداد: حميدان محمود حميدان ناجي، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، العدد: (١٦)، ٢٠٢٣م.

تشابه مع البحث بذكر سنوات الكوارث الطبيعية التي ألمّت بسكان بلاد الشام، واختلف معه بعدم ذكر هذه الكوارث اقتصادياً واجتماعياً التي حلّت بسكان بلاد الشام، بالإضافة إلى عدم ذكره للكوارث الطبيعية في العصر العباسي الأول.

فمعظم المقالات عن الكوارث الطبيعية تكون مخصصة بذكر مدينة ما أو دولة أو أكثر من دولة طيلة العصر العباسي.

٤- مقال ( الكوارث والأوبئة في الموصل خلال العصر العباسي) إعداد: مها سعيد حميد، دراسات موصلية، العدد: (٣٣)، ٢٠١١م، حيث بدأت من سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م) وانتهت بسنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م).

**منهج البحث:**

يعتمد البحث على المنهج التاريخي بشقيه الوصفي والتحليلي من تحليل واستقراء ومقارنة، والتعرف على ما كان موجوداً في تلك الحقبة من جميع النواحي للتأكد من أن المعلومة الواردة هي من بنات تلك الحقبة وليست غريبة عنه، واستقراء كافة المعلومات الواردة في المصادر والمراجع، والقيام بتحليلها لاستنباط رؤية جديدة.

**مكونات البحث:**

قُسّم البحث إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وثبت بالمصادر والمراجع وملاحق.

بدأ الفصل الأول بالحديث عن الأزمات الاقتصادية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق، موضّحاً العوامل السياسية وأثرها في الوضع الاقتصادي، والعوامل التي زادت من حدّة الأزمات الاقتصادية كالترف والبذخ وانفصال الأقاليم عن مركز الخلافة العباسية، والحروب الداخلية والخارجية.

بينما تمّ الحديث في الفصل الثاني عن الأزمات الاقتصادية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في بلاد الشام، حيث ذُكرت الأزمات الاقتصادية الناجمة عن الحروب والثورات في بلاد الشام ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في عصري القوة والضعف.

ووضّح الفصل الثالث الأزمات الاجتماعية في العراق ومنعكساتها على الأوضاع السياسية، وتبوّأت الثورات المكانة الأولى في الأزمات الاجتماعية كثورة الموصل والزط والزنج والقرامطة، بالإضافة إلى الأزمات الاجتماعية الناجمة عن التعدد المذهبي والطائفي، والتعدد العرقي، وسوء إدارة الخلافة، وتسلّط الأجانب عليها، كتسلّط الأتراك، وسيطرة النساء على شؤون الخلافة.

وعالج الفصل الرابع الأزمات الاجتماعية والكوارث الطبيعية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في بلاد الشام، فتحدّث الفصل عن الأزمات الناجمة عن أعمال منظمة الأحداث، وهجمات القبائل العربية على القرى والمدن في بلاد الشام، وعن هجمات القرامطة والبيزنطيين وما نتج عنهم من أزمات اجتماعية.

وتناول الفصل الخامس الكوارث الطبيعية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق وبلاد الشام، وما خلّفته هذه الكوارث المتمثّلة بالفيضانات والأمطار الغزيرة والرياح الشديدة والجفاف وموجات الجراد وانتشار الأمراض، وحدوث الزلازل والحرائق من أزمات اقتصادية واجتماعية متجلّية بتوقف الزراعة وقلّة المحاصيل وندرة المواد الغذائية وانتشار الفقر بين السكان، وهدم المنازل والمحلات، بالإضافة إلى كثرة الوفيات ورحيل السكان، كما عالج الفصل اجراءات الخلافة العباسية تجاه هذه الأزمات.

**التعريف بأهم المصادر والمراجع:**

**أولاً: المصادر:**

**١. ابن خياط (ت٢٤٠هـ / ٨٥٤م):**

الإمام الحافظ العلّامة الأخباري خليفة بن خياط أبو عمرو العُصفري البصري، ويلقب بشَبَاب، ولد في البصرة سنة (١٦٠هـ/٧٧٦م)، له عدّة مؤلفات منها كتاب الطبقات، وكتابه المعروف باسم تاريخ خليفة ابن خياط، وذكر فيه أهم الأحداث التاريخية بطريقة الحوليات من مولد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نهاية العصر العباسي الأول، وتمّت الاستفادة منه كمصدر للحروب ما بين الخلفاء، والحروب الداخلية والخارجية للخلفاء العباسيين في عصر القوة، وهجمات البيزنطيين على بلاد الشام.

**٢. ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م):**

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، العلّامة ذو الفنون، ولد في بغداد سنة (٢١٣هـ/٨٢٨م)، وُلّي قضاء الدينور، وله مؤلفات كثيرة منها: كتاب غريب القرآن، وكتاب الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، وكتاب غريب الحديث، وعيون الأخبار، وكتاب المعارف وهو كتاب واسع بدأ فيه بذكر بداية الخلق وتاريخ الرسل وصولاً إلى خلفاء بني العباس لينتهي بذكر الخليفة المعتمد على الله، حيث ذكر نسب خلفاء بني العباس وتاريخ مولدهم ووفاتهم، وما جرى في عهدهم من أحداث مهمة بشكل مختصر، وأُعتمد كمصدر في الأطروحة بشكل عام، وتحديداً في الفصل الأول كمصدر للحروب الداخلية والخارجية التي جرت في عصر الخلفاء العباسيين.

**٣. اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ/٩٠٥م):**

المؤرخ والجغرافي أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، من أهل بغداد، وكان يقال له مولى بني العباس، تنقّل في عدّة بلدان منها بلاد فارس وآسيا الصغرى والبلقان وبحر قزوين والهند وبلاد الشام والمغرب العربي، توفي في مصر، له عدّة مؤلفات منها كتاب البلدان، وكتابه المعروف باسم تاريخ اليعقوبي، الذي ذكر فيه الأحداث التاريخية منذ بدء الخليقة حتى منتصف العصر العباسي الثاني أيام الخليفة المعتمد على الله، وأغنى هذا الكتاب البحث كمصدر للحروب الداخلية والخارجية في العراق وبلاد الشام الواردة في فصول الأطروحة، وتمّت الاستفادة منه كدليل على الأزمات الاجتماعية في العراق وبلاد الشام من ثورات وحروب وغيرها.

**٤. الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م):**

المؤرخ والمفسر والفقيه محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، ولد في آمل في طبرستان سنة (٢٢٤هـ/٨٣٨م) وقيل سنة (٢٢٥هـ/٨٣٩م)، وتوفي في بغداد، له عدّة مؤلفات منها كتاب في تفسير القرآن، وكتاب تهذيب الآثار، وتاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، الذي تحدّث فيه عن الأحداث التاريخية للدول التي مرّت عبر عصور ما قبل الإسلام حتى سنة (٣٠٢هـ/٩١٤م) في العصر العباسي، وهذا ما أغنى فصول البحث من أزمات اقتصادية واجتماعية وكوارث طبيعية في العراق وبلاد الشام، واعتمد البحث على كتابه الغزير بالمعلومات التاريخية، فكان من المصادر الرئيسة لهذا البحث.

**٥. ابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ/٩٢٦م):**

المؤرخ أحمد بن أعثم الكوفي أبو محمد، لا تتوفر معلومات حول حياته، من أعماله كتاب الفتوح ذو الأجزاء الثمانية، يذكر فيه حرب أهل الردة والأحداث التاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، لينتهي في الجزء الثامن بذكر خلفاء بني أمية وبني العباس مُختتماً كتابه بذكر خلافة المعتصم بالله، وذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء بأنّ له كتاب التاريخ إلى آخر أيام المقتدر بالله، ابتدأه بأيام المأمون، ويوشك أن يكون ذيلاً على الأول، أمّا كتاب الفتوح فتمّت الاستفادة منه في الفصل الأول من الأطروحة في ذكره للأحداث التاريخية التي جرت في عصر القوة للخلفاء العباسيين.

**٦. الأزدي (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م):**

الحافظ الإمام الفقيه القاضي المؤرخ يزيد بن محمد بن إياس أبو زكريا الأزدي الموصلي، كان قاضي الموصل، له كتاب تاريخ الموصل ذكر فيه الأحداث التاريخية من العصر الأموي حتى العصر العباسي في خلافة المعتصم، واعتمد البحث على هذا الكتاب كمصدر للأزمات الاجتماعية كثورة الموصل، وهجمات العرب في بلاد الشام.

**٧. المسعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م):**

العالم والمؤرخ والجغرافي والرحالة، علي بن الحسين بن علي المسعودي أبو الحسن، يعود بنسبه إلى عبد الله بن مسعود صاحب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولد في بغداد سنة (٢٨٣هـ/٨٩٦م) سافر إلى بلدان عدّة، وترك مجموعة كبيرة من المصنفات منها: كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر، وكتاب الاستذكار لما مرّ في سالف الأعصار، وخزائن الملك وسرّ العالمين، وأخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وكتاب التنبيه والإشراف، أمّا كتابه مروج الذهب وهو أربعة أجزاء بدأ فيه بذكر المبدأ وشأن الخليقة،

لينتهي في الجزء الرابع في سرد الأخبار المتنوعة لخلفاء بني العباس حتى خلافة المطيع لله، وتمّت الاستفادة من هذا الجزء كمصدر للأزمات الاقتصادية والاجتماعية من ترف وبذخ، وثورات وحروب خارجية في الفصل الأول والثالث من الأطروحة، بالإضافة إلى الاعتماد عليه في ترجمة بعض القادة العباسيين.

**٨. المقدسي (ت٣٥٥هـ/٩٦٦م):**

المؤرخ المطهر بن طاهر المقدسي نسبة إلى بيت المقدس، له كتاب البدء والتاريخ وهو ستة أجزاء، بدأ فيه بتعريف العلم والعقل وابتداء الخلق، ليصل في الجزء السادس إلى ذكر أهم الأحداث التاريخية التي جرت في العصر العباسي من عهد الخليفة أبو العباس السفاح حتى خلافة المعتضد بالله، ثم ذكر بشكل مختصر تاريخ الخلفاء حتى الخليفة المطيع بالله، وقيل أنّ الكتاب للبلخي ولكن هناك معلومات وردت فيه بعد وفاة البلخي ما يؤكد أنه للمقدسي، وتمّت الاستفادة منه في فصول الأزمات الاقتصادية والاجتماعية كمصدر لبعض الأحداث التاريخية التي جرت في تلك الآونة.

**٩. الأصفهاني (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م):**

الشاعر والمؤرخ والأديب أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي الأصبهاني، وذُكر باسم الأصفهاني، ولد في أصبهان سنة (٢٨٤هـ/٨٩٧م)، ونشأ في بغداد، له عدّة مؤلفات منها كتاب الأغاني، وكتاب أيام العرب، وكتاب مقاتل الطالبيين الذي ذكر فيه أسماء من تمّ قتلهم من ذرية أبي طالب منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم حتى العصر العباسي أيام الخليفة المقتدر بالله، وقد تمّ الاعتماد على هذا الكتاب كمصدر للأزمات الاقتصادية من حروب داخلية في عصري القوة والضعف، وللأزمات الاجتماعية الناجمة من التعدد الطائفي، بالإضافة إلى ترجمة بعض الشخصيات.

**١٠. مسكويه (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م):**

المؤرخ والعالم أحمد بن محمد بن يعقوب، أبو علي، أصله من الري وسكن أصفهان وتوفي بها، عمل بالفلسفة والكيمياء والمنطق مدّة من الزمن، ثم اهتمّ بكتابة التاريخ والأدب، وعمل في الحياة السياسية خلال حكم البويهيين، وتقرّب من سلاطين بني بويه فكانت له مكانة عالية عندهم وخاصة الأمير بهاء الدولة البويهي، له عدّة كتب منها كتاب الفوز الأكبر، وكتاب الفوز الأصغر، وكتاب تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ابتدأ فيه من الأخبار والأحداث التاريخية من بعد الطوفان حتى العصر العباسي سنة (٣٦٩هـ/ ٩٧٩م)، ويعدّ من المصادر المهمة التي اعتمد البحث عليها في توثيق معلوماته التاريخية في كافة فصوله عن الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والكوارث الطبيعية.

**١١. ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠):**

أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، فقيه ومحدث ومؤرخ، ولد في بغداد سنة (٥١٠هـ/١١١٦م)، وتوفي بها، له عدّة مؤلفات منها كتاب المنتظم في تاريخ الأمم والملوك الذي جمع فيه الأحداث التاريخية بطريقة الحوليات بالإضافة إلى تراجم بعض الشخصيات، واستمدّ البحث من مادته المتنوعة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والكوارث الطبيعية في كافة فصول الأطروحة.

**١٢. الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م):**

ياقوت بن عبد الله، الملقب شهاب الدين أبو عبد الله الرومي الحموي الأديب والرحالة الجغرافي، ولد سنة (٥٧٤هـ/١١٧٨م) وقيل سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م) في بلاد الروم، وتنقّل في عدد من البلدان، حتى رحل إلى حلب وتوفي في ظاهرها، ومن أهم مؤلفاته كتاب معجم الأدباء، وكتاب الشعراء المتأخرين والقدماء، وكتاب المبدأ والمآل في التاريخ، وكتاب معجم البلدان، الممنهج على الحروف الأبجدية، وتمّ الاعتماد عليه في تعريف الكثير من المدن والبلدات الواردة في البحث.

**١٣. ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م):**

المؤرخ علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الشيباني ابن الشيخ الأثير أبي الكرم، ولد في جزيرة ابن عمر سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م) ونشأ بها، حتى انتقل به والده إلى الموصل ليستقر بها، وكان إماماً وعلّامة، وله عدّة مؤلفات منها كتاب تاريخ الموصل، وكتاب معرفة الصحابة، ومصنّف التاريخ الكبير الملقب بالكامل في التاريخ، الذي يعدّ مكمّلاً لتاريخ الطبري، وقد أمدّ البحث بمعلوماته التاريخية المتنوعة من أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية وكوارث طبيعية، وتمّت الاستفادة منه في فصول الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والكوارث الطبيعية في العراق وبلاد الشام.

**١٤. الصفدي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م):**

المؤرخ خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، ولد في صفد بفلسطين سنة (٦٩٦هـ/١٢٩٦م)، ورحل إلى دمشق لأجل التعلم، وشغف بالأدب وتراجم الأعيان، وتولّى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، وتوفي فيها، له عدد كبير من المؤلفات منها تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب، وكتاب نكت الهميان في نكت العميان، وكتاب الوافي بالوفيات الذي اعتمد فيه على ترتيب الوفيات بالترتيب الأبجدي، وقد تمّ الاعتماد على هذا الكتاب في ترجمة عدد كبير من الشخصيات التاريخية في البحث.

**ثانياً: المراجع:**

**١. كتاب الأعلام لمؤلفه خير الدين الزركلي:**

وهو من أهم مراجع التراجم، وقد اعتمد البحث عليه في ترجمة الكثير من الشخصيات التاريخية.

**٢. كتاب النفقات وإدارتها في الدولة العباسية لضيف الله يحيى الزهراني:**

حيث تحدّث فيه عن الموارد المالية في الدولة العباسية، وعن النفقات العامة وإدارتها، ونفقات دار الخلافة، والإدارة المركزية، وقد أُعتمد على هذا الكتاب كمرجع للبحث في ذكر التكلفة المادية للحروب الداخلية والخارجية في عصري القوة والضعف لخلفاء بني العباس، بالإضافة إلى التكلفة التي دفعتها الخزينة لتغطية نفقات الترف والبذخ لخلفاء بني العباس.

**٣. كتاب تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري لـ عبد العزيز الدوري:**

حيث ذكر فيه عن سياسة الخلفاء العباسيين والأمراء البويهيين تجاه الزراعة، وذكر فيه الصناعة والتجارة، وعن نظام الضرائب ومستوى المعيشة، وتمّت الاستفادة من معلومات هذا الكتاب في كشف الأسباب المؤدّية لتراجع الزراعة.

**٤. موسوعة المدن العربية والإسلامية لمؤلفها يحيى شامي:**

اعتمد البحث على هذا الكتاب في ترجمة بعض المدن العربية والإسلامية التي ذُكرت في البحث.

**٥. أحداث التاريخ الإسلامي لمؤلفة عبد السلام الترمانيني:**

يشتمل على أهم أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، مع ترجمة لأشهر الأعلام وتعريف بالمواقع والبلدان، وابتدأ من السنة الأولى للهجرة منتهياً بعام (١٥٩١م)، ولقد تمّ الاعتماد عليه في البحث كمرجع للأزمات الاقتصادية في العراق وبلاد الشام من خلال الحروب ما بين الخلفاء العباسيين، والحروب الداخلية والخارجية لخلفاء بني العباس.

**٦. معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي لمؤلفه محمود سعيد عمران:**

عالج فيه السياسة الداخلية والخارجية للأسر التي حكمت الإمبراطورية البيزنطية، وتمّت الاستفادة منه كمرجع للحروب التي خاضتها الخلافة العباسية مع الإمبراطورية البيزنطية في عصري القوة والضعف لخلفاء بني العباس.

**٧. تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي – مقاطعة فارس– ٣٣٤–٤٤٧هـ/٩٤٥–١٠٥٥م لـــ حسن منيمنة:**

تحدث فيه عن الأحوال العامة للخلافة العباسية عشية السيطرة البويهية، وعن سياسة البويهيين في فارس من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، وتمّت الاستفادة منه كمرجع للأزمات الاقتصادية الناجمة عن الحروب ما بين الأمراء البويهيين.

# الفصل الأول: الأزمات الاقتصادية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق من ( ١٣٢-٤٤٧هـ / ٧٥٠-١٠٥٥م)

**أولاً: مقومات الاقتصاد في العصر العباسي**

**ثانياً: العوامل السياسية وأثرها في الوضع الاقتصادي:**

**أ- الحروب بين الخلفاء على منصب الخلافة.**

**ب- الحروب بين الأمراء البويهيين والحمدانيين في العصر البويهي.**

**ت- الحروب بين الأمراء البويهيين.**

**ثالثاً: العوامل التي زادت الأزمات الاقتصادية حدّةً في العراق:**

**أ- الترف والبذخ:**

**١- الترف والبذخ عند الخلفاء العباسيين.**

**٢- الترف والبذخ عند أمراء بني بويه.**

**ب- انفصال الأقاليم عن الخلافة العباسية.**

**ج- الحروب الداخلية والخارجية:**

**١- الحروب الداخلية في عصر القوة للخلفاء العباسيين.**

**٢- الحروب الداخلية في عصر ضعف خلفاء بني العباس.**

**٣- الحروب الخارجية في عصر القوة للخلفاء العباسيين.**

**٤- الحروب الخارجية في عصر الضعف للخلفاء العباسيين.**

**٥- الحروب الخارجية للخلفاء العباسيين في الحجاز.**

**٦- الحروب الخارجية للخلفاء العباسيين في مشرق الخلافة.**

**د-استحداث منصب أمير الأمراء.**

**أولاً: مقومات الاقتصاد في العصر العباسي:**

لقد خضع تطور النظام الاقتصادي في العصر العباسي إلى جملة من العوامل المختلفة تعد أساسيات وروافع الاقتصاد منها: الري الصناعي والزراعة وتربية الحيوان وتطور التجارة الخارجية وإنتاج صناعي راقي بالإضافة إلى الاهتمام بالاقتصاد النقدي، وجاء بناء العاصمة بغداد زمن الخليفة أبو جعفر المنصور ( ١٣٦-١٥٨هـ / ٧٥٣-٧٧٤م)[١]، الذي عد تتويجاً للعمل الاقتصادي والاجتماعي لما لهذا المكان من معزى هام، والتي أصبحت مركزاً عالمياً للمواصلات البرية والمائية يصلها رأساً بالعالم الخارجي وبمراكز التجارة العالمية آنذاك[٢].

وقد بدأ الخلفاء العباسيون وبخاصة الخليفة أبو جعفر المنصور بتنفيذ سياسة الإصلاح الاقتصادي ولا سيما الإصلاحات الخاصة بالخراج وتنظيم جمعه بأسلوب عادل، وتخفيف الأعباء الملقاة على كاهل الفلاحين، مع رعاية شؤون الزراعة والري والتجارة وتأمين الطريق والصناعة، فأدت هذه الإصلاحات إلى رخاء اقتصادي، وأخذت الثروة تتكدس في خزائنه[٣].

شكّلت الزراعة والصناعة والتجارة أهم مقومات الحياة الاقتصادية لدى الشعوب عبر التطور التاريخي للحياة الاقتصادية، فمقومات الزراعة من تربة ومياه ومناخ وأسواق للتصريف متوفرة في العراق، كما أنّ وجود الأنهار الداخلية في العراق من شماله إلى جنوبه وإشرافه على شط العرب والخليج العربي إضافة إلى موقعه الاستراتيجي ما بين الشرق والغرب قد شجع على تطور التجارة الداخلية والخارجية، كما أنّ التطور المادي والثقافي الذي شهده المجتمع العراقي في العصر العباسي شجع على تطور الحرف الصناعية مثل صناعة النسيج والزيوت والأخشاب والعطورات وغيرها لتلبية حاجة المجتمع، وبالتالي فإنّ التكامل ما بين هذه المقومات من مواد زراعية وصناعية أسهم في تطور التجارة التي عادت بعائدات من الأرباح للدولة والمجتمع.

وكان الاستقرار والأمن من أهم دعائم الحياة الاقتصادية، وكانت الحروب والتمردات وأعمال التخريب والحرائق وقطع الطرقات من أخطر أسباب تدهورها وانحدارها.

---

[١] ابن ماجة. (د. ت). **تاريخ الخلفاء**. د.ن. ص: ٣٦. ابن عبد ربه. (١٩٨٣). **العقد الفريد**. تح: مفيد محمد قميحة. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج٥، ص: ٣٧٠. ابن منده. (د.ت). **المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الناس للمعرفة**. تح: عامر حسن صبري التميمي. مملكة البحرين. د. ن. مج٣، ج١٩، ص: ٣١٢، ج٢٠، ص: ٣٩٨. ابن أبي السرور. (د. ت). **بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء**. تح: محمد زينهم محمد عزب. بور سعيد: مصر. مكتبة الثقافة الدينية. ص: ١٠٦.

[٢] مروة، حسن. (د.ت). **النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية**. بيروت: لبنان. دار الفارابي. ج٢. ص: ٤٥٨.

[٣] أيوب، إبراهيم. (١٩٨٩). **التاريخ العباسي السياسي والحضاري**. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتاب العالمي. ص: ٢٣٥.

**١- الزراعة:**

اهتم الخلفاء العباسيون بالزراعة كونها القاعدة الرئيسة للاقتصاد، فحفروا الترع والمصارف وأقاموا الجسور والقناطر وقنوات المياه، واستفادوا من مياه دجلة والفرات، كما أشرفوا على تحسين الزراعة وتنمية مواردها، وتنوعت الحاصلات الزراعية لتسدّ حاجة المجتمع الذي شهد تطوراً مادياً وحضارياً، فكان لا بدّ من تأمين حاجاته من مواد غذائية وخضار وفواكه، وكان تطور التجارة وتوسعها من العوامل الهامة في تطور الزراعة، إذ تمّ تصدير الفائض من الغلال الزراعية إلى البلدان المجاورة والبعيدة، ما أسهم ذلك في زيادة دخل أصحاب الأراضي ودخل الدولة.

ومن أهم المحاصيل الزراعية في العراق في العصر العباسي:

النخيل: يُزرع في بغداد والبصرة والكوفة، ويُزرع في العراق بصورة عامة حتى القادسية[٤] وحتى الأنبار[٥] وهيت[٦] وجوار سنجار[٧][٨].

قصب السكر: ويُزرع في البصرة على نحوٍ كبير، ويزرع في العراق بصورة عامة[٩].

الحنطة والشعير: يُزرعان في البصرة والموصل وواسط[١٠] بمساحات واسعة[١١].

---

[٤] القادسية: من نواحي دجيل، بين حربى وسامراء. الحموي. (د. ت). **معجم البلدان**. بيروت: لبنان. دار صادر. ج٤، ص: ٢٩٣.

[٥] الأنبار: مدينة تقع غرب بغداد، على نهر الفرات، بناها سابور بن هرمز ذو الأكتاف، وجددّ بنائها الخليفة العباسي أبو العباس السفاح، وسميت بهذا الاسم تشبيهاً لها ببيت التاجر الذي ينضد فيه متاعه وهي الأنبار، وقيل الأنبار بالفارسية الأهراء لأن أهراء الملك كانت فيها ومنها كان يرزق رجاله. البكري. (د. ت). **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**. تح: مصطفى السقا، بيروت: لبنان. عالم الكتب. ج١، ص: ١٩٧. الحموي (د. ت)، ج١. ص: ٢٥٧. الحميري. (١٩٧٥). **الروض المعطار في خبر الأقطار**. تح: إحسان عباس. ط: ١. بيروت: لبنان. مكتبة لبنان. ص: ٣٦.

[٦] هيت: بلدة تقع غرب الفرات، وتحاذي تكريت من المشرق، وهي من نواحي بغداد، فوق الأنبار مجاورة للبرية. البكري (د. ت)، ج٤، ص: ١٣٥٧. الإدريسي. (٢٠٠٢). **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. القاهرة: مصر. مكتبة الثقافة الدينية. ص: ٦٥٦. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ٤٢١.

[٧] سنجار: مدينة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام، وهي الآن مدينة عراقية عند سفح جبل سنجار، بالقرب من الحدود السورية. البكري (د. ت)، ج٣، ص: ٧٦٠. الحازمي. (١٩٩٣). **الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة**. تح: حمد بن محمد الجاسر. دار اليمامة. ج١، ص: ٥٦١. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٢٦٢. شامي، يحيى. (١٩٩٣). **موسوعة المدن العربية والإسلامية**. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الفكر العربي. ص: ٧٧.

[٨] ابن حوقل (١٩٩٢)، ص: ٢١٢-٢١٤. بطانية، محمد ضيف الله. (د. ت - أ). **الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى**. اربد: الأردن. دار الكندي. ص: ٣٠٦. الدوري، عبد العزيز. (١٩٧٤). **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري**. ط: ٢. بيروت: لبنان. دار المشرق. ص: ٧٩-٨٣.

[٩] حسن، حسن إبراهيم. (١٩٩٦). **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**. ط: ١٤. بيروت: لبنان. دار الجيل. ج٢. ص: ٢٢٦-٢٢٩. بطانية (د. ت - أ)، ص: ٣٠٦.

[١٠] واسط: مدينة تقع على جانبي نهر دجلة، تتوسط المسافة ما بين البصرة والكوفة، وبغداد والأهواز، وسميت بذلك لأنّ بينها وبين الكوفة فرسخاً وبينها وبين البصرة مثل ذلك، وبينها وبين المدائن مثل ذلك، بناها الحجاج بن يوسف الثقفي، وانتهى من بنائها سنة ( ٨٦هـ / ٧٠٥م). اليعقوبي. (د. ت). **البلدان**. مطبع بريل. ص: ١٠٨-١٠٩. الهمذاني. (١٩٩٦). **البلدان**. تح: يوسف الهادي. ط: ١. بيروت: لبنان. عالم الكتب. ص: ٢٦٠. البكري (د. ت)، ج٤. ص: ١٣٦٣. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٥٩٩.

الأرز: يُزرع قرب الكوفة وواسط والبطائح[١٢] على نحوٍ واسع[١٣].

العنب والفواكه: انتشرت زراعته في منطقة عكبرا[١٤] ودير العاقول[١٥] وحلوان[١٦] وبغداد والبصرة[١٧].

ومن المحاصيل المهمة التين واشتهرت حلوان بزراعته، وكذلك البرتقال والليمون وكانت مساحة زراعته قليلة في البصرة، أمّا الزيتون فاشتهر شمال العراق بزراعته خاصة بالقرب من سنجار، والإجاص والمشمش والتوت واللوز والجوز والبطيخ والسمّاق الذي انتشرت زراعته في العراق على نحوٍ كامل، وكان العراق غنياً بزراعة الخضراوات مثل القرع والفاصولياء والباذنجان والقرنبيط والجزر، إضافة إلى زراعة أنواع الأزهار والرياحين[١٨].

**٢- الصناعة:**

نشأت صناعات قديمة في العراق، وتطورت في العصر العباسي وتنوعت لتماشي التطور الاقتصادي والاجتماعي والحياتي الذي شهده المجتمع في هذا العصر، وإنّ توسع التجارة التي وصلت إلى الصين والهند وإفريقيا وجنوب أوروبا حفّزت الصناعة على التطور من خلال تسويقها وبيعها خارج العراق وداخله، وأهم الصناعات التي كانت رائجة في العراق كما ذكرتها المصادر التاريخية:

صناعة الأقمشة والمنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية والعمائم، كانت قائمة في بغداد والبصرة والكوفة والموصل وواسط[١٩].

صناعة الزجاج والأواني الزجاجية واشتهرت بصناعتها بغداد والبصرة والقادسية وفي مناطق عدّة من العراق، كما أُشتهرت المناطق بصناعة العطور وماء الورد[٢٠].

صناعة السجاد والبسط واشتهرت بها واسط، والحصر في البصرة، وهي موجودة في الكثير من مدن العراق[٢١].

---

[١١] ابن حوقل. (١٩٩٢). **صورة الأرض**. بيروت: لبنان. دار مكتبة الحياة. ص: ١٩٧. الدوري (١٩٧٤)، ص: ٧٩-٨٣. حسن (١٩٩٦)، ج٣، ص: ٣٢٨-٣٢٩.

[١٢] البطائح: سميت بالبطائح لتجمّع المياه فيها، وهي أرض واسعة بين دجلة والفرات من الجنوب، وأشهر مدنها واسط، وهي خزانة أهل البصرة تجتمع فيها مياههم وتنبت القصب لحطبهم ومنافعهم وفي نواحيها مزارعهم وأشجارهم. اليعقوبي (د. ت)، ص: ١٠٩. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٩٢. واصف، أمين. (د. ت). **الفهرست معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية**. مراجعة: أحمد زكي. القاهرة: مصر. هنداوي. ص: ٢٢.

[١٣] الدوري (١٩٧٤)، ص: ٧٩-٨٣.

[١٤] عكبرا: بليدة تقع بالقرب من بغداد شرقي دجلة. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ١٤٢. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٤١٢.

[١٥] دير العاقول بالقرب من بغداد. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ٥٢٠.

[١٦] حلوان: مدينة كبيرة، قرب الجبل آخر حدود العراق، ومعنى حلوان حافظ حد السهل، لأن حلوان أول العراق، وآخر حد الجبل. البكري (د. ت)، ج٢، ص: ٤٦٣. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ٢٩١. الحميري (١٩٧٥)، ص: ١٩٥.

[١٧] ابن حوقل (١٩٩٢)، ص: ١٩٩-٢١٢. حسن (١٩٩٦)، ج٣، ص: ٣٢٨-٣٢٩. الدوري (١٩٧٤)، ص: ٧٩-٨٣.

[١٨] ابن حوقل (١٩٩٢)، ص: ١٩٩-٢١٢. بطانية (د. ت - أ)، ص: ٣١٠. الدوري (١٩٧٤)، ص: ٧٩-٨٣.

[١٩] المقدسي. ( ٢٠٠٣). **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**. قدم لها: شاكر لعيبي. ط: ١. أبو ظبي. دار السويدي. ص: ١٢٩- ١٣٥. بطانية (د. ت - أ)، ص: ٣١٠. حسن (١٩٩٦)، ج٣، ص: ٣٣١-٣٣٢. الدوري (١٩٧٤)، ص: ١١٦-١٢٨.

[٢٠] الدوري (١٩٧٤)، ص: ١١٦-١٢٨. حسن (١٩٩٦)، ج٣، ص: ٣٣١-٣٣٢.

واشتهرت مدن العراق بوجود حرفيين لصناعات عدّة مثل الصياغة والصابون والدهون وأنواع من الزيوت وصناعة الخزف والورق والأحذية بالإضافة إلى الحدادة وخاصة صناعة السلاسل والسكاكين وكذلك النجارة وخاصة صناعة السفن في البصرة[٢٢].

**٣- التجارة:**

شهدت التجارة في العصر العباسي تطوراً كبيراً وذلك لعوامل عدّة تُعدّ من أهم مقومات ازدهارها ونجاحها، فاتساع مساحة الأراضي وتعدد أقاليم الخلافة يؤدّي حتماً إلى تعدد الحاصلات والمنتجات الزراعية والصناعية وتنوعها لتُصبح مادة مطلوبة للتجارة الداخلية منها والخارجية، والتعداد الكبير للسكان ونموّ المدن يفرض تعدد حاجاته ومستلزمات حياته وتنوعها ومتطلبات الأغنياء منه، ما يؤدي إلى تنشيط التجارة الداخلية والخارجية[٢٣].

وإذا كانت المادة المتاجر بها سواء في الاستيراد أو التصدير متوفرة فإنّها تُشكّل الأرضية القوية للتجارة بالإضافة إلى ما قامت به الخلافة العباسية خاصة في دورها الأول من اهتمام بالطرق من حماية وصيانة ويُعدّ هذا من العوامل الداعمة للتجارة ومنشّطاً لها[٢٤].

كانت الطرق البرية والبحرية التي تربط مدن العراق بعضها ببعض من جهة، وتربط العراق بالولايات المجاورة له والبعيدة أيضاً من جهة أخرى، وهي معروفة ومسلوكة من قِبل كثير من التجار وكانت سفن التجار والبحّارة في العصر العباسي تصل إلى الهند والصين وسيلان وتدور حول الجزيرة العربية والبحر الأحمر وتصل إلى سواحل إفريقيا الشرقية[٢٥].

كما كان النقل الداخلي عبر نهر دجلة نشِطاً بواسطة المراكب ما بين الموصل وبغداد، ومن بغداد إلى الخليج العربي، ويُقال إن عدد المراكب في بغداد في أوائل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وصل إلى ثلاثين ألف قارب مع دخل يومي يزيد عن سبعة آلاف درهم[٢٦].

وكانت بغداد في تلك المدّة ملتقى الطرق التجارية فالطرق البرية تتجه منها إلى جميع الجهات، فطريق يتجه إلى الموصل ومنه إلى الجزيرة فبلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا، وطريق بري يتجه من بغداد إلى خراسان إلى بلاد ما وراء النهر وآسيا الوسطى وحتى الصين، وثالث يتجه من بغداد إلى البصرة إلى

---

[٢١] المقدسي (٢٠٠٣)، ص: ١٢٥. الدوري (١٩٧٤)، ص: ١١٦-١٢٨. حسن (١٩٩٦)، ج٣، ص: ٣٣١-٣٣٢.

[٢٢] المقدسي (٢٠٠٣)، ص: ١٥٠. الدوري (١٩٧٤)، ص: ١١٦-١٢٨. حسن (١٩٩٦)، ج٣، ص: ٣٣١-٣٣٢. بطانية (د. ت - أ)، ص: ٣١٠.

[٢٣] آشتور، آ. (١٩٨٥). **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى**. ترجمة: عبد الهادي عبله، مراجعة: أحمد غسان سبانو. دمشق: سوريا. دار قتيبة. ص: ٤٩.

[٢٤] الدوري (١٩٧٤)، ص: ١٦٧.

[٢٥] الدوري (١٩٧٤)، ص: ١٧٧.

[٢٦] الدوري (١٩٧٤)، ص: ١٦٦.

الخليج العربي، وكانت المدن الداخلية في العراق مرتبطة بطرق برية مع بعضها، وقد احتلت الموصل والبصرة مواقع مهمة بالنسبة لهذه الطرق[٢٧].

أهم المراكز التجارية في العراق:

بغداد وهي سوق تجاري هام تأتيها القوافل التجارية من آسيا الوسطى وبلاد فارس ومن بلاد الشام ومصر ومن الهند والبصرة والموصل وغيرها.

البصرة: شكّلت مركزاً تجارياً هاماً تقصدها القوافل التجارية من الشرق والغرب ويأتي إليها التجار بالبضائع المتنوعة، من حديد ورصاص وعطور وسلاح ورقيق وجلود وفواكه وغيرها[٢٨].

وإذا كانت بغداد والبصرة من أهم المدن والمواقع التجارية من خلال التجارة الخارجية، فإن الموصل احتلت أيضاً موقعاً هاماً فهي المعبر بين العراق وبلاد الشام والمنطقة الغربية، كذلك فإن مدن العراق الداخلية أُشتهرت بأسواقها من خلال استيراد المواد الخارجية، وكذلك ببيعها وتسويقها للمواد الداخلية، وكانت أهم الصادرات العراقية:

الأقمشة القطنية والمنسوجات الحريرية والأواني الزجاجية وكان معظمها من بغداد، أمّا صادرات البصرة من المواد فتمثّلت بالتمور، وماء الورد ومواد تجميلية، ومن الصادرات العراقية مناديل الخز وأُشتهرت بها الكوفة والبسط وكانت تأتي من واسط[٢٩]، وكانت الحنطة والشعير والأرز مادة للتصدير إلى الخارج بالإضافة إلى السكر والزجاج والحرير والزيت والعطور[٣٠]، واحتلت تجارة الصوف والفرش والأدوات المعدنية والصابون دوراً مهمّاً في التجارة الخارجية والداخلية[٣١].

أمّا الواردات من المواد إلى العراق فكانت الحديد والرصاص والكافور والرقيق والسلاح وجلود الثعالب من روسيا، والسجاد وثياب الكتان والفواكه والزمرّد، والتوابل والأحجار الكريمة خاصة الياقوت، ومن الواردات أيضاً الفيلة من الهند والأقفال والعقاقير والأواني الذهبية والفضية من الصين وبلاد الروم، ومن الهند والشرق الأقصى الكافور والهيل والأخشاب الهندية والعطور والبضائع الكمالية التي تخصّ الأغنياء[٣٢].

عملت الدولة العباسية منذ البدء على تحقيق التوازن في السياسة المالية بين الإيرادات والمدفوعات، فقسمت الميزانية إلى قسمين: قسم الإيرادات / المدخول / وقسم النفقات / المصورفات/

أما أهم الإيرادات كانت :

---

[٢٧] بطانية (د. ت - أ)، ص: ٣١٤. حسن (١٩٩٦)، ج٢، ص: ٢٣٢-٢٣٣.

[٢٨] حسن (١٩٩٦)، ج٢، ص: ٢٣٢-٢٣٣.

[٢٩] الدوري (١٩٧٤)، ص: ١٦٠.

[٣٠] حسن (١٩٩٦)، ج٢، ص: ٢٣٧.

[٣١] بطانية (د. ت - أ)، ص: ٣١٨.

[٣٢] الجاحظ. (١٩٣١). **التبصر بالتجارة**. تصحيح: حسن حسني عبد الوهاب التونسي. ط: ١. القاهرة: مصر. مكتبة الخانجي. ص: ٢٥-٢٦. الدوري (١٩٧٤)، ص: ١٦٠- ١٦٤. حسن (١٩٩٦)، ج٢، ص: ٢٣٢-٢٣٣. آشتور (١٩٨٥)، ص: ١٨٢.

١. الخراج: عمل الخلفاء العباسيون على تحقيق العدالة في جباية الخراج، وكانت الجباية تتم بالدرهم، وقد كلف الخليفة هارون الرشيد ( ١٧٠-١٩٣هـ / ٧٨٦-٨٠٨م)(٣٣) لأجل ذلك أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري قاضي القضاة، بجمع ما يعرفه من أمور الخراج في كتاب خاص سماه كتاب (الخراج)(٣٤)

وقد بلغ في عهد الخليفة هارون الرشيد ما مقداره ٢٧٢ مليون درهم و٤ ملايين ونصف من الدنانير سنوياً(٣٥)

٢. الجزية: كانت من أهم مصادر بيت المال وموارده، وهي تؤخذ من أهل الذمة، فكانت الجزية على الفقير ١٢ درهماً في السنة ومتوسط الحال ٢٤ درهماً والثري ٤٨ درهماً، فوصل مبلغ الجزية بأواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) من مدينة بغداد فقط مائتي ألف درهم في السنة.

٣. وكانت هناك الزكاة وضريبة المواريث، وضريبة الخمس، والفيء والغنيمة والعشور.(٣٦)

إذاً حاول الخلفاء العباسيون في عصر القوة الإنصاف وتخفيف الأعباء على الناس ومحاولة كسبهم إلى جانبهم بعد الحيف الاجتماعي الذي وقع على عاتقهم خلال العصر الأموي، وبلغ من شدة الحرص على إحقاق الحق ما ذكره ابن طباطبا عن الخليفة أبو جعفر المنصور عندما قال: " وكان المنصور من أشد الناس شغفاً بابنه المهدي، فكان إذا جنى أحداً جناية أو أخذ من أحد مالاً جعله في بيت المال مفرداً وكتب عليه اسم صاحبه، فلما أدركته الوفاة، قال لابنه المهدي ( ١٥٨-١٦٩هـ / ٧٧٤-٧٨٥م)(٣٧): يا بني إني قد أفردت كل شيء أخذته من الناس على وجه وكتبت عليه أسماء أصحابه، فإذا وليت أنت فاعده على أربابه ليدعو لك الناس ويحبوك الجناية والمصادرة ".(٣٨)

ولما أصبحت الخزائن في يد الخليفة المهدي، أخذ في رد المظالم، فأخرج أكثر الذخائر ففرقها، وبر أهله ومواليه، فقيل فرق ما يزيد مئة مليون .(٣٩)

---

٣٣ ابن ماجة (د.ت)، ص: ٣٧. البلاذري. (١٩٩٦). **أنساب الأشراف**. تح: سهيل زكار، رياض زركلي. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الفكر. ج٤. ص: ٣٧٣؛ ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٧٣. ابن منده (د.ت)، مج٣. ج٢٠. ص: ٤٤٧. ج٢١. ص: ٥٤٤. ابن الكازروني. (١٩٧٠). **مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس**. تح: مصطفى جواد. بغداد: العراق. مطبعة الحكومة. ص: ١٢٥- ١٢٦.

٣٤ أبو يوسف. (١٨٨٤). **الخراج**. ط: ١. المطبعة الأميرية. ص: ٣.

٣٥ حسن (١٩٩٦)، ج٢، ص: ٢٧٨.

٣٦ أيوب (١٩٨٩)، ص: ٢٣٨.

٣٧ ابن ماجة (د. ت)، ص: ٣٦. البلاذري (١٩٩٦)، ص: ٣٦٩. ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٧١. ابن منده (د. ت)، مج٣، ج٢٠، ص: ٣٩٨-٤٤١. ابن الساعي. (١٩٨٢). **مختصر أخبار الخلفاء**. ط: ١. مصر. المطبعة الأميرية. ص: ٢٣.

٣٨ ابن طباطبا. (د.ت). **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**. بيروت: لبنان. دار صادر. ص: ١٥٩-١٦٠.

٣٩ الذهبي. (١٩٨٢). **سير أعلام النبلاء**. تح: علي أبو زيد. إشراف: شعيب الأرنؤوط. ط: ٢. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. ج٧. ص: ٤٠١.

إنّ ما ذكرته المصادر التاريخية عن التطور الكبير الذي شهدته الحياة الزراعية والصناعية والتجارية في العراق، كان متماشياً مع التطور الحضاري والثقافي والمادي الذي شهده المجتمع في العصر العباسي، وكان هذا التطور الاقتصادي حتمياً ومتناسباً مع تطور الحاجات المادية لهذا المجتمع، فأحسن الخلفاء الاستغلال والاستثمار ما شكل رافداً لخزينة الدولة، فهذا الخليفة أبو جعفر المنصور كان ينظر في حقير المال ويثمره، ويجتهد بحيث أنه خلف في بيوت الأموال من النقد أربعة عشر مليون دينار وستمائة مليون درهم.(٤٠)

إلّا أنّ الحروب والصراعات التي نشبت وقامت على أرض العراق، شكّلت آفةً خطيرة على الاقتصاد العراقي في تلك المرحلة ودمّرت بعض مقومات الزراعة والصناعة والتجارة كلّياً أو جزئياً وبنسب متفاوتة بين المناطق، وذلك حسب شدّة الصراعات والآثار التدميرية والتخريبية التي خلّفتها تلك الحروب، فكانت النتائج السلبية على حياة الناس بفعلها متمثّلة بالقتل والتهجير والفقر والحرمان، وبالخراب والتدمير للزراعة فقد قُطعت المياه عن الأراضي الزراعية بالإضافة إلى مصادرة مواسم الفلاحين، ما أدّى إلى تدنّي مستوى الإنتاج الزراعي في الدولة وحرمان خزائنها من الأموال العائدة من هذا القطاع ناهيك عن الفقر والحرمان الذي عاشته فئة الفلاحين والمزارعين من جرّاء الحروب وانعكاسها على عملهم وإنتاجهم، كما أنّ سكان المدن حُرموا في أوقات كثيرة من هذه المواسم، وبالنسبة للصناعة فقد تعرضت مؤسساتها ومحلاتها للتدمير والنهب والسلب والمصادرة، فحلّ الفقر والحرمان بأوساط عمالها ومنتجيها، وحُرمت الأسواق من موادها التي كانت حاجة لدى السكان في العراق، وظهر الأثر السلبي لذلك في مردود الدولة ودخلها من هذه المنتجات، وبالنسبة للتجارة فقد عانت من الحروب بفعل قطع الطرقات بين المدن والأرياف والمناطق، وتمت مصادرة البضائع وكان لانتشار اللصوص وقاطعي الطرق دوراً كبيراً في تراجع التجارة واقتصارها على مناطق محدودة في أوقات الحروب، وإنّ تدنّي الإنتاج الزراعي والصناعي في العراق بسبب الحروب أثّر بدوره على التجارة التي فقدت كثيراً من المواد المتاجر بها، وأدّى هذا إلى إفقار بعض التجار وحرمان المواطنين من المواد خاصة الغذائية منها، وخاصة في أوقات الحروب والأزمات، وأدّى ذلك كلّه إلى خلوّ خزائن الدولة أحياناً من المال، ما شكّل عاملاً أساسياً من عوامل الأزمات الخانقة التي شهدها العراق في تلك المرحلة، وشكّل هذا الخراب من جرّاء الحروب عاملاً متمّماً للهدر والإنفاق من جانب الخلفاء والأمراء، ما أدّى إلى تقهقر الوضع المالي وعجزه ومعاناة العامة من الناس وبؤسهم في العراق.

---

٤٠ الذهبي (١٩٨٢)، ج٧، ص: ٨٩.

**ثانياً: العوامل السياسية وأثرها في الوضع الاقتصادي:**

من المعلوم أنّ أي مجتمع أو دولة أو كيان مترابط متكامل الأركان، تتضافر مقوماته وتتعانق لتشكّل كلّاً منسجماً، صعوداً أو هبوطاً، واهتزاز أي عامل أو اضطرابه يؤثّر بالضرورة في بنية عوامل ومقومات الدولة، فاهتزاز اقتصاد أي دولة كفيل باهتزاز المنظومة السياسية والاجتماعية وغيرها والعكس صحيح، ومن أهم العوامل السياسية التي أثرت في الوضع الاقتصادي في هذه المدة هي:

**أ-الحروب بين الخلفاء على منصب الخلافة:**

أُحدثت ولاية العهد في عصر الدولة الأموية وتحديداً من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٨٠م) وقد أحدثت تلك الإجراءات السياسية والإدارية الجديدة شرخاً في جسم الخلافة العربية والإسلامية بانتقالها من الاعتماد على الشورى وغيرها إلى ولاية العهد والتسلّط، والارتكاز السياسي على أسرة واحدة سواءً أكانت السفيانية أم المروانية فيما بعد، والسؤال المطروح هنا ما هي تداعيات منصب ولاية العهد على الخلافة العباسية؟

من الواضح أنّ ولاية العهد في الدولة العباسية أدّت إلى الانشقاقات الحادة داخل الأسرة العباسية، وإلى تباعد وتنافر العديد من أبناء الخلفاء، ووصلت الخلافات بهذا الشأن إلى حد الاقتتال ما بين الإخوة وسفك الدماء، وما بين أبناء العمومة، فجلب ذلك الويلات والخسائر والخراب على الدولة والناس ولم تكن مصلحة العامة ومصلحة الدولة والناس وراء تسمية شخص لولاية العهد، بل كانت الرغبة من جانب معظم الخلفاء في حصر ولاية العهد والخلافة في أبنائهم دون غيرهم، بل وصل ببعض الخلفاء إلى تسمية أكثر من ولي للعهد، ما هيأ ومهّد للخلاف والصراع الواقع حتماً بين من جرت تسميتهم لذلك، وكان ذلك من بين عوامل الضعف والمتاعب التي أقلقت مضاجع الخلافة العباسية فيما بعد.

ومن الواضح أنه بعد انتقال العاصمة من الكوفة إلى بغداد شهد منصب الخلافة صراعات دامية، سواء بين الأخوة أنفسهم أو بين الأخوة والأعمام، هذه الصراعات انتهت في معظم الأحيان بالتصفية والقتل، وكانت أولى الأزمات التي أطلّت برأسها عقب وفاة الخليفة هارون الرشيد وتولّي ابنه الأمين لسدّة السلطة ( ١٩٣-١٩٨هـ / ٨٠٨-٨١٣م)[٤١]، هي صراعه مع أخيه المأمون ( ١٩٨-٢١٨هـ / ٨١٣-٨٣٣م)[٤٢]، كون الأمين عمد إلى إعطاء الأوامر بخلع أخيه المأمون من ولاية العهد والدعاء لابنه

---

[٤١] ابن ماجة (د. ت)، ص: ٣٨. ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٧٤. ابن منده (د.ت)، مج٣، ج٢١، ص: ٥٤٤- ٥٦٧. ابن أبي السرور (د. ت)، ص: ١١٢- ١١٣.

[٤٢] ابن ماجة (د. ت)، ص: ٣٩. ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٧٥. ابن الكردبوس. (٢٠٠٨). **الاكتفاء في أخبار الخلفاء**. تح: صالح بن عبد الله الغامدي. ط: ١. المدينة المنورة: السعودية. الجامعة الإسلامية. ج٣. ص: ١٤٤٤- ١٤٦١. ابن أبي السرور (د. ت)، ص: ١١٤.

موسى[٤٣] الملقب بالناطق بالحق على المنابر، وتمّ ذلك بطلب من وزيره الفضل بن الربيع[٤٤]، الذي كان يُدرك أنه لن يكون له يد مع المأمون.

ونتيجة لذلك وقعت الحرب بين الأمين والمأمون، إذ تعرّضت بعض مدن العراق مثل واسط، والمدائن[٤٥]، وخاصة بغداد إلى أزمة اقتصادية واجتماعية خانقة، إذ أرسل الخليفة الأمين جيشاً بقيادة علي بن عيسى بن ماهان[٤٦]، وأمدّه بالمال والجند سنة ( ١٩٥هـ / ٨١٠م)، فكانت النتيجة إخفاقه أمام جيش المأمون بقيادة طاهر بن الحسين[٤٧]، فأردفه الأمين بجيش آخر بقيادة عبد الرحمن بن جبلة[٤٨]، فهُزم جيش الخليفة الأمين للمرة الثانية، ووصل جيش المأمون إلى بغداد وحاصرها، وتمخض عن ذلك الحصار تدمير بعض البنى التحتية الخدمية للمدينة، بسبب رميها بالمنجنيقات، إلى جانب انتشار الفقر والأمراض بين سكان بغداد في تلك المدّة [٤٩]، بسبب إمعان جيش المأمون في التخريب والتدمير، مما كان له الأثر الواضح في العامة من مواطنين وتجار وغيرهم.

---

[٤٣] موسى بن الأمين بن هارون الرشيد، ولد سنة ( ١٩٠هـ / ٨٠٥م)، وتوفي سنة (٢٠٨هـ/٨٢٣م)، وقيل سنة( ٢٠٩هـ / ٨٢٤م). ابن حزم الأندلسي. ( د.ت). **جمهرة أنساب العرب**. تح: عبد السلام محمد هارون. ط: ٥. القاهرة: مصر. دار المعارف. ص: ٢٤. الذهبي. (١٩٩١). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. تح: عمر عبد السلام تدمري. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتاب العربي. ج١٤. ص: ٤٠٧. الزركلي، خير الدين. (٢٠٠٢). **الأعلام**. ط: ١٥. بيروت: لبنان. دار العلم للملايين. ج٧. ص: ٣٢٧.

[٤٤] الفضل بن الربيع: أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله، عيّنه الخليفة هارون الرشيد وزيراً له، واستمرّ في الوزارة حتى أيام الخليفة الأمين، وتوفي سنة ( ٢٠٨هـ / ٨٢٣م). ابن خلكان. (د. ت). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تح: إحسان عباس. بيروت: لبنان. دار صادر. ج٤. ص: ٣٧؛ الذهبي. (١٩٨٢). **سير أعلام النبلاء**. تح: محمد نعيم العرقسوسي، إشراف: شعيب الأرناؤوط. ط: ١. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. ج١٠. ص: ١٠٩. الصفدي. (٢٠٠٠). **الوافي بالوفيات**. تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى. ط: ١. بيروت: لبنان. دار إحياء التراث العربي. ج٢٤. ص: ٢٩.

[٤٥] المدائن: دار ملوك الفرس، تقع جنوب بغداد، تتبع لها عدة مدن على جانبي نهر دجلة الشرقي والغربي، وفتحها المسلمون سنة ( ١٤هـ / ٦٣٥م)، على يد سعد بن أبي وقاص. اليعقوبي (د. ت)، ص: ١٠٧. الإدريسي (٢٠٠٢)، ص: ٦٧٠. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٥٢٦.

[٤٦] علي بن عيسى بن ماهان، من كبار القادة في عهد هارون الرشيد والأمين، تولى خراسان، سنة ( ١٨٠هـ / ٧٩٦م)، وقُتل سنة ( ١٩٥هـ / ٨١٠م). الذهبي. (١٩٩٠). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. تح: عمر عبد السلام تدمري. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتاب العربي. ج١٣. ص: ٣١٢. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٢١، ص: ٢٤٦. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٤، ص: ٣١٧؛ الترمانيني، عبد السلام. (١٩٨٨). **أحداث التاريخ الإسلامي**. ط: ٢. دمشق: سوريا. دار طلاس. ج١. ص: ١١٢٢.

[٤٧] طاهر بن الحسين: أبو الطيب طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان، كان طاهر من أكبر أعوان المأمون، ولد سنة (١٥٩هـ/٧٧٥م)، وتوفي سنة ( ٢٠٧هـ / ٨٢٢م) في مرو. ابن خلكان (د. ت)، ج٢، ص: ٥١٧. الذهبي (١٩٨٢)، ج١٠، ص: ١٠٨. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٦، ص: ٢٢٦-٢٣٠.

[٤٨] عبد الرحمن بن جبلة الأنباري، وذُكر باسم الأبناوي، نشأ في الأنبار، من كبار القادة في العصر العباسي، قُتل في أسد أباذ سنة ( ١٩٥هـ / ٨١٠م). الذهبي (١٩٩٠)، ج١٣، ص: ٣١. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٣، ص: ٣٠٢؛ الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ١١٢٤.

[٤٩] ابن خياط. (١٩٨٥). **تاريخ خليفة بن خياط**. تح: أكرم ضياء العمري. ط: ٢. الرياض: السعودية. دار طيبة. ص: ٤٦٦- ٤٦٨. ابن قتيبة. ( د.ت). **المعارف**. تح: ثروت عكاشة. ط: ٤. القاهرة: مصر. دار المعارف. ص: ٣٨٥. اليعقوبي. (١٩٩٥). **تاريخ اليعقوبي**. ط: ٦. بيروت: لبنان. دار صادر. ج٢. ص: ٤٤١- ٤٤٦. الطبري. (١٩٧١). **تاريخ الرسل والملوك**. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: ٢. القاهرة: مصر. دار المعارف. ج٨. ص: ٣٧٤-٣٨٧- ٣٨٩-٤١٧- ٤٤٥-٤٥٤- ٤٧٢-٤٧٨. الجهشياري. (د. ت). **الوزراء والكتاب**. تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي. ط: ١. القاهرة: مصر. مطبعة

ومن المعلوم أنّ التأثير الناجم عن الفتن العسكرية والسياسية سلبي بصورة عامة في الأوضاع الاقتصادية في بغداد والمناطق المجاورة لها، وسلبي في الحياة الاجتماعية والعلمية ومختلف مناحي الحياة، خاصة عندما تضعف السيطرة على بعض المرافق التنظيمية والخدمية.

وقد نتج عن هذا الصراع تدمير الأسواق والمنازل والجسور، إضافة إلى الحرائق التي أتت على كثير من معالم بغداد، وعانى السكان من الغلاء الفاحش بسبب نقص المواد الناجم عن الحصار الذي تعرضت له بغداد لمدة طويلة[٥٠]، وقد عجز الخليفة الأمين، عن تأمين حاجة السوق والسكان من المواد الضرورية، بسبب إنفاقه الأموال الكثيرة على حربه مع أخيه المأمون، فقد أنفق على حملة ابن ماهان مبلغاً قدره ( ٢٥٠،٠٠٠)، مئتان وخمسون ألف دينار، و(٤٠٠٠٠٠٠) أربعة ملايين من الدراهم سوى الأموال الكثيرة التي أُرسلت إلى الجنود، بالإضافة إلى العتاد الحربي لهم، وعلى حملة ابن جبلة مبلغ حوالي، ( ٢٠٠٠،٠٠٠) مليوني درهم، بالإضافة إلى الأموال الكثيرة التي أهملت المصادر ذكرها والتي اضطرت الخليفة الأمين إلى بيع مافي خزائنه من ذهب وفضة، وتوزيعها على الجند [٥١].

ومن الطبيعي في مثل هذه الحالات والأزمات لجوء التجار إلى احتكار المواد التموينية وبيعها بالأسعار التي تتناسب مع جشعهم، ولا تتناسب مع السكان وإمكاناتهم المادية، ما أدّى إلى عجز الخليفة الأمين عن حل الأزمة الناجمة عن الحصار الخانق لبغداد.

ومثلما كان لهذا الحصار منعكسات اقتصادية واجتماعية، فإن ما يماثله سياسياً قد حصل أيضاً وتجلّى ذلك في ضياع هيبة الخلافة العباسية أولاً، وفي مقتل الخليفة الأمين، وسيطرة المأمون على سدّة الخلافة ثانياً[٥٢].

---

مصطفى الباني الحلبي. ص: ٢٩٠-٢٩٤- ٣٠٤. المقدسي. ( د. ت). **البدء والتاريخ**. القاهرة: مصر. مكتبة الثقافة الدينية. ج٦. ص: ١٠٧- ١١٠. رفاعي، أحمد فريد. (١٩٢٨). **عصر المأمون**. ط: ٣. القاهرة: مصر. دار الكتب المصرية. مج١. ص: ٢٢٥- ٢٥٥. عزام، خالد. (٢٠٠٩). **العصر العباسي**. عمان: الأردن. دار أسامة. ص: ١٢٧- ١٢٨.

[٥٠] الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٤٤٥-٤٤٧- ٤٥٨-٤٦١. رفاعي (١٩٢٨)، مج١، ص: ٢٥٥.

[٥١] الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٣٩٠-٣٩١- ٤٤٦. مسكويه. (٢٠٠٣). **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**. تح: سيد كسروي حسن. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج٣. ص: ٢٩١-٢٩٢. ابن الجوزي. (١٩٩٥). **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. مر: نعيم زرزوري. ط: ٢. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج١٠. ص: ١٢. رفاعي (١٩٢٨)، مج١، ص: ٢٣٧. آشتور (١٩٨٥)، ص: ٦٤.

Michael Fishbein: The History of al-Tabari (Tarikh al-rusul wal-muluk) VOLUME xxx١The War between Brothers. University of California, Los Angeles. Edited by Ehsan Yar- Shater. Bibliotheca Persica. State University of New York Press.Pp٤٨

[٥٢] الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٣٧٤-٣٧٧-٣٧٨. الجهشياري (د. ت)، ص: ٢٩٠- ٣٠٤. طقوش، محمد سهيل. (٢٠٠٩). **تاريخ الدولة العباسية**. ط: ٧. بيروت: لبنان. دار النفائس. ص: ١١٦- ١١٨.

لم تكن الحرب التي حدثت بين الأخوة الأمين والمأمون هي الأخيرة، بل تجددت وظهرت جليّة وواضحة ما بين الخليفتين المستعين بالله ( ٢٤٨-٢٥٢هـ / ٨٦٢-٨٦٦م)[٥٣]، والخليفة المعتز بالله ( ٢٥٢-٢٥٥هـ / ٨٦٦-٨٦٨م)[٥٤].

فقد اندلع الصراع ما بين الخليفتين إثر تفاقم الأزمة بينهما بتحريض من الأتراك الذين تعاظم دورهم من أيام الخليفة المعتصم بالله ( ٢١٨-٢٢٧هـ / ٨٣٣-٨٤١م)[٥٥]، الذي اعتمد عليهم لمواجهة النفوذ الفارسي الذي ظهر جلياً أيام الخليفة المأمون، وعندما تضايق سكان بغداد من أذى جند الأتراك طالبوا الخليفة المعتصم بالله بإخراجهم من بغداد، فبنى المعتصم بالله لهم مدينة سامراء سنة ( ٢٢٠هـ / ٨٣٤م)، كبنية سياسية واجتماعية واقتصادية جديدة ناجمة عن تناحر وصراع سياسي بين القوى المتنفّذة آنذاك، وإذا كان المعتصم بالله هو المشجع والداعم لدور الأتراك في الدولة، فإنّ الخليفة الواثق بالله ( ٢٢٧-٢٣٢هـ / ٨٤١-٨٤٦م)[٥٦] سار على هذا النهج مكملاً عمل الخليفة المعتصم بالله بهذا الشأن، ما أدى إلى تزايد نفوذهم تزايداً أقلق الخليفة المتوكل على الله ( ٢٣٢-٢٤٧هـ / ٨٤٦-٨٦١م)[٥٧] ودفعه إلى محاولة الحد من هذا النفوذ، وقد دفع حياته ثمناً لذلك دون جدوى، وهذا دليل قاطع على تسلط الأتراك على الخلافة بمجيئهم بالخليفة المنتصر بالله ( ٢٤٧-٢٤٨هـ / ٨٦١-٨٦٢م)[٥٨] الذي تربّع على عرش الخلافة، لكن سرعان ما تمّ قتله[٥٩]، وبويع المستعين بالله خليفة ليكون واجهة شكلية لسلطتهم الفعلية وتحكمهم بالدولة، الأمر الذي دفع بالخليفة المستعين بالله إلى ترك سامراء والعودة إلى بغداد وقد أوكل الأمور المالية إلى أشخاص ثلاثة، والدته[٦٠]، والوزير والحاجب أتامش[٦١]، وشاهك

---

[٥٣] ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٧٩. ابن الكردبوس (٢٠٠٨)، ج٣، ص: ١٥٢٨- ١٥٣٨. ابن الساعي (١٩٨٢)، ص: ٦٨. ابن الكازروني (١٩٧٠)، ص: ١٥٢-١٥٣.

[٥٤] ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٨٠. ابن الكردبوس (٢٠٠٨)، ج٣، ص: ١٥٤١- ١٥٤٧. ابن أبي السرور (د. ت)، ص: ١٢٣ البكجري. (٢٠٠١). **مختصر تاريخ الخلفاء**. تح: آسيا كيبان علي البارح. ط: ١. القاهرة: مصر. دار الفجر. ص: ١٢٤-١٢٥.

[٥٥] ابن ماجة (د. ت)، ص: ٤٠. ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٧٦. ابن الساعي (١٩٨٢)، ص: ٥٩. ابن الكازروني (١٩٧٠)، ص: ١٣٨-١٤٠.

[٥٦] ابن ماجة (د. ت)، ص: ٤١. ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٧٧. ابن الكردبوس (٢٠٠٨)، ج٣، ص: ١٤٧٣- ١٤٨٩. البكجري (٢٠٠١)، ص: ١٢٠.

[٥٧] ابن ماجة (د. ت)، ص: ٤١. ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٧٨. ابن أبي السرور (د. ت)، ص: ١١٩. الكتبي. (١٩٧٣). **فوات الوفيات والذيل عليها**. تح: إحسان عباس. بيروت: لبنان. دار صادر. ج١. ص: ٢٩٠.

[٥٨] ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٧٩. ابن الكردبوس (٢٠٠٨)، ج٣، ص: ١٥٢١-١٥٢٧. ابن أبي السرور (د. ت)، ص: ١٢١. ابن الكازروني (١٩٧٠)، ص: ١٤٩-١٥٠.

[٥٩] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٧٣-٤٧٩-٤٨٤-٤٩٢-٤٩٣. الطبري (١٩٧١)، ص: ١٨- ٢٤٤- ٢٥١. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٥٠- ٣٥٥. ج١٢، ص: ١٦.

[٦٠] والدة الخليفة المستعين، أم ولد صقلبية، يقال لها مخارق بنت عبيد، توفيت سنة ( ٢٨١هـ / ٨٩٤م)، ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٨٠. ابن الكردبوس (٢٠٠٨)، ج٣، ص: ١٥٢٨. ابن الكازروني (١٩٧٠)، ص: ١٥٢.

الخادم[٦٢]، فأصبحوا متحكمين بكل المرافق والإدارات المالية، لكن ذلك لم يُعجب الأتراك فعمدوا إلى خلعه، وتعيين المعتز بالله خليفة بدلاً منه في سامراء سنة ( ٢٥١هـ / ٨٦٥م)، لكنّ ردّة فعله لم تتأخر كثيراً فقام بمحاصرة سامراء، في الوقت الذي حاصر فيه المعتز بالله بغداد، والواضح أنّ المواجهة العسكرية كانت سجالاً بين جيشي الخليفتين المستعين بالله والمعتز بالله، ومن المرجح أن ذلك أدّى إلى إلحاق الخراب والدمار بممتلكات الناس، خاصة في المناطق التي شهدت هذا الصراع، إلى جانب الاضطرابات على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي، سيما أن الخليفة المستعين بالله منع دخول المواد خاصة الغذائية إلى سامراء والعديد من القرى والمناطق مثل الأنبار.

ومن الأوزار الاقتصادية لهذه الحرب قلّة المواد الغذائية وارتفاع أسعارها خاصة أيام الحصار المفروض على المدن مثل مدينة سامراء وبغداد[٦٣]، والعديد من القرى والمناطق التي اكتوت من هذه الحروب، التي شجعت انتشار اللصوص ونهب أسواق المجوهرات والصيارفة في سامراء، وأرخت بظلالها على مجتمعات تلك المدن سواء على الصعيد الاجتماعي أو الاقتصادي، فمثلاً لم تسلم الزراعة من الخراب والدمار من جرّاء تخريب المحاصيل الزراعية، علاوة على الخراب الذي زاد من حدة الأزمة عند قيام جند الأتراك بنهب المواد الغذائية في الأنبار بعد دخولهم إليها، ونهب الدكاكين والأسواق فيها، والسيطرة على السفن المحمّلة بالدقيق والزيت، القادمة من الرقة، ونهبها، وتحويلها إلى سامراء[٦٤].

كما كان لهذه الحرب تداعياتها على منصب الخلافة، ما أدّى إلى ضياع هيبتها، وتحكّم الأمراء والقادة بالخليفة المستعين بالله في بغداد، مقابل تحكم الأتراك بالمعتز بالله في سامراء، وسيطرتهم على قراراته.

والتساؤل المثار: هو ألم يُدرك هؤلاء الخلفاء أنّ تلك الصراعات سترخي بظلالها الضاغطة على المجتمع الذي يعيشون فيه ويحكمونه وأنّها ستضعف مكانتهم على المستوى المحلي أو المناطق المحيطة بدولتهم، أم أن مصالحهم وغاياتهم الشخصية أعمت عيونهم عن ذلك، وهذا ما يفسّره حبّ السلطة وشهوة المُلك وإن كانت على حساب مقومات الدولة وأركانها.

---

[٦١] أتامش وذكر أوتامش، من الأتراك كان متولياً الوزارة وحاجباً للمستعين، قُتل سنة ( ٢٤٩هـ / ٨٦٣م)، ويعود سبب قتله إلى تذمّر الأتراك والفراغنة والموالي منه، بسبب تحكّمه بأمور الخلافة، وخاصة المالية، فأدّى إلى خروجهم عليه ومحاصرته في قصر الجوسق، فاستجار بالخليفة المستعين فلم يجره، فأخرجوه من القصر وقتلوه، الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٢٦٣. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ٢٤. الذهبي. (٢٠٠٣). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. تح: بشار عواد معروف. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي، ج٥. ص: ٩٩١.

[٦٢] لا يوجد له ترجمة.

[٦٣] اليعقـوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٩٤. الطبـري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٢٥٦-٢٦٣. ابـن الجـوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ٤٤. الألوسي، عادل محي الدين. (١٩٨٧). **الرأي العام في القرن الثالث الهجري ١٩٨-٢٩٥هـ / ٨١٣-٩٠٧م**. ط: ١. بغداد: العراق. دار الشؤون الثقافية العامة. ص: ١١٥- ١٣٩.

[٦٤] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٢٩١-٣٠٥-٣٢٠. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٤، ص: ٨. المؤرخ المجهول. (د. ت). **العيون والحدائق في أخبار الحقائق**. د.ن. ج٣. ص: ٥٨٠-٥٨٢.

**ب-الحروب بين الأمراء البويهيين والحمدانيين في العصر البويهي:**

ينتسب البويهيون إلى رجل فقير من الديلم[٦٥] يدعى بويه، وله من الأولاد علي[٦٦]، والحسن[٦٧]، وأحمد[٦٨] وقد دخل هؤلاء في خدمة مرداويج بن زيار[٦٩]، واشتهر أولاد بويه بالشجاعة والمقدرة التي أهلتهم لتسلّم مناصب كبيرة في الدولة، وبعد وفاة مرداويج، برز عندهم حب السلطة والظهور، إذ تمكّن الحسن بن بويه من السيطرة على أصبهان[٧٠] وهمذان[٧١]، بينما استطاع أخوه علي الاستيلاء على كرمان[٧٢]، لكنّ محاولاتهم لم تنته عند هذا الحد بل استمروا في تحقيق مطامعهم حيث حاولوا السيطرة

---

[٦٥] بلاد الديلم ناحية واسعة بين طبرستان وأذربيجان، جنوب غرب بحر قزوين، وهي منطقة جبلية وعرة، وهي الآن إقليم جيلان في إيران، فالديلم تسمية جغرافية للصقع الجبلي من بلاد جيلان، والديلم أيضاً تسمية للجنس الذي يسكن هذا المقطع. زناتي، أنور محمود. (٢٠١١). **معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية**. ط: ١. عمان: الأردن. دار زهران. ص: ١٦٧. واصف (د. ت)، ص: ٣٨.

[٦٦] علي بن بويه بن فناخسرو، أبو الحسن، لُقّب بعماد الدولة، أول من ملك من بني بويه، وكان حاكماً لبلاد فارس سنة (٣٢٢هـ/٩٣٣م)، توفي في شيراز سنة ( ٣٣٨هـ / ٩٤٩م)، وقيل سنة (٣٣٩هـ/٩٥٠م). ابن خلكان (د. ت)، ج٣، ص: ٣٩٩-٤٠٠. الذهبي (٢٠٠٣)، ج٧، ص: ٧١٨. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٢٠، ص: ١٦٨.

[٦٧] الحسن بن بويه بن فناخسرو، أبو علي، لُقّب بركن الدولة، وكان صاحب أصبهان والري وهمذان، ولد تقريباً سنة ( ٢٨٤هـ / ٨٩٧م)، وتوفي سنة ( ٣٦٦هـ / ٩٧٦م). ابن خلكان (د. ت)، ج٢، ص: ١١٨-١١٩. الذهبي. (١٩٨٤). **سير أعلام النبلاء**. إشراف: شعيب الأرنؤوط. تح: اكرم البوشي. ط: ٢. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. ج١٦. ص: ٢٠٣. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١١، ص: ٣١٥.

[٦٨] أحمد بن بويه بن فناخسرو، أبو الحسين، ولُقّب بمعز الدولة، ولد سنة ( ٣٠٣هـ / ٩١٥م)، ودخل بغداد سنة ( ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)، وتوفي سنة ( ٣٥٦هـ / ٩٦٦م) في بغداد. ابن خلكان (د. ت)، ج١، ص: ١٧٤-١٧٧. الذهبي (١٩٨٤)، ج١٦، ص: ١٨٩-١٩٠. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٦، ص: ١٧٣.

[٦٩] مرداويج بن زيار كان من القادة الذين خدموا أسفار بن شيرويه الديلمي، وعندما سيطر أسفار على قزوين، قام مرداويج بقتله وتولّى مكانه سنة ( ٣١٥هـ /٩٢٧م )، وقُتل مرداويج من قبل الأتراك في أصبهان سنة ( ٣٢٢هـ /٩٣٣م ) وقيل سنة (٣٢٣هـ/٩٣٤م). سبط ابن الجوزي. (٢٠١٣). **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**. تح: زاهر إسحاق، فادي المغربي، عمار ريحاوي . ط: ١. بيروت: لبنان. دار الرسالة العلمية. ج١٦. ص: ٦٩. ج١٧. ص: ٥٢٥. الذهبي. (١٩٨٣). **سير أعلام النبلاء**. إشراف: شعيب الأرنؤوط. تح: إبراهيم الزيبق. ط: ١. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. ج١٥. ص: ٢١٥.

[٧٠] أصبهان: وهي مدينة عظيمة اسمها فارسي معناه بلاد الفرسان، -وتقع وسط هضبة إيران، إلى الجنوب من طهران حوالي (٤٠٠كم)- الحموي (د. ت)، ج١، ص: ٢٠٦-٢٠٧. العفيفي، عبد الحكيم. (٢٠٠٠). **موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية**. ط: ١. بيروت: لبنان. أوراق شرقيات. ص: ٥٤. أبو حجر، آمنة. (٢٠١٠). **موسوعة المدن الإسلامية**. ط: ٢. عمان: الأردن. دار أسامة للنشر. ص: ١٣٣.

[٧١] همذان: بلد واسع، كثير الأقاليم والمياه والبساتين والزروع، دخلها المسلمون سنة ( ٢٣هـ / ٦٤٣م)، وقيل سنة ( ٢٤هـ / ٦٤٤م)، - وهي مدينة كبيرة في وسط غرب إيران، تبعد عن العاصمة طهران نحو (٣٠٠كم) إلى جنوبها الغربي- اليعقوبي (د. ت)، ص: ٤٨. الهمذاني (١٩٩٦)، ص: ٤٥٩. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٥٩٦. العفيفي (٢٠٠٠)، ص: ٥١٣.

[٧٢] كرمان ولاية مشهورة وناحية كبيرة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، ذات قرى ومدن واسعة، دخلها المسلمون في خلافة عثمان ابن عفان رضي الله عنه، -وهي مدينة في إيران تقع في وسط جنوب شرق إيران، إلى الجنوب الشرقي من أصفهان حوالي (٦٠٠كم)- اليعقوبي (د. ت)، ص: ٦٤. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٤٩١. شامي (١٩٩٣)، ص: ٢٨٠. العفيفي (٢٠٠٠)، ص: ٣٩٥. أبو حجر (٢٠١٠)، ص: ١٧٠.

على أملاك الخلافة العباسية في العراق، ومن ثم السيطرة على بغداد، التي كانت تعيش في أزمة خانقة بعدما أخفق نظام إمرة الأمراء إخفاقاً ذريعاً فيها[٧٣].

وهنا لا بدّ من القول إنّ الصراع على السلطة بين الخلفاء والقوى المتنفّذة آنذاك أعمت عيونهم وصمّت آذانهم عمّا كان يجري حولهم من متغيرات اجتماعية تتمثّل بدخول وتسلل عناصر غريبة بين فئات الناس والجيش، وهذا ما ينعكس على ثقافة الناس وتراثهم الحضاري، الذي تجلّى فيما بعد بالتمازج الغريب وظهور مذاهب فكرية كثيرة.

تقدم أحمد بن بويه ( ٣٣٤-٣٥٦هـ / ٩٤٥-٩٦٦م)، من الأهواز[٧٤] باتجاه بغداد التي استطاع دخولها سنة ( ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)، فاستقبله الخليفة العباسي المستكفي بالله ( ٣٣٣-٣٣٤هـ/ ٩٤٤-٩٤٥م)[٧٥] وخلع عليه لقب معز الدولة، ولقّب أخاه علي عماد الدولة، وأخاه حسن ركن الدولة، غير أنّ أيام الود لم تطل بين الخليفة العباسي ومعز الدولة، إذ لم تمر عدة أيام من دخول الأمير معز الدولة بن بويه بغداد سنة ( ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)، حتى قام بخلع الخليفة المستكفي بالله، ومبايعة الخليفة المطيع لله ( ٣٣٤-٣٦٣هـ / ٩٤٥-٩٧٣م)،[٧٦] والواضح هنا أن العلاقة البويهية العباسية تأرجحت ما بين العدائية حيناً، والسلمية حيناً آخر، وذلك تبعاً للظروف السياسية والعسكرية، لكنّ الأرجح أنّ سمة العدائية هي الواضحة على العمل الذي أقدم عليه معز الدولة إثر دخوله بغداد وقيامه بخلع الخليفة المستكفي وتعيين المطيع لله خليفة.

ويمكن ردّ هذا العمل إلى التماس معز الدولة خطراً تجاه الخليفة العباسي يتمثّل إمّا بقوته وحسن إدارته، أو ربما بمحاولة إظهار قوتهم من أجل التحكم بمفاصل السلطة السياسية والإدارية.

---

[٧٣] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٩٢- ١٥٨-١٥٩. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ٣٣٨- ٣٤١-٣٤٢.

[٧٤] الأهواز: بلد واسع، يجمع سبع كور، وهي كورة الأهواز، وكورة جند يسابور، وكورة السوس، وكورة سرق، وكورة نهربين، وكورة نهر تيرى، وكورة مناذر، ويتبع لها عدة مدن منها السوس وعسكر، فتحها المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، – وهي الآن مدينة في إيران تقع في منطقة خوزستان المحاذية للحدود العراقية الإيرانية إلى الشمال الشرقي من البصرة، وتبعد عن العاصمة طهران حوالي (١١٥٠كم) باتجاه الجنوب الغربي – الهمذاني (١٩٩٦)، ص: ٣٩٩. البكري (د. ت)، ج١، ص: ٢٠٦. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٦١. شامي (١٩٩٣)، ص: ٢٥٨. أبو حجر(٢٠١٠)، ص: ١٣٦.

[٧٥] ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٨٧. ابن أبي السرور (د. ت)، ص: ١٣٥. ابن الكازروني (١٩٧٠)، ص: ١٨٦-١٨٧. ابن الطولوني. (١٩٨٨). **النزهة السنية في أخبار الخلفاء والملوك المصرية**. تح: محمد كمال الدين عز الدين علي. ط: ١. بيروت: لبنان. عالم الكتب. ص: ١٠٣.

[٧٦] ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٨٨. ابن الكردبوس (٢٠٠٨)، ج٣، ص: ١٦٣٨- ١٦٤١. ابن الساعي (١٩٨٢)، ص: ٨٣-٨٤. الكتبي (١٩٧٣)، ج٣، ص: ١٨٢.

ترافق ذلك مع خلاف بويهي حمداني بين الأميرين معز الدولة البويهي وأمير الموصل ناصر الدولة الحمداني،[٧٧]حيث تطور الخلاف إلى صراع عسكري شهدته مناطق عدة في العراق، ظهر أثره خراباً وسلباً ونهباً وفوضى بسبب تلك الصراعات بين الأمراء سواء البويهيين أم الحمدانيين أم غيرهم، وتأتي في مقدمة المدن عكبرا التي شهدت صراعاً ما بين أمير الموصل ناصر الدولة الحمداني، ومعز الدولة البويهي، ما أدّى في النهاية إلى حلول الخراب إذا لم يكن كلياً فهو في أجزاء منها سنة ( ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)، وماثلتها تكريت[٧٨] وسامراء في الخراب والدمار والنهب من قبل الأمير معز الدولة البويهي[٧٩]، وفي المقلب الآخر لم تنعم بغداد باستقرار سياسي واقتصادي نتيجة للهجوم الذي شنّه عليها أمير الموصل ناصر الدولة الحمداني، إلى جانب غزو البدو للمدينة وقيام جند الديلم بنهبها وسلبها سنة ( ٣٣٥هـ / ٩٤٦م)[٨٠]، وعلى خلاف ذلك لم تكن الموصل بمنأى عن غزو معز الدولة البويهي لها سنة ( ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)، فقد غزاها ونهبها وأشاع فيها الفوضى[٨١]. وبعد أكثر من عقدين من الزمن غُزيت مجدداً من قبل الأمير البويهي بختيار[٨٢] سنة ( ٣٦٣هـ / ٩٧٣م)، ومرد ذلك خلافه مع أميرها أبي تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة[٨٣] الذي أراد دخول بغداد بجيشه لكنه أخفق في مهمته، فأقدم على إشاعة الفوضى في المدينة وسلبها ونهبها، واستمر الخلاف بينهما مجدداً في عكبرا التي اكتوت بويلات

---

[٧٧] ناصر الدولة الحمداني الحسن أبو محمد بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان التغلبي، كان والده أميراً على الموصل سنة ( ٢٩٣هـ / ٩٠٥م)، حيث ولاّه الخليفة المكتفي بالله، وكان ناصر الدولة نائباً لوالده في الموصل، وبعد قتل والده سنة ( ٣١٧هـ / ٩٢٩م)، تملّك الموصل، ولقّبه الخليفة المتقي بالله بناصر الدولة سنة ( ٣٣٠هـ / ٩٤١م)، وقبض على ناصر الدولة ابنه أبو تغلب الغضنفر، سنة ( ٣٥٦هـ / ٩٦٦م)، وحبسه في القلعة حتى توفي سنة ( ٣٥٨هـ / ٩٦٨م)، وقيل سنة ( ٣٥٧هـ / ٩٦٧م). ابن خلكان (د. ت)، ج٢، ص: ١١٤-١١٧. الذهبي (١٩٨٤)، ج١٦، ص: ١٨٦-١٨٧. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٢، ص: ٥٦.

[٧٨] تكريت: من مدن الموصل تقع شمال العراق غربي دجلة، بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب. الإدريسي (٢٠٠٢)، ص: ٦٥٦- ٦٥٩. الحموي (د. ت) ، ج٢، ص: ٣٨. الحميري (١٩٧٥)، ص: ١٣٣.

[٧٩] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٢٩٠. الهمذاني. (١٩٥٨). **تكملة تاريخ الطبري**. تح: ألبرت يوسف كنعان. ط: ١. بيروت: لبنان. المطبعة الكاثوليكية. ص: ١٥١. ابن الأثير. (١٩٨٧). **الكامل في التاريخ**. تح: أبو الفداء عبد الله القاضي. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج٧، ص: ٢٢٧.

[٨٠] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٢٧٥-٢٨١. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٤٧- ٤٨- ٥٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٠٥-٢١١.

[٨١] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٢٩٠. ابن العمراني. ( ١٩٩٩). **الإنباء في تاريخ الخلفاء**. تح: قاسم السامرائي. ط: ١. القاهرة: مصر. دار الآفاق العربية. ص: ١٧٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٢٧.

[٨٢] بختيار عز الدولة أبو منصور بن معز الدولة البويهي، تولّى العراق بعد وفاة والده معز الدولة سنة ( ٣٥٦هـ / ٩٦٦م)، وتوفي مقتولاً سنة ( ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، في معركة مع ابن عمه عضد الدولة. ابن خلكان (د.ت)، ج١، ص: ٢٦٧. الذهبي (١٩٨٤)، ج١٦، ص: ٢٣١. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٠، ص: ٥٣.

[٨٣] أبو تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة الحمداني، ولد سنة ( ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)، وتولى الموصل سنة ( ٣٥٦هـ / ٩٦٦م)، وهرب من الموصل سنة ( ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) إلى الشام بعد هزيمته في معركة مع عضد الدولة، فقتل عند الرملة سنة ( ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، وقيل سنة (٣٦٩هـ/٩٧٩م). سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٧، ص: ٥٣٦. ابن خلكان (د. ت)، ج٢، ص: ١١٧. الذهبي (١٩٨٤)، ج١٦، ص: ٣٠٦.

الفقر والحرمان والنهب والسلب نتيجة لهذا الصراع، في الوقت الذي كانت تعاني فيه بغداد أيضاً من الفوضى والضائقة الاقتصادية نتيجة لهذه الحروب ما بين الأمراء، الأمر الذي أجبر الخليفة العباسي المطيع لله على الخروج منها.[٨٤]

ومن الواضح أنّ هذه المناطق، عانت من هذه الحروب التي استمرت عقوداً، وعاشت أزمات اقتصادية واجتماعية حادة، تركت آثاراً سلبية على أصعدة عدّة، والتي لامست بالدرجة الأولى المجتمع المدني، وبالدرجة الثانية الهيئات الحكومية، كالخلافة، والجيش، والدواوين، وغير ذلك من مؤسسات الخلافة، وتمثّلت تلك الآثار على الصعيد الاقتصادي بدمار وخراب وضائقة اقتصادية حادة في عكبرا، وارتفاع الأسعار في تكريت بسبب نهبها وسلبها وإشاعة الفوضى فيها، ونقص المواد الغذائية في بغداد، وارتفاع الأسعار، والذي استمر مدة طويلة، ونزوح كثير من سكان بغداد باتجاه البصرة ومناطق أخرى أكثر أمناً، ما سبّب آثاراً سلبية في أركان الاقتصاد مثل الزراعة والصناعة والتجارة، وأدّى إلى تراجعها وتقهقرها إلى جانب انتشار الفقر والمجاعة[٨٥]. يضاف إلى ما سبق إقدام معز الدولة البويهي في أثناء صراعه مع ناصر الدولة الحمداني إلى توزيع الأراضي على قادة الجند، فأدّى ذلك إلى تشكّل الإقطاعات الزراعية، فكان هذا بداية قيام الإقطاع العسكري وتحكم الجند بالأراضي وبزراعتها، مع العلم أن الجند كانوا يستغلون كل موارد الأراضي ولم يدفعوا شيئاً يُذكر لخزينة الدولة، ما أسهم في العجز المالي للدولة بالإضافة إلى تدني الإنتاج الزراعي وحرمان العمال من حقوقهم وتعميق فقرهم ومجاعتهم. وبالعودة إلى ما سبق يلاحظ أن هناك عوامل أخرى زادت في حدّة الأزمة الاقتصادية، يأتي في مقدمتها العطاءات الكبيرة التي حصل عليها الجند الأتراك من الأمير معز الدولة البويهي، مقابل سكوتهم عن امتناع قادة الديلم من دفع المبالغ المترتبة على إقطاعاتهم للدولة[٨٦].

ومن المؤكد أن هذه الصراعات ما بين الأمراء البويهيين غيّبت دور الخليفة العباسي على مسرح القرارات الفاعلة على مستوى الخلافة، وأكدت دور القادة والأمراء في التحكم بقرارات الخلافة في هذه المرحلة، وأسهمت في تعميق الخلاف ما بين جند الأتراك والديلم[٨٧]، وقد دفع استمرار الأزمة لمدّة طويلة، الأمير حمدان بن ناصر الدولة إلى الطلب من الأمير البويهي بختيار للقدوم لتسليمه الموصل عنوة بدلاً من أخيه أبي تغلب الغضنفر سنة ( ٣٦٣هـ / ٩٧٣م)[٨٨].

---

[٨٤] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٣٩٧. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٢٢٦-٢٢٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٣٩.

[٨٥] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٢٧٨-٢٧٩-٢٨١. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢١٧. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٧، ص: ٢٢٩.

[٨٦] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٢٧٦-٢٨١-٢٨٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢١١.

[٨٧] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٢٧٦-٢٨١-٢٨٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢١١.

[٨٨] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٣٩٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٣٩.

ولم يكن الأمير حمدان هو الوحيد الذي استنجد بالغرباء ضد أخيه، وإنمّا هناك أمثلة متعددة على هذه الأعمال غير المدروسة، ما يفيد بأنّ المصالح الشخصية، والأهواء السياسية، طغت على مصالح العامة، وبالتالي أضعفت فيما بعد إمارة الموصل وجعلتها عرضة للسقوط بيد العقيليين.

**ت-الحروب بين الأمراء البويهيين:**

استمرت الخلافات في عهد حكم معز الدولة البويهي لبغداد بعد وفاته سنة ( ٣٥٦هـ / ٩٦٦م)، فقد عيّن ابنه عز الدولة بختيار قبل وفاته ليخلفه في منصبه، ما يعني أن معز الدولة قد أسس حكماً وراثياً في بغداد، وأوصى ابنه بختيار أن يستشير عمه ركن الدولة وابن عمه عضد الدولة[٨٩] حاكم فارس[٩٠] في القضايا التي تهم حكمه، لكن بختيار لم يأخذ بهذه الوصايا بعد وفاة والده، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل حاول التخلص من عدد كبير من ضباط الديلم والاعتماد على الجند الأتراك ما أدّى إلى زعزعة مركزه واندلاع الصراع بين جند الديلم والأتراك، غير أنّ مسرح الأحداث السياسية شهد فصلاً جديداً من فصول الصراع البويهي البويهي، أجّجه تحرّك عضد الدولة نحو العراق منطلقاً من بلاد فارس سنة ( ٣٦٦هـ / ٩٧٦م) للسيطرة عليها، سيما أنّ دوافع هذا التحرك متعددة، منها سوء أحوال بختيار في بغداد، وعلى الرغم من الاستعدادات العسكرية المناسبة للتصدي لذلك الجيش إلّا أنّ الخيار العسكري كان هو الحاسم، وكانت النتيجة هزيمة بختيار وانتصار عضد الدولة الذي سارع بجيشه متوجهاً إلى البصرة التي طالبته بالقدوم إليها للتوسط بين قبيلتي مضر وربيعة المتخاصمتين[٩١].

---

[٨٩] عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة بن بويه، تسلّم حكم فارس بعد وفاة عمه عماد الدولة سنة ( ٣٣٨هـ / ٩٤٩م)، وقيل سنة ( ٣٣٩هـ / ٩٥٠م)، وتوفي سنة ( ٣٧٢هـ / ٩٨٢م). ابن خلكان (د. ت)، ج٤، ص: ٥٠-٥٥. الذهبي (١٩٨٤)، ج١٦، ص: ٢٤٩. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٢٤، ص: ٦٤.

[٩٠] فارس: ولاية وإقليم واسع، يقع ما بين نهر بلخ إلى أذربيجان، وأرمينية إلى الفرات، ثم برية العرب إلى عمان وإلى كابل وطخارستان، وفارس اسم فارسي معرّب، أصله بالفارسية بارس، قصبتها مدينة شيراز، وهو الآن يمتد على طول الساحل الشرقي من الخليج العربي، ما بين الأهواز وإقليم كرمان. الهمذاني (١٩٩٦)، ص: ٤٠٥. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ٢٢٦. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٤٣٣. الترمانيني (١٩٨٨)، ج٢، ص: ١٤٨٣.

[٩١] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٤٢٦-٤٢٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٠٥- ٢٩٨- ٣٦٥-٣٦٦. ابن العبري. (١٩٩٧). **مختصر تاريخ الدول**. وضع حواشيه: خليل المنصور. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص: ١٤٨-١٤٩. منيمنة، حسن. (١٩٨٧). **تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي- مقاطعة فارس- ٣٣٤-٤٤٧هـ / ٩٤٥-١٠٥٥م**. الدار الجامعية. ص: ١٣٤.

بعدها يمّم عضد الدولة وجهه شطر بغداد سنة ( ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، وهي التي دأب جاهداً للسيطرة عليها، واتخذ فيها إجراءات عدّة، وأمر الخطباء بذكر اسمه على المنابر مع اسم الخليفة العباسي الذي لم يبق له من الصلاحيات إلا لقب الخليفة، وأمّا مصير بختيار فقد غادر بغداد متوجهاً إلى عكبرا[٩٢].

ومن الواضح أنّ بغداد عاشت خلال هذه الصراعات أزمة اقتصادية واجتماعية خانقة جرّاء النفقات الباهظة لتجهيز الجيوش المتحاربة، وتقديم كافة مستلزماتها، ما أدّى إلى تعطّل الأسواق، وخراب العديد منها، إذ شمل الخراب المحلات والمنازل والسدود في بغداد وغيرها، ورافقه فقدان أو نقص المواد الغذائية، إلى جانب ارتفاع أسعارها، كما تلاشت قبضة الأمن، فانتشر اللصوص وقطاعو الطرق، ما أدّى إلى هجرة اليد العاملة منها، وانتشار الأمراض الاجتماعية المعروفة عند كل المجتمعات التي تشهد حروباً مماثلة، وبالنهاية أدّت هذه الفوضى إلى رحيل أميرها بختيار إلى عكبرا واعتمادها قاعدة له في حربه مع عضد الدولة بدلاً من بغداد، لكن بختيار لم يتمكن من الصمود في وجه عضد الدولة، فقد تمّ أسره في معركة تكريت ثم قتله، عندها سيطر عضد الدولة على معظم مدن العراق، ومالت الأمور السياسية إلى الاستقرار واستتباب الأمن في بغداد، عندها عمد عضد الدولة إلى القيام بإصلاحات عديدة في بغداد بعد تعرضها لكثير من الخراب[٩٣].

يُعد عضد الدولة من أعظم رجالات الأسرة البويهية، فقد كان نشيطاً ملتزماً بالنظام لا يتورّع عن سلوك أي طريق أو وسيلة من أجل تحقيق غاياته ومقاصد سلطته.

غير أن الضعف بدأ يدبّ في جسم الدولة البويهية كما دبّ قبله في جسد الدولة العباسية التي أضحت ميداناً للتنافس والصراع بين كل طامح وطامع للسلطة، وذلك إثر وفاة عضد الدولة البويهي سنة ( ٣٧٢هـ / ٩٨٢م)، حيث أخذ ملكهم في الانحدار وقوتهم في الضعف، كما دبّ الشّقاق بين أولاده، شرف الدولة[٩٤]، وصمصام الدولة[٩٥]، بسبب الأطماع الشخصية لهؤلاء الأمراء، والتي جلبت الحروب والصراعات فيما بينهم والتي أدّت إلى مزيد من القتل والخراب والمجاعة لسكان العراق والمناطق المجاورة.

---

[٩٢] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٤٣٤-٤٤٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٧٧-٣٨١. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٤٩. علي، وفاء محمد. (د. ت). **الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين**. الاسكندرية: مصر. المكتب الجامعي الحديث. ص: ١١١-١١٢. منيمنة (١٩٨٧)، ص: ١٣٤.

[٩٣] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٤٤٧-٤٤٨. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٨٧. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٤٩. علي (د. ت)، ص: ١١٢.

[٩٤] شرف الدولة شيرزاد، وذُكر بـ شيرويه بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، توفي سنة ( ٣٧٩هـ / ٩٨٩م). الذهبي (١٩٨٤)، ج١٦، ص: ٣٨٤.

[٩٥] صمصام الدولة المرزبان بن فناخسرو عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، تملك العراق بعد وفاة والده سنة ( ٣٧٢هـ / ٩٨٢م)، وقبض عليه شرف الدولة وحبسه في شيراز، وتوفي سنة (٣٨٨هـ/٩٩٨م). الذهبي (١٩٨٤)، ج١٦، ص: ٣٨٥. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٢٥، ص: ٢٩٧-٢٩٩.

بدأت تلك الصراعات عندما أرسل حاكم فارس الأمير شرف الدولة جيشاً من بلاد فارس للسيطرة على العراق المحكوم من قبل أخيه صمصام الدولة، وعندما التقى الجيشان عند قرقوب[٩٦]، كان النصر حليف جيش شرف الدولة الذي استطاع السيطرة على البصرة، ولم يمنع الصلح الموقّع بين الأخوين المتصارعين من متابعة جيش شرف الدولة بالسيطرة على باقي المناطق في العراق، كواسط سنة ( ٣٧٦هـ / ٩٨٦م)، وبعدها بغداد.

تمخّض عن دخول جيش شرف الدولة إلى بغداد حروب وصراعات داخلية بين الديلم الموالين لصمصام الدولة وبين الأتراك الموالين لشرف الدولة، ما زاد في حدة الأزمة الاقتصادية في العراق عموماً، وبغداد خصوصاً، حيث نتج عن تلك الصراعات مقتل الآلاف من الناس، وهجرة العديد إلى المناطق الآمنة، وكثرة النهب الذي شمل الأسواق والمنازل، بالإضافة إلى قلة المواد الغذائية وارتفاع أسعارها، وتجلّت مظاهر الأزمة الاقتصادية بخلو خزائن الدولة من المال بسبب الإنفاق المتزايد على تلك الحروب والصراعات، إلى جانب تراجع صناعة الثياب بسبب الضريبة التي فرضها عليها صمصام الدولة، ما أدّى إلى تفاقم الفقر بسبب ارتفاع الأسعار بفعل الضرائب المفروضة على هذه الصناعة[٩٧].

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن، ألم يكن لهذه الأزمة التي عاشها العراق بمدنه وقراه وسكانه واقتصاده منعكسات على الصعيد السياسي؟

يمكن رصد مجموعة من تلك المنعكسات يأتي في مقدمتها سيطرة القائد شرف الدولة القادم من بلاد فارس على العراق، وطرد صمصام الدولة منها، وضعف الخليفة العباسي الطائع لله ( ٣٦٣-٣٨١هـ / ٩٧٣-٩٩١م)[٩٨] واقتصار دوره على الترحيب بالأمير البويهي المنتصر، وعدم ذكر الأمير المغادر والمنهزم، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدل على ضعف منصب الخلافة وتقهقره، وخلخلة البنية السياسية والعسكرية والمجتمعية، وانحلال دور مؤسسات الدولة الراعي الرسمي لهيكلها واضمحلالها، والذي بدأ يظهر جلياً في الدور العباسي الثاني، وأسهم في هذا الضعف عوامل عدّة منها عدم الاعتماد على العرب والتقرب من الجنسيات الأخرى مثل الأتراك والديلم وغيرهم.

ومن المنعكسات السياسية الأخرى مغادرة بعض الديلم العاصمة بغداد هرباً إلى مناطق أخرى، مقابل تعاظم دور الأتراك الموالين لشرف الدولة بعد تمكنه من السيطرة على سدّة السلطة في بغداد.

---

[٩٦] قرقوب بلدة متوسطة بين واسط والبصرة والأهواز. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ٣٢٨.

[٩٧] الروذراوري. (٢٠٠٣). **ذيل تجارب الأمم**. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص: ٤٩- ٨١-٨٢. ابن العمراني (١٩٩٩)، ص: ١٨١. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٠٧-٤١٦-٤٢١-٤٢٣-٤٢٥-٤٢٧-٤٢٩. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٥١. علي (د. ت)، ص: ١١٣-١١٤.

[٩٨] ابن الكردبوس (٢٠٠٨)، ج٣، ص: ١٦٤٢-١٦٤٨. ابن أبي السرور (د. ت)، ص: ١٣٧. ابن الكازروني (١٩٧٠)، ص: ١٩١-١٩٤. الذهبي (١٩٨٣)، ج١٥، ص: ١١٨-١٢٦.

غير أن الظروف انقلبت رأساً على عقب إثر وفاة شرف الدولة سنة ( ٣٧٩هـ / ٩٨٩م)، إذ أراد صمصام الدولة استثمار الظروف لصالحه، فتوجه إلى بلاد فارس في الوقت الذي استطاع فيه أخوه بهاء الدولة[٩٩] تولّي سدّة الحكم في العراق وقد سارع إلى قتال صمصام الدولة في فارس معقل إقامته، فتوجه بجيشه سنة ( ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، منطلقاً من بغداد غير أنّه عرّج في طريقه على البصرة وتمكن من إخضاعها بعد أن ثارت عليه، فنهب أموالها، ووزعها على جنده، وعندما تناهى إلى مسامع صمصام الدولة خبر مسير بهاء الدولة إليه فضّل الصلح والتسوية بينه وبين أخيه الذي بادر إلى القبول، وعاد إلى بغداد، التي كانت في هذه الحقبة تُلملم جراحها بين الفينة والأخرى، فلا تكاد تخرج من أزمة إلاّ وترزح تحت أخرى، وهذا ما جعل أزمتها الاقتصادية مستمرة لسببين: أولهما الإنفاق المستمر على العساكر المتحاربين، وثانيهما بسبب مطالبة الجند لبهاء الدولة بزيادة رواتبهم مقابل حربهم صمصام الدولة، غير أن بهاء الدولة لم يملك الأموال الكافية لصرف مرتبات الجند، فعمد إلى حل المشكلة عن طريق إلقاء القبض على الخليفة العباسي الطائع لله، وأخذْ أمواله وإعطائها لجنده، وتعيين القادر بالله ( ٣٨١-٤٢٢هـ / ٩٩١-١٠٣٠م)[١٠٠] خليفة للمسلمين[١٠١].

ولم تهدأ نار الخلافات بين الأخوين واستمرت الصراعات بينهما حتى سنة ( ٣٨٣هـ / ٩٩٣م)، حيث تحرك جيش بهاء الدولة مرة أخرى لمحاربة صمصام الدولة في فارس، لكن نتيجة المعركة لم تكن لصالحه هذه المرة، إذ مُني بالهزيمة، التي ترتّب عليها خسائر مادية كبيرة، حتى أنّ خزائنه خلت من المال، وأُجبر على اقتراض الأموال من أمير البطائح مهذب الدولة[١٠٢][١٠٣].

غير أنّ موازين القوة لم تبق على حالها، فسرعان ما تغيرت الأمور وانقلبت رأساً على عقب عندما تمكن بهاء الدولة من استرداد بعض المناطق من صمصام الدولة سنة ( ٣٨٤هـ / ٩٩٤م)[١٠٤]، مقابل

---

[٩٩] بهاء الدولة أحمد أبو نصر بن عضد الدولة بن بويه، توفي سنة ( ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)، في أرجان، وتولى بعده ابنه سلطان الدولة. الذهبي. (١٩٨٣). **سير أعلام النبلاء**. تح: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي. ط: ١. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. ج١٧. ص: ١٨٥.

[١٠٠] ابن الكازروني (١٩٧٠)، ص: ١٩٦-٢٠٠. الذهبي (١٩٨٣)، ج١٥، ص: ١٢٧- ١٣٧. السيوطي. (٢٠١٣). **تاريخ الخلفاء**. إعداد: مركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي. إشراف: محمد غسان نصوح عزقول الحسيني. ط: ٢. بيروت: لبنان. دار المنهاج. ص: ٦٣٤-٦٣٩.

[١٠١] الروذراوري (٢٠٠٣)، ص: ١١٢-١١٣- ١٢٣-١٢٤. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٤٦- ٤٤٩. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٥١- ١٥٢- ١٥٥. خواندمير. (١٩٨٨). **روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وآل بويه والإسماعيلية والملاحدة**. تح: السباعي محمد السباعي. تر: أحمد عبد القادر الشاذلي. ط: ١. الدار المصرية للكتاب. ص: ١٩٧-١٩٨.

[١٠٢] مهذب الدولة أبو الحسن علي بن نصر، تولى البطائح سنة ( ٣٧٦هـ / ٩٨٦م)، وتوفي سنة ( ٤٠٨هـ / ١٠١٧م). ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٢٨، ج٨، ص: ١٢٠.

[١٠٣] الروذراوري (٢٠٠٣)، ص: ١٥٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٦١. علي (د. ت)، ص: ١١٦.

[١٠٤] الروذراوري (٢٠٠٣)، ص: ١٥٤-١٥٥. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٦٧، ٤٧٣. علي (د. ت)، ص: ١١٦.

قيام صمصام الدولة بالسيطرة على البصرة سنة ( ٣٨٦هـ / ٩٩٦م)، وعلى إثر ذلك عمد إلى نهبها، وقتل كثير من سكانها، وتهجير بعضهم الآخر منها[١٠٥].

نتيجة لتلك الظروف العسكرية وقع بهاء الدولة في ضائقة اقتصادية صعبة سنة ( ٣٨٨هـ / ٩٩٨م)، عندما قُطعت عنه المؤن والإمدادات، فاضطر للتوجه إلى واسط، لكنّ ما لبثت أموره أن انفرجت بسبب مقتل صمصام الدولة[١٠٦].

من خلال استقراء الحوادث التاريخية وتتبّعها يلاحظ أنّ مدن وقرى العراق مثل البصرة وبغداد وغيرها، عانت من ضائقة مادية كبيرة، فالبصرة نُهبت مرتين الأولى من قبل بهاء الدولة سنة ( ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، والثانية من قبل صمصام الدولة سنة ( ٣٨٦هـ / ٩٩٦م)، عندما احتلها وسيطر عليها وطرد بهاء الدولة منها، وفي الوقت ذاته عانت بغداد من انعدام الأمن، ونشاط العيّارين المتزايد، وحرق المنازل ونهبها، وكثرة القتلى، وانتشار الأمراض، الذي أدّى إلى زيادة عدد الوفيات، ناهيك عن قلة المواد الغذائية، وارتفاع أسعارها، ما زاد من تفاقم الأزمة الاقتصادية في العراق[١٠٧].

وكان للأزمة الاقتصادية آثار في المجتمع كلّه، فقد كان لها آثار في السلطة السياسية وتجلّى ذلك بالتحكم بمصير الخليفة العباسي من قبل الأمراء البويهيين، ولا أدَلّ على ذلك من خلع الخليفة الطائع لله وتعيين الخليفة القادر بالله، ومن آثارها السياسية رضوخ بهاء الدولة لمطالب جنده بزيادة رواتبهم مقابل حربهم ضد صمصام الدولة، ما دفع بهاء الدولة إلى أخذ أموال الخليفة الطائع لله وإعطائها لجنده بسبب خلو خزائن الدولة من الأموال، إلى جانب تعاظم دور الجند في هذه الأزمة وفرض شروطهم على الأمراء.

استعرت الخلافات وتتالت الصراعات من جديد إثر وفاة بهاء الدولة سنة ( ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)، وهذه المرّة ضمن أفراد أسرته أي بين أولاده الذين تقاسموا حكم العراق والمناطق المجاورة فيما بينهم، فقد تولّى ابنه سلطان الدولة[١٠٨] معظم مدن العراق، وأخوه جلال الدولة[١٠٩] البصرة، وأبو الفوارس[١١٠]

---

[١٠٥] الروذراوري (٢٠٠٣)، ص: ١٦٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٨٣. علي (د. ت)، ص: ١١٦.

[١٠٦] الروذراوري (٢٠٠٣)، ص: ١٨٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٩٦، ج٨، ص: ٨.

[١٠٧] الروذراوري (٢٠٠٣)، ص: ١١٢-١١٣- ١٢٣-١٢٤. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٤٦- ٤٤٩.

[١٠٨] سلطان الدولة أبو شجاع فناخسرو بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، تملّك بعد والده سنة ( ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)، وتوفي سنة ( ٤١٥هـ / ١٠٢٤م) في شيراز. الذهبي (١٩٨٣)، ج١٧، ص: ٣٤٥.

[١٠٩] جلال الدولة أبو طاهر فيروزجرد بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، تملك العراق بعد أخيه مشرف الدولة سنة ( ٤١٦هـ / ١٠٢٥م)، وتوفي سنة ( ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م). الذهبي (١٩٨٣)، ج١٧، ص: ٥٧٧.

[١١٠] أبو الفوارس قوام الدولة بن بهاء الدولة، توفي سنة ( ٤١٩هـ / ١٠٢٨م). سبط ابن الجوزي. (٢٠١٣). **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**. تح: محمد أنس الحسن، كامل محمد الخلّاط. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الرسالة العلمية. ج١٨. ص: ٣٤٦.

كرمان[١١١]، وسرعان ما دبّ الطمع بين الأخوة الثلاثة، والخلاف الأسري لم يكن جديد العهد بل قديم قِدَم شواهد التاريخ، وتجلّى الصراع واضحاً بين الأخوين سنة ( ٤٠٧هـ / ١٠١٦م)، عندما توجه سلطان الدولة بجيش من بغداد لمحاربة أخيه أبي الفوارس في كرمان، وجرت معارك عدّة بين الأخوين كان النصر فيها حليف سلطان الدولة الذي سيطر على فارس وكرمان وبعد انتصاره هذا عاد إلى بغداد سنة ( ٤٠٨هـ / ١٠١٧م)[١١٢].

واندلعت شرارة الحرب مجدداً بين سلطان الدولة وأخيه مشرف الدولة[١١٣] المقيم في بغداد سنة ( ٤١١هـ / ١٠٢٠م)، وحسب ما ورد في بطون المصادر فإنّ مشرف الدولة قد سيطر على العراق بعد معارك مع أخيه سلطان الدولة[١١٤]، ومن الطبيعي أن هذه الحروب تعود إلى الأطماع الشخصية للأخوة المتحاربين من أجل السيطرة على المزيد من المناطق والبلدان.

وبالطبع أدّى غياب حاكم العراق سلطان الدولة وانشغاله في الحروب في فارس وكرمان إلى الاضطراب الأمني فنُهبت أموال الناس في بغداد وواسط والعديد من المناطق الأخرى، ما فسح المجال للعيّارين لنشر الفوضى والفساد، ورافق فقدان الأمن ارتفاع الأسعار وقلّة المواد الغذائية، وهذا قاد بالنتيجة إلى انتشار الفقر نتيجة للتكاليف الباهظة لتلك الصراعات.

وتكلّل الإنهاك الاقتصادي بضعف سياسي نتيجة الغياب الكامل لدور الخليفة العباسي، يُضاف إلى ما سبق رحيل العديد من الديلم القاطنين في بغداد إلى واسط نتيجة لشعورهم بالضعف، إلى جانب القتال الذي جرى بين الجنود الديلم والأتراك، ومقتل كثير من الأتراك، علاوة على ما سبق الصلح المعقود بين سلطان الدولة ومشرف الدولة الذي تمكّن من السيطرة على العراق[١١٥].

لم تنته أطماع الأمراء داخل الأسرة البويهية عند حدّ معيّن أو سلطان بعينه، فالكل يريد الوصول إلى سدّة السلطة في العراق، وضمّ ما يستطيع ضمّه من أملاك ضارباً عرض الحائط بأحقية إخوته أو أعمامه أو أي فرد من أفراد أسرته، إذ إنّ نظريته السياسية ترتكز على اعتماده على أبنائه دون الآخرين،

---

[١١١] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٩٥. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٧٧. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٥٦. خواندمير (١٩٨٨)، ص: ٢٠١.

[١١٢] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ١٢٠. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١١٣- ١٢١. خواندمير (١٩٨٨)، ص: ٢٠٢. علي (د. ت)، ص: ١١٧-١١٨.

[١١٣] مشرف الدولة أبو علي الحسن بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، توفي سنة ( ٤١٦هـ / ١٠٢٥م). الذهبي (١٩٨٣)، ج١٧، ص: ٤٠٨. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٢٠، ص: ١٦٩.

[١١٤] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ١٤٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٣٠. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٥٦. خواندمير (١٩٨٨)، ص: ٢٠٢. علي (د. ت)، ص: ١١٨.

[١١٥] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ١٢٠- ١٤٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١١٣-١٢١-١٣٠. علي (د. ت)، ص: ١١٧-١١٨.

فعند وفاة مشرف الدولة سنة ( ٤١٦هـ / ١٠٢٥م)، توزّع العراق بين مؤيد لأخيه جلال الدولة، وآخر مؤيد لأمير خوزستان[١١٦] أبي كاليجار بن سلطان الدولة[١١٧] .

بدايةً نودي بجلال الدولة حاكماً للبصرة، حاكماً على بغداد، غير أنه رفض أول الأمر، لكن سرعان ما تغيّر موقفه بعد سماعه بمطالبة سكان بغداد بأبي كاليجار حاكماً عليهم عندها شدّ الرحال إليها غير أنّ سكان بغداد أصرّوا على رفضهم بدخوله المدينة إلى جانب تعرض أمواله للنهب عندها عاد خائباً إلى البصرة[١١٨].

والسؤال المطروح هنا، لماذا رفض سكان بغداد دخول جلال الدولة مدينتهم، بعد أن نودي به في البداية حاكماً عليها وذلك بعد أن أخذ موافقتهم مع آخرين على تولّيه لسدّة السلطة؟

لم تذكر المصادر التاريخية ظاهراً أو باطناً أي إشارة تجاه المسببات التي دفعت سكان بغداد لاتخاذ هذا الموقف، لكنّها أشارت إلى نهب أمواله وعودته إلى البصرة.

في الوقت نفسه كان أبو كاليجار مشغولاً في حربٍ مع عمه أبي الفوارس، فظلّت بغداد دون حاكم حتى سنة ( ٤١٨هـ / ١٠٢٧م)، ما حدا بالأتراك إلى إشاعة الفوضى والقيام بالنهب والسلب، فاضطر سكانها إلى مناشدة جلال الدولة للقدوم إليها فقدم إليها ودخلها سنة ( ٤١٨هـ / ١٠٢٧م)[١١٩].

في الوقت نفسه لم تكن البصرة بمنأى عن الاضطرابات والصراعات السياسية في هذه الحقبة فقد تأججت نار تلك الفتنة عندما عمد الأتراك إلى طرد الديلم منها سنة ( ٤١٩هـ / ١٠٢٨م)، بعد مطالبتهم بقدوم أبي كاليجار إليها، بينما كان حاكمها آنذاك العزيز بن جلال الدولة[١٢٠] الذي حاول جاهداً إخماد الفتنة، غير أن محاولته باءت بالإخفاق بسبب مسارعة أبي كاليجار بإرساله جيشاً إلى البصرة للسيطرة

---

[١١٦] خوزستان: قسم من بلاد فارس، يحدها من الشرق فارس وأصبهان، ومن الغرب العراق، ومن الجنوب بحر فارس، ومن الشمال بلاد الجبال، ومن مدنها الأهواز وتستر وجنديسابور، وهي الآن تسمى عربستان، أي إقليم العرب. الاصطخري. (١٩٧٦). **المسالك والممالك**. تح: حماه الله ولد السالم. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص: ٧٠. ابن حوقل (١٩٩٢)، ص: ٢٢٥. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٢٢٥. لسترنج، ك. (١٩٥٤). **بلدان الخلافة الشرقية**. ترجمة: بشير فرنسيس، كوركيس عواد. ط: ١. بغداد: العراق. مطبعة الرابطة. ص: ٢٦٧. واصف (د. ت)، ص: ٣٦.

[١١٧] أبو كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، ولد بالبصرة سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م)، تملك بعد وفاة ابن عمه جلال الدولة سنة ( ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م)، وتوفي سنة ( ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م)، وقيل سنة (٤٤١هـ/١٠٤٩م). الذهبي (١٩٨٣)، ج١٧، ص: ٦٣١. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٢٥، ص: ٢٩٩.

[١١٨] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ١٧٠-١٧١. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٥١-١٥٣. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٥٧.

[١١٩] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ١٧٥-١٨٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٥٦-١٦١. خواندمير (١٩٨٨)، ص: ٢٠٤.

[١٢٠] الملك العزيز أبو منصور بن جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة، ولد بالبصرة سنة ( ٤٠٧هـ / ١٠١٦م)، وتوفي سنة ( ٤٤١هـ / ١٠٤٩م) عند ميافارقين. الذهبي (١٩٨٣)، ج١٧، ص: ٦٣١.

عليها، وقد تمكن هذا الجيش من تحقيق هدفه بعد فرار حاكمها العزيز إلى واسط، حينها قام جيش أبي كاليجار بنهب الأسواق والأموال في البصرة[١٢١].

ولمّا تناهى إلى مسامع جلال الدولة ما حدث لابنه العزيز، أراد مؤازرته فسيّر جيشاً من بغداد إلى واسط، بعد أن صادر أموال التجار في بغداد وأموال الناس لدعم الجنود المشاركين في المسير إلى واسط، ما نتج عنه ضائقة اقتصادية في بغداد.

لم تضعف همّة أبو كاليجار في ملاحقة العزيز حتى مدينة واسط، واستطاع طرده منها، عندئذٍ تحرك جيش جلال الدولة على الرغم من الضائقة الاقتصادية التي تعيشها البلاد، وطرد أبو كاليجار من واسط فعاد إليها الملك العزيز[١٢٢].

وضع جلال الدولة خطة لاستعادة المناطق التي وقعت تحت نفوذ أبي كاليجار، ففي سنة ( ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)، استطاع طرد جيش أبي كاليجار من المذار[١٢٣]، فدخلها، وضمّها إلى نفوذه، وتواءم ذلك مع إقدام جيشه على السلب والنهب والقتل، فكانت معاناة الناس كبيرة من جرّاء تلك الأعمال، لكنّ أبا كاليجار تمكّن من استعادة زمام الأمور عندما وجّه جيشه لاستعادة المذار[١٢٤].

وعلى الرغم من استعادة جلال الدولة وجيشه للبصرة، إلا أنه لم يستطع المحافظة عليها، فقد تمكّن جيش أبي كاليجار من استعادتها والسيطرة على واسط أيضاً، غير أنّ هوى قسم من أهل بغداد السياسي لم يكن مع جلال الدولة وابنه العزيز بل مع أبي كاليجار الذين طالبوا به حاكماً عليهم، عندها وعلى الرغم من استقرار جلال الدولة في بغداد إلا أنه غادرها باتجاه أوانا[١٢٥]، وهنا انقسمت آراء سكان بغداد إلى قسمين كلّ رأي مثّله قسمٌ من المدينة، فالقسم الشرقي خطب لأبي كاليجار، بينما خطب لجلال الدولة في القسم الغربي، لكنّ الصلح كان سيد الأحكام فمن المؤكد أن تسوية حصلت بين الرجلين[١٢٦]. ما يعني أن هؤلاء الغرباء مهما تنازعوا على السلطة فإنّ المصلحة تجمعهم خلافاً لسكان بغداد الذين لم يتفقوا على رأي ولا على مصلحة.

من الطبيعي أن تدفع المناطق التي جرت على أرضها تلك الصراعات ثمناً كبيراً سواء اقتصادياً أو اجتماعياً أو فكرياً أو عمرانياً وعلى الأصعدة كافة، فقد ذكرت المصادر تعرّض سكان البصرة للنهب والسلب والخراب والدمار، وكذلك بغداد وواسط، والعديد من المدن والقرى في العراق.

---

[١٢١] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٦٦-١٦٧. خواندمير (١٩٨٨)، ص: ٢٠٤. علي (د. ت)، ص: ١١٩.

[١٢٢] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٧٢. علي (د. ت)، ص: ١١٩.

[١٢٣] المذار مدينة تقع على ضفة دجلة بين واسط والبصرة، بالقرب من الكوفة، وسميت المذار لفساد تربتها، والمذار: الفساد في الرائحة. البكري (د. ت)، ج٤، ص: ١٢٠٣. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ٨٨. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٥٣٠.

[١٢٤] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٩١-١٩٤. علي (د. ت)، ص: ١١٩.

[١٢٥] أوانا بليدة من نواحي دجيل بغداد. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ٢٧٤.

[١٢٦] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٢٥٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢٢٣. منيمنة (١٩٨٧)، ص: ١٥٥.

ومن الجدير بالذكر أنّ هذه الأزمة الاقتصادية التي ولدت من رحم الحروب الطاحنة تركت آثاراً ونتائج اقتصادية تمثلت بنهب أموال الناس في بغداد من قبل العيّارين، وقتل كثير من الناس، وحرق أسواقهم ومنازلهم، بالإضافة إلى قلة المواد، وارتفاع أسعارها، وانتشار الفقر بين السكان، وقيام الأتراك في بغداد بمصادرة أموال الناس ونهبها، إضافة إلى انتشار الفتن بين العرب، والأكراد[١٢٧]، إلى جانب نهب أسواق البصرة، ونهب أموال الديلم من قبل جيش أبي كاليجار، ومصادرة أموال الناس والتجار من قبل جلال الدولة من أجل تجهيز الجيوش[١٢٨]، ومعاناة سكان واسط من جند أبي كاليجار عندما سيطر على مدينتهم، وقيام الجند بالتخريب والسلب، بالإضافة إلى معاناة سكان المذار من الطغيان الذي مارسه بحقهم جند جلال الدولة عندما سيطر على مدينتهم سنة ( ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) والذي تمثّل بالنهب والسلب والقتل[١٢٩].

وكما كانت لهذه الحروب والصراعات آثاراً اقتصادية ضارّة جداً في السكان والدولة فقد تركت منعكسات سياسية تجلّت ببقاء بغداد بلا سلطان مدّة طويلة بسبب انشغال حكامها بهذه الحروب[١٣٠].

ومن اللافت للانتباه غياب نفوذ سلطة الخلافة العباسية، حيث لا وجود لها على مسرح الأحداث الدائرة، بل مُرتهنة للأمراء والحكام الغرباء، وليس هذا بجديد على جسم الخلافة العباسية، بسبب اعتماد كثير من الخلفاء على العناصر غير العربية وتغلغلهم في مفاصل الدولة وبدعم من الخلفاء أنفسهم، وهذا ما أدّى بعد قرون عدّة إلى سهولة سقوطها على يد المغول ( ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م).

فأين كان هؤلاء الخلفاء عندما بقيت بغداد دون سلطان بويهي، وماذا كانوا يعملون، هل كانوا ينتظرون حتى تنجلي الأمور وتتوضح ولصالح من؟ لقد أثبتت التجارب السياسية أنّ البلاد تكون بخير عندما تكون القوى السياسية والعامة مع الحاكم يداً واحدة، لكن الخلافة لم تكن كذلك في هذه الحقبة ولا في الحقبة التي تلتها.

وكما قيل لا بدّ لكل بداية من نهاية، وهنا بدأت النهاية وذلك إثر وفاة جلال الدولة سنة ( ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م)، إذ تسلّم بعده أبو كاليجار العراق، لكنه لم يبق طويلاً بسبب وفاته، فانتقلت السلطة إلى ابنه الملك الرحيم[١٣١]سنة ( ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م)[١٣٢].

---

[١٢٧] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ١٧٥-١٨٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٥٦-١٦١.

[١٢٨] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٦٦-١٦٧. علي (د. ت)، ص: ١١٩.

[١٢٩] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٩١-١٩٤. علي (د. ت)، ص: ١١٩.

[١٣٠] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ١٧٠-١٧١. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٥١-١٥٣.

[١٣١] الملك الرحيم أبو نصر خسرو بن أبي كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، آخر ملوك بني بويه، تملك العراق سنة ( ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م)، وانتزع منه السلطان طغرلبك الملك سنة ( ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م)، وتوفي مسجوناً سنة ( ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)، وقيل نُفي، وقيل قُتل. الذهبي. (١٩٨٤). **سير أعلام النبلاء**. تح: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي. ط: ١. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. ج١٨. ص: ١٢٠.

سار الملك الرحيم في سياسته على نهج أجداده وأسلافه من التسلط والنفوذ وإبعاد أقربائه عن سدّة السلطة، حتى إخوته لم يسلموا منه، فقد بدأ حكمه بالحرب مع أخيه أبي منصور فلاستون[١٣٣] منذ سنة ( ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م)، فوجّه جيشاً وسيطر على شيراز[١٣٤]، بينما استطاع أخوه أبو منصور الاستيلاء على فارس سنة ( ٤٤١هـ / ١٠٤٩م)، والانتصار على الملك الرحيم الذي التجأ إلى واسط.

سيطر الملك الرحيم على مناطق عدّة منها الأهواز سنة ( ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م)، والبصرة سنة ( ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م)، ، وأرجان[١٣٥] سنة ( ٤٤٥هـ / ١٠٥٣م)، وشيراز سنة ( ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م)[١٣٦].

والواضح أنّ بغداد بقيت بلا حاكم مدّة سبع سنوات من سنة ( ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) حتى سنة ( ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م)، بسبب هذه الحروب، وانشغال الملك الرحيم بها خارج العراق، إلى جانب منصب الخلافة العباسية المغيّب قسراً أو غير ذلك، فأدّى ذلك إلى فراغ سياسي لم يستطع سدّه أحدٌ وهذا ما سهّل دخول السلاجقة إلى بغداد بزعامة طغرلبك[١٣٧]سنة ( ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م)، وقد أوردت الروايات أن ذلك كان بطلب من الخليفة العباسي القائم بأمر الله ( ٤٢٢- ٤٦٧هـ/١٠٣٠-١٠٧٤م)[١٣٨] واضعاً حدّاً لحكم البويهيين الذي كانت نهايته بعد إلقاء القبض على الملك الرحيم ونفيه إلى خارج العراق، إنّ غياب السلطة وضعفها أدّى إلى أزمة اقتصادية واجتماعية نجم عنها ازدياد نشاط العيارين، بسبب انعدام الأمن والأمان في بغداد، وقلّة الأقوات وارتفاع أسعارها، بالإضافة إلى تمرد الأعراب وقيامهم بالسلب والنهب، وحرق الأسواق، وكثرة الخراب لممتلكات الناس، ما زاد في إفقار الناس ومعاناتهم.

أما المنعكسات السياسية لهذه الأزمة فتمثلت في سقوط الدولة البويهية، المتهالكة نتيجة للصراع الداخلي بين الأمراء الذين تقاسموا البلاد والعباد والنفوذ والذي أنهك جسد الدولة ومقوماتها وبنيتها الاجتماعية

---

[١٣٢] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٣١٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢٦٢- ٢٨٤. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٦٠. منيمنة (١٩٨٧)، ص: ١٥٧.

[١٣٣] لا يوجد له ترجمة.

[١٣٤] شيراز بلد عظيم وهو قصبة بلاد فارس وتقع في وسط بلاد فارس، وهي دار مملكة فارس، -وهي الآن مدينة إيرانية في إقليم فارس إلى الجنوب الغربي من جبال زاجروس، تبعد عن العاصمة طهران باتجاه الجنوب حوالي (١٥٠٠كم)- الحازمي (١٩٩٣)، ج١. ص: ٥٩٢. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٣٨٠. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٣٥١. واصف (د. ت)، ص: ٤٩. أبو حجر (٢٠١٠)، ص: ١٥٧.

[١٣٥] أرجان مدينة كبيرة تتوسط بين شيراز والأهواز، بناها قباذ بن فيروز ملك الفرس. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ١٤٣. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٢٥.

[١٣٦] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢٨٣-٢٨٨-٢٩١-٢٩٤-٣٠٠-٣٠٨-٣١٢-٣٢٠. منيمنة (١٩٨٧)، ص: ١٥٩.

[١٣٧] طغرلبك أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب بـ ركن الدين طغرلبك، أول ملوك السلاجقة، وهم من الأتراك، كانوا يسكنون ما وراء النهر عند بخارى، ملك بغداد والعراق سنة ( ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م)، وتوفي سنة ( ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م) في الري. ابن خلكان (د. ت)، ج٥، ص: ٦٣-٦٧. الذهبي (١٩٨٤)، ج١٨، ص: ١٠٧.

[١٣٨] ابن أبي السرور (د. ت)، ص: ١٣٩. ابن الساعي (١٩٨٢)، ص: ٨٦-٩٢. ابن الكازروني (١٩٧٠)، ص: ٢٠٢-٢٠٨. الذهبي (٢٠٠٣)، ج١٠، ص: ٢٤٥- ٢٤٨.

والاقتصادية التي انحدرت من تقهقر إلى آخر، وتعيش ما بين وباء وبلاء ترضخ تحت حدّ السيف وبين ضربات السيوف وتأثير الجوع والفقر والعوز وطمع التجار والمتنفّذين وغياب شبه كامل للسلطة العليا والأساسية والمركزية، ألا وهي الخلافة العباسية التي أضحت عبارة عن ظلّ ظليل للحاكم، والمتحكّم الفعلي للأفراد السلاطين وأصبحت ميداناً مشرّعاً لكل طامح وطامع في السلطة، وسيطرة السلاجقة على بغداد متمثّلة بزعيمها طغرلبك، وبداية الحكم السلجوقي[١٣٩]، ما يعني نهاية حكم أسرة وبداية حكم أسرة جديدة.

**ثالثاً: العوامل التي زادت الأزمات الاقتصادية حدّةً في العراق :**

ظهر ثراء الدولة في العصر العباسي في الجانب العمراني، وكان أكثر ما يكون جلاءً في بناء المدن الجديدة مثل بغداد وسامراء أو في بناء القصور الضخمة، فقد اهتمّ الخلفاء العباسيون وكذلك الوزراء والأمراء ببناء القصور الفاخرة مع الاهتمام بتفاصيلها العمرانية مثل التأنّق في الأبواب والنوافذ وزخرفتها وزخرفة جدرانها بالنقوش والصور وتزيينها بالجواهر، ومن أمثلتها قصر التاج في بغداد والقصر المعروف بالعروس في سامراء والجعفري[١٤٠] وغيره من القصور التي أضحت مرتَعاً لمظاهر الحياة الدنيوية من مرح ولهو. وحفلت هذه القصور بمجالس الطرب والغناء، وأُنفقت الأموال الطائلة عليها وعلى النساء والجواري، وأغدق الخلفاء والوزراء والقادة الأموال على العلماء والأطباء والشعراء والمغنين، وكانت خزائن الدولة هي المعين الذي هيّأ لكل هذا الترف، وقد أُنفقت ملايين الدنانير والدراهم دون حسيب أو رقيب، وكان على الشعب أن يعمل ليل نهار ويعيش البؤس والشقاء، ليملأ حياة الخلفاء والأمراء بأسباب النعيم والرفاه.

وبدلاً من أن توجّه هذه الأموال إلى مرافق الشعب وحاجاته أو إلى إعداد الجيوش لمحاربة البيزنطيين وغيرهم من القوى الطامعة في أملاك الدولة، كانت هذه الأموال تُبدّد في المبالغة في بناء القصور وعلى الحفلات ومجالس الطرب والغناء واللهو، ما أدّى في بعض الأحيان إلى خلو خزائن الدولة من المال وبالتالي إلى فقر الناس وشقائهم، وما أسهم في خلو خزائن الدولة حرمان الدولة العباسية من واردات الدول التي انفصلت عنها كلّياً أو جزئياً عندما ضعفت السلطة المركزية في بغداد وسيطر الجند على مقاليد الأمور بالإضافة إلى قوة التيار الانفصالي عن الدولة العباسية، وإنّ الإنفاق الكبير على الحروب والصراعات التي قامت بين أفراد الأسرة العباسية من أجل السيطرة على الحكم وحروب الأمراء فيما

---

[١٣٩] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٣١٩-٣٢١- ٣٢٩- ٣٣٥- ٣٤٠- ٣٤٣- ٣٤٧-٣٤٨. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢٨٣- ٢٩٢- ٣٠١- ٣١٠- ٣١٥- ٣٢٢. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٦١.

[١٤٠] الجعفري قصر بناه الخليفة العباسي المتوكل على الله جعفر بن المعتصم سنة ( ٢٤٥هـ/٨٥٩م)، قرب سامراء في مكان يقال له الماحوزة، الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ١٤٣.

بينهم لنفس الغاية شكّل عاملاً إضافياً من عوامل ضعف الدولة وعجزها المالي وأزمتها الاقتصادية التي ظهرت آثارها سوءاً ومعاناةً وشقاءً في حياة الناس.

**أ-الترف والبذخ:**

شكّل الترف والبذخ عاملاً مهماً من العوامل التي زادت في حدّة الأزمات الاقتصادية في العراق، لما استنزفه من بيت مال الدولة، ومن قدرات العراق وإمكاناته، بصيغ وقوالب وأشكال مختلفة، منها البناء، والزخارف، والحفلات، والتكريم المفتوح بلا سقف محدد، ما جعل بعض فئات الشعب يدفعون من أجل توفيرها ثمناً غالياً، متحمّلين الجوع والمرض والقتل والحرمان، فكان الترف والمبالغة في الإنفاق إلى جانب العوامل الأخرى عاملاً قوياً أسهم في زيادة الأزمة الاقتصادية في العراق، وعمّق نتائجها الاقتصادية والاجتماعية، ومنعكساتها السياسية.

وقد تميزت حياة العديد من الخلفاء العباسيين في مختلف مراحل الخلافة العباسية وأطوارها بحبهم للترف والبذخ وإنفاق الأموال والمبالغة في إسرافها دون النظر إلى ما يترتب على ذلك من نتائج وأضرار ودون النظر إلى ما ستؤول إليه الأمور والعواقب.

**١-الترف والبذخ عند الخلفاء العباسيين:**

بالغ خلفاء بني العباس في إنفاق الأموال وهدرها على البناء والزخرفة، وعلى الحفلات الخاصة بهم من زواج وأعياد ومناسبات شتّى، ولم يقتصر الإنفاق عند خلفاء بني العباس على البناء والزخرفة والمبالغة في حياة الترف وحفلات الزواج وتكاليفها المالية الباهظة، بل كان للإنفاق الزائد والمفرط مجالات وقنوات عدّة شكلت عاملاً من عوامل إفقار الدولة وخلو خزائنها من المال وظهور أثر ذلك في الدولة وفي الناس عامة.

ولعلّ أبرز جوانب هذا الإنفاق الظاهر للعيان تجلّى في الاهتمام بالحركة العلمية ومقوماتها، فقد اهتم الخلفاء بالعلماء والأطباء والشعراء، وأغدقوا الأموال الطائلة في سبيل ذلك[١٤١] حيث اهتموا ببناء المكتبات والمراصد، وبحركة الترجمة ونقل العلوم اليونانية وغيرها من الحضارات الأجنبية إلى العربية، كما بالغوا في الإنفاق على حياة اللهو والغناء واقتناء الجواري، ولا ريب في أنّ هذا الإنفاق الكبير كان على حساب العامة من الناس، والتي ترتدي ثوب العمل والشقاء والبؤس والحرمان، ولعلّ مبالغة الخلفاء في هدر أموال وطاقات الدولة على البذخ والترف وما صاحبه من إفقار الناس وإذلالهم هو السبب الحقيقي في كثرة الثورات والتمردات بوجه العباسيين.

تجلّى الترف والبذخ في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور عندما أقدم على بناء مدينتي بغداد والرصافة، حيث أوردت المصادر أنه أنفق مبلغاً قيمته ( ٤،٠٠٠،٨٨٣) أربعة ملايين وثمانمئة وثلاثة وثمانين

---

[١٤١] ضيف، شوقي. (١٩٩٠). **العصر العباسي الأول**. القاهرة: مصر. د.ن. ص: ٤٦.

درهماً، على بناء مدينة بغداد، وقصر الذهب، سنة ( ١٤٥هـ / ٧٦٢م)[١٤٢]، والرصافة في الجانب الشرقي من بغداد، لابنه المهدي سنة ( ١٥١هـ / ٧٦٨م)[١٤٣].

كما اهتمّ المنصور بالحركة العلمية والترجمة فقد ترجم كتب أبي قراط[١٤٤] وجالينوس[١٤٥] الطبية إلى العربية[١٤٦]، ولا شكّ بأنّ ما قام به المنصور من بناء وترجمة قد كلّف خزينة الدولة الأموال الطائلة، والتي وبلا شكّ قد أثّرت في موارد الدولة وميزانيتها.

وتابع الخليفة المهدي نهج والده أبو جعفر المنصور في البذخ بإنفاقه الأموال الطائلة على الشعراء والعلماء والأدباء وزيادة العطاء لهم، فأدّى كل هذا إلى مبالغة في الصرف من بيت مال المسلمين، وظهر ذلك في بنائه لقصر السلام بكلفة ( ٥٠،٠٠٠،٠٠٠) خمسين مليون درهم في عيسى آباذ[١٤٧] سنة ( ١٦٤هـ / ٧٨٠م)،[١٤٨] إلى جانب النفقات الكبيرة على حفلة زواج ابنه هارون الرشيد من زبيدة[١٤٩] سنة ( ١٦٥هـ / ٧٨١م)، وعُدّت هذه الحفلة من الحفلات المتميزة لكثرة الإنفاق والإسراف فيها، والذي قُدّر بـ ( ٥٠،٠٠٠،٠٠٠) خمسين مليون درهم[١٥٠].

ويقال إنّ المهدي اشترى جارية حسناء بمائة ألف درهم، وخاتماً بثلاثمائة ألف دينار[١٥١]، وأهدى زوجته الخيزران[١٥٢] ألف وصيفة مع كل وصيفة جام ذهب في وسطه ألف درهم، وألف وصيف مع كل وصيف جام فضة في وسطه ألف دينار[١٥٣].

---

[١٤٢] البغدادي. ( د. ت). **تاريخ بغداد**. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج١. ص: ٦٩.

[١٤٣] الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٣٧.

[١٤٤] أبي قراط بن ايراقليس، رأس الأطباء، الطبيب الفيلسوف اليوناني، ولد سنة ٤٦٠ق.م، ووضع مبادئ للأخلاق الطبية، ومنها اليمين التي لا يزال الأطباء يُقسمونها حتى اليوم، وتوفي سنة ٣٧٧ق.م. النديم. ( د. ت). **الفهرست**. بيروت: لبنان. دار المعرفة. ص: ٤٠٠. البعلبكي، منير. (١٩٩٢). **معجم أعلام المورد**. ط: ١. بيروت: لبنان. دار العلم للملايين. ص: ١٥.

[١٤٥] جالينوس الطبيب اليوناني، من أعظم الأطباء في العصور القديمة، له مؤلفات في علم التشريح، ولد سنة ١٢٩م، وتوفي سنة ١٩٩م. النديم (د. ت)، ص: ٤٠٢. البعلبكي (١٩٩٢)، ص: ١٥٦.

[١٤٦] ابن أبي أصيبعة. ( د. ت). **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**. تح: نزار رضا. بيروت: لبنان. مكتبة الحياة. ص: ١٨٣. ضيف (١٩٩٠)، ص: ١١٢.

[١٤٧] عيسى آباذ: كلمة آباذ كلمة فارسية معناها العمارة، وعيسى آباذ نسبة إلى عيسى بن المهدي، وهي محلة تقع شرقي بغداد، وفيها توفي الخليفة العباسي الهادي سنة ( ١٧٠هـ/٧٨٦م). الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ١٧٢-١٧٣. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٤٢٣.

[١٤٨] البغدادي (د. ت)، ج١، ص: ٩٧. آشتور (١٩٨٥)، ص: ٦١.

[١٤٩] زبيدة بنت جعفر بن الخليفة المنصور، وزبيدة لقب لها، واسمها أمة العزيز، وتكنّى بأم الواحد، والخليفة الأمين ابنها، وتوفيت في بغداد سنة ( ٢١٦هـ / ٨٣١م). ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٧٣. ابن خلكان (د. ت)، ج٢، ص: ٣١٤-٣١٧. الذهبي (١٩٨٢)، ج١٠، ص: ٢٤١.

[١٥٠] الشابشتي. (١٩٦٦). **الديارات**. تح: كوركيس عواد. ط: ٢. بغداد: العراق. مطبعة المعارف. ص: ١٥٦-١٥٧.

[١٥١] الثعالبي. (د. ت). **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: مصر. دار المعارف. ص: ١٩٤-١٩٥. ضيف (١٩٩٠)، ص: ٥٧-٥٨.

واتّصف الخليفة الهادي ( ١٦٩-١٧٠هـ / ٧٨٥-٧٨٦م)[١٥٤] بالكرم والعطاء، فقد طُرب يوماً لمغني فأعطاه ستين ألف دينار، وطُرب لغناء إبراهيم الموصلي[١٥٥] فأعطاه (٥١) إحدى وخمسين بدرة[١٥٦] ذهباً، ومدحه أحد الشعراء بقوله إنّ خزينة الدولة خاوية من المال، وكان ذلك كناية عن كرم الهادي وعطاءاته الكثيرة، حيث فاق والده في إنفاق المال بغير حساب، كما أعطى أحد المادحين له خمسين ألف درهم[١٥٧].

وقد تميز الخليفة هارون الرشيد بأنه بحر من العطاء على العلماء والفقهاء والشّعراء والمغنين، أنشئ في عهده دار الحكمة أو خزانة الحكمة، وكُلّف طائفة من المترجمين لهذه الغاية، ووصلت إحدى عطاياه إلى أربعة ملايين من الدراهم[١٥٨]، وأنفق الرشيد مبلغاً كبيراً على المناظرة التي جرت بين الكسائي[١٥٩] وسيبويه[١٦٠] في مجلسه[١٦١]، ووهب علي بن المبارك الأحمر ( ت ١٩٤هـ / ٨١٩م) أحد مؤدبي الأمين عطاءً مقداره ثلاثمائة ألف درهم[١٦٢]، كما أعطى أحد الأطباء مبلغاً قدره خمسمائة ألف درهم لمعالجة جارية، وكان يتصدق يومياً بألف درهم[١٦٣].

ومنح هارون الرشيد، إبراهيم الموصلي مائة ألف درهم مقابل بيتين من الشعر مفادهما:

---

[١٥٢] الخيزران بنت عطاء، والدة الهادي وهارون الرشيد، توفيت سنة ( ١٧٣هـ / ٧٨٩م). الذهبي (١٩٩٠)، ج١١، ص: ١٠٩. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٣، ص: ٢٨٠. كحّالة، عمر رضا. (د. ت). **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. ج١، ص: ٣٩٥-٤٠١.

[١٥٣] الأزدي. (١٩٩٩). **أخبار الدول المنقطعة**. تح: عصام هزايمة، محمد محافظة، علي عبابنة. ط: ١. أربد: الأردن. دار الكندي. ج٢، ص: ٣١٠.

[١٥٤] ابن ماجة (د. ت)، ص: ٣٧. البلاذري (١٩٩٦)، ص: ٣٧٢. ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٧٢. ابن الكردبوس (٢٠٠٨)، ج٣، ص: ١٣٨٨-١٣٩٨. ابن الساعي (١٩٨٢)، ص: ٢٤-٢٦.

[١٥٥] إبراهيم بن ميمون بن بهمن، أبو إسحاق، وكان اسم ميمون ماهان فقلبوه إلى ميمون، فارسي الأصل، ولد في الكوفة سنة ( ١٢٥هـ / ٧٤٢م)، وتوفي في بغداد سنة ( ١٨٨هـ / ٨٠٣م). النديم (د. ت)، ص: ٢٠١. الذهبي. (١٩٨٢). **سير أعلام النبلاء**. تح: كامل الخرّاط. إشراف: شعيب الأرنؤوط. ط: ١. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. ج٩. ص: ٧٩. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٦، ص: ٦٥.

[١٥٦] بدرة: كيس فيه ألف أو سبعة آلاف أو عشرة آلاف درهم، وعلى رواية الجاحظ إنّ البدرة في زمن العباسيين كانت تساوي عشرة آلاف درهم، الخطيب، مصطفى عبد الكريم. (١٩٩٦). **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**. ط: ١. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. ص: ٧٠.

[١٥٧] الأزدي (١٩٩٩)، ج٢، ص: ٣١٥-٣١٧. آشتور (١٩٨٥)، ص: ٦١-٦٢.

[١٥٨] ابن أبي أصيبعة (د. ت)، ق١، ج٢، ص: ٥٨. ضيف (١٩٩٠)، ص: ٤٦- ١١٢.

[١٥٩] الكسائي: علي بن حمزة بن عبد الله بن فيروز الكسائي، إمام النحاة، ومؤدب الرشيد ثم أولاده، توفي سنة (١٨٩هـ/٨٠٤م). الذهبي (١٩٩٠)، ج١٢، ص: ٢٩٩.

[١٦٠] سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر البصري، أصله فارسي، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، توفي في شيراز سنة (١٨٠هـ/٧٩٦م). الذهبي (١٩٩٠)، ج١١، ص: ١٥٤.

[١٦١] القفطي. (١٩٨٦). **إنباه الرواة على أنباه النحاة**. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: ١. القاهرة: مصر. دار الفكر العربي. ج٢. ص: ٢٧١.

[١٦٢] الزبيدي. (د. ت). **طبقات النحويين واللغويين**. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: ٢. القاهرة: مصر. دار المعارف. ص: ١٣٤. ضيف (١٩٩٠)، ص: ١٠٠.

[١٦٣] الأزدي (١٩٩٩)، ج٢، ص: ٣٢٠. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١١٥-١١٦.

ألم تر أنّ الشمسَ كانت مريضةً  فلمّا أتى هارونُ أشرقَ نورُها
تلبّستْ الدنيا جمالاً بملكهِ  فهارونُ واليها ويَحيى[١٦٤] وزيرُها

ووقف الشاعر ابن قابوس أمام هارون الرشيد منشداً:

رأيتُ يحيى أتمَّ الله نعمتَهُ  عليه يأتي الذي لم يأتهِ أحدُ
ينسى الذي كان من معروفهِ أبداً  إلى الرجال ولا ينسى الذي يَعِدُ

فقال هارون الرشيد لوزيره يحيى أعطه ما وعدته، فقال يحيى طلب مني عشرة أحجار ياقوت، وليس باستطاعتي دفعها، فأعطاه الرشيد ما طلب من خزائنه[١٦٥].

وطُرب يوماً لغناء أحد المغنين في مجلسه فأعطاه ضيعة وداراً وثلاثة آلاف دينار، وأعطى المغني إبراهيم الموصلي في جلسة غناء في مجلسه أكثر من مئتي ألف دينار، كما أعطى إسحاق الموصلي[١٦٦] مائتي ألف دينار لغنائه في مجلسه، وخصّص الرشيد راتباً للمغنين مقلّداً بذلك أكاسرة الفرس، ولم يجتمع على باب خليفة من الخلفاء نُدماء ومُغنون مثلما اجتمع على باب الخليفة هارون الرشيد وكان يُجزل لهم العطاء ويرفعهم إلى مراتب عليا[١٦٧].

واستكثر الخليفة هارون الرشيد وزوجته زبيدة من الجواري والإماء حتى قيل إنه عند كل منهما ألفا جارية في أحسن زيّ من الثياب والجوهر، وقد أهدى الرشيد جارية عقداً من الجواهر بلغت قيمته ثلاثين ألف دينار، وقيل إن الرشيد سار يوماً وبين يديه أربعمئة من الجواري.

ولعلّ امرأة لم تبلغ من التأنق ما بلغته زبيدة زوجة الرشيد، حيث أنفقت الأموال الطائلة على لباسها، فذُكر أنّ نفقة الثوب المصنّع لـ زبيدة، من رفيع الوشي، قد كلّف خمسين ألف دينار، وكانت أحذيتها من الفضة والذهب، والخفاف مرصعة بالجوهر وشماع العنبر.

---

[١٦٤] يحيى أبو الفضل بن خالد بن برمك، وزير هارون الرشيد، وكان والده خالد قد ولّي الوزارة في عهد الخليفة السفاح، توفي مسجوناً سنة ( ١٩٠هـ / ٨٠٥م). ابن خلكان (د. ت)، ج٦، ص: ٢١٩-٢٢٩. الذهبي (١٩٨٢)، ج٩، ص: ٨٩. العامري. (١٩٨٥). **غربال الزمان في وفيات الأعيان**. صحّحه: محمد ناجي زعبي العمر، إشارف: عبد الرحمن بن يحيى الإرياني. دمشق: سوريا. مطبعة زيد بن ثابت. ص: ١٧٦.

[١٦٥] الأزدي (١٩٩٩)، ج٢، ص: ٣٢٧- ٣٣٠.

[١٦٦] إسحاق بن إبراهيم بن ميمون، الموصلي نسبة إلى الموصل، ولد سنة ( ١٥٠هـ / ٧٦٧م)، وتوفي سنة ( ٢٣٥هـ / ٨٤٩م). النديم (د. ت)، ص: ٢٠١. الذهبي. (١٩٨٢). **سير أعلام النبلاء**. تح: صالح السمر، إشراف: شعيب الأرنؤوط. ط: ١. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. ج١١. ص: ١١٨. السلوي. ( ٢٠٠٦). **الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء وغيرهم من ذوي المناقب**. تح: عبد الله الياسمي. ط: ١. المملكة المغربية. دار أبي رقراق. ج١، ص: ٢٣٧-٢٥٠.

[١٦٧] التنوخي. (١٩٧١). **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**. تح: عبود الشامي. ط: ١. بيروت: لبنان. دار صادر. ج٦. ص: ١٩١-١٩٢. الأزدي (١٩٩٩)، ج٢، ص: ٣٢٣. ابن طباطبا ( د. ت)، ص: ١٩٦. ضيف (١٩٩٠)، ص: ٤٦.

ولم يقتصر الإنفاق على المطالب الشخصية بل تعدّى ذلك إلى مصالح العامة من الناس ولأغراض دينية أو خدمية أو غيرها فيقال إنها أنفقت في سبيل الله وفي الحج وفي بناء المساجد ما لم ينفقه أحد، كما أنفقت لحفر عين ماء في الحجاز، تسمى بعين زبيدة، مبلغاً قيمته مليون وسبعمائة ألف دينار[١٦٨].

ولم يكن الابن أقل من أبيه في البذخ والإسراف فقد تابع الخليفة الأمين مسيرة الخلفاء العباسيين في كثرة المصروفات والنفقات، فيقال إنّه أنفق مبلغ ( ٣،٠٠٠،٠٠٠) ثلاثة ملايين درهم على بناء سفينة، كما أمر بصناعة خمس حراقات[١٦٩] في نهر دجلة على أشكال الحيوانات والطيور، منفقاً على بنائها الأموال الكثيرة، ووزع الأموال والجواهر على جلسائه ومحدّثيه، وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته وأماكن لهوه بقصر الخلد[١٧٠] والخيزرانية وغيرها من القصور، وأعطى الأمين أحد الشعراء المادحين مائتي ألف درهم، ومال إلى اللهو والملذات، وجمع المغاني والمغنيات وأنفق عليهم الأموال والجواهر، وكان يدفع لهم الرواتب، وقيل اشترى مغنية بمائة ألف دينار، وطُرب يوماً لغناء إسحاق الموصلي فأعطاه مليون درهم، وكان الأمين معجباً بمغنية يقال إنه أهداها من الجواهر ما لم تملكه واحدة، وروي أنه لما تولّى الخلافة وجّه إلى جميع البلدان في طلب المغنين وأجرى لهم الأرزاق وبنى لهم أماكن الإقامة والمنتزهات. وغصّ قصر الأمين بالجواري اللاتي يلبسن لبس الغلمان، وقيل اشترى جارية بعشرين ألف دينار[١٧١].

ووُصف الخليفة المأمون بأنه سحابة عطاء على العلماء والمتكلمين والشعراء والمغنين وكان مجلسه ساحة للجدال والمناظرة، وكان واسع الثقافة مهتماً بجمع الكتب اليونانية وغيرها والقيام بترجمتها التي بلغت ذروتها في عهده، وحوّل دار الحكمة إلى ما يُشبه المعهد العلمي الكبير، وأنفق في سبيل ذلك المزيد من الأموال، وتميّز بعطائه على حاشيته حتى قالوا إنّه وزّع في ساعة واحدة أربعة وعشرين مليون

---

[١٦٨] المسعودي. ( ٢٠٠٥). **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. مر: كمال حسن مرعي. ط: ١. بيروت: لبنان. المكتبة العصرية. ج٤. ص: ٢٥٢-٢٥٣. الشريشي. (١٩٩٢). **شرح مقامات الحريري**. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: لبنان. المكتبة العصرية. ج٤. ص: ٣٣٤. ضيف (١٩٩٠)، ص: ٥٠-٥١-٥٦-٥٨.

Tayeb Elhibri: The Abbasid Caliphate. University Of Massabustts, Amberst. Campridge University Press. ٢٠٢١.Pp. ٨٣. Tom Verde art Leonor Solars: Malika: Khayzuran & Zubayda. Aramco World. Vol. ٦٧, No. ١. ٢٠١٦. Pp: ٤٥.

[١٦٩] حراقات سفن فيها مرامي نيران يُرمى بها العدو في البحر. الفراهيدي. ( د. ت). **كتاب العين**. تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي. د.ن. ج٣. ص: ٤٤.

[١٧٠] قصر الخُلد بضم الخاء وتسكين اللام، وأصله من الخلود البقاء، بُني في بغداد على شاطئ نهر دجلة سنة ( ١٥٩هـ/٧٧٥م)، من قبل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، وسماه الخليفة بهذا الاسم تشبيهاً باسم الخلد من أسماء الجنة. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ٣٨٢.

[١٧١] الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٥٠٩. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١١٨. القرماني. ( ١٩٩٢). **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**. تح: أحمد حطيط، فهمي سعد. ط: ١. بيروت: لبنان. عالم الكتب. ج٢. ص: ٩١. ضيف (١٩٩٠)، ص: ٤٦- ٥٨.

درهم، وقيل بأنه قد أنفق مبلغاً قدره مئة ألف وأحياناً مائتي ألف درهم في شراء الواحد من الأتراك[١٧٢]، وقد تكون هذه الأرقام مبالغ فيها لكنها تشير إلى الإسراف في الإنفاق والعطاء.

ولا تصح المقارنة بأي شكل من الأشكال بين ما أنفقه الأمين بما أنفقه الخليفة المأمون على حفلة زفافه من بوران[١٧٣] سنة ( ٢١٠هـ / ٨٢٥م)، حيث قُدّرت المبالغ ما بين ( ٣٥،٠٠٠،٠٠٠) خمسة وثلاثين مليون و ( ٣٧،٠٠٠،٠٠٠) سبعة وثلاثين مليون درهم، وأكدت المصادر أنّ الخليفة المأمون دفع مهراً لزوجته بوران ( ١٠٠،٠٠٠) مائة ألف دينار، و ( ٥،٠٠٠،٠٠٠) خمسة ملايين درهم، وفي النتيجة قُدّر المبلغ الإجمالي لهذه النفقات بخمسين مليون درهم[١٧٤]، وقد وصف ابن أعثم[١٧٥] مشهد العروس بوران وهي جالسة على حصير من ذهب، وقد نثرت الدرر عليها، وأمامها صينية من ذهب عليها ألف درة، وأُوقد لها شمعة من عنبر وزنها أربعون منّاً[١٧٦][١٧٧].

ويقال إنّ المأمون اشترى إحدى المغنيات الجميلات بمائة ألف درهم، وقد غصّ قصره بالجواري المسيحيات[١٧٨].

كما أُنفقت الأموال على طعام الخلفاء وشرابهم، وكانت الأواني المستخدمة في ذلك مصنوعة في معظمها من الذهب والفضة، ما يدل على كثرة أفانين الطعام، وقد روي أن مائدة المأمون ضمّت ذات يوم ثلاثمائة لون من الطعام، ويمكن أن تتضمّن الرواية كثيراً من المبالغة لكنها تشير إلى الترف والإنفاق الذي اتبعه الخلفاء، ويقال أيضاً إن المأمون كان يُنفق على طعامه يومياً ستة آلاف دينار، بينما يُنفق وزيره على الطعام يومياً ألف درهم[١٧٩].

---

[١٧٢] ابن بكّار. ( ١٩٩٦). **الأخبار الموفّقيّات**. تح: سامي مكي العاني. ط: ٢. بيروت: لبنان. عالم الكتب. ص: ٤٣. المقدسي (د. ت)، ج١، ص: ١١٢. الأزدي (١٩٩٩)، ج٢، ص: ٣٣٩. ضيف (١٩٩٠)، ص٤٧-١٠٢-١١٣.

[١٧٣] بوران بنت الحسن بن سهل، وقيل اسمها خديجة، وبوران لقب، ولدت سنة ( ١٩٢هـ / ٨٠٧م)، وتوفيت في بغداد سنة ( ٢٧١هـ / ٨٨٤م). ابن خلكان (د. ت)، ج١، ص: ٢٨٧. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٠، ص: ١٩٩. كحّالة (د. ت)، ج١، ص: ١٥٩.

[١٧٤] ابن طيفور. ( ١٩٤٩). **تاريخ بغداد**. تح: محمد زاهد بن الحسن الكوثري. مصر. الناشر: عزت العطار الحسيني. ص: ١١٥. الشابشتي (١٩٦٦)، ص: ١٥٨.

[١٧٥] أحمد بن أعثم الكوفي أبو محمد، المؤرخ له كتاب المألوف، وكتاب الفتوح ذكر فيه إلى عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، وله كتاب التاريخ ابتدأه من عهد الخليفة المأمون إلى عهد الخليفة المقتدر. الحموي. (١٩٩٣). **معجم الأدباء**. تح: إحسان عباس. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي. ج١. ص: ٢٠٢. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٦، ص: ١٦٠.

[١٧٦] منّاً: المن وزن توزن بها الأمتعة، و المن في بغداد مائتي وستين درهم. الاصطخري (١٩٧٦)، ص: ١٠٦. جمعة محمد، علي. (٢٠٠١). **المكاييل والموازين الشرعية**. ط: ٢. القاهرة: مصر. دار القدس. ص: ٢٨.

[١٧٧] ابن أعثم. ( ١٩٩١). **الفتوح**. تح: علي شيري. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الأضواء. ج٨، ص: ٤٢٣. ابن العمراني (١٩٩٩)، ص: ١٠١-١٠٢.

[١٧٨] ضيف (١٩٩٠)، ص: ٥٨-٦٠.

[١٧٩] ابن بكّار (١٩٩٦)، ص: ٤٤-٤٥. ضيف (١٩٩٠)، ص: ٥٢-٥٣.

Muhammad Manazir Ahsan: SOCIAL LIFE UNDER THE ABBASTOS (١٧٠-٢٨٩/٧٨٦-٩٠٢). Thesis submitted for the degree of Doctor of Philosophy. University of London.١٩٧٣.pp:١١٧-١١٩.

والسؤال المطروح هنا، من أين أتى الخلفاء العباسيون بكل هذه الأموال، وهل كانت لهم رواتب مخصصة أم ميزانية مفتوحة ومن أين مصدرها، هل هي من الخراج، أو من الضرائب أو المصادرات وغيرها؟

لا بدّ من ذكر ما كان مخصصاً للخلفاء من الأموال والميزانية، وربما أسهمت جميع هذه الوسائل في حفلات بذخ هؤلاء الخلفاء، ومن المرجح أن ما ورد من روايات حول حفلات البذخ أو الإنفاق في عهدي الأمين والمأمون فيها كثير من المبالغة والخيال.

وإذا أطنبت المصادر التاريخية في إيراد المعلومات في عهدي الأمين والمأمون، لكنّها كانت شحيحة بما نقلته عن الخليفة المعتصم بالله فقد أوردت الروايات، بأنه اشترى ديراً من النصارى بـ ( ٥٠٠٠) خمسة آلاف درهم، ليبني مدينة سامراء، إذ أُنفق على بنائها ( ٥٠٠٠٠٠) خمسمائة ألف دينار[١٨٠].

وقد مدحه الشاعر أبو تمام الطائي[١٨١]، عندما انتصر على البيزنطيين في عمورية، بقصيدة مطلعها:

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتب  في حدّه الحدُّ بين الجدّ واللعبِ

فأعطاه المعتصم ( ٧٢٠٠٠) اثنين وسبعين ألف درهم، عن كل بيت منها ألف درهم[١٨٢].

غير أنّ المؤكد أنّه مثل سابقيه سارع إلى شراء الجواري واقتنائهم، فقيل إنّ قصوره امتلأت بالجواري، وقيل إنه اشترى مغنية بمائة ألف درهم[١٨٣].

ولكن هل يُعقل أنّ الخليفة المعتصم بالله لم يُنفق إلّا هذه الأموال فقط، ألم تكن خزينة الدولة مليئة بالأموال، كما في عهود سالفيه، أو من سبقوه، وإذا كان نفياً فأين ذهبت تلك الأموال؟ وإذا كان إيجاباً فلماذا تمّ تجاهل ذكرها؟ لكن من المرجّح أنّه سار على سياسة أسلافه في البذخ والإنفاق، غير أنّ المصادر لم تذكر تلك المصروفات لأسباب مجهولة وغير معروفة.

وكما كانت معلومات المصادر التاريخية وغيرها شحيحة عن الخليفة المعتصم بالله، فقد كانت شحيحة عن الخليفة الواثق بالله فقيل إنه أسرف في الإنفاق على بناء قصر الهاروني[١٨٤]، حتى أنّ المؤرخين

---

[١٨٠] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ١٧. الأزدي (١٩٩٩)، ج٢، ص: ٣٥١.

[١٨١] أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي، ينتهي بنسبه إلى قبيلة طيء، ولد في قرية جاسم من أعمال حوران في سوريا سنة ( ١٧٢هـ / ٧٨٨م)، وقيل سنة ( ١٨٨هـ / ٨٠٣م)، وقيل سنة ( ١٩٠هـ / ٨٠٥م)، وتوفي في الموصل سنة ( ٢٢٨هـ/٨٤٢م)، وقيل ( ٢٢٩هـ / ٨٤٣م)، وقيل ( ٢٣١هـ/٨٤٥م)، وقيل ( ٢٣٢هـ / ٨٤٦م). ابن خلكان (د. ت)، ج٢، ص: ١١-٢٦. الذهبي (١٩٨٢)، ج١١، ص: ٦٣. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١١، ص: ٢٢٥-٢٣٠.

[١٨٢] المقدسي (د. ت)، ج٦، ص: ١١٩. الأزدي (١٩٩٩)، ج٢، ص: ٣٥٠. سنبط. (١٩٦٤). **خلاصة الذهب المسبوك**. تصحيح: مكي السيد جاسم. بغداد: العراق. مكتبة المثنى. ص: ٢٢١.

[١٨٣] ضيف (١٩٩٠)، ص: ٥٨.

[١٨٤] قصر الهاروني بُني على شاطئ نهر دجلة بالقرب من سامراء، ونُسب إلى الخليفة العباسي الواثق بالله هارون. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ٣٨٨.

أشاروا إلى أنّه امتلك خوان[١٨٥] من ذهب مؤلف من أربع قطع لكل قطعة عشرين رجلاً وكل ما على الخوان من صحن وصحفة كان من ذهب[١٨٦] .

وتابع سياسة أسلافه في اقتناء الجواري فقيل إنّ قصره امتلأ بالجواري[١٨٧].

وهذا يؤكد أن هؤلاء الخلفاء قد عاشوا عيشة الرغد والرفاهية وتمتعوا بملذات الحياة، ولم يستشعروا إلى حدّ بعيد معاناة الناس الاقتصادية فهمّهم الغالب والأكبر هو جمع الأموال والتمتع بها بمشارب الحياة المختلفة.

وفاق الخليفة المتوكل على الله الجميع في الإنفاق والعمران، ففي أيامه ازدهرت حركة الترجمة حيث أغدق كثيراً من الأموال على المترجمين، فقد أهدى أحدهم ثلاثة دور بما فيها من أثاث ومفروشات وجعل له راتباً شهرياً مقداره خمسة عشر ألف درهم بالإضافة إلى ثلاثة خدم من الروم، وأعطى أهله الأموال والإقطاعات، وأجزل الخليفة المتوكل على الله في العطاء لمعلم ولده[١٨٨].

وبالغ في بنائه للقصور، والبالغ عددها تسعة عشر قصراً، وقد قُدّر المبلغ الذي أُنفق على بنائها (٢٧٤٠٠٠٠٠٠) مائتي وأربعة وسبعين مليون درهم، ومن العين[١٨٩] ( ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠) مئة مليون دينار، ومن هذه القصور بركوارا، والشاه، والعروس، والبركة، والجوسق، والمختار، والجعفري، والغريب، والبديع، والصبيح، والمليح، والشيدان، وقصر المتوكلية، والبهو، واللؤلؤة، وغيرها من الأبنية والقصور، وبإمكان المرء هنا أن يتساءل: لو أنّ كمية هذه الأموال استثمرت للنهوض بالمرافق الخدمية للمجتمع أو بإنفاقها على النواحي العسكرية أو إنفاقها على الناس للارتقاء بمعيشتهم فماذا ستكون النتيجة؟ كان الجواب حتماً أنّ العدالة في توزيع الثروات ستؤدي إلى اختفاء مظاهر الفقر والعوز وغيرها، وإلى الانتعاش الاقتصادي والاجتماعي، وعودة مظاهر القوة العسكرية إلى الواجهة كما كانت في العصر الأموي والعصر العباسي الأول عصر القوة.

ولم يقتصر إنفاق الخليفة المتوكل على الله على القصور فقط، بل ظهر لديه جانب البذخ عندما بالغ في الإنفاق على حفلة زواج ابنه المعتز، حتى نسيت الناس حفلة الخليفة المأمون[١٩٠]، كما أنفق على بناء

---

[١٨٥] الخُوانُ والخِوَانُ: الذي يؤكل عليه، وهو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. ابن منظور. ( د. ت). **لسان العرب**. بيروت: لبنان. دار صادر. ج١٣. ص: ١٤٦.

[١٨٦] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ١٢٥. القرماني (١٩٩٢)، ج٢، ص: ١٠٧.

[١٨٧] ضيف (١٩٩٠)، ص: ٥٨.

[١٨٨] ضيف، شوقي. (١٩٧٣). **العصر العباسي الثاني**. القاهرة. مصر. د.ن. ص: ١١٧-١٣١.

[١٨٩] العين: الذهب عامة، والعين الدينار. ابن منظور (د. ت)، ج١٣، ص: ٣٠٥.

[١٩٠] الشابشتي (١٩٦٦)، ص: ١٥٦- ١٥٩.

الماخورة سنة ( ٢٤٥هـ / ٨٥٩م)، التي سمّاها الجعفرية[١٩١] وسمّاها المتوكلية، مبلغاً وصل حوالي ألفي ألف دينار، وأنفق أكثر من ألفي ألف درهم لبناء قصر سمّاه لؤلؤة لم يُر مثله في علوه[١٩٢].

والواضح أن طموح الخلفاء العباسيين هو شراء أو اقتناء عدد كبير من الجواري، فهل كان هذا لتحقيق إنجازات تطمس إنجازات من سبقهم أم ماذا؟ يروى أنه كان للخليفة المتوكل على الله أربعة آلاف جارية، وقد يكون هذا الرقم مبالغ فيه، ويروى أيضاً بأنه أنفق المبالغ الكبيرة في حفل ختان ابنه المعتز، إذ نثر على الجواري مبلغاً وقدره عشرين مليون درهم وأعطت زوجته أم المعتز[١٩٣] مليون درهم للمزيّن، ووزّع على الجنود، والندماء، ومن حضر الحفل من المغنين والمغنيات والجواري المبالغ الكبيرة والتي تفوق التصور، إذ بلغ مجموع ما أُنفق بهذه المناسبة ستة وثمانون مليوناً من الدراهم[١٩٤]، وقد تكون هذه الأرقام مبالغ فيها لكنها مذهلة وتشير إلى منافسة الخلفاء ومفاخرتهم بالإسراف الزائد والمبالغة في الإنفاق وهدر الأموال على حفلاتهم ومجالسهم.

وهنا لا بدّ من التساؤل هل كان الخلفاء أصحاب الرأي الأول والأخير في الإنفاق؟ وأين موقف عامة الناس من هذا الإسراف ألم يكن لهم رأي، هل كانوا مغيّبين، أم مضطهدين لا يستطيعون التحرك، أم ماذا؟ أم كل ما ورد فيه مبالغة وأرقام وحوادث غير دقيقة؟ كان المقصود من خلالها إظهار مقدار ثراء الدولة وغناها والمبالغة في مدح الخليفة كما حدث مع الخليفة هارون الرشيد الذي تقاربت الروايات التاريخية في إبراز مظاهر حياته ما بين ملتزم مجاهد وما بين خليفة مستهتر مقبل على الحياة.

تابع الخليفة المستعين بالله سياسة التبذير، فقد ذُكر بأنه وزع ما في خزائن الدولة من أموال وجواهر، ووُصف بأنه الأكرم من بين الخلفاء[١٩٥].

وقامت أم الخليفة المستعين بالله، بصنع بساط على صورة كل حيوان من جميع الأجناس، وصورة كل طائر من ذهب، وأعينهم يواقيت وجواهر، وقد كلّفها ذلك مئة مليون دينار، وثلاثين ألف دينار[١٩٦] .

وفي أيام الخليفة المعتز أغدق الأموال على الأدباء والشعراء، فقد أعطى الشاعر البحتري[١٩٧] مئة ألف درهم لمديحه الخليفة، وطلب منه ألّا يخبر بقية الشعراء، إذ أعطى كل واحد منهم خمسمائة ألف درهم، أمّا البحتري فنال ما ناله الشعراء بالإضافة إلى مئة ألف درهم وهي علاوة خاصة به.

---

[١٩١] الجعفرية تقع في الجانب الشرقي من بغداد. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ١٤٤. الحميري (١٩٧٥)، ص: ١٧٧.

[١٩٢] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٣٠.

[١٩٣] قبيحة أم الخليفة المعتز بالله بن المتوكل على الله، توفيت في سامراء سنة ( ٢٦٤هـ / ٨٧٧م). الذهبي (٢٠٠٣)، ج٦، ص: ٢٤٤. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٢٤، ص: ١٣٩. كحّالة (د. ت)، ج٤، ص: ١٨٤-١٨٧.

[١٩٤] ضيف (١٩٧٣)، ص: ٦٨-٨٣.

[١٩٥] ابن العمراني (١٩٩٩)، ص: ١٢٤. الذهبي. (١٩٨٣). **سير أعلام النبلاء**. تح: صالح السمر، إشراف: شعيب الأرنؤوط. ط: ١. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. ج١٢. ص: ٤٦.

[١٩٦] الأبشيهي. ( ١٩٩٩). **المستطرف في كل فن مستظرف**. تح: إبراهيم صالح. ط: ١.بيروت: لبنان. دار صادر. ج١. ص: ٥٠٢.

ويروى بأن الخليفة المعتز كان في رحلة صيد، وقصد راهباً في كنيسة من أجل الماء، والراهب لا يعرفه لكنه أكرمه وقدّم له الطعام، فأمر الخليفة بإعطائه خمسمائة ألف درهم مكافأةً له على كرمه[١٩٨]، ما يدل على مقدار الإنفاق والهدر في العطاء، الأمر الذي كان له نتائجه السلبية التي أدّت إلى إضعاف خزينة الدولة.

وبالبحث والتدقيق في المصادر تبيّن أن الخلفاء العباسيين كانوا كأنهم في سباق لتخليد ذكراهم من خلال بناء القصور، فكما عمد الخليفة المتوكل على الله إلى بناء العشرات منها، فقد قلّده الخليفة المعتضد ( ٢٧٩-٢٨٩هـ / ٨٩٢-٩٠١م)[١٩٩] إذ بنى قصر الحسني، وقصر الثريا في بغداد وبكلفة ( ٤٠٠،٠٠٠) أربعمائة ألف دينار، وقصر البحيرة بكلفة ( ٦٠،٠٠٠) ستين ألف دينار، فظهر بذخه واضحاً على البناء كما ظهر جليّاً في حياته العامة، فقد بالغ في إنفاقه على حفلة زواجه من قطر الندى[٢٠٠] ابنة خمارويه[٢٠١] سنة ( ٢٨٢هـ / ٨٩٥م)، فقد ذُكر بأنه دفع صداقها ( ١٠٠٠،٠٠٠) مليون درهم[٢٠٢]. واهتم الخليفة المعتضد بالعلماء والفقهاء وخصص لأحدهم راتباً مقداره ثلاثمائة دينار شهرياً[٢٠٣].

بينما اهتم الخليفة المكتفي ( ٢٨٩-٢٩٥هـ / ٩٠١-٩٠٧م)[٢٠٤] بالبناء في بغداد، وذُكر بأنه أعطى أحد المنجمين خمسين ألف درهماً، وكان إجمالي نفقاته ( ٧٠٠،٠٠٠) سبعمائة ألف دينار[٢٠٥] .

---

[١٩٧] البحتري أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى، الطائي، ولد في المنبج بريف حلب الشرقي سنة ( ٢٠٥هـ / ٨٢٠م)، وقيل سنة ( ٢٠٦هـ / ٨٢١م)، وتوفي سنة ( ٢٨٣هـ / ٨٩٦م)، وقيل سنة ( ٢٨٤هـ / ٨٩٧م)، وقيل سنة ( ٢٨٥هـ / ٨٩٨م). ابن خلكان (د. ت)، ج٦، ص: ٢١-٣٠. الذهبي. (١٩٨٣). **سير أعلام النبلاء**. تح: علي أبو زيد، إشراف: شعيب الأرنؤوط. ط: ١. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. ج١٣، ص: ٤٨٦. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٢٧، ص: ٢٧١.

[١٩٨] ابن العمراني (١٩٩٩)، ص: ١٢٩-١٣٠.

[١٩٩] ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٨٢. ابن الساعي (١٩٨٢)، ص: ٧٣. ابن الكازروني (١٩٧٠)، ص: ١٦٤-١٦٦. ابن الطولوني (١٩٨٨)، ص: ٩٥.

[٢٠٠] قطر الندى واسمها أسماء بنت خمارويه بن أحمد بن طولون، توفيت في بغداد سنة ( ٢٨٧هـ / ٩٠٠م) وقيل في حدود سنة (٢٩٠هـ/٩٠٢م). ابن خلكان (د. ت)، ج٢، ص: ٢٥٠. الذهبي (٢٠٠٣)، ج٦، ص: ٧٩٤. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٢٤، ص: ١٨٧. كحّالة (د. ت)، ج٤، ص: ٢١٢-٢١٥.

[٢٠١] خمارويه بن أحمد بن طولون أبو الجيش، تولى مصر بعد وفاة والده سنة ( ٢٧٠هـ / ٨٨٣م)، وقُتل سنة ( ٢٨٢هـ / ٨٩٥م). ابن خلكان (د. ت)، ج٢، ص: ٢٤٩.

[٢٠٢] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ٤٠. المسعودي (٢٠٠٥)، ج٤، ص: ١٨٧. الزهراني، ضيف الله يحيى. (١٩٨٦). **النفقات وإدارتها في الدولة العباسية**. ط: ١. مكة المكرمة: السعودية. مكتبة الطالب الجامعي. ص: ٤٠٨-٤٠٩.

[٢٠٣] ضيف (١٩٧٣)، ص: ١١٩.

[٢٠٤] ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٨٣. ابن أبي السرور (د. ت)، ص: ١٢٩. ابن الساعي (١٩٨٢)، ص: ٧٤. ابن الكازروني (١٩٧٠)، ص: ١٧٠-١٨٦.

[٢٠٥] ابن العمراني (١٩٩٩)، ص: ١٥٢. القرماني (١٩٩٢)، ج٢، ص: ١٣٥. الزهراني (١٩٨٦)، ص: ٤٠٩.

وقد بالغ الخليفة المقتدر ( ٢٩٥-٣٢٠هـ / ٩٠٧-٩٣٢م)[٢٠٦] في الترف والبذخ في إسراف الأموال على بناء دار الشجرة وهي إحدى قصوره، وهي بكلفة ( ٥٠٠،٠٠٠) خمسمائة ألف درهم، عليها أطيار مصنوعة من الفضة، كما أنّه أكثر من الخدم والغلمان[٢٠٧]، ووزّع الجواهر النفيسة الموجودة في الخزينة لنسائه، وأهدى مسبحة من جواهر لم يُر مثلها، وأسرف وبذّر أموالاً كثيرة، على جلسائه وأهوائه[٢٠٨]، وقيل إنّه جبى من الأموال في أيام خلافته سبعمائة مليون وخمسين مليون دينار فأنفق ذلك كله، وأنفق ما كان في بيوت الأموال[٢٠٩].

وكان الخليفة المطيع لله معروفاً بكرمه وحلمه، وبالرغم من خلو خزائنه من المال فقد أنفق في يوم واحد على المقرّبين منه ما يزيد عن ثلاثين ألف دينار[٢١٠].

يمكن القول إنّ هذا البذخ والترف الذي مارسه خلفاء بني العباس أرهق خزينة الدولة، وكان عاملاً من العوامل التي زادت في حدّة الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي عانى منها الناس في تلك الحقبة، ما يعني أنّ معاناة الناس في تلك المدّة لم تكن فقط من ويلات الحروب والصراعات والعوامل الطبيعية، وإنما أيضاً من حرمان الناس من حقهم في الأموال التي كانت تُنفق هنا وهناك على مظاهر الحياة المختلفة وملذات الخلفاء والأمراء ولهوهم، بينما عاشت الفئة العامة من الناس فقراً وجوعاً ومرضاً وحرماناً.

ومن رحم هذا الإنفاق وهذا الهدر الكبير للأموال ولدت الأزمات الاقتصادية والاجتماعية وإفرازاتها السياسية ومعاناة السكان وشقائهم.

**٢-الترف والبذخ عند أمراء بني بويه:**

بعد دخول البويهيين إلى بغداد وسيطرتهم على مقاليد الأمور فيها سنة ( ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)، جرّدوا الخلفاء من صلاحياتهم إلاّ من الألقاب وجرى ذلك على خمس خلفاء منهم خلال الحكم البويهي، أولهم المستكفي بالله وآخرهم القائم بأمر الله، إذ تحددت لهم الرواتب الشهرية، فخُصص راتب للخليفة المستكفي وقدره ( ٥،٠٠٠) خمسة آلاف دينار شهرياً[٢١١]، ولم تعد خزينة الدولة تحت تصرف الخليفة كما كانت

---

[٢٠٦] ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٨٤. ابن الكردبوس (٢٠٠٨)، ج٣، ص: ١٥٩٩-١٦١٦. ابن الساعي (١٩٨٢)، ص: ٧٤-٧٩. ابن الكازروني (١٩٧٠)، ص: ١٧٢-١٧٣.

[٢٠٧] البغدادي (د. ت)، ج١، ص: ١٠١-١٠٢.

[٢٠٨] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٧٤-٧٥. القرماني (١٩٩٢)، ج٢، ص: ١٣٦-١٣٧.

[٢٠٩] ابن دحية الكلبي. (١٩٤٦). **النبراس في تأريخ خلفاء بني العباس**. علّق عليه: عباس العزاوي. بغداد: العراق. مطبعة المعارف. ص: ١١٢.

[٢١٠] الأزدي (١٩٩٩)، ج٢، ص: ٤١٢. ابن دحية الكلبي (١٩٤٦)، ص: ١٢٢.

[٢١١] رحمة الله، مليحة. (١٩٧٠). **الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة**. بغداد: العراق. مطبعة الزهراء. ص: ٦٥.

قبل مجيء البويهيين، بل أصبحت الخزينة تحت تصرف أمراء بني بويه، فكانت الأموال تُنفق وتُهدر على اللهو والبذخ وعلى الحروب فيما بينهم ما زاد في إفقار السكان ومعاناتهم، وحتى يحصل الأمراء على المزيد من الأموال استغلّوا موارد الأراضي الزراعية، وفرضوا المزيد من الضرائب على التجار والناس، وصادروا الأموال والأرزاق، ما عمّق العجز المالي للدولة في عصر بني بويه، وزاد في بؤس الناس وبلائهم.

وبالعودة إلى مصروفات ونفقات الأمراء البويهيين فقد وُزّعت ما بين بناء دار أو شراء بستان أو زواج أو نفقات حروب أو غير ذلك، فقد قيل إنّ الأمير معز الدولة البويهي أنفق على داره التي بناها في بغداد سنة ( ٣٥٠هـ / ٩٦١م)، ( ١٣،٠٠٠،٠٠٠) ثلاثة عشر مليون درهم، وبلغ مجموع نفقاته على البناء ( ١٠٠٠٠٠٠٠٠) مائة مليون دينار، ونتيجة للأموال الضخمة التي أُنفقت على البناء، فقد خلت خزينة الدولة من الأموال، ما دفع الأمير معز الدولة إلى مصادرة أموال مجموعة من أصحابه[٢١٢]. ومن المرجّح أنّ المصادر بالغت في ذلك عندما أكّدت خلو خزينة الدولة من الأموال، نتيجة لإنفاقه الكبير، ولو كان ذلك صحيحاً لما استطاع هو ومن جاء من بعده من تسليح الجند أو البناء أو غيرهما.

وقد أسهبت المصادر في الحديث عن حفلة تسلّم السلطان عضد الدولة الحكم، وتلقّبه بلقب تاج الملة من الخليفة الطائع، إذ قيل بأنّ عضد الدولة وزّع عشرين ألف درهم صدقات، كما أرسل إلى الخليفة الطائع لله خمسمائة جمل، وخمسين مليون دينار، ومليون درهم، وخمسمائة ثوب، وثلاثين صينية من فضة وقيل من ذهب فيها العنبر والمسك، وذُكر بأنه أرسل للخليفة خمسين ألف دينار في عشرة أكياس ديباج أسود، ومليون درهم في مائتي كيس، وبالنتيجة فإنه أرسل للخليفة الطائع لله أموالاً كثيرة[٢١٣].

ربما تكون هذه الأرقام مبالغاً فيها وغير دقيقة، لكنها في النتيجة كانت أموالاً طائلة ومردّ ذلك ربما يعود إلى محدودية دور وصلاحية الخلفاء العباسيين في العصر البويهي ومحاصرتهم من قبل الأمراء البويهيين.

ويقال إنّ الأمير عضد الدولة البويهي أنفق على إنشاء بستانٍ مبلغاً قدره (٥٠٠٠٠٠٠) خمسة آلاف ألف درهم، وبنى داراً له بالمبلغ المذكور نفسه، فيكون بذلك قد أنفق ( ١٠٠٠٠٠٠٠) عشرة ملايين درهم[٢١٤]، لكنّ الإنفاق الأكبر كان على زواج ابنته من الخليفة العباسي الطائع لله على صداق مقداره

---

[٢١٢] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٣٢٩. الهمذاني (١٩٥٨)، ص: ١٧٨. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ١٣٢. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٦٩.

[٢١٣] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٢٥٣. الأزدي (١٩٩٩)، ج٢، ص: ٤١٦. ابن الكازروني (١٩٧٠)، ص: ١٩٣. سنبط (١٩٦٤)، ص: ٢٥٩.

[٢١٤] التنوخي (١٩٧١)، ج٤، ص: ٢٥٩-٢٦١. البغدادي (د. ت)، ج١، ص: ١٠٧.

تراوح ما بين مائة ومائتي ألف دينار سنة ( ٣٦٩هـ / ٩٧٩م)، حيث زُفّت ومعها جواهر لا تحصى[٢١٥].

وبمقدار الصداق نفسه تزوّج كل من الخليفة القادر بالله من ابنة الأمير بهاء الدولة البويهي سنة ( ٣٨٣هـ / ٩٩٣م)، وابن بهاء الدولة من ابنة مهذب الدولة سنة ( ٣٨٤هـ / ٩٩٤م)[٢١٦].

والواضح من خلال الروايات أنّ الخليفة القادر بالله أعطى صداقاً لابنة الأمير بهاء الدولة البويهي يُماثل صداق ابنة عضد الدولة في المقدار وابنة مهذب الدولة أيضاً، فهل يا تُرى كان هذا المبلغ هو السقف المحدد للصداق، أم كان ذلك مصادفة؟

نتيجة للمبالغة في الإنفاق وهدر الأموال من قبل أمراء بني بويه، فقد شهد عصرهم تحوّلات اجتماعية كبيرة وتغيّرات اقتصادية فازداد الفقير فقراً، فعمّت الاضطرابات وانعدم الأمن بين صفوف الغالبية العظمى من الناس، وقامت بعض الحركات الاجتماعية في العراق مثل حركة العيارين التي وُلدت من رحم الفوضى وفقدان الأمن ورسوخ الفقر والجوع والحرمان.

**ب-انفصال الأقاليم عن الخلافة العباسية:**

إن اتساع المساحة الجغرافية للخلافة العباسية، والنفوذ الفارسي والتركي عليها، وحالة الضعف التي اعترتها، أدّت إلى قيام دويلات شرقية وغربية انفصلت عن الخلافة العباسية فعليّاً، وارتبطت بها اسميّاً، فكان انفصال هذه الدويلات من العوامل التي أدّت إلى اضمحلال واردات الدولة ونقص في الميزانية العامة وزيادة فقر الخلافة، وحرمان بيت مالها من وارداتها الكلية أو الجزئية، ففي حالة العداء ما بين هذه الدويلات والخلافة يكون الحرمان من الواردات كاملاً، أمّا في حالة الولاء للخلافة يكون الحرمان جزئياً، فقد كان ولاة الأقاليم المنفصلة يُرسلون الفائض من الخراج أو جزءاً منه للخلافة العباسية.

وبالمقارنة بين الإيرادات العائدة من الأقاليم الشرقية في عهد الخليفة المأمون، والبالغ مجموعها ( ١٦٢،٧٠٠،٠٠٠) مئة واثنان وستون مليون وسبعمائة ألف درهم، وبين الإيرادات العائدة من الأقاليم نفسها في أواسط القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) عصر تسلط الأتراك، كان مجموعها( ١٣٢،٠٩٦،٠٠٠) مئة واثنين وثلاثين مليون وستة وتسعين ألف درهم[٢١٧]، ما يشير إلى حرمان الخزينة من جزء هام من وارداتها.

---

[٢١٥] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٤٥٢. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٢٧١-٢٧٢. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٩٥.

[٢١٦] الروذراوري (٢٠٠٣)، ص: ١٥٣. ابن العمراني (١٩٩٩)، ص: ١٨٣. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٣٦٦- ٣٧٠. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٤٦٣. ابن طباطبا (د. ت)، ص: ٢٩١.

[٢١٧] عبد الباقي، أحمد. (١٩٩١). **معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري**. ط: ١. بيروت: لبنان. مركز دراسات الوحدة العربية. ص: ١٤٨-١٥٠.

كما فرض انفصال هذه الدويلات عن جسم الخلافة العباسية القيام بتجهيز الجيوش، وإرسالها لمحاربة الولاة الذين أعلنوا عصيانهم وانفصالهم عنها، ما كلّف خزينة الدولة أموالاً طائلة إضافية كانت تشكّل رافداً للخزينة من جرّاء تجهيز الجيوش التي خاضت مثل هذه الحروب.

وهنا لا بدّ من ذكر الدول التي انفصلت عن جسم الخلافة العباسية سواءً في مشرق الخلافة أو في مغربها، أي في مصر وشمال إفريقيا وبلاد الشام، وأهم الدول المنفصلة في المشرق هي:

الدولة الطاهرية أولى الدول التي انفصلت عن جسم الخلافة العباسية ( ٢٠٥-٢٥٩هـ / ٨٢٠-٨٧٢م).

الدولة الصفارية ( ٢٥٩-٢٩٨هـ / ٨٧٢-٩١٠م).

الدولة السامانية ( ٢٦١-٣٨٩هـ / ٨٧٤-٩٩٨م).

الدولة الغزنوية ( ٣٦٦-٥٨٢هـ / ٩٧٦-١١٨٦م). وغيرها

**الدول التي قامت في مصر والشام والمغرب:**

دولة الأغالبة في تونس ( ١٨٤-٢٩٦هـ / ٨٠٠-٩٠٨م).

الدولة الطولونية في مصر ( ٢٥٤-٢٩٢هـ / ٨٦٨-٩٠٤م).

الدولة الإخشيدية ( ٣٢٣-٣٥٨هـ / ٩٣٤-٩٦٨م).

الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ومصر ( ٢٩٦-٥٦٧هـ / ٩٠٨-١١٧١م).

دولة الأدارسة في مراكش ( ١٧٢-٣١١هـ / ٧٨٨-٩٢٣م).

الدولة الحمدانية في حلب ( ٣٣٣-٣٩٤هـ / ٩٤٤-١٠٠٣م).

الدولة العقيلية في الموصل (٣٨٦-٤٨٩هـ/٩٩٦-١٠٩٦م).

الدولة المرداسية ( ٤١٥-٤٧٣هـ / ١٠٢٤-١٠٨٠م).

**ج- الحروب الداخلية والخارجية:**

خاضت الخلافة العباسية حروباً داخلية وخارجية، شكّلت أعباءً إضافية، وسببت عجزاً للخزينة المالية للخلافة العباسية من خلال ما ترتّب عليها من نفقات على تجهيز الجيوش وتأمين لوازمها، من مؤن وأسلحة وعتاد، ووسائل نقل من خيول وعربات وسفن حربية في أثناء الغارات البحرية.

**١- الحروب الداخلية في عصر القوة للخلفاء العباسيين:**

تتلخص أسباب الثورات التي قامت في العراق ضدّ العباسيين بضياع أمل بعض الأطراف التي شاركت في ثورة العباسيين ضد الأمويين، ولم تحصل على مكاسب تُذكر، ومنها الأطماع الشخصية لبعض القادة والولاة، وشعور بعض القوى بضياع حقّهم في الخلافة، بالإضافة إلى الخلافات والأحقاد الشخصية.

فعندما تولّى أبو العباس السفاح (١٣٢- ١٣٦هـ/ ٧٥٠-٧٥٣م)[٢١٨] سدّة الخلافة سنة ( ١٣٢هـ / ٧٥٠م)، واجه العديد من الثورات الداخلية، وأنفق الأموال الكثيرة في سبيل تجهيز الجيوش، التي توجّهت لقمع تلك الثورات التي نهضت بوجه الخلافة العباسية، ومنها ثورة يزيد بن عمر بن هبيرة[٢١٩] الذي تحصّن في واسط، فواجهته الخلافة عن طريق الوزير أبو سلمة الخلّال[٢٢٠] بجيش بقيادة الحسن بن قحطبة[٢٢١]، إذ جرت بينهما وقعات ولقاءات عدة دون نتائج تُذكر، فأردف الخليفة أبو العباس السفاح أخاه أبو جعفر المنصور بجيش داعم، فآلت الأمور إلى التسوية، وطلب الصلح وقتل ابن هبيرة[٢٢٢].

وآلت الأمور إلى التصعيد العسكري والسياسي أكثر في سنة ( ١٣٤هـ / ٧٥١م) عندما خرج عن طاعة الخلافة العباسية، القائد بسام بن إبراهيم[٢٢٣] في المدائن، فأرسل ضده الخليفة أبو العباس السفاح، جيشاً بقيادة خازم بن خزيمة[٢٢٤]، وجرت معركة بين الطرفين، خسر فيها بسام وهرب من المدائن[٢٢٥].

---

[٢١٨] ابن ماجة (د.ت)، ص: ٣٥. ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٦٩. ابن منده (د.ت)، مج٣، ج١٩، ص: ٢٩٥- ٣١١. ابن الساعي (١٩٨٢)، ص: ٣-١٠.

[٢١٩] يزيد بن عمر بن هبيرة بن مُعيّة بن سكين، ويعود بنسبه إلى فزارة، أبو خالد يزيد بن أبي المثنى، ولد سنة ( ٨٧هـ / ٧٠٥م)، وكان موالياً للأمويين، ولّي العراق سنة ( ١٢٨هـ / ٧٤٥م)، قتله الخليفة أبو جعفر المنصور سنة ( ١٣٢هـ / ٧٥٠م). ابن قتيبة (د. ت)، ص: ٤٠٨-٤٠٩. ابن منده (د. ت)، مج٣، ج١٩، ص: ٢٩٧. ابن خلكان (د. ت)، ج٦، ص: ٣١٣. الذهبي. (١٩٨١). **سير أعلام النبلاء**. تح: حسين الأسد. إشراف: شعيب الأرنؤوط. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. ج٦. ص: ٢٠٧. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٢٨، ص: ١٥-١٨.

[٢٢٠] أبو سلمة الخلال واسمه حفص بن سليمان الخلال الهمداني، من دعاة العباسيين، وكان يعرف بوزير آل محمد، وهو أول من وقع عليه اسم الوزير في الإسلام، استوزره أبو العباس السفاح، قُتل سنة ( ١٣٢هـ / ٧٥٠م)، بعد خلافة السفاح بأربعة أشهر، بتحريض من السفاح، وقيل أبو مسلم الخراساني. ابن خلكان (د. ت)، ج٢، ص: ١٩٥. الذهبي (١٩٨١)، ج٦، ص: ٧. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٣، ص: ٦٣.

[٢٢١] الحسن بن قحطبة بن شبيب الطائي، ولد سنة ( ٩٧هـ / ٧١٥م)، من القادة الذين خدموا في الخلافة العباسية، وتولّى أرمينيا، وتوفي في بغداد سنة ( ١٨١هـ / ٧٩٧م). ابن خلكان (د. ت)، ج٦، ص: ٣٢١. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٢، ص: ١٣٠. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٢، ص: ٢١١.

[٢٢٢] ابن قتيبة (د. ت)، ص: ٣٧٢-٤٠٩. البلاذري (١٩٩٦)، ص: ١٩١-١٩٤. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٣٥٣. الطبري (١٩٧١)، ج٧، ص: ٤٥٠-٤٥٦. ابن أعثم (١٩٩١)، ج٨، ص: ٣٤٥-٣٤٧. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٣، ص: ٢٤-٢٧.

[٢٢٣] بسام بن إبراهيم، من القادة الأمويين، ثم انضم إلى الدعوة العباسية، لكنه انقلب على الخليفة السفاح، وأعلن عصيانه والدعوة لآل علي بن أبي طالب، وبعد هزيمته في المدائن، هرب إلى الكوفة، فقتله السفاح سنة ( ١٣٤هـ / ٧٤١م). الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ٨٥٦.

[٢٢٤] خازم بن خزيمة بن خازم التميمي، ويعود بنسبه إلى صخر بن نهشل، كان من الدعاة للخلافة العباسية، ولّي خراسان، وتوفي في بغداد سنة ( ١٥٣هـ / ٧٧٠م). ابن قتيبة (د. ت)، ص: ٤١٧. البسوي. ( ١٩٨٩). **المعرفة والتاريخ**. تح: أكرم ضياء العمري. ط: ١. المدينة المنورة: السعودية. مكتبة الدار. ج١. ص: ١٤٠. الدارقطني. (١٩٨٦). **المؤتلف والمختلف**. تح: موفق بن عبد الله بن عبد القادر. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي. ج٢. ص: ٦٥١. ابن حزم (د. ت)، ص: ٢٣٠. ابن ماكولا. (د. ت). **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**. دار الكتاب الإسلامي. ج٢. ص: ٢٨٥. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ٩٢٨.

[٢٢٥] البلاذري (١٩٩٦)، ص: ٢٢٥-٢٢٦. الطبري (١٩٧١)، ج٧، ص: ٤٦١. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٣، ص: ٢٩.

وعندما تسلّم الخليفة أبو جعفر المنصور دفّة السلطة، فإنّ تركته السياسية كانت ثقيلة، سيما وأنّ الدولة ما زالت في بدايتها، إذ كانت الأوضاع الداخلية غير مستقرة، فقد أعلن عمه عبد الله بن علي[٢٢٦] سنة ( ١٣٧هـ / ٧٥٤م) نفسه خليفة بعد وفاة الخليفة أبو العباس السفاح، والسبب الذي دعا عبد الله إلى التمرّد والثورة ضد الخليفة أبو جعفر المنصور شعوره بحقّه بالخلافة وضياع هذا الحق، وحينما حصل هذا التمرد كان حينها غازياً للأراضي البيزنطية على رأس جيش ضخم، فعندما علم بوفاة الخليفة أبو العباس السفاح اتجه بجيشه نحو حران[٢٢٧]، لكن لم يقف أبو جعفر المنصور مكتوف الأيدي تجاه عمه بل أرسل له جيشاً بقيادة أبي مسلم الخراساني[٢٢٨] للقضاء عليه، واستمرت المعارك بينهم خمسة أشهر، انتهت بهزيمة جيش عبد الله وفراره إلى البصرة، وقد أشارت المصادر إلى كلفة ما أنفقه الخليفة أبو جعفر المنصور على هذه الحرب مبلغاً يتراوح ما بين ١٢مليون درهم إلى ١٨مليون درهم[٢٢٩].

وتتالت الثورات التي وقفت بوجه الخليفة أبو جعفر المنصور في العراق، ومن أهمها ثورة إبراهيم بن عبد الله[٢٣٠] أخ محمد النفس الزكية[٢٣١] في البصرة سنة ( ١٤٥هـ / ٧٦٢م)، إذ استولى على دار الإمارة

---

[٢٢٦] عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عم السفاح والمنصور، وعندما توفي السفاح سنة ( ١٣٦هـ / ٧٥٣م ) طالب بالخلافة لنفسه وأنه ولي عهد السفاح وبايعه أمراء الشام، وبويع المنصور بالعراق، فأرسل له المنصور أبا مسلم الخراساني فانكسر عبد الله بن علي وانهزم، ثم قبض عليه المنصور وسجنه، حتى توفي مقتولاً سنة ( ١٤٧هـ / ٧٦٤م ). الذهبي (١٩٨١)، ج٦، ص: ١٦١-١٦٢. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٧، ص: ١٧٣. الكتبي (١٩٧٣)، ج٢، ص: ١٩٢. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٤، ص: ١٠٤.

[٢٢٧] حران: هي كورة من كور ديار مضر، بين الرها والرقة، على الطريق بين الموصل والشام، تقع على الضفة الشرقية لنهر بليخ أحد روافد الفرات. البكري (د. ت)، ج٢، ص: ٤٣٥. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ٢٣٥. الحميري (١٩٧٥)، ص: ١٩١. شامي (١٩٩٣)، ص: ٣١٣. واصف (د. ت)، ص: ٣٣.

[٢٢٨] أبو مسلم الخراساني، هو عبد الرحمن بن مسلم من أهل خراسان، وقيل عبد الرحمن بن عثمان بن يسار الخراساني، وكان اسمه إبراهيم، ويكنّى بأبي إسحاق، فسمّاه إبراهيم الإمام عبد الرحمن، وكنّاه أبو مسلم، وهو من الدعاة لبني العباس ولد سنة ( ١٠٠هـ / ٧١٨م) وقيل سنة خمس أو ثلاث ومائة، قُتل سنة ( ١٣٧هـ / ٧٥٤م). ابن منده (د. ت)، مج٣، ج١٩، ص: ٣١٦. ابن خلكان (د. ت)، ج٣، ص: ١٤٥-١٥٥. الذهبي (١٩٨١)، ج٦، ص: ٤٨-٧٣. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٨، ص: ١٦١. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ٨٦٨.

[٢٢٩] ابن خياط (١٩٨٥)، ص: ٤١٥. ابن قتيبة. (١٩٨٠). **الإمامة والسياسة**. بيروت: لبنان. مؤسسة ناصر للثقافة. ج٢. ص: ٢٥٣-٢٥٤. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٣٦٥-٣٦٦. الطبري (١٩٧١)، ج٧، ص: ٤٧٤-٤٧٩. ابن أعثم (١٩٩١)، ج٨، ص: ٣٥٣-٣٥٥. الجرديزي. ( ٢٠٠٦). **زين الأخبار**. تر: عفاف السيد زيدان. القاهرة: مصر. المجلس الأعلى للثقافة. ص: ١١٢. الزهراني (١٩٨٦)، ص: ٣٣٥.

[٢٣٠] إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ويكنى أبا الحسن، ولد سنة ( ٩٧هـ / ٧١٥م)، خرج على الخلافة العباسية في البصرة والكوفة، وقُتل سنة ( ١٤٥هـ / ٧٦٢م). ابن سعد. (٢٠٠١). **الطبقات الكبير**. تح: علي محمد عمر. ط: ١. القاهرة: مصر. مكتبة الخانجي. ج٧. ص: ٥٣٨-٥٤٠. الأصفهاني. ( د. ت). **مقاتل الطالبيين**. تح: السيد أحمد صقر. بيروت: لبنان. دار المعرفة. ص: ٣١٥. ابن طباطبا. ( د. ت). **الأصيلي في أنساب الطالبيين**. تح: مهدي الرجائي. ط: ١. قم. مكتبة آية الله العظمى. ص: ٨١-٨٣. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٦، ص: ٢٣. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ٩٢٤.

[٢٣١] محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، ولقّب بالأرقط، وبالمهدي، وبالنفس الزكية، ولد في المدينة المنورة، وقتل سنة ( ١٤٥هـ / ٧٦٢م). ابن سعد (٢٠٠١)، ج٧، ص: ٥٣٥-٥٣٨. ابن طباطبا (د. ت)، ص: ٦٩-٧٧. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٣، ص: ٢٤٢. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ٩٠٦. البعلبكي (١٩٩٢)، ص: ٤٥٦.

فيها، وهزم قوات الخليفة أبو جعفر المنصور واستطاع استمالة عددٍ من رجال البصرة ومنهم رجال الدين إلى جانبه، بالإضافة إلى سكان واسط والأهواز وفارس في دعوته، وأصبح تعداد جنده ما يزيد عن مئة ألف مقاتل، وقاتل جيوش العباسيين التي هاجمته، غير أنّ جيش الخليفة أبو جعفر المنصور استطاع الانتصار، ووأد هذه الثورة وكانت نهاية القائد الثائر إبراهيم مقتله في معركة باخمري[٢٣٢] بين الكوفة وواسط[٢٣٣].

وقد غيّبت المصادر ذكر المبالغ التي أنفقها الخليفة أبو جعفر المنصور لإخماد تمرّد هذا الثائر، وإن كانت في الحقيقة أقل من الأموال التي أُنفقت على الجيش المتوجه إلى الحجاز لأنّ البصرة قريبة من مركز العراق، وبالتالي لا تحتاج لنفقات ضخمة.

ولا شك أن هذه الحروب والقلاقل والثورات كلّفت الخزينة أموالاً كثيرة من خلال تجهيز الجيوش، وتأمين المؤن والسلاح ووسائل نقلها، ومصروفات الجند والقادة أي الرواتب أو العطاءات وغيرها وما تمثّله من انعدام الأمن والاستقرار واضطراب لمقومات الحياة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة وطرق مواصلات، ما شكّل عبئاً ثقيلاً على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العراق.

وفي أيام الخليفة المهدي حدث تمرّدان أحدهما للبدو والآخر للخوارج، بالنسبة للأول فقد قطع البدو الطرقات في بادية البصرة سنة ( ١٦٧هـ / ٧٨٣م)، لكنّ الخليفة المهدي أرسل جيشاً لمحاربتهم، غير أنّ النصر لم يكن حليفه.

بينما كان التمرّد الثاني من قبل الخوارج في الموصل سنة ( ١٦٨هـ / ٧٨٤م)، ويعود السبب في هذا الموقف إلى عقيدتهم ونظريتهم في الخلافة، ووراثة الحكم التي تتناقض مع نظرية العباسيين السياسية والدينية، غير أنّ الخليفة المهدي وجّه جيشاً لمحاربتهم، وكانت النتيجة انتصار الجيش العباسي، وهزيمة الخوارج[٢٣٤]، وقد شكّل أعباءً مالية ضخمة صُرفت في غير محلّها، وكانت من الممكن أن تشكّل رافداً للخزينة وتنعكس بالإيجاب على البنية التحتية والحياة العامة بدلاً من صرفها على الجيش والسلاح والمؤن والأُعطيات.

والملاحظ أنه لا تمر بضع سنوات حتى تشهد الساحة السياسية في العراق مناهضين ضدها وهذا ما حصل سنة ( ١٩٦هـ / ٨١١م)، عندما تمرّد طاهر بن الحسين في حلوان ضد الخلافة العباسية، فشكّل

---

[٢٣٢] باخمري: موضع بين الكوفة وواسط، وهي من سواد الكوفة، وذُكرت باسم باجُمَيرا. البكري (د. ت)، ج١، ص: ٢٢٠. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ٣١٦.

[٢٣٣] ابن خياط (١٩٨٥)، ص: ٤٢٢. البسوي (١٩٨٩)، ج١، ص: ١٢٦-١٢٧. الدينوري. ( ١٩١١). **الأخبار الطوال**. ط: ١. مصر. مكتبة السعادة. ص: ٣٦٤. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٣٧٧-٣٧٨. الطبري (١٩٧١)، ج٧، ص: ٦٢٢-٦٤٩. ابن منده (د. ت)، مج٣، ج٢٠، ص: ٣٥٠. البطانية، محمد. (د. ت). **العلاقات بين العلويين والعباسيين في العصر العباسي الأول**. جامعة اليرموك. ص: ١٩٥-١٩٧.

[٢٣٤] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٢٥٦-٢٥٧.

الخليفة الأمين جيشاً شارك فيه رجال من بلاد الشام، وأرسله لمحاربة طاهر[٢٣٥]، وعلى الرغم من إغفال المصادر لنفقات قتال طاهر بن الحسين في حلوان، إلا أنّه من المؤكد أنّ الخليفة الأمين دفع كثيراً من الأموال لتجهيز الجيش الشامي وإرساله إلى العراق للقتال.

وأفضى النزاع بين الأخوين الأمين والمأمون، إلى اضطراب سياسي وأمني واقتصادي، تجلّى في إرهاق خزينة الدولة، وقيل إنّ ما أُنفق على الصراع بين الأخوين الأمين والمأمون يفوق ما هو متوقّع، خاصة أنّ مناطق إقامة كل واحد منهما بعيدة عن الآخر، فقيل كانت تكلفة الجيش الذي أرسله الخليفة الأمين سنة ( ١٩٥هـ / ٨١٠م)، بقيادة علي بن عيسى لمحاربة المأمون في خراسان، مبلغاً قدره مليونا دينار، ولكن لم يتوقف الأمر عند هذا الحد من الإنفاق بل زاد الأمر سوءاً إثر مقتل القائد علي بن عيسى، فأُردف بجيش آخر بقيادة عبد الرحمن بن جبلة قوامه عشرين ألف مقاتل وبتكلفة تُقدّر أيضاً بمليوني درهم، والنتيجة لم تكن بمستوى الإنفاق، وكانت الهزيمة من نصيبه[٢٣٦].

وتعمّقت الأزمة الاقتصادية أكثر إثر حصار بغداد سنة ( ١٩٧هـ / ٨١٢م)، من قبل المأمون، وكانت النتيجة قتل الخليفة الأمين سنة ( ١٩٨هـ / ٨١٣م)[٢٣٧].

وهنا تُطرح تساؤلات عدّة أهمها، ألم تتحمّل خزانة الخلافة مع العامة والخاصة وكل فئات المجتمع عبء حصار بغداد من قِبَل المأمون؟ ألم يشكّل ذلك عائقاً أمام الحركة الاقتصادية والتجارة والأسواق؟ ألم يتسبب انعدام الأمن في فقدان المواد الغذائية، وارتفاع الأسعار والاحتكار وغير ذلك؟ ألم تتحمل الخزانة نفقات التسليح والرواتب؟ بالطبع شكّلت كلّ تلك النفقات إرهاقاً وحملاً ثقيلاً على العراق وأهله، ما زاد من معاناة الناس وشقائهم.

واختلطت صراعات أفراد الأسرة العباسية الحاكمة مع بعضهم مع صراعاتهم ضد العامة فما أن تخلّص المأمون من أخيه الأمين، حتى تفرّغ لمواجهة ثورات عدّة وقفت بوجه الخلافة العباسية، فجهّز الجيوش من أجل إخمادها، وأنفق عليها المبالغ الكبيرة، فكانت المعارك العديدة بين هذه الجيوش وجيوش المتمردين، وكان الخراب والدمار بطبيعة الحال من مخلّفاتها.

ومن تلك الحركات الحركة التي أعلن عنها أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بابن طباطبا[٢٣٨]، في الكوفة على الخلافة العباسية سنة ( ١٩٩هـ / ٨١٤م)، مدعوماً من أبي السرايا السري بن

---

[٢٣٥] الدينوري (١٩١١)، ص: ٣٧٧. الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٤١٨-٤٢٥. ابن أعثم (١٩٩١)، ج٨، ص: ٤٠٩. الجرديزي (٢٠٠٦)، ص: ١٢٩-١٣٠.

[٢٣٦] الدينوري (١٩١١)، ص: ٣٧٥-٣٧٦. الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٣٩٠-٤١٥. ابن أعثم (١٩٩١)، ج٨، ص: ٤٠٨ . ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٣٧٦،٣٧١. الزهراني (١٩٨٦)، ص: ٣٣٦.

[٢٣٧] الدينوري (١٩١١)، ص: ٣٧٨. الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٤٤٥-٤٧٨. ابن أعثم (١٩٩١)، ج٨، ص: ٤٠٩-٤١٥. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٣٩٣.

منصور[٢٣٩]، وانتصروا على جيش الخليفة المأمون البالغ عدده عشرة آلاف فارس، وغنموا الأموال واستولوا على الكوفة، ثم جرت جولة ثانية بين الطرفين، انتصر فيها أبو السرايا قائد حركة التمرد بعد وفاة ابن طباطبا، بعدها استولى أبو السرايا على البصرة وواسط بعد هزيمة جيش الخليفة المأمون في معارك عدّة، ولم يقف الجيش العباسي مكتوف الأيدي بل حاصر الكوفة، فهرب أبو السرايا منها، لكن ألقي القبض عليه عند جلولاء[٢٤٠] سنة ( ٢٠٠هـ / ٨١٥م)، وأُرسل إلى الخليفة المأمون مقطوع الرأس، ولم تنج الكوفة من النهب والسلب والقتل[٢٤١].

ويظهر الخلاف مجدداً حول منصب الخلافة بين إبراهيم بن المهدي[٢٤٢]، وبين ابن أخيه الخليفة المأمون سنة ( ٢٠٢هـ / ٨١٧م)، لأنه أراد إعطاء الخلافة لعلي الرضا، فنشبت الحروب والمعارك في الكوفة والمدائن وواسط بين مؤيدي إبراهيم، ومؤيدي الخليفة المأمون، فنتج عن ذلك انتشار اللصوص وقطاع الطرق الذين عمدوا إلى النهب والسلب في وسط النهار، كما عمّت الفوضى، وعاشت المناطق التي شهدت هذه الفتن والحروب أزمة اقتصادية واجتماعية خانقة، ما فرض على أشراف بغداد تشكيل لجان عسكرية من أجل حماية أنفسهم وممتلكاتهم، وللمحافظة على القانون والنظام وتطبيقه، غير أنّ الأزمة استمرت إلى حين قدوم الخليفة المأمون إلى بغداد سنة ( ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، وخلع إبراهيم بن المهدي[٢٤٣].

---

[٢٣٨] أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن اسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، توفي سنة ( ١٩٩هـ / ٨١٤م)، ودُفن في الكوفة. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ١١٤٨.

[٢٣٩] أبو السرايا السري بن منصور الشيباني، من بني ذُهل بن شيبان، قُتل سنة ( ٢٠٠هـ / ٨١٥م). الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٥، ص: ٨٤. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٣، ص: ٨٢. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ١١٥٤.

[٢٤٠] جلولاء تقع في سواد بغداد، على طريق خراسان بالقرب من خانقين. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ١٥٦. الحميري (١٩٧٥)، ص: ١٦٧.

[٢٤١] ابن خياط (١٩٨٥)، ص: ٤٦٨-٤٧٠. ابن قتيبة (د. ت)، ص: ٣٨٨. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٤٥-٤٤٧. الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٥٢٨-٥٣٥. المقدسي (د. ت)، ج٦، ص: ١٠٩. ابن منده (د. ت)، مج٣، ج٢١، ص: ٥٦٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٤١٦-٤٢١. الليثي، سميرة. (د. ت). **جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول**. بيروت: لبنان. دار الجيل. ، ص: ٣١٩-٣٣٠.

[٢٤٢] إبراهيم بن المهدي أبو إسحاق، الملقب بالمبارك، أخ هارون الرشيد، وعم الأمين والمأمون والمعتصم، ولد سنة (١٦٢هـ/٧٧٨م)، وعفا عنه الخليفة المأمون سنة (٢٠٨هـ/٨٢٣م)، بعد أن كان متخفّياً عن الأنظار، وتوفي في سامراء سنة ( ٢٢٤هـ / ٨٣٨م). ابن قتيبة (د. ت)، ص: ٣٩٢. ابن ماكولا (د. ت)، ج١، ص: ٥١٨. ابن خلكان (د. ت) ، ج١، ص: ٣٩-٤١. الذهبي (١٩٨٢)، ج١٠، ص: ٥٥٧. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ١٢٧١.

[٢٤٣] ابن قتيبة (د. ت)، ص: ٣٨٨-٣٩٠. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٥٠-٤٥٣. المقدسي (د. ت)، ج٦، ص: ١١١. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٣، ص: ٣٧٠-٣٧٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٤٤١-٤٥٢. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١١٨. علي، سيد أمير. (١٩٦١). **مختصر تاريخ العرب**. نقله إلى العربية: عفيف البعلبكبي. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الملايين. ص: ٢٤١-٢٤٣.

وكشفت حركة الزط عن عدائها للخلافة، نتيجة الوضع الاقتصادي المتردّي، ومحاولة تحسين أوضاعهم المعيشية، فقد أرسل الخليفة المعتصم جيشاً سنة ( ٢١٩هـ / ٨٣٤م)، للقضاء على حركة الزط في جنوب العراق، لكنه لم يستطع القضاء عليهم حتى سنة ( ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)[٢٤٤].

**٢- الحروب الداخلية في عصر ضعف خلفاء بني العباس:**

تدهورت أوضاع الخلافة العباسية في العصر العباسي الثاني، وكان من أهم أسباب ضعفها وتراجعها انغماس معظم الخلفاء في اللهو والترف والإقبال على مغريات الحياة بأشكالها ومادتها الجذّابة من بناء القصور إلى النعيم المادي الذي ميّز حياة الخلفاء، وتقهقر قوة الخلافة وانفصال بعض الأقاليم عن جسد الخلافة وتفتت وحدتها والحروب التي أنهكت الخلافة، ما شجّع كثيراً من أصحاب الطموح والسيطرة على التمرّد والوقوف بوجه العباسيين

شهد عهد الخليفة المستعين بالله خلال حكمه انتفاضتين أو ثورتين إحداهما كانت بقيادة يحيى بن عمر[٢٤٥] العائد بنسبه إلى الخليفة علي كرم الله وجهه، مدعوماً بعدد كبير من الأعراب وأهل الكوفة سنة ( ٢٥٠هـ / ٨٦٤م)، والثانية في الكوفة بقيادة الحسين بن محمد[٢٤٦] من الطالبيين والقريب للأول في النسب أيضاً، وأما التمرد الأول فقد استطاع قائدها السيطرة على الكوفة وسوادها وواسط، كما نهب أنصاره الأموال ولم يستطع الخليفة السيطرة عليها إلا بعد أن أرسل القائد الحسن بن إبراهيم الذي قضى على الثورة، وقتل قائدها، وحُمل رأسه إلى بغداد[٢٤٧]، وأما التمرد الثاني فقد أرسل الخليفة، القائد مزاحم ابن خاقان[٢٤٨]، لمحاربة الحسين بن محمد في الكوفة سنة ( ٢٥١هـ / ٨٦٥م)، واستطاع مزاحم دخول الكوفة والانتصار عليه[٢٤٩].

وتأزمت الأمور الداخلية أكثر عندما حصل خلاف بين الخليفة المستعين والمعتز، ونتيجة لهذا الخلاف فقد أنفقت الخلافة الأموال الطائلة لتحصين بغداد ما يقارب ثلاثمائة ألف وثلاثين ألف دينار، يضاف

---

[٢٤٤] ابن خياط (١٩٨٥)، ص: ٤٧٦. البلاذري. (١٩٩٧). **فتوح البلدان**. تقديم وتعليق: شوقي أبو خليل. ط: ١. دمشق: سوريا. منشورات وزارة الثقافة. ص: ٥٢٣. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٧٢. الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٨-١٠. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٤، ص: ٦. الجرديزي (٢٠٠٦)، ص: ١٣٣.

[٢٤٥] يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويكنى بأبي الحسن. الأصفهاني (د. ت)، ص: ٦٣٩.

[٢٤٦] الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، توفي سنة ( ٢٧١هـ / ٨٨٤م)، الأصفهاني (د. ت)، ص: ٦٦٥.

[٢٤٧] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٩٧. الأصفهاني (د. ت)، ص: ٦٣٩-٦٤٥. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٥٦.

[٢٤٨] مزاحم بن خاقان بن عرطوج أبو الفوارس، تركي الأصل، قائد من ولاة العباسيين، ولد في بغداد، ولّاه الخليفة المعتز مصر سنة (٢٥٣هـ/٨٦٧م)، وبقي فيها حتى وفاته سنة ( ٢٥٤هـ / ٨٦٨م). اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٥٠٢. ابن الكندي. (١٩٠٨). **الولاة وكتاب القضاة**. بيروت: لبنان. مطبعة الآباء اليسوعيين. ص: ٢٠٨. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٧، ص: ٢١١.

[٢٤٩] الأصفهاني (د. ت)، ص: ٦٦٥. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٨٠.

إليها كتلة الأموال أيضاً التي أُنفقت على الجيش الذي وجهه الخليفة المستعين إلى الأنبار لمحاربة الأتراك، والمقدّرة بستة وثلاثين ألف دينار[٢٥٠].

وكانت نتيجة المعارك بين سكان بغداد والأتراك رضوخها تحت ضائقة اقتصادية صعبة، وما زاد الأزمة سوءاً حصارها من قبل المعتز سنة ( ٢٥١هـ / ٨٦٥م)، ما أدّى إلى تذمّر العامة مما حدث، وكانت النهاية خلع الخليفة المستعين لنفسه من منصب الخلافة ومبايعة المعتز[٢٥١]. لكن هنا لا بدّ من طرح تساؤل آخر وهو: هل توقفت الأحداث والخراب والدمار عند هذا الحدّ أم طالت أطرافاً أخرى كانت تؤرّق الخلفاء؟ ومن الواضح استمرار أطراف الصراع بمقارعة بعضهم وتمثّلت هذه الأطراف في عهد الخليفة المعتز بالخوارج، فعندما تمرّد مساور الخارجي[٢٥٢]، جنّد له الخليفة المعتز الجيوش للقائه وتمّ ذلك سنة ( ٢٥٣هـ / ٨٦٧م)، والتقوا معه بناحية جلولاء، وتمخّض اللقاء عن انتصار مساور ودعم انتصاره بالاستيلاء على أكثر أعمال الموصل، فما كان من الخليفة إلّا أن وجّه له جيشاً آخر لقتاله، وكان ذلك سنة ( ٢٥٤هـ / ٨٦٨م)، لكن هذه المرة رجحت الكفة لصالح الخليفة عندما تمكّن جيشه من الانتصار وقتل مساور[٢٥٣].

ولم تكن الأمور لتستتبّ، فما أن تولّى الخليفة المهتدي ( ٢٥٥-٢٥٦هـ / ٨٦٨-٨٦٩م)[٢٥٤] عرش السلطة حتى قامت ثورة الزنج في جنوب العراق، بسبب الظلم والمعاناة التي تعرض لها الزنوج في حياتهم من قبل الولاة ومالكي الأراضي، فاستغل معاناتهم رجل يدعى علي بن محمد مُدّعياً بأنّ نسبه يعود إلى علي بن أبي طالب، ووعد الزنوج بتحسين أوضاعهم المعيشية فقام بتنظيمهم، واستولى على المحمدية[٢٥٥] والقادسية[٢٥٦]، وعلى الرغم من محاولة المهدي قمع الثوار عن طريق إرساله جيشاً كبيراً من البصرة لقتالهم، لكنّ محاولاته باءت بالإخفاق ومُني بهزيمة نكراء على الرغم من الجولات المتبادلة بين الجيش العباسي وبين الزنوج[٢٥٧].

---

[٢٥٠] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٤، ص: ١٦٦. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ٤٤. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٥١-١٦٧. الزهراني (١٩٨٦)، ص: ٣٣٧.

[٢٥١] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٩٩. القضاعي. ( ١٩٩٥). **عيون المعارف وفنون أخبار الخلائق المعروف بتاريخ القضاعي**. تح: جميل عبد الله محمد المصري. جامعة أم القرى. ص: ٤٦١.

[٢٥٢] مساور الخارجي هو مساور بن عبد الحميد بن مساور الشاري البجلي، من سكان الموصل، توفي سنة ( ٢٦٣هـ / ٨٧٦م). الزركلي (٢٠٠٢)، ج٧، ص: ٢١٣.

[٢٥٣] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٥٠٢. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٩٢- ١٩٥.

[٢٥٤] ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٨١. ابن الكردبوس (٢٠٠٨)، ج٣، ص: ١٥٤٩-١٥٥٨. ابن أبي السرور (د. ت)، ص: ١٢٥. السيوطي (٢٠١٣)، ص: ٥٦٠-٥٦٣.

[٢٥٥] المحمدية: قرية من نواحي بغداد. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ٦٤.

[٢٥٦] القادسية: من نواحي دجيل، بين حربى وسامراء. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ٢٩٣.

[٢٥٧] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٢٠٦.

وقد استمرت ثورة الزنج ما يقارب خمسة عشر عاماً، إذ بدأت في عهد الخليفة المهتدي، ولم تنته إلا في عهد الخليفة المعتمد على الله ( ٢٥٦-٢٧٩هـ / ٨٦٩-٨٩٢م)[٢٥٨]، وظلّت تستغل الظروف لصالحها، وتحقق الانتصار تلو الانتصار، حتى تسلّم دفة الحكم الخليفة المعتمد، الذي أرسل جيوشاً عدّة للقضاء عليها جنوب العراق، وكانت البداية سنة ( ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، عندما أرسل جيشاً لمحاربتهم، وعلى الرغم من الإمكانات الضخمة للجيش العباسي في موازاة الزنوج إلا أنّ الكفّة العسكرية رجحت لصالح الزنوج وكانت اللقاءات العسكرية قد تكررت ما بين أعوام ( ٢٥٧-٢٦٥هـ/ ٨٧٠-٨٧٨م)، إلا أنّ النهاية كانت لصالح الخليفة العباسي عندما تمّ القضاء على الزنوج سنة ( ٢٧٠هـ/٨٨٣م).

والواضح أن المدة الطويلة التي استغرقتها تلك الحروب بين الطرفين ربّما أدّت إلى إنهاك الزنوج اقتصادياً وعسكرياً، مقابل تحمّل نفقات ضخمة من قبل الخلافة، فعجز بيت المال عن تسديد الأموال، عندئذ اضطر التجار إلى تسديد هذا العجز، إذ قدّم عبيد الله بن يحيى بن خاقان[٢٥٩] مبلغاً من المال يقدّر بستمائة ألف دينار للخزينة، وهذا ملاحظ في بعض الأحيان من قبل الخلفاء الذين كانوا يسارعون إلى الاقتراض من التجار ريثما تتيح لهم الفرص تعويض نقص الخزينة. كما طولب القائد أحمد بن طولون[٢٦٠] بدفع الأموال للخزينة[٢٦١]، ولا يغيب عن الذهن أن أحمد بن طولون كان والياً بمصر فلماذا طولب بدفع الأموال إلى خزينة الخلافة العباسية؟ ربما كان مضطراً مع غيره من الولاة ليس لتقديم الولاء والطاعة للخليفة العباسي فقط، بل لرفد خزينة الدولة بالأموال لسدّ النفقات والمصروفات سواءً للجيوش أو للبنى الخدمية أو غيرها وهذا ليس بجديد على مطالب الخلفاء في معظم العصور العربية الإسلامية سواءً في المشرق أو في المغرب العربي والإسلامي أيضاً.

---

[٢٥٨] ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٨١. ابن الكردبوس (٢٠٠٨)، ج٣، ص: ١٥٥٩-١٥٨٣. ابن الساعي (١٩٨٢)، ص: ٧٠-٧٣. ابن الكازروني (١٩٧٠)، ص: ١٦١-١٦٢.

[٢٥٩] عبيد الله بن يحيى بن خاقان التركي أبو الحسن، كان وزيراً للمتوكل، والمعتمد، نفاه الخليفة المستعين إلى برقة سنة (٢٤٨هـ/٨٦٢م)، وعاد إلى بغداد بعد خمس سنوات، ثم أعاده الخليفة المعتمد للوزارة سنة (٢٥٦هـ/٨٦٩م) وتوفي سنة ( ٢٦٣هـ / ٨٧٦م). الذهبي (٢٠٠٣)، ج٦، ص: ٣٦٧. الذهبي (١٩٨٣)، ج١٣، ص: ٩. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٩، ص: ٢٧٥. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٤، ص: ١٩٨.

[٢٦٠] أحمد بن طولون التركي الأمير أبو العباس، أمير الشام والثغور ومصر، ولد في سامراء سنة ( ٢٢٠هـ / ٨٣٥م)، وكان والده طولون مملوكاً، أهداه نوح بن أسد الساماني عامل بخارى إلى الخليفة المأمون سنة ( ٢٠٠هـ / ٨١٥م)، وتوفي طولون سنة ( ٢٤٠هـ / ٨٥٤م)، أمّا ابنه أحمد فقد ولاه الخليفة المعتز مصر سنة ( ٢٥٤هـ / ٨٦٨م)، وتوفي سنة ( ٢٧٠هـ / ٨٨٣م). ابن خلكان (د. ت)، ج١، ص: ١٧٣-١٧٤. الذهبي (١٩٨٣)، ج١٣، ص: ٩٤. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٦، ص: ٢٦٥.

[٢٦١] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٥٠٨. الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٤٣١-٤٣٧- ٤٧٠-٤٧٣- ٤٧٦-٤٨١- ٤٩٠-٥٠٦- ٥٢٠-٥٢٩- ٥٣٦-٥٤٦. ابن العمراني (١٩٩٩)، ص: ١٣٧. أيوب (١٩٨٩)، ص: ١١٥. الزهراني (١٩٨٦)، ص: ٣٣٨-٣٤٢.

لم تكن الأوضاع السياسية في عهد الخليفة المعتضد أفضل مما سبقه، فقد خرج على رأس جيش إلى الموصل سنة ( ٢٨١هـ / ٨٩٤م)، للقضاء على تمرد هارون الشاري[٢٦٢] الذي أعلن عصيانه ضد الخلافة العباسية بسبب أطماعه الشخصية، والتقى الجيشان عند نهر الزاب[٢٦٣]، وكان النصر فيها لصالح جيش الخليفة، وقد استطاع المعتضد دخول الموصل.

في المقلب الآخر لاحظ الأعراب بأنّ انشغال الخلافة في حرب هارون الشاري مشجعاً لهجماتهم على المدن والبلدات في العراق، فعمدوا إلى نهب الأنبار وسلبها، فأرسل الخليفة المعتضد جيشاً لمحاربتهم سنة ( ٢٨٦هـ / ٨٩٩م)، غير أنّ النتيجة مالت لصالح الأعراب، ومع ذلك فقد ظلّت عزيمة الخليفة قوية وصمّم للقضاء عليهم، واستمرّ في إرسال الجيوش ضدهم حتى تمكن من الانتصار عليهم في النهاية [٢٦٤].

وإذا كانت قرى الأنبار قد هاجمها الأعراب، فإنّ البصرة تعرضت للسلب والنهب من قبل قرامطة البحرين، ما دفع الخليفة المعتضد لبناء سور لحماية المدينة بكلفة أربعة عشر ألف دينار سنة ( ٢٨٦هـ / ٨٩٩م)[٢٦٥].

ومن المؤكد أن هذه الجيوش التي أُعدّت للحرب في عهد الخليفة المعتضد كلفت الخلافة الأموال الطائلة لتجهيزها، كما تسببت في أزمات اقتصادية واجتماعية نتيجة السلب والنهب وانعدام الأمن.

وسيطرت أجواء العداء والصراع على العلاقة بين السلطة السياسية متمثّلة بالخليفة في العراق وبين القرامطة، ونتيجة لهذا الصراع دخل القرامطة الكوفة فأشاعوا الذعر والرعب وعمدوا إلى القتل مما اضطر الخليفة المكتفي لإنهاء الصراع لصالحه، عندما أرسل جيشاً سنة ( ٢٩٤هـ / ٩٠٦م)، واستطاع هزيمتهم[٢٦٦]، ولا يَخفى على أحد ما سببته حركة القرامطة من إرهاق وتقهقر اقتصادي نتيجة للفوضى التي عمّت البلاد.

---

[٢٦٢] لا يوجد له ترجمة.

[٢٦٣] الزاب: اسم لمجموعة أنهر بالعراق: فالزاب الأكبر ويصب في نهر دجلة قرب الموصل، والزاب الأصغر يصب بدجلة أيضاً، بين تكريت والموصل، وبالبطيحة الزاب الأعلى والزاب الأسفل. واصف (د. ت)، ص: ٤٣.

[٢٦٤] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ٣٩-٤٣-٧١. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٣٧٧-٣٨٠-٣٩٧.

[٢٦٥] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ٧١. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٣٣. الأعظمي، علي ظريف. (د. ت). **مختصر تاريخ البصرة**. تح: عزة رفعت. بور سعيد: مصر. مكتبة الثقافة الدينية. ص: ١٠٢. النبهاني، محمد. ( ١٩٩٩). **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية**. ط: ٢. بيروت: لبنان. دار إحياء العلوم. ص: ٢٧٠.

[٢٦٦] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ١٢٢-١٢٨-١٣٠-١٣٤.

استمرت الحرب مع القرامطة الذين تحركوا في الكوفة في عهد الخليفة المقتدر، فأرسل جيشاً بقيادة مؤنس المظفر[٢٦٧] لمحاربتهم سنة ( ٣١٢هـ / ٩٢٤م)[٢٦٨]، لكن الجيش لم يستطع القضاء عليهم، فأردفه الخليفة بجيش آخر بقيادة يوسف بن أبي الساج[٢٦٩]سنة ( ٣١٥هـ / ٩٢٧م)، بعد أن هدّد القرامطة الكوفة، وهُزم جيش الخليفة مرة ثانية في المعركة[٢٧٠]، ثم أعاد الخليفة قيادة الجيش المحارب لمؤنس المظفر الذي أرسله سنة ( ٣١٦هـ / ٩٢٨م) لمواجهة القرامطة الذين دخلوا الكوفة، فانتصر جيش الخليفة المقتدر، وهُزم القرامطة[٢٧١].

واستمر إنفاق الخلفاء العباسيين الأموال الضخمة للقضاء على نفوذ القرامطة، وقد ظهر ذلك جلياً عندما أنفق الخليفة المكتفي في إحدى حملاته ضدهم ما يقارب (١٠٠,٠٠٠) مئة ألف دينار سنة ( ٢٩٠هـ / ٩٠٢م)[٢٧٢].

وفي عهد المقتدر ضعفت الدولة وانحطّ مركزها المالي والسياسي بسبب صغر سنّه عند استلامه الخلافة وكثرة وزرائه، وتأثير والدته عليه، ما أدّى إلى أزمات مالية حادة جداً، وترك خزانة بيت المال خاوية ولفترات طويلة، ففي سنة ( ٣١٢هـ / ٩٢٤م) أنفق مبلغاً من المال قدره مليون دينار، أي ( ١,٠٠٠,٠٠٠) مليون دينار، على الحملة العسكرية بقيادة مؤنس الخادم لمحاربة القرامطة في الكوفة[٢٧٣].

كما أنفق مبلغاً قدره ( ٥٠٠,٠٠٠) خمسمائة ألف دينار، على الحملة المتوجهة إلى الكوفة سنة ( ٣١٣هـ / ٩٢٥م) لمحاربة القرامطة، وأنفق في العام نفسه ( ١,٠٠٠,٠٠٠) مليون دينار على حملة ثانية ضد القرامطة بقيادة مؤنس الخادم[٢٧٤].

---

[٢٦٧] مؤنس المظفر أو الخادم المعتضدي، ولد سنة ( ٢٣١هـ / ٨٤٥م)، أحد الخدم الذين بلغوا رتبة الملوك وكان خادماً للخليفة المعتضد، لقبه الخليفة المقتدر بـ مؤنس المظفر بسبب انتصاره على عبيد الله المهدي صاحب القيروان سنة ( ٣٠٩هـ/٩٢١م)، وتولّى عدّة مهام منها ولاية مصر، وغزو الصائفة، قتله الخليفة القاهر بالله سنة ( ٣٢١هـ / ٩٣٣م) بسبب مشاركته في خلع الخليفة القاهر بالله، والبيعة لأحد أولاد الخليفة المكتفي. الذهبي (١٩٨٣)، ج١٥، ص: ٥٦ . الزركلي (٢٠٠٢)، ج٧، ص: ٣٣٥. آل خليفة، محمد علي. (٢٠٠٤). **أمراء الكوفة وحكامها**. المراجع: ياسين صلواتي. إيران. مؤسسة الصادق للطباعة والنشر. ص: ٦٧٤.

[٢٦٨] عريب. (١٨٩٧). **صلة تاريخ الطبري**. مطبعة بريل. ص: ١٢٤.

[٢٦٩] يوسف بن أبي الساج، من كبار رجال وقادة الخلافة العباسية، كلّفه الخليفة المقتدر بأعمال المشرق كلها، وكنّاه بأبي القاسم، قُتل في معركته مع القرامطة سنة ( ٣١٥هـ / ٩٢٧م). ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣١. الذهبي (٢٠٠٣)، ج٧، ص: ٢١١. آل خليفة (٢٠٠٤)، ص: ٦٨٩.

[٢٧٠] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٩٨-١٠٣.

[٢٧١] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤١.

[٢٧٢] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ١٠٣-١٠٤. آشتور (١٩٨٥)، ص: ٧٤.

[٢٧٣] عريب (١٨٩٧)، ص: ١٢٤. آشتور (١٩٨٥)، ص: ٧٥.

[٢٧٤] الزهراني (١٩٨٦)، ص: ٣٣٩.

وعندما هدد القرامطة بغداد بدخولها سنة ( ٣١٤هـ / ٩٢٦م) أنفق الخليفة المقتدر مبلغاً قدره، ( ٣,٠٠٠,٠٠٠) ثلاثة ملايين دينار لدعم صمود المدينة وحمايتها من السقوط بأيديهم[٢٧٥]، ولم تتوقف الحملات العسكرية ضد القرامطة، واستمر الإنفاق عليها، فقد أُنفق مبلغ ( ٧٠,٠٠٠) سبعين ألف دينار، على الحملة المتوجهة لمحاربة القرامطة ما بين الكوفة وواسط سنة ( ٣١٥هـ / ٩٢٧م)، ودُعمت هذه الحملة بحملة ثانية من قبل العباسيين وكانت تكلفتها ( ١,٠٠٠,٠٠٠) مليون دينار وحدث هذا في العام نفسه للحملة الأولى[٢٧٦]، كما دُعمت بحملة ثالثة وفي العام المذكور نفسه وبكلفة مقدارها ( ٨٠٠،٠٠٠) ثمانمائة ألف دينار، لحرب القرامطة بين الكوفة وواسط[٢٧٧].

شكلت الأموال التي أُنفقت على الجيوش المحاربة في سبيل القضاء على المتمردين والثورات التي وقفت بوجه الخلافة عاملاً مضرّاً باقتصاد الدولة وبحياة العامة من الناس، علاوة على الإنفاق الكبير بفعل البذخ والترف وعدم النجاح في الإدارة المالية لمعظم الخلفاء، خاصة في عصر الضعف منهم.

وأصبحت خزينة الدولة عاجزة بسبب نفقات الحروب المتزايدة، بالإضافة إلى نفقات الخليفة في البذخ والترف، وكدليل على عجز بيت المال عن دفع تكاليف الحملات، جرى تأسيس مصرف رسمي لإقراض الدولة أموالاً سنة ( ٣٠٠هـ / ٩١٢م)[٢٧٨].

وفي عهد الخليفة الراضي بالله ( ٣٢٢-٣٢٩هـ / ٩٣٣-٩٤٠م)[٢٧٩] ظلّت الاضطرابات والحروب الداخلية قائمة بسبب المنافسة على منصب إمرة الأمراء، وأرهقت خزائن الدولة من كثرة الأموال التي أُنفقت على تجهيز الجيوش من أجل هذه الغاية، إذ قاد ابن رائق، جيشاً لمحاربة عبد الله البريدي، الطامع في منصب إمرة الأمراء، سنة ( ٣٢٦هـ / ٩٣٧م)، وانتصر ابن رائق، وطرد البريدي من الأهواز، وفي العام نفسه تحرّك بجكم بجيش للقضاء على ابن رائق، وانتصر عليه ودخل بغداد، وعيّنه الخليفة أميراً للأمراء، وبعد ثلاث سنوات توفي بجكم، فقلّد الخليفة الراضي بالله كورتكين أميراً للأمراء سنة ( ٣٢٩هـ / ٩٤٠م)، الذي أدّى إلى عودة ابن رائق من الشام، وقتاله مع كورتكين، وانتصاره عليه، فعاد ابن رائق أميراً للأمراء[٢٨٠]، ودفعت الخزينة أثماناً باهظة بسبب حرب خاضها طامعون في اعتلاء منصب أمير الأمراء، غير مكترثين بمآسي الناس وشقائهم.

---

[٢٧٥] عريب (١٨٩٧)، ص: ١٨٤.

[٢٧٦] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٩٨- ١٠٣.

[٢٧٧] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ٢٦٥.

[٢٧٨] الدوري (١٩٧٤)، ص: ١٨٨. آشتور (١٩٨٥)، ص: ٧٥.

[٢٧٩] ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٨٦. ابن أبي السرور (د. ت)، ص: ١٣٣. ابن الساعي (١٩٨٢)، ص: ٨٠-٨١. ابن الطولوني (١٩٨٨)، ص: ١٠١.

[٢٨٠] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ١٩٨-١٩٩-٢٤١-٢٤٤.

لم ينته الطموح السياسي عند عبد الله البريدي في عهد الخليفة المتقي ( ٣٢٩-٣٣٣هـ / ٩٤٠-٩٤٤م)[٢٨١] وعاد إلى الظهور مرة ثانية عندما أرسل أخاه أبو الحسين إلى بغداد، فخرج الخليفة المتقي مع أمير الأمراء ابن رائق هارباً إلى الموصل، مستنجداً بالأمير ناصر الدولة الحمداني وأخيه سيف الدولة[٢٨٢]، والظاهر أنّ العامة ضجّت من تصرفات البريدي، وكان من مصلحة أمير الموصل وأخيه تلبية نداء الخليفة ومؤازرته، وكانت النتيجة الانتصار على البريدي عند المدائن، بعدها آثر الخليفة العودة إلى بغداد إثر الوعود التي منحه إياها توزون.

ويقال إن الخليفة المتقي أنفق في محاربة البريديين مليونين وخمسمائة ألف دينار، وأنفق لطردهم من واسط أربعمائة وثمانية وخمسين ألف دينار في سنة ( ٣٣٠هـ / ٩٤١م)، ومائة ألف دينار سنة ( ٣٣١هـ / ٩٤٢م)، ولمحاربة توزون الطامع في إمرة الأمراء أربعمائة ألف دينار[٢٨٣].

**٣- الحروب الخارجية في عصر القوة للخلفاء العباسيين:**

ورث العباسيون عن أسلافهم الأمويين عداوة البيزنطيين، وكان نزاعاً حتمياً فرضته طبيعة التناحر والصراع وانتزاع الزعامة بين القوى العظمى وكذلك الحدود المشتركة والمصالح الاقتصادية والخلافات في العقيدة، واستغلّ البيزنطيون المشاكل التي جاءت مع الخلافة العباسية، وانتقال الخلافة من دمشق لبغداد، فقاموا بهجوم على ملطية[٢٨٤] سنة ( ١٣٣هـ / ٧٥٠م)، ثم دخلوا بعض مناطق الثغور العربية الإسلامية، وقتلوا الرجال وسبوا النساء وأخذوا الغنائم، ووقف الخليفة أبو العباس السفاح بوجه البيزنطيين وقفة شجاعة وقوية، فطلب من عمه ووالياه على الشام عبد الله بن علي التوجّه إلى الحدود البيزنطية، لحماية الثغور ومعاقبة البيزنطيين، كما وجّه السفن لغزو جزيرة صقلية سنة ( ١٣٥هـ / ٧٥٢م)، فغنم وسبى منها، وتحرك عبد الله بن علي بجيش إلى الحدود البيزنطية لقتالهم، واستمر في مهمته حتى سمع

---

[٢٨١] ابن عبد ربه (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٣٨٦. ابن الكردبوس (٢٠٠٨)، ج٣، ص: ١٦٣٠-١٦٣٢. ابن أبي السرور (د. ت)، ص: ١٣٤. ابن الكازروني (١٩٧٠)، ص: ١٨٢-١٨٥.

[٢٨٢] سيف الدولة الحمداني أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحرب بن لقمان بن راشد، أخ ناصر الدولة الحمداني، ولد سنة ( ٣٠١هـ / ٩١٣م) وقيل (٣٠٢هـ/٩١٤م) في بغداد ونشأ بها، ولقبه الخليفة العباسي المتقي بالله بسيف الدولة، وأخذ حلب من أحمد بن سعيد الكلابي نائب الاخشيد سنة ( ٣٣٣هـ / ٩٤٤م)، وتوفي سنة ( ٣٥٦هـ / ٩٦٦م) ودُفن في ميافارقين. ابن خلكان (د. ت)، ج٣، ص: ٤٠١-٤٠٦. الذهبي (١٩٨٤)، ج١٦، ص: ١٨٧-١٨٨. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٢١، ص: ١٢٦-١٣٠. العامري (١٩٨٥)، ص: ٣٠٨.

[٢٨٣] مسكويه: (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٢٤٥-٢٤٩. الزهراني (١٩٨٦)، ص: ٣٤٠.

[٢٨٤] ملطية: بلدة من بلاد الروم تتاخم الشام، وهي من الثغور الجزرية بالشام، بناها أبو جعفر المنصور سنة ( ١٣٩هـ/٧٥٦م)، بعد أن خرّبها الروم، وهي الآن مدينة في وسط تركيا جنوب هضبة الأناضول، شمال غرب مدينة ديار بكر بمسافة (٢٠٠كم)، الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ١٩٢. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٥٤٥. شامي. (١٩٩٣)، ص: ٣٢٣. العفيفي (٢٠٠٠)، ص: ٤٦٧. واصف (د. ت)، ص: ٢٩.

بوفاة الخليفة أبو العباس السفاح[٢٨٥] وإذا كانت المصادر قد أهملت ذكر نفقات هذه الحروب، فمن المؤكد أنه أُنفق مال كثير على هذه الحملات وتجهيزها بشقيّها البري والبحري.

لكنّ الدولة العباسية لم تكن آنذاك في وضع يمكّنها من الانصراف إلى الحروب الخارجية، لأن اهتماماتها كلها كانت منصبّة على الجبهة الداخلية والقضاء على حركات المعارضة التي نهضت في وجهها، ولمّا استقرت الأحوال بعد مجيء الخليفة أبو جعفر المنصور إلى الخلافة فقد تابع الاهتمام بمناطق الحدود، وأمر بتحصينها، ونشر الجند في مناطق الثغور، وأنفق المزيد من الأموال على إعمار المناطق المخرّبة على الحدود مع البيزنطيين، وهذه الأعمال وثّقتها المصادر سنة ( ١٣٩هـ / ٧٥٦م)، عندما أرسل المنصور القائدين العباس بن محمد[٢٨٦] وصالح بن علي[٢٨٧] في مهمتين عسكريتين الأولى إعمار ما خرّبته بيزنطة في غزوها لملطية وتحصينها، والمهمة الثانية غزو الأراضي البيزنطية[٢٨٨].

والواضح أنّ الجيش أُقحم في بناء الحصون وغيرها من المنشآت العسكرية، وتجلّى هذا عندما أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور سنة ( ١٤٠هـ / ٧٥٧م)، جيشاً قوامه سبعين ألفاً من الجنود، بقيادة عبد الوهاب[٢٨٩]، والقائد الحسن بن قحطبة، إلى ملطية لبناء التحصينات وتقوية حصونها، وأسكن الخليفة أبو جعفر المنصور أربعة آلاف من الجند فيها، ومدّهم بالسلاح والأموال، إذ زاد في مرتب الجندي عشرة دنانير، ومساعدة مالية مقدارها مئة دينار، وأعطاهم المزارع وضرورات الدفاع، وكذلك الأمر

---

[٢٨٥] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٣٦٢. الطبري (١٩٧١)، ج٧، ص: ٤٦٠. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٨٩-٩٠-٩٧. عمران، محمود سعيد. (٢٠٠٠). **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي**. مكتبة نرجس. ص: ١٠٥.

[٢٨٦] العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الأمير أبو الفضل الهاشمي، أخ الخليفة السفاح والمنصور، ولد سنة ( ١٢١هـ / ٧٣٨م) وقيل سنة (١٢٠هـ/٧٣٧م)، وتولّى إمارة الشام في عهد الخليفة المنصور، والجزيرة في عهد الخليفة هارون الرشيد، وغزا الروم، توفي في بغداد سنة ( ١٨٦هـ / ٨٠٢م) وقيل (١٨٥هـ/٨٠١م) الذهبي (١٩٨٢)، ج٨، ص: ٥٣٤. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٦، ص: ٣٦٤. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٣، ص: ٢٦٤.

[٢٨٧] صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، الأمير الهاشمي أبو عبد الملك، عمّ الخليفة السفاح والمنصور، ولد بالشراة من أرض البلقاء من أعمال دمشق سنة (٩٦هـ/٧١٤م)، وقيل ولد قبل هذا التاريخ المذكور، وله معارك مع البيزنطيين، توفي سنة ( ١٥١هـ / ٧٦٨م) وقيل سنة (١٥٢هـ/٧٦٩م) وهو والي حمص وقنسرين. الذهبي (١٩٨٢)، ج٧، ص: ١٨. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٦، ص: ١٥٣. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ٩٣٤.

[٢٨٨] الطبري (١٩٧١)، ج٧، ص: ٤٩٧. عمران (٢٠٠٠)، ص: ١٠٦.

[٢٨٩] عبد الوهاب بن إبراهيم الامام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن أخي الخليفة المنصور، من القادة العباسيين، ولد بالشراة من أرض البلقاء، وتولّى إمارة دمشق وفلسطين والصائفة من قبل الخليفة المنصور، توفي في بغداد سنة ( ١٥٧هـ / ٧٧٣م)، وقيل سنة (١٥٨هـ/٧٧٤م) وهو والي دمشق. الذهبي (١٩٩١)، ج٩، ص: ٥١٤. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٩، ص: ١٩٣. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٤، ص: ١٧٩.

بالنسبة للحدث[٢٩٠]، فقد أعطى كل جندي راتباً قدره أربعون ديناراً، ومكافآت مالية ومساكن، وجدد الخليفة أبو جعفر المنصور خطته في محاولاته غزو الأراضي البيزنطية سنة ( ١٤٦هـ / ٧٦٣م)[٢٩١].

واتبّع أسلوباً جديداً للقتال مع البيزنطيين، يتلخص باتباع الهجوم بوصفه أفضل وسيلة للدفاع، وقد سار عليه الخلفاء من بعده وأعاد تنظيم الصوائف والشواتي، وهاجمت جيوش الخليفة أبو جعفر المنصور القوات البيزنطية واشتبكت معها مرات عدّة، ففي عام ( ١٤٩هـ / ٧٦٦م)، أُرسل العباس بن محمد، والحسن بن قحطبة، ومحمد بن الأشعث[٢٩٢]، على رأس جيش لغزو الأراضي البيزنطية، ولكنّ التوغل داخل الأراضي البيزنطية كان محدوداً، وكان هدف الخليفة أبو جعفر المنصور من هذه الأعمال العسكرية كسر شوكة العدو ومنعه من الاعتداء على أراضي الدولة، ويبدو أنّ انهماك الخليفة أبو جعفر المنصور في السياسة الداخلية طغى على نشاطه الخارجي ما أدّى إلى إعاقته عن اتخاذ موقف أكثر صلابة من البيزنطيين بالرغم من استمرار الحملات العسكرية ما بين أعوام ( ١٥٢-١٥٨هـ/٧٦٩-٧٧٤م) لغزو الأراضي البيزنطية[٢٩٣].

ولا شك أن ما أُنفق على التحصينات في مناطق الثغور، وعلى إقامة الجيش الدائمة فيها، وعلى الغزوات ضد البيزنطيين، كان كبيراً وكبيراً جداً، رغم أنّ المصادر التاريخية لم تذكر تفاصيل ذلك، ولم ينطبق عدم الاهتمام بذكر الإنفاق على الحملات أو غيرها على عصر من العصور بل شملت معظم العصور، إذ كان اهتمام المؤرخين أو المصنفين منصبّاً على ناحيتين عسكرية وسياسية، أمّا باقي النواحي فهي لا تشكّل أي حيّز من اهتمامهم في الدرجة الأولى أو لعدم قربهم من أصحاب القرار ومعرفة مقدار المبالغ المعروفة.

وعندما استلم الخليفة المهدي الخلافة كانت أوضاع الدولة قوية وآمنة، وانطلاقاً من هذا الواقع أخذ نشاطه العسكري ضد البيزنطيين بالظهور، ولم يقف عند الشواتي والصوائف التي سار عليها من سبقه

---

[٢٩٠] الحدث تقع في الثغور الجزرية بالقرب من مرعش بين ملطية وسميساط ومرعش. البكري (د. ت)، ج٢، ص: ٤٢٩. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ٢٢٧.

[٢٩١] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٣٩٠. الطبري (١٩٧١)، ج٧، ص: ٥٠٠-٦٥٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ١٢٧. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٠٨.

Peter Von Silvers: Taxes And Trade In The Abassid Thugur, ٧٥٠-٩٦٢/١٣٣-٣٥١. Jornal Of The Economic And Social History Of The Orient, Vol, Xxv, Part I, Vol.٢٥.١(١٩٨٢). Pp.٧١-٩٩. Published By Brill. Pp.٧٥.

[٢٩٢] محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي الخراساني، من كبار قادة العباسيين، ولّاه الخليفة المنصور دمشق، ثم مصر، توفي في طريقه لغزو الروم سنة ( ١٤٩هـ / ٧٦٦م). الذهبي (١٩٩١)، ج٩، ص: ٢٦٢. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٢، ص: ١٦٣. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٦، ص: ٣٩.

[٢٩٣] ابن خياط (١٩٨٥)، ص: ٤٢٦-٤٢٨. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٣٩٠. الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٤٣-٤٤- ٤٦- ٥٠- ٥٣- ٥٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٢٠٦- ٢١٠.

من الخلفاء، بل تميزت أعماله وغزواته ضد البيزنطيين بالقوة والاستمرارية، وبسبب قيام الامبراطور البيزنطي ليو الرابع[٢٩٤] بغزو مرعش[٢٩٥] سنة ( ١٦٣هـ / ٧٧٩م)، واتّباعه أساليب النهب والقتل فيها وبالمناطق المجاورة لها، كلّف المهدي القائد الحسن بن قحطبة بمقاومة البيزنطيين وحربهم، وانتصر هذا القائد عليهم وأرغمهم على التراجع من المناطق التي احتلوها، كما قام بإعادة ترميم طرسوس[٢٩٦] ودعمها بالمقاتلين، ثم قاد المهدي جيشاً قوياً بنفسه واصطحب ابنه هارون الرشيد سنة ( ١٦٣هـ /٧٧٩م)، وانتصر على البيزنطيين نصراً كبيراً.

تميزت الحملة التي قادها هارون الرشيد بأمر من والده الخليفة المهدي سنة ( ١٦٥هـ / ٧٨١م)، لغزو الأراضي البيزنطية بأنها الأكبر والأضخم، إذ بلغ تعداد جيشه خمسة وتسعين ألفاً، وأنفق عليه حوالي مائة وأربعة وتسعين ألفاً وأربعمائة وخمسين دينار من العين، كما أنفق من الورق[٢٩٧]، أحداً وعشرين مليون وأربعمائة وأربعة عشر ألفاً وثمانمائة درهم، ووصل إلى خليج القسطنطينية، وانتصر عليهم[٢٩٨].

ولم تتوقف الحملات ضد الامبراطورية البيزنطية بعد الخليفة المهدي، لكنها لم تكن بالزخم الذي كانت عليه في عهده إذ لم تأت المصادر على ذكر الحملات ضد بيزنطة في عهد الخليفة الهادي إلاّ مرة واحدة سنة ( ١٦٩هـ / ٧٨٥م)[٢٩٩]، وربما يعود ذلك إلى قصر المدّة التي حكم فيها الخليفة الهادي.

تابع الخليفة هارون الرشيد إدارة الجيش وقيادته ضد الامبراطورية البيزنطية التي كانت موضع اهتمامه، وقد تميز عهده بالحزم والمتابعة على مستويات عدّة، إذ كانت العمليات العسكرية في عهده مستمرة وفاعلة ومؤثرة، ولم يتقيد بالعمليات التقليدية التي كانت موجودة وهي الشواتي والصوائف، بل كانت الأعمال العسكرية متكررة، وعمل على تقوية الثغور وأمدّها بكافة مستلزمات البقاء والقوة ودعم رجالها بالماديات التي تمكنهم من الصمود في وجه الغزوات البيزنطية المحتملة، فقد أرسل الخليفة هارون الرشيد جيوشاً عدّة لغزو الأراضي البيزنطية سنة ( ١٧٠هـ /٧٨٦م ) و( ١٧٢هـ/٧٨٨م)[٣٠٠]،

---

[٢٩٤] ليو الرابع امبراطور بيزنطة من الأسرة الأيسورية، تولّى عرش بيزنطة سنة ( ١٥٩هـ / ٧٧٥م)، وتوفي سنة ( ١٦٤هـ / ٧٨٠م). عمران (٢٠٠٠)، ص: ١١١.

[٢٩٥] مرعش: مدينة في الثغور بين الشام وبلاد بيزنطة، وذُكرت بأنها من ثغور إرمينية، وهي الآن مدينة تركية تقع في وسط جنوب تركيا، على نهر جيحان، غرب مدينة ديار بكر حوالي (٣٠٠كم). البكري (د. ت)، ج٤، ص: ١٢١٥. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ١٠٧. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٥٤١. العفيفي (٢٠٠٠)، ص: ٤٥٥. واصف (د. ت)، ص: ٢٩.

[٢٩٦] طرسوس: مدينة من الثغور الجزرية في الشام، بين أنطاكيا وحلب وبلاد الروم، وهي الآن مدينة تركية في مقاطعة كيليكية على نهر طرسوس. البكري (د. ت)، ج٣، ص: ٨٩٠. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ٢٨. شامي (١٩٩٣)، ص: ٣١٦.

[٢٩٧] الورق: الفضة، والورق المال من دراهم وإبل وغير ذلك، والورق المال من الإبل والغنم. ابن منظور (د. ت)، ج١٠، ص: ٣٧٥.

[٢٩٨] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٣٩٦. الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ١٥٢-١٥٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٢٤٨.

[٢٩٩] الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٢٠٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٢٦٩.

[٣٠٠] الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٢٣٤- ٢٣٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٢٧٩- ٢٨٥. عمران (٢٠٠٠)، ص: ١١٤.

كما كلّف عبد الملك بن صالح[٣٠١] بقيادة جيش سنة ( ١٧٤هـ/٧٩٠م)[٣٠٢]، ولم تتوقف هذه الغزوات طيلة السنوات التي تلتها من ( ١٧٥هـ /٧٩١م ) حتى سنة ( ١٨٠هـ /٧٩٦م )[٣٠٣].

لكن اختلف الأمر فيما بعد، إذ إنه قاد الجيش بنفسه سنة ( ١٨١هـ / ٧٩٧م)، متوجهاً إلى حصن الصفصاف[٣٠٤]، فاستطاع فتحه لكنه لم يُكمل مسيره، بل أوكل إلى عبد الملك بن صالح قيادة الجيش لمتابعة غزو الأراضي البيزنطية، فوصل جيش الخليفة هارون الرشيد أنقرة وفتح مطمورة[٣٠٥][٣٠٦]، وأفسوس[٣٠٧] سنة ( ١٨٢هـ / ٧٩٨م)[٣٠٨].

وحتى يطمئن الخليفة للأمور الداخلية ويجعلها مستقرة، فقد وجّه سياسة الخلافة إلى متابعة العمليات العسكرية ضد بيزنطة، هادفاً من وراء ذلك إلى إرساء قواعد الأمن والاستقرار على الحدود التي هددتها بيزنطة لعقود طويلة، فكلّف ابنه القاسم بن الرشيد[٣٠٩] بغزو أراضي بيزنطة سنة ( ١٨٧هـ / ٨٠٢م)، وحاصر قرّة[٣١٠]، وتوجه الخليفة هارون الرشيد بنفسه إلى هرقلة[٣١١] وفتح حصوناً كثيرة[٣١٢].

وقاد الخليفة هارون الرشيد بنفسه جيشاً ضخماً مخترقاً الأراضي البيزنطية إلى هرقلة سنة ( ١٩٠هـ / ٨٠٥م)، وحاصرها ثلاثين يوماً فاستطاع فتحها وسبى أهلها[٣١٣]، ومن الملاحظ أنّ هذه الحملات

---

[٣٠١] عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو عبد الرحمن، من أمراء بني العباس، تولّى المدينة وغزو الصوائف في عهد الخليفة هارون الرشيد، ثم تولّى الشام والجزيرة في عهد الخليفة الأمين، توفي في الرقة سنة ( ١٩٦هـ / ٨١١م). الذهبي (١٩٩١)، ج٩، ص: ٢٢١. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٩، ص: ١١٢. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٤، ص: ١٥٩.

[٣٠٢] الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٢٣٩.

[٣٠٣] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤١٠-٤٣١. الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٢٤١- ٢٥٤- ٢٥٥- ٢٦٠- ٢٦٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٣٠١- ٣٠٤- ٣١١.

[٣٠٤] حصن الصفصاف: يقع في الثغور عند المصيصة. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٤١٣.

[٣٠٥] مطمورة: بلد في ثغور بلاد الروم، بالقرب من طرسوس. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ١٥١.

[٣٠٦] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٣١. الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٢٦٨. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٣١٥.

[٣٠٧] أفسوس: بلد في بلاد الثغور عند طرسوس، وهي الآن مدينة في تركيا بقرب أزمير. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ٢٣١. العفيفي (٢٠٠٠)، ص: ٥٧. واصف (د. ت)، ص: ١٣.

[٣٠٨] ابن بكّار (١٩٩٦)، ص: ٤١. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٣١. الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٢٦٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٣١٧. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١١٤.

[٣٠٩] القاسم بن هارون الرشيد، أخ الأمين والمأمون، ولقّب بالمؤتمن، ولي العهد بعد الأمين والمأمون، وشرّط للمأمون إن شاء يُقّره أقرّه، وإن شاء أن يخلعه خلعه، فخلعه سنة (١٩٨هـ/٨١٣م)، وتوفي في بغداد سنة ( ٢٠٨هـ / ٨٢٣م). الذهبي (١٩٩١)، ج١٤، ص: ٢٩٨. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٢٤، ص: ١٢٧. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ١٢٠٠.

[٣١٠] لا يوجد لها ترجمة.

[٣١١] هرقلة: مدينة في بلاد الروم، في آسيا الصغرى، واسمها الآن إركلي، سميت بهرقلة بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ٣٩٨. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٥٩٢. واصف (د. ت)، ص: ٨٧.

[٣١٢] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٢٣-٤٣١. ابن منده (د. ت)، مج٣، ج٢١، ص: ٥٢٨. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١١٤.

[٣١٣] ابن قتيبة (د. ت)، ص: ٣٨٢. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٢٨. ابن العمراني (١٩٩٩)، ص: ٩٧.

المتكررة ضد البيزنطيين، وتجهيز الجيوش وقيادتها بنفسه، والحصار الطويل على المدن، لا بدّ أنه قد كلّف الخزينة كثيراً من الأموال، فالحروب مكلفة اقتصادياً بطبيعتها.

ولم تكن هذه الحملة هي الوحيدة أو الأخيرة في عهد الخليفة هارون الرشيد، فقد استمرت الحملات العسكرية ضد البيزنطيين في عهده والتي توغلت داخل الامبراطورية البيزنطية. كما كلّف الخليفة هارون الرشيد حميد بن معيوف[٣١٤] بقيادة حملة بحرية لغزو قبرص[٣١٥].

وتابع الخليفة هارون الرشيد إرسال الجيوش ضد البيزنطيين فقد كلّف هرثمة بن أعين[٣١٦] سنة ( ١٩١هـ / ٨٠٦م)، بقيادة جيش بلغ عدده ثلاثين ألفاً من الجند لغزو الأراضي البيزنطية، وتابع ذلك في سنة ( ١٩٢هـ / ٨٠٧م)، عندما تمكّن جيش الخلافة من فتح مطمورة[٣١٧].

لكن هل كانت هذه الأموال كلها من خزينة الدولة؟ هل كان هناك مصادرات للإنفاق عليها؟ هل كان هناك اقتراض من تجار بغداد من الأثرياء؟ هل استطاعت خزينة الدولة تحمّل هذا العبء المادي؟ هل هناك علاقة بين قيام الخليفة هارون الرشيد بنكبة البرامكة بالأزمة الاقتصادية؟ سيما أنّ أسرة البرامكة كانت ثرية جداً ومتحكمة في مفاصل الدولة الاقتصادية، تساؤلات كثيرة لا بدّ فيما بعد وبما تيسّر من وسائل ومعلومات من الإجابة عنها.

من المعلوم أنّ اقتصاد الدولة العباسية كان قوياً في هذه المدّة، لكن تجهيز هذه الجيوش المتلاحقة والإنفاق عليها في سبيل إعدادها للحرب والمواجهات ومدّها بالمؤن والسلاح والخيول، لا بدّ أنه استهلك كثيراً من واردات بيت المال، وكل هذا شكّل ضغطاً في النفقات على مناحي الحياة المختلفة الأخرى، وشكّل أعباءً مالية واقتصادية على المجتمع ككل، فتحمّل الجميع تبعات هذه الحروب والحملات، وشكّلت عائقاً في مضمار التطور الاقتصادي.

والجدير ذكره أنّ الحروب الخارجية ضد بيزنطة في عهد الخليفة الأمين اتّسمت بأنها محدودة، وغير مذكورة إن لم نقل معدومة نتيجة للصراع بين الأخوين، وعدم الاستقرار السياسي، وما نجم عن ذلك من حروب ومعارك، استغلّتها الامبراطورية البيزنطية في توسيع نفوذها.

غير أنّ الوضع تحسّن قليلاً في عهد الخليفة المأمون وخصوصاً بعد إضعاف حركة بابك الخرمي والقضاء عليه، فقد أخذ بالتغلغل تدريجياً في الأراضي البيزنطية حتى وصلت جيوشه إلى

---

[٣١٤] حميد بن معيوف الهمذاني، قائد بحري، توفي سنة ( ١٩٣هـ / ٨٠٨م). الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ١١٢٣.

[٣١٥] الدينوري (١٩١١)، ص: ٣٦٩. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٣١. الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٣٢٠-٣٢٢. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٣٤١.

[٣١٦] هرثمة بن أعين، من القادة الذين خدموا في الخلافة العباسية، توفي سنة ( ٢٠٠هـ / ٨١٥م). الذهبي (١٩٩٠)، ج١٣، ص: ٨٠. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ١١٥٩.

[٣١٧] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٣١. الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٣٢٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٣٤٨-٣٥١.

المصيصة[٣١٨] وطرسوس سنة ( ٢١٥هـ / ٨٣٠م)، وفتح حصن قرة وهدمه، وأرسل القائد أشناس[٣١٩] إلى حصن سندس[٣٢٠]، والقائد عجيف بن عنبسة[٣٢١] إلى حصن سناذ[٣٢٢].

كما قاد بنفسه جيشاً سنة ( ٢١٦هـ / ٨٣١م)، ووصل إلى هرقلة وفتحها، وكلّف المعتصم بفتح المزيد من حصون البيزنطيين، وقد تمّ فتح ثلاثين حصناً، وتابع الخليفة المأمون حملاته ضد بيزنطة، فقد حاصر لؤلؤة[٣٢٣] مئة يوم سنة ( ٢١٧هـ / ٨٣٢م)، وجرت مناوشات بين المسلمين والبيزنطيين، وكُلّف العباس بن المأمون[٣٢٤] بأمر أبيه بقيادة جيش سنة ( ٢١٨هـ / ٨٣٣م) غازياً الأراضي البيزنطية[٣٢٥].

إنّ هذه الجيوش التي تمّ ذكرها، والتي توجهت غازيةً إلى الأراضي البيزنطية أيام الخليفة المأمون قد كلّفت خزائن بيت المال الأموال الكثيرة التي شكّلت أحد أهم أسباب الأزمات الاقتصادية الكبرى في العراق وما نجم عنها من شلل في المرافق الاقتصادية وزاد من معاناة الشعب وتراجع في المستوى المعيشي لهم.

واستمرّ العباسيون بالدفاع عن أراضيهم ضد الامبراطورية البيزنطية في عهد الخليفة المعتصم، فقد هاجم البيزنطيون زبطرة[٣٢٦] سنة ( ٢٢٣هـ / ٨٣٧م)، وقتلوا وسبوا فيها ونهبوا وخرّبوا، فسار الخليفة المعتصم على رأس جيش كثير العدد والعتاد إلى عمورية[٣٢٧]، وفتحها، وانتصر على البيزنطيين.

---

[٣١٨] المصيصة: ثغر من ثغور الشام، تقع بين أنطاكيا وبلاد الروم، على نهر جيحان، قرب طرسوس. البكري (د. ت)، ج٤، ص: ١٢٣٥. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ١٤٥. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٥٥٤. واصف (د. ت)، ص: ٢٩.

[٣١٩] أشناس قائد تركي في زمن المأمون والمعتصم والواثق، كان قائد جيش المعتصم عندما فتح عمورية، وفي عهد الخليفة الواثق تولّى إمارة الجزيرة والشام ومصر، توفي سنة (٢٥٢هـ/٨٦٦م). الذهبي (٢٠٠٣)، ج٦، ص: ٥٤. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٩، ص: ١٦٤.

[٣٢٠] لا يوجد له ترجمة.

[٣٢١] عجيف بن عنبسة، قائد كبير من القواد، توفي سنة ( ٢٢٣هـ / ٨٣٧م)، ويعود السبب إلى قيامه بتحريض العباس بن المأمون على الخلافة، وخلع الخليفة المعتصم، وراسل له القواد بالطاعة، وعلم بهم الخليفة المعتصم أثناء فتحه لعمورية، فألقي القبض عليهم وسجنوا في منبج. ابن قتيبة (د. ت)، ص: ٣٩٢. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٨٣-٨٥. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٦، ص: ٣٧٤.

[٣٢٢] لا يوجد له ترجمة.

[٣٢٣] لؤلؤة: قلعة قرب طرسوس في بلاد الثغور. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ٢٦.

[٣٢٤] العباس أبو الفضل بن عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، كان قائداً، بايع عمّه المعتصم بعد وفاة والده المأمون سنة (٢١٨هـ/٨٣٣م)، وتولى الجزيرة والثغور والعواصم، سنة ( ٢١٣هـ / ٨٢٨م)، وفي سنة ( ٢٢٣هـ / ٨٣٧م)، توجه الخليفة المعتصم إلى بلاد الروم غازياً لفتح عمورية، ومعه العباس والقائد عجيف بن عنبسة، فقام عجيف بتوبيخ العباس على مبايعته للمعتصم، وتحريضه لاستلام الخلافة، وراسل له القواد بالطاعة له، فعلم المعتصم بذلك، وألقي القبض عليهم واعتقلوا في منبج، حتى وصل المعتصم إليهم راجعاً من عمورية، وتوفي العباس مسجوناً في السنة المذكورة نفسها، وقيل سنة (٢٢٤هـ/٨٣٨م). ابن قتيبة (د. ت)، ص: ٣٩٢. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٨٣-٨٥. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٦، ص: ٤٧٤.

[٣٢٥] ابن قتيبة (د. ت)، ص: ٣٩١. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٦٧-٤٦٩. الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٦٢٣-٦٢٥-٦٢٨-٦٣١. ابن العمراني (١٩٩٩)، ص: ١٠٢. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٤٩٤-٤٩٦-٤٩٨. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١١٩.

[٣٢٦] زبطرة: من الثغور الجزرية، حصن منيع قديم رومي، يقع بين ملطية وسميساط والحدث، وهي بالجنوب الغربي من ملطية، على أطراف بلاد الروم. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ١٣١. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٢٨٥. واصف (د. ت)، ص: ٤٣.

وأشارت المصادر إلى أنّ الخليفة المعتصم أنفق على هذه الحروب مع البيزنطيين مبلغاً قدره مليون دينار، كما كانت تكلفة الحملات التي أرسلها الخليفة المعتصم لغزو بيزنطة براً وبحراً في الصيف والشتاء، مبلغاً قدره ما بين مائتي ألف إلى ثلاثمائة ألف دينار[٣٢٨].

وبعد حملة الخليفة المعتصم على عمورية قلّت الغزوات على الأراضي البيزنطية، ويعود ذلك إلى كثرة الفتن في بغداد، وانشغال الخليفة في أموره الداخلية، واقتصرت الحروب أيام الخليفة الواثق بالله داخل العراق، وخارجه فقط في الحجاز.

**٤-الحروب الخارجية في عصر الضعف للخلفاء العباسيين:**

كانت الحروب مع الإمبراطورية البيزنطية في دور القوة متميزة بالديمومة والاستمرارية، وتميزت بالانتصارات الكثيرة وإرغام البيزنطيين على طلب الصلح في أثناء الحروب وخلالها، وكانت منطقة الثغور العربية قوية ومحصنة تحرسها الجيوش العباسية المدعومة من الخلفاء، لكن الأمر تغير كثيراً في عصر الضعف للخلفاء، فقد كانت الحروب محدودة ودفاعية وهي صفة غالبة عليها، ومرد ذلك إلى كثرة الفتن والحروب الداخلية، علاوة على تسلط الأتراك والبويهيين على الدولة والخلافة، بالإضافة إلى محدودية صلاحية الخلفاء في هذا العصر.

ففي عهد الخليفة المتوكل على الله هاجمت الجيوش العباسية الأراضي البيزنطية مرات عدّة، ففي سنة ( ٢٣٧هـ / ٨٥١م)، كلّف الخليفة المتوكل على الله علي بن يحيى الأرمني[٣٢٩]، بغزو الأراضي البيزنطية على رأس جيش، وتكرّرت هذه الغزوات التي قادها علي بن يحيى الأرمني ضد البيزنطيين ما بين ( ٢٣٨-٢٣٩هـ / ٨٥٢-٨٥٣م)[٣٣٠].

إلى جانب ذلك أخذت الصوائف والشواتي تتعرّض لخطر كبير أيام خلافة المتوكل على الله، وتعرّض قوادها للقتل أو للأسر على أيدي البيزنطيين في أثناء قيامهم بالغزوات التي قاد معظمها القائدان علي

---

[٣٢٧] عمورية: بلد من بلاد الروم، وهي على نهر كبير يصب في الفرات، وهي الآن مدينة تقع في غرب تركيا. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ١٥٨. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٤١٣. العفيفي (٢٠٠٠)، ص: ٣٤٤.

[٣٢٨] ابن خياط (١٩٨٥)، ص: ٤٧٧. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٧٥-٤٧٦. الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٥٥-٥٧. المقدسي (د. ت)، ج٦، ص: ١١٨. الجرديزي (٢٠٠٦)، ص: ١٣٤. ابن العمراني (١٩٩٩)، ص: ١٠٦. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٢٣. سنبط (١٩٦٤)، ص: ٢٢١. الزهراني (١٩٨٦)، ص: ٣٣٧. عوض، محمد مؤنس. (٢٠٠٧). **الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة**. ط: ١. عين للدراسات والبحوث. ص: ٢٤٣.

[٣٢٩] علي بن يحيى الأرمني، أبو الحسن قائد أرمني، من قادة العصر العباسي، ومن ولاته، وله معارك مع البيزنطيين، قُتل في معركة مع الروم سنة ( ٢٤٩هـ / ٨٦٣م). المسعودي (٢٠٠٥)، ج٤، ص: ١٧١. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ٢٣. الذهبي (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٩٩١. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٢٢، ص: ١٩٠. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ١٣٩٠.

[٣٣٠] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١١٥- ١١٨-١١٩. عمران (٢٠٠٠)، ص: ١٣١.

ابن يحيى الأرمني وعمرو بن عبد الله الأقطع[٣٣١] ما بين ( ٢٤٢-٢٤٦هـ / ٨٥٦-٨٦٠م)، وأنفق الخليفة المتوكل على الله مبلغاً قدره مئة ألف دينار لشن أي هجوم على بيزنطة[٣٣٢].

أمّا الحروب مع الإمبراطورية البيزنطية في عهد الخليفة المنتصر بالله فكانت واحدة من غزوات الصيف، وبلغ عدد المشاركين فيها من الجند عشرة آلاف فارس[٣٣٣].

ووجّه الخليفة المستعين حملات عدّة ضد البيزنطيين ما بين سنة ( ٢٤٨-٢٥١هـ / ٨٦٢-٨٦٥م)، لكنه عجز عن تجهيز حملة لرد البيزنطيين الذين هاجموا ملطية، لقلّة الأموال في الخزينة وعجزها، فاشترك الأغنياء والناس بجمع الأموال لتجهيزها، وهذا دليل على تكلفة الحملات وعجز بيت المال ووجود أزمة اقتصادية[٣٣٤].

واستمرت المعارك مع البيزنطيين أيام الخليفة المعتز الذي أرسل جيشاً لمحاربتهم في منطقة ملطية سنة ( ٢٥٣هـ / ٨٦٧م)، ولم يحقق هذا الجيش النصر على البيزنطيين[٣٣٥]، وبلغت نفقات الجيش الذي أرسله الخليفة المكتفي سنة ( ٢٨٩هـ / ٩٠١م) لغزو بيزنطة، مبلغاً قدره اثنان وثلاثون ألف دينار[٣٣٦]. ولا تُقارن هذه النفقات مع ما أنفقه الخليفة المقتدر لمناطق الثغور، إذ قُدّرت نفقاته ( ٤٩١٤٥٦) بأربعمائة ألف وواحدٍ وتسعين ألف دينار وأربعمائة وستة وخمسين ديناراً[٣٣٧].

إنّ انشغال معظم الخلفاء في فترة الضعف بالحروب الداخلية التي جرت بين بعضهم ، أو بينهم وبين المتمردين والثائرين على الخلافة العباسية، أدّت إلى تراجع الحروب الخارجية خاصة الموجّهة ضد البيزنطيين، والتي كانت متتالية وبقوة في عصر القوة لخلفاء بني العباس.

والظاهر الجلي أنّ الأموال الكثيرة التي أُنفقت على الحروب أيام العباسيين سواء منها الداخلية أم الخارجية، كان لها تداعيات سلبية في الأقاليم التابعة للخلافة العباسية قد أرهقت خزائن بيت المال، وأدّت إلى فقرها وعجزها، وإلى تردّي أحوال العامة من الناس.

---

[٣٣١] عمرو بن عبد الله الأقطع، من قادة العصر العباسي، قُتل في معركة مع الروم سنة ( ٢٤٩هـ / ٨٦٣م). المسعودي (٢٠٠٥)، ج٤، ص: ١٧١. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ٢٣. الذهبي (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٩٩١. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ١٣٩٠.

[٣٣٢] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٢٦- ١٢٩- ١٣١- ١٣٤. الزهراني (١٩٨٦)، ص: ٣٣٧.

[٣٣٣] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٢٤٠-٢٤١.

[٣٣٤] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٩٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٥١- ١٥٣- ١٨٠. الزهراني (١٩٨٦)، ص: ٣٤١.

[٣٣٥] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٥٠١. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٩٢.

[٣٣٦] الزهراني (١٩٨٦)، ص: ٣٣٨.

[٣٣٧] ابن دحية الكلبي (١٩٤٦)، ص: ١١٢.

**٥- الحروب الخارجية للخلفاء العباسيين في الحجاز:**

كان خلفاء بني العباس في العصر العباسي الأول على درجة من القوة والنفوذ، إذ استطاعوا القضاء على المتمردين والثائرين والمناهضين للخلافة، وقد تميّز خلفاء هذا العصر بالدهاء والغدر أحياناً، وكان جانب التحيّل والمخادعة الممارس من قبل الخلفاء في عصر القوة يسير مع جانب القوة والشدة، وحقيقة الأمر أنّ الخلفاء العباسيين ومن أجل توطيد أركان دولتهم، كانوا في بعض الأحيان يلجؤون إلى عدم الوفاء بأماناتهم، كما يلجؤون إلى سفك الدماء، ولم يتورّعوا عن استخدام العنف والتشدد مع أبناء عمومتهم، ومع الخارجين عليهم مهما كانت هويتهم.

استفاد العباسيون من الحركات العلوية التي قادتها شخصيات من آل علي عليه السلام والتي قامت في وجه الأمويين، وحملهم لراية الكفاح منذ موقعة كربلاء، وكان هؤلاء يرون أنفسهم أحقّ من أبناء العباس في تولي منصب الخلافة وأن العباسيين مغتصبون لها، ومن حقهم المطالبة بأخذ حقوقهم.

ولم تكن منطقة الحجاز ترضى بالخضوع سياسياً وعسكرياً لسلطة الخلافة العباسية، سيما أنّها تضم معظم أسرة الرسول صلى الله عليه وسلم وآل البيت، وقد برزت منهم قيادات متعددة يأتي في مقدمتهم محمد بن عبد الله النفس الزكية الذي انتفض في وجه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور رافضاً قبوله والتبعية له في المدينة المنورة سنة ( ١٤٥هـ / ٧٦٢م).

وبدأ التوتر يسود العلاقات ما بين الخليفة أبو جعفر المنصور وبين محمد النفس الزكية، منذ أن حجّ المنصور سنة ( ١٣٦هـ / ٧٥٣م)، في عهد أخيه الخليفة أبو العباس السفاح[٣٣٨] ، وقد رفض محمد النفس الزكية البيعة لأبي العباس، ومن بعده للمنصور وكان الخوف متبادلاً بين الطرفين، محمد النفس الزكية يخاف من غدر الخليفة أبو جعفر المنصور، والأخير يخاف على عرشه من محمد، وأخذ الخليفة أبو جعفر المنصور ينكّل بالعلويين ويزجّهم في السجون ويقيّدهم بالسلاسل.

وخرج محمد النفس الزكية مع عدد من أنصاره وقصد السجن في المدينة المنورة، فكسر بابه وأخرج من فيه وانضمّ إليه غالبية سكان المدينة، واستولى على دار الإمارة فيها، وأسر الوالي، وخطب في الناس، وأوضح أسباب ثورته، وحقّه في الخلافة واغتصاب المنصور لهذا الحق[٣٣٩]، وكان محمد النفس الزكية من سادات بني هاشم وذو شرف وعلم واشتهر بالعفو والعفّة، وأهّلته هذه الصفات أن يحتل مركزاً عظيماً بين الناس[٣٤٠]، وجرت مراسلات بين الخليفة أبو جعفر المنصور والنفس الزكية يطلب فيها الخليفة منه العودة عن الثورة والتمرد مقابل الأمان له ولمن معه، لكنّ محمد النفس الزكية رفض ذلك وأصرّ على

---

[٣٣٨] الطبري (١٩٧١)، ج٧، ص: ٥١٧-٥١٨.

[٣٣٩] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٥٣١.

[٣٤٠] حسن (١٩٩٦)، ج٢. ص: ١٢٩.

الثورة، وحفر خندقاً حول المدينة، وأرسل الخليفة أبو جعفر المنصور جيشاً كثيفاً بقيادة ابن أخيه وولي عهده عيسى بن موسى[٣٤١]، سنة ( ١٤٥هـ / ٧٦٢م)، وأردفه بجيش آخر وأنفق عليه مبلغاً قدره ٧٠ألف دينار، وانتهت المعركة بمصرع محمد النفس الزكية وهو في الخامسة والأربعين من عمره[٣٤٢].

ولم يتوقف آل علي عن التمرد ضد الخلافة عند النفس الزكية أو أخيه إبراهيم، بل تابع نهجهم الحسين بن علي[٣٤٣] في مكة والحجاز سنة ( ١٦٩هـ / ٧٨٥م)، ودعا الحسين لنفسه في المدينة واجتمع إليه عدد كبير من الناس، وأخرج السجناء من سجن الخلافة في المدينة المنورة، وبايعه الجميع بالخلافة، وسيطر على المدينة ومكة، فأرسل الخليفة الهادي جيشاً لمقاومته، والتقى الجيشان في منطقة فخ[٣٤٤] وانتهت المعركة بقمع الثورة وقتل الحسين، وقُتل معه أيضاً بعض من أهل بيته، وكثيرون من أنصاره، وظلّوا في العراء حتى أكلتهم السباع والعقبان[٣٤٥].

لكن لم يشهد عهد الخليفة الواثق بالله حوادث مهمة وكبيرة، فقد كانت محدودة وتمكّن جيشه من القضاء عليها، فقد أرسل جيشاً إلى الحجاز سنة ( ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)، بقيادة بغا الكبير[٣٤٦]، لمحاربة الأعراب المتمردين في المدينة وأطرافها، والتقى معهم في معركة انتصر فيها بغا على الأعراب[٣٤٧].

كما أمر الخليفة بغا الكبير سنة ( ٢٣٢هـ / ٨٤٦م)، بالتوجه إلى بني نمير ومحاربتهم، بسبب فسادهم وتمرّدهم عند اليمامة[٣٤٨]، وجرت وقعات عدة بين الطرفين، انتهت لصالح جيش الواثق[٣٤٩].

---

[٣٤١] عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أبو موسى، بن أخي السفاح والمنصور، ولد في الحميمة من أرض البلقاء بالشام سنة ( ١٠٢هـ / ٧٢٠م)، وقيل سنة (١٠٣هـ/٧٢١م)، وتوفي في الكوفة سنة ( ١٦٧هـ / ٧٨٣م) وقيل سنة (١٦٨هـ/٧٨٤م). اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٣٩٩. الذهبي (٢٠٠٣)، ج١٠، ص: ٣٨٣. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ٩٩٢.

[٣٤٢] ابن خياط (١٩٨٥)، ص: ٤٢١. البسوي (١٩٨٩)، ج١، ص: ١٢٥. الدينوري (١٩١١)، ص: ٣٦٤. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٣٧٦. الطبري (١٩٧١)، ج٧، ص: ٥٥٢-٦٠٩. الزهراني (١٩٨٦)، ص: ٣٣٥. عباس، مريم رزوقي . (٢٠١٧). **الثورات العلوية في مرويات المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي الأول**. ط: ١. كربلاء: العراق. وحدة الدراسات التخصصية. ص: ٢٤٨-٢٥٠.

[٣٤٣] الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، المعروف بصاحب فخ، قُتل في مكة سنة ( ١٦٩هـ / ٧٨٥م). ابن طباطبا (د. ت)، ص: ١٢٣. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٢، ص: ٢٨٢. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٢، ص: ٢٤٤.

[٣٤٤] فخ: بلفظ الفخ الذي يصاد به، وهو معرب وليس بعربي، وهو وادي في مكة المكرمة، وهو وادي الزاهر بين عمرة التنعيم والمسجد الحرام، بينه وبين مكة ثلاثة أميال، وقيل ستة أميال. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ٢٣٧. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٤٣٦. شُرّاب، محمد حسن. (١٩٩١). **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**. ط: ١. دمشق: سوريا. دار القلم. ص: ٢١٣.

[٣٤٥] ابن قتيبة (د. ت)، ص: ٣٨١. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٣٧٦. الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ١٩٢. المسعودي (٢٠٠٥)، ج٣، ص: ٢٤٨. ابن منده (د. ت)، مج٣، ج٢٠، ص: ٤٤٢. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٢٦٥. عباس (٢٠١٧)، ص: ٢٧٨-٢٨٢.

[٣٤٦] بغا الكبير، أبو موسى، قائد تركي، وأحد قواد الخليفة المتوكل، له فتوحات ووقعات، توفي سنة ( ٢٤٨هـ / ٨٦٢م) وقيل سنة (٢٥٠هـ/٨٦٤م) وعاش حوالي التسعين سنة. المسعودي (٢٠٠٥)، ج٤، ص: ١٣٠. الذهبي (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ١٠٩٣. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٠، ص: ١٠٩. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ١٣٨٣.

[٣٤٧] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ١٢٩-١٣١.

**٦- الحروب الخارجية للخلفاء العباسيين في مشرق الخلافة:**

قامت ثورات عدّة في المناطق الشرقية بوجه الخلافة العباسية، مستفيدين من انشغال العباسيين بمشاكلهم الداخلية، ومن بعدهم عن مركز الخلافة في العراق، وقادة هذه الثورات والحركات أصحاب طموح وسيطرة يرغبون بالانفصال عن الخلافة كلياً أو جزئيّاً مع الاعتراف بها اسمياً، كما كانت بعض هذه الحركات تجدد المطالبة بدم أبي مسلم الخراساني لتشرعن تمرّدها وثورتها ضد العباسيين، وفي مجمل الأحوال كلّفت هذه الثورات الدولة العباسية المبالغ الكبيرة في سبيل مقاومتها وحربها، علاوة على حرمان خزينة الدولة من واردات هذه المناطق التي قامت على أرضها هذه الثورات والحركات المناوئة للعباسيين، ومن أبرزها:

حركة سنباذ[٣٥٠]: التي قامت للمطالبة بدم المقتول أبي مسلم الخراساني، والمطالبة بدمه هو الشعار المعلن لهذه الفتنة بقيادة سنباذ سنة ( ١٣٧هـ / ٧٥٤م)، ثم استجاب لدعوته أعداد كبيرة من تلك المناطق عُرفت بحبّها لأبي مسلم، فوجّه الخليفة المنصور جيشاً قوامه عشرة آلاف فارس بقيادة جهور ابن مرار العجلي[٣٥١]، لقتال سنباذ، والتقى الطرفان بالقرب من همذان والنتيجة هزيمة سنباذ وقتله، ولم يمض وقت طويل فبعد مرور أربع سنوات فقط وتحديداً ( ١٤١هـ / ٨٥٨م)، تمرّد عبد الجبار بن عبد الرحمن[٣٥٢] عامل خراسان[٣٥٣] على الخليفة أبو جعفر المنصور، وأعلن عصيانه، فوجّه الخليفة جيشاً بقيادة ابنه المهدي، وكانت النتيجة القضاء على المتمردين، ومقتل عبد الجبار[٣٥٤].

ولمّا تناهى إلى مسامع الخليفة أبو جعفر المنصور تمرّد الديلم على المسلمين في المناطق الشرقية للخلافة، جهّز الخليفة أبو جعفر المنصور جيشاً قوياً كانت نفقاته قد أثقلت كاهل الناس في البصرة

---

[٣٤٨] اليمامة: منطقة تابعة لنجد، وهي متصلة بعمان من جهة المغرب مع الشمال. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ٤٤٢. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٦١٩.

[٣٤٩] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ١٤٦-١٥٠.

[٣٥٠] سنباذ الفارسي المجوسي، من خراسان، وكان من أصحاب أبو مسلم الخراساني، وثار مطالباً بالثأر لمقتل أبو مسلم الخراساني، قُتل سنة ( ١٣٧هـ / ٧٥٤م). الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ٨٧١.

[٣٥١] جهور بن مرار العجلي، كان من قادة الجيوش العباسيين، تمرّد على الخلافة العباسية في الري، وقُتل سنة ( ١٣٨هـ / ٧٥٥م)، الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ٨٧٦.

[٣٥٢] عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، تولّى خراسان سنة ( ١٤٠هـ / ٧٥٧م)، وتمرّد على الخلافة العباسية، وقُتل سنة ( ١٤٢هـ / ٧٥٩م). الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ٨٩٢.

[٣٥٣] خراسان: ومعنى تسميتها بالفارسية مطلع الشمس، وقيل: خُرْ: كُلْ، وأسان: سهل، أي كُل بلا تعب، وهي بلاد واسعة من أرض فارس، حدودها ممتدة مع العراق والهند، وتضم عدد من المدن منها، نيسابور، بلخ، طالقان، مرو، دخل عليها المسلمون سنة ( ٣١هـ / ٦٥١م)، في عهد الخليفة عثمان بن عفان. اليعقوبي (د. ت)، ص: ٧٧. البكري (د. ت)، ج٢، ص: ٤٨٩. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ٣٥٠. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٢١٤.

[٣٥٤] ابن خياط (١٩٨٥)، ص: ٤١٦-٤١٧. البلاذري (١٩٩٦)، ص: ٣٠٣-٣٣١. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٣٦٨-٣٧١. الطبري (١٩٧١)، ج٧، ص: ٥٠٨. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٣، ص: ٥٠-٦١.

والكوفة كونه طالبهم بدفع تكاليف نفقاته، إذ فرض على كل غني عشرة آلاف درهم، وهذا دليل على تكلفة الحملات وإرهاق بيت المال من جرّاء هذه الحروب[٣٥٥].

وإذا كان الخليفة أبو جعفر المنصور قد كلّف الناس بدفع الأموال لقتال الديلم، فهل سيسلمون هذه المرة من دفع النفقات؟ سيما أن الأتراك تمردوا في مناطق أرمينيا ودخلوا تفليس[٣٥٦] سنة ( ١٤٧هـ / ٧٦٤م)، فأرسل الخليفة أبو جعفر المنصور جيشاً بقيادة حرب بن عبد الله[٣٥٧] والي البصرة لقتال الأتراك، وكانت النتيجة هزيمة الأتراك ومقتل الكثير منهم، لكنّ الأتراك وعلى الرغم من هذه الهزيمة جدّدوا تمرّدهم ضد العباسيين في أرمينيا، فوجّه الخليفة أبو جعفر المنصور جيشاً بقيادة حميد بن قحطبة[٣٥٨] لمتابعة قتالهم سنة ( ١٤٨هـ / ٧٦٥م)، وكانت النتيجة فرار الأتراك من وجه جيش العباسيين الذي قضى عليهم وأنهى تمردهم.

ومن الطبيعي أن تكون الكلفة المادية لهذه الجيوش التي أُرسلت إلى المنطقة الشرقية باهظة وكبيرة لبعد هذه المناطق عن مركز الخلافة، وما يترتب على ذلك من نفقات إضافية لهذا السبب.

وأنفق الخليفة مبلغاً قدره مئة مليون درهم على الحملة التي قادها هارون الرشيد ضد المتمرد على الخلافة رافع بن الليث[٣٥٩] سنة ( ١٩٢هـ/٨٠٧م)[٣٦٠]، وربما لا يوجد مبالغة في هذه الأرقام نظراً لبعد خراسان عن مركز الخلافة، وحاجة الجيش إلى المؤن والطعام وغير ذلك.

وإن ما أنفقه الخليفة المأمون للقضاء على حركة بابك الخرمي[٣٦١] التي اتخذت من جبال أذربيجان مركزاً لها إلى جانب همذان وغيرها ما بين سنة ( ٢٠١-٢١٤هـ / ٨١٦-٨٢٩م)، هي مبالغ كبيرة جداً لأن المقاتلين الذين توجهوا إلى هناك كانوا ثلاثة جيوش وكانت النتيجة النهائية هي الهزيمة لهذه

---

[٣٥٥] الطبري (١٩٧١)، ج٧، ص: ٥٠٨-٥١٥. المقدسي (د. ت)، ج٦، ص: ٨٢-٨٣. أدهم، علي. (١٩٦٩). **أبو جعفر المنصور**. مصر. دار الكتاب العربي. ص٩١ - ١٠٠.

[٣٥٦] تفليس: بلد يقع على نهر الكر في أرمينيا، والجبال المجاورة لها يقال لها جبال أبخاز، افتتحها المسلمون في أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ٣٥. الحميري (١٩٧٥)، ص: ١٣٩.

[٣٥٧] حرب بن عبد الله البلخي الراوندي، من قواد الخليفة المنصور العباسي، وإليه تُنسب الحربية في بغداد، وقُتل في تفليس أثناء محاربته للترك سنة ( ١٤٧هـ / ٧٦٤م). الزركلي (٢٠٠٢)، ج٢، ص: ١٧٢.

[٣٥٨] حميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان الطائي، من ولاة العباسيين، تولى مصر سنة ( ١٣٤هـ / ٧٥١م)، وتولى إمارة خراسان سنة ( ١٥١هـ / ٧٦٨م)، وتوفي في خراسان سنة ( ١٥٩هـ / ٧٧٥م). الذهبي (١٩٩١)، ج٩، ص: ٣٦٧. الصفدي. (٢٠٠٠)، ج١٣، ص: ١٢١. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ٩٥٩.

[٣٥٩] رافع بن الليث بن نصر بن سيار الكيناني، توفي سنة ( ١٩٥هـ / ٨١٠م). الزركلي (٢٠٠٢)، ج٣، ص: ١٢ الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ١١٢٣.

[٣٦٠] ابن قتيبة (د. ت)، ص: ٣٨٢. الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٣٣٨. الجرديزي (٢٠٠٦)، ص: ١٢٧-١٢٨. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٣٥٠. الزهراني (١٩٨٦)، ص: ٣٣٦.

[٣٦١] بابك الخرمي هو الحسن أو الحسين ويلقّب بـ بابك، وهو فارسي الأصل، والخرمي نسبة إلى ( خرمشهر) مدينة على شط العرب، وقيل نسبة إلى خرم، وهي ناحية بين أردبيل وآرام، وقيل نسبة إلى خرمة زوجة مزدك الفارسي، قتل في سامراء سنة ( ٢٣٠هـ / ٨٤٤م). الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ١٢٦٧. البعلبكي (١٩٩٢)، ص: ٨٦.

الجيوش، وبالتالي باءت جميع محاولات الخليفة المأمون للقضاء عليه بالإخفاق على الرغم من إنفاق الأموال الطائلة على تجهيز الجيوش وعلى الجند المشاركين في هذا القتال، الذي نتج عنه المزيد من الخراب والدمار والمآسي التي خلّفتها هذه الحروب مع بابك الخرمي[٣٦٢].

استمرت المعارك ضد الخرميّة إلى عهد الخليفة المعتصم، إذ أرسل جيشاً بقيادة إسحاق بن إبراهيم[٣٦٣]، سنة ( ٢١٨هـ / ٨٣٣م) لقتالهم، فانتصر عليهم وعاد إلى بغداد سنة ( ٢١٩هـ / ٨٣٤)[٣٦٤]، لكنّ الخليفة عاود الكرّة عندما أرسل الأفشين حيدر بن كاوس[٣٦٥] بعد سنة لمحاربة بابك الخرمي، وأمدّه بالأموال التي قُدّرت بواحد وثلاثين مليون درهم، والسلاح والجند، وانتصر الأفشين على بابك في المعركة التي دارت بينهما[٣٦٦]، وأرسل الخليفة المعتصم، جعفر بن دينار الخياط[٣٦٧] إلى الأفشين حاملاً معه دعماً مادياً من نفقات للجيش، وأرسل له مبلغاً يقدر بثلاثين مليون درهم، وبعد معارك أُسر بابك وانتهت حركته سنة ( ٢٢٢هـ / ٨٣٦م)، ثم قُتل في سامراء سنة ( ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)[٣٦٨].

ومن المؤكد أنّ هذه المبالغ التي ذكرتها المصادر أرهقت بيت المال، وزادت الفقر فقراً، والمحنة حدّة في مركز الخلافة وباقي أقاليم الدولة العباسية.

---

[٣٦٢] ابن قتيبة (د. ت)، ص: ٣٩١. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٦٢. الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٥٥٦-٦١٩-٦٦٢. المقدسي (د. ت)، ج٦، ص: ١١٢. الطوسي. ( ٢٠٠٧). **سير الملوك أو سياست نامه**. تر: يوسف بكّار. ط: ١. بيروت: لبنان. دار المناهل. ص: ٢٧٥. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٤٣٢-٤٥٣-٤٥٥-٤٦٧-٤٧٤-٤٨٧-٤٩١. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٢٢.

[٣٦٣] إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب الخزاعي أبو الحسن صاحب الشرطة في بغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، ولّي إمرة بغداد مدة طويلة أكثر من ثلاثين سنة، وتوفي فيها سنة ( ٢٣٥هـ / ٨٤٩م). الذهبي (١٩٩١)، ج١٧، ص: ٩١. الزركلي (٢٠٠٢)، ج١، ص: ٢٩٢.

[٣٦٤] الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٦٦٧، ج٩، ص: ٨.

[٣٦٥] الأفشين حيدر بن كاوس، تركي الأصل، والأفشين لقب أجداده، وكان من كبار القادة في عهد المأمون والمعتصم، توفي سنة ( ٢٢٦هـ / ٨٤٠م). اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٧٨. الذهبي (١٩٩١)، ج١٦، ص: ٢٣. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ١٢٨٢.

[٣٦٦] الدينوري (١٩١١)، ص: ٣٨٠-٣٨٢. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٧٣. الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ١١-١٦. الجرديزي (٢٠٠٦)، ص: ١٣٥. الطوسي (٢٠٠٧)، ص: ٢٧٦-٢٧٧. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٢٢-١٢٣. الزهراني (١٩٨٦)، ص: ٣٣٦.

Hugh Kennedy: THE ARMIES OF THE CALIPHS. Military and Society in the Early Islamic State. Routledge Abingdon, Oxen OX١٤٤RN. ٢٠٠١. Pp: ١١٣-١٣١

[٣٦٧] لا يوجد له ترجمة.

[٣٦٨] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٧٤. الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٢٩- ٣١-٥٠. المقدسي (د. ت)، ج٦، ص: ١١٧-١١٨. الطوسي (٢٠٠٧)، ص: ٢٧٦-٢٧٧. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٢٢-١٢٣.

كانت الجيوش تُرسل إلى أذربيجان وأرمينيا، ولا شكّ أنها تتطلب النفقات الضخمة، إضافة إلى القيادات القوية التي كانت مدفوعة إما بعامل سياسي، أو بعامل اقتصادي، ولا شكّ أن بعض هؤلاء القادة أتمّ عمله على أكمل وجه، وعندما ضعفت السلطة المركزية في بغداد، تمرّد على الخلافة العباسية محمد بن البعيث[٣٦٩] في أذربيجان بسبب أطماعه الشخصية، ولبعده عن مركز الخلافة، فأرسل له الخليفة جيوشاً عدّة لمحاربته، وقد تمكّن العباسيون في النهاية من إلقاء القبض عليه، وإنهاء تمرّده سنة ( ٢٣٤هـ / ٨٤٨م)[٣٧٠].

أما في أرمينيا فقد أرسل الخليفة المتوكل جيشاً بقيادة بغا الكبير سنة ( ٢٣٧هـ / ٨٥١م)، للقضاء على المتمردين ومثيري الشغب هناك، وحقق الجيش هدفه وأعاد الهدوء بعد أن قتل أعداداً كبيرة من المتمردين[٣٧١].

ولما حدث التمرد ضد الخلافة العباسية سنة ( ٢٥٣هـ/٨٦٧م) في همذان، استطاع الخليفة المعتز القضاء عليهم[٣٧٢]، وفي سنة ( ٢٨٨هـ / ٩٠٠م)، دفع الخليفة تكاليف الحرب للقضاء على بقايا الدولة الصفارية، والمقدّرة بعشرة ملايين درهم[٣٧٣].

وقد ذكرت المصادر التاريخية الأحداث والمكان والزمان، وأغفلت ذكر المبالغ المالية التي أُنفقت على هذه الحروب، ولا شك أن هذه الجيوش قد أُنفق عليها الأموال الكثيرة، لتأمين السلاح والمؤن ورواتب الجند.

ومن الجدير بالذكر أنّ النفقات المالية على الحروب كانت كبيرة وباهظة، ولم تتطرق المصادر التاريخية إليها بالتفصيل، بل اكتفت في كثير من الأحيان بذكر مبلغ عام يدلّ على نفقات حملة ما أو حرب ما، أمّا في حقيقة الأمر فإن هذه الحملات مكلفة جداً من حيث المال فالحملة العسكرية تضم الجند الراجلة والفرسان ولكل منهما راتبه المختلف عن الآخر، فالجندي الراجل تقاضى راتباً من عهد السفاح مقداره ( ٨٠) ثمانون درهماً بينما تقاضى الجندي الفارس مبلغاً قدره ( ١٦٠) مئة وستون درهماً، وهذه الرواتب لم تبق على حالها طيلة عصر الخلافة العباسية فكانت تتناقص في حال عجز الخزانة وضعفها وتعود للارتفاع في حالة الحروب وحاجة الجند للقتال، أمّا رواتب جند الثغور فقد كانت مرتفعة وتتراوح بين ( ٤٠–٥٠) أربعين إلى خمسين ديناراً شهرياً، بالإضافة إلى مخصّصاته من طعام ومؤن وغيرها، وفي

---

[٣٦٩] لا يوجد له ترجمة.

[٣٧٠] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٨٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٠٠.

[٣٧١] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٨٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١١١. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٢٥–١٢٦.

[٣٧٢] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٨٩.

[٣٧٣] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ٧١– ٧٥–٧٨. الزهراني (١٩٨٦)، ص: ٣٣٨.

حالة وفاة الجندي في العصر العباسي يُصرف راتبه على أسرته كما يستمر راتبه في حال مرضه أو عجزه أو إصابته في المعركة.

ومن الطبيعي أن الجيوش في تلك الحقبة كانت تعتمد على الخيول في حربها، وعلى البغال والحمير في تنقّلاتها وحمل ما يحتاجه الجند من مؤن وعتاد وخيام وغيرها، وكان لا بدّ من علف لهذه الحيوانات حيث خُصّص لها شهرياً، فقد بلغت مخصصات علف الحصان الواحد قيمة أربعة دنانير شهرياً، وعلف البغل الواحد ثلاثة دنانير شهرياً، وعلف الحمار أربعة دنانير شهرياً[٣٧٤].

وهذه الأرقام المذكورة تدلّ على حجم الإنفاق الكبير الذي كان يُنفق على تجهيز الجيوش وحربها، وكان من الطبيعي أن يشكّل هذا الإنفاق كابوساً ثقيلاً على خزانة الدولة أدّى في كثير من الأحيان إلى عجزها وخلوّها من المال، كان له تداعياته الاقتصادية والاجتماعية التي طالت عامة الناس ولقمة عيشهم فكان الفقر والحرمان والشقاء هو المصير المحتوم لهم.

**ومن خلال ما ورد في المصادر، يمكن استقراء ما يلي:**

١- لم تذكر المصادر التاريخية بالأرقام جميع النفقات التي أُنفقت لتجهيز الجيوش، بل ذكرت قسماً منها، لكن من الطبيعي أن تكون الحروب الداخلية والخارجية للخلافة العباسية قد أرهقت الخزينة المالية، لتغطية نفقات الجيوش من مؤن وأسلحة وعتاد ورواتب إضافية للجند، ما أسهم في خلق أزمات اقتصادية، أو ساعد في وقوعها .

٢- كثرة المصادرات، لتغطية نفقات الحملات العسكرية، ودفع رواتب الجند، ما أدّى إلى انتشار الفقر بين الناس.

٣- فرض ضرائب باهظة، بسبب خلوّ الخزائن من المال، لإنفاقها على الحملات العسكرية، ما أدّى إلى ضجيج الناس لعدم قدرتهم على دفع تلك الضرائب، وبالتالي انتشار الفقر.

٤- أسهمت الحروب والثورات الداخلية على نحوٍ كبير في الأزمات الاقتصادية، فغياب الأمن والاستقرار الناجم عن هذه الحروب، أدّى بصورة كبيرة إلى شلل في الحركة التجارية، في المناطق التي قامت فيها الثورات والحركات المعادية للخلافة العباسية.

٥- تعطيل الزراعة والصناعة، وضعف الإنتاج في المناطق التي كانت تجري فيها تلك الحروب.

٦- إنّ شلل حركة التجارة، وضعف الإنتاج الزراعي والصناعي، سببّ بدوره ركوداً اقتصادياً عاماً، وانتشاراً للفقر والمجاعة في المناطق التي كانت تجري فيها تلك الحروب.

---

[٣٧٤] الزهراني (١٩٨٦)، ص: ٣١٤-٣١٥.

٧- نقص عدد السكان بسبب كثرة الوفيات الناتجة عن ضحايا الحروب، وهجرتهم من المناطق المضطربة أمنياً، ما يظهر أثره سلباً في اليد العاملة.

٨- هجرة السكان من المناطق التي شهدت حروباً وخراباً وتدميراً إلى المناطق الأكثر أمناً، كانت لها نتائج خطيرة على الاقتصاد وحياة الناس، فبفعلها ربما فقدت المنطقة المهاجر منها اليد العاملة صاحبة اليد الطولى في الإنتاج، ما أدّى إلى تراجع اقتصادي، وفقر بين السكان، ومن المؤكد أنّ المنطقة المهاجر إليها تزايد عدد سكانها بصورة غير مدروسة لأنّ الهجرة إليها تمّت بدوافع أمنية وليست بدوافع اقتصادية، ما أدّى إلى زيادة البطالة، وانتشار الفقر، وضعف في المردود المحلي للدولة، وضرر وجوع وشقاء لعامة الناس.

**د-استحداث منصب أمير الأمراء:**

عانت الخلافة العباسية من أزمة اقتصادية واجتماعية حادة، بسبب الحروب الداخلية والخارجية، التي حدثت خلال هذه المدة، ما أدّى إلى إضعافها، وتسلّط الوزراء والقادة عليها، وإلى فراغ خزينة الدولة من الأموال وانقطاع المواد، وتحكّم العاملين في قطاع الأموال وطمعهم فيها، وعدم إرسالها للخلافة العباسية.

وكردّة فعل لهذه الضائقة الاقتصادية، استحدث الخليفة العباسي الراضي بالله منصب أمير الأمراء لمعالجة هذا التدهور الاقتصادي، فاستدعى محمد بن رائق أمير واسط والبصرة سنة ( ٣٢٤هـ / ٩٣٥م)، وقلّده إمرة الجيش وجعله أميراً للأمراء، وولّاه الخراج، وأصبحت الأموال التي تجبى تُحمل إلى خزائن أمير الأمراء ليتصرف بها كما يريد، ويرسل للخليفة ما يراه مناسباً، وألغيت بيوت المال[٣٧٥].

فأدّى منصب أمير الأمراء، إلى تعميق الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، نتيجة تحويل الأموال إلى خزائن أمير الأمراء، وجلب هذا الأمر الحروب والفتن الداخلية بين الأمراء طمعاً في الوصول إلى هذا المنصب، وهذا ما جرى بين عبد الله البريدي صاحب الأهواز وابن رائق سنة ( ٣٢٦هـ / ٩٣٧م) عندما سيّر ابن رائق بجكم لمحاربة البريدي في الأهواز وطرده منها، لكن ما لبث أن عاد البريدي مرة أخرى إلى الأهواز مع الأمير معز الدولة بن بويه، عندئذ غادرها بجكم متوجهاً إلى واسط، وقد طالت شهوة المناصب بجكم الذي كان طامعاً في منصب أمير الأمراء، فاتجه إلى بغداد وتغلّب على ابن رائق، فقلّده الخليفة العباسي منصب أمير الأمراء والذي استمر فيه حتى عام ( ٣٢٩هـ /

---

[٣٧٥] الصولي. (١٩٧٩). **أخبار الراضي بالله والمتقي لله**. ط: ٢. بيروت: لبنان. دار المسيرة. ص٨٥-٨٦. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ١٩٨-١٩٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ١٢٣. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٤٣. حسن (١٩٩٦)، ج٣، ص: ٣٣-٣٤. أيوب (١٩٨٩)، ص: ١٢٦.

٩٤٠م)، إذ توفي مقتولاً على يد أحد الأكراد[٣٧٦]، وهنا يظهر مدى ضعف الخليفة العباسي واقتصاره على التتويج والتقليد.

فاضطر الخليفة العباسي المتقي بالله إلى تقليد كورتكين هذا المنصب، لكنه لم يستمر فيه طويلاً، بسبب عودة ابن رائق مجدداً إلى بغداد، إذ استدعاه الخليفة وقلّده منصب أمير الأمراء، بعد أن تغلّب على كورتكين الذي أودع السجن في بغداد[٣٧٧].

لم تهدأ أطماع البريدي في السيطرة على بغداد، فأرسل أخاه أبا الحسين إليها سنة ( ٣٣٠هـ / ٩٤١م)، فلمّا علم ابن رائق بقدومه استعدّ لمواجهته، وخرج الخليفة المتقي من بغداد إلى الموصل، ولحق به ابن رائق، عندما دخلت قوات البريدي بغداد، إذ نَهبت الأموال، وقَتلت عدداً كبيراً من السكان، وانتشرت الفوضى، الأمر الذي أدّى إلى ارتفاع الأسعار، وانتشار الفقر، أما ابن رائق، فقد قُتل على يد ابن حمدان، الذي كافأه الخليفة المتقي ولقّبه بناصر الدولة، ولقّب أخاه علي بسيف الدولة، كما عيّن الخليفة ناصر الدولة بمنصب أمير الأمراء، واتّجه مع الخليفة المتقي إلى بغداد، وطردوا البريدي وقواته من بغداد، بعد أن ضجّت العامة من سلبهم ونهبهم لأموال الناس وممتلكاتهم، ولاحق ابن حمدان البريدي وقواته، إذ جرت موقعة بينهم بالقرب من المدائن انهزم فيها البريدي ودخل واسط[٣٧٨].

وبعد خروج الحمدانيين من بغداد، دخلها توزون سنة ( ٣٣١هـ / ٩٤٢م)، فقلّده الخليفة منصب أمير الأمراء، لكنه استبدّ بالسلطة، فحدث خلاف بينه وبين الخليفة الذي التجأ إلى ناصر الدولة في الموصل سنة ( ٣٣٢هـ / ٩٤٣م)، لكن ناصر الدولة لم يستطع مساعدة الخليفة في خلافه مع توزون، فطلب الخليفة من والي مصر محمد بن طغج[٣٧٩] الملقب بالإخشيد المساعدة على توزون، فاقترح الإخشيد

---

[٣٧٦] الصولي (١٩٧٩)، ص: ٩٩-١٠٦- ١٩٧. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٢١٣-٢١٧- ٢١٩- ٢٣٧. القضاعي (١٩٩٥)، ص: ٥١٦- ٥٢١. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ١٣٩- ١٥٤. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٤٣-١٤٤. كحيلة، عبادة. (١٩٩٦). **العقد الثمين في تاريخ المسلمين**. ط: ١. الكويت. دار الكتاب الحديث. ص: ٢٢١.

[٣٧٧] الصولي (١٩٧٩)، ص: ٢٠٦-٢٠٩. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٢٤١-٢٤٤. القضاعي (١٩٩٥)، ص: ٥٢٢. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ١٥٧. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٤٤.

[٣٧٨] الصولي (١٩٧٩)، ص: ٢٢٤-٢٢٨. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٢٤٥-٢٤٩. القضاعي (١٩٩٥)، ص: ٥٢٣-٥٢٤. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ١٦٠-١٦٤. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٤٤.

[٣٧٩] محمد بن طغج بن جف بن يلتكين بن فوران بن خاقان الفرغاني التركي، أبو بكر الإخشيد، ولد في بغداد سنة (٢٦٨هـ/٨٨١م)، كان والده من كبار قواد خمارويه، أمّا ولده محمد ولّي مصر من قبل الخليفة القاهر بالله سنة (٣٢١هـ/٩٣٣٣م)، ثم ولاّه الخليفة الراضي بالله دمشق والحرمين والجزيرة مضافاً إلى مصر سنة ( ٣٢٣هـ / ٩٣٤م)، ولقّبه بالإخشيد سنة (٣٢٧هـ/٩٣٨م) وتعني ملك الملوك، وطغج يعني عبد الرحمن، وتوفي في دمشق سنة ( ٣٣٤هـ / ٩٤٥م) وقيل سنة (٣٣٥هـ/٩٤٦م). ابن خلكان (د. ت)، ج٥، ص: ٥٦. الذهبي (١٩٨٣)، ج١٥، ص: ٣٦٥. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٣، ص: ١٤٢.

على الخليفة القدوم إلى مصر، فرفض الخليفة ودخل بغداد، فقام توزون بخلعه وسمل عينيه وسجنه، وأعلن عبد الله بن المكتفي خليفة ولقبه بالمستكفي سنة ( ٣٣٣هـ / ٩٤٤م)[٣٨٠].

توفي توزون سنة ( ٣٣٤هـ / ٩٤٥م) ببغداد، فخلفه في منصبه كاتبه أبو جعفر بن شيرزاد الذي استبدّ بالسلطة، وفرض الضرائب الباهظة، ونتيجة لذلك عمّ الاضطراب بالمدينة، وساءت الأحوال حتى مجيء معز الدولة البويهي الذي دخل بغداد سنة ( ٣٣٤هـ / ٩٤٥م) وهرب ابن شيرزاد[٣٨١].

**النتائج الاقتصادية الناجمة عن استحداث منصب أمير الأمراء:**

١- تحوّل أموال الدولة من خزائنها إلى خزائن أمير الأمراء، الذي تحكّم أيضاً بأموال الخليفة[٣٨٢].

٢- تدمير الأسواق، نتيجة للحروب، وتراجع التجارة في العراق، ما أدّى إلى ضعف واردات الدولة.

٣- انتشار الفقر بين عامة الناس نتيجة لارتفاع الأسعار واحتكار البضائع ومصادرتها.

٤- تراجع الإنتاج الزراعي بسبب تخريب أقنية المياه، وتخريب العديد من الأنهار، بالإضافة إلى هجرة كثير من الفلاحين، وتركهم للعمل الزراعي بسبب فقدان الأمن وكثرة القتل بين صفوفهم وانتشار الفوضى[٣٨٣].

٥- انتشار اللصوص في الطرقات وأماكن الإنتاج ووجود السكان بالإضافة إلى انتشار الفساد.

٦- فرض الضرائب الباهظة على السكان، واتباعهم الطرق التعسفية في جبايتها[٣٨٤].

٧- الأموال الكثيرة التي أنفقت على الحروب التي جرت ما بين الأمراء من أجل الحصول على منصب أمير الأمراء والتحكم بصلاحياته.

**المنعكسات السياسية لاستحداث منصب أمير الأمراء:**

١- ضياع هيبة الخلافة العباسية، وتحكم الأمراء بقرارات الخلافة.

٢- لجوء الخليفة العباسي إلى الحمدانيين والإقامة عندهم، هروباً من الضغوط التي مارسها أمير الأمراء عليه[٣٨٥].

٣- تحكم جباة الأموال والعاملين في هذا القطاع في كثير من القرارات السياسية نتيجة لتحكمهم بأموال الدولة.

---

[٣٨٠] الصولي (١٩٧٩)، ص: ٢٤٢-٢٤٦. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٢٥٧-٢٦٠. القضاعي (١٩٩٥)، ص: ٥٢٤-٥٢٥. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ١٧٢-١٨٧. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٤٥.

[٣٨١] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٢٧٤-٢٧٥. القضاعي (١٩٩٥)، ص: ٥٣٠-٥٣١. ابن العمراني (١٩٩٩)، ص: ١٧٦. الأزدي (١٩٩٩)، ج٢، ص: ٤٠٩-٤١٠. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٠٥-٢٠٦. كحيلة (١٩٩٦)، ص: ٢٢١.

[٣٨٢] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ١٩٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ١٢٣.

[٣٨٣] الصولي (١٩٧٩)، ص: ١٠٦. الدوري (١٩٧٤)، ص: ٦٢.

[٣٨٤] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ١٦١- ١٦٣- ٢٠٥. القرماني (١٩٩٢)، ج٢، ص: ١٤٩. كحيلة (١٩٩٦)، ص: ٢٢١.

[٣٨٥] الصولي (١٩٧٩)، ص: ٢٤٦. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٢٥٧-٢٦٠.

٤- عدم الاهتمام بتوفير الأمن للسكان، ما أدّى إلى فقدانه، وانتشار الفوضى وكثرة الجرائم.
٥- إلغاء بيوت المال التابعة للدولة لأول مرّة في عصر الخلافة العباسية، وإحلال خزائن أمير الأمراء مكانها.
٦- طلب الخليفة العباسي المساعدة من الإخشيد، لكنّ الطلب قوبل بشيء من الحذر والخداع، وطلب الإخشيد من الخليفة القدوم لمصر.

إنّ الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي عاشها العراق ما بين ( ١٣٢-٤٤٧هـ / ٧٥٠-١٠٥٥م)، يعود سببها إلى الممارسات التي قام بها بعض الولاة ضد السكان، ما استوجب ردّات فعل على ذلك بقيادة عناصر غير راضية على الخلافة العباسية، ونتج عنه فوضى وقتل ونهب وخراب، بالإضافة إلى الحروب التي استعرت ما بين الخلفاء الأخوة من بني العباس، وحرب الأمراء البويهيين فيما بينهم، ناهيك عن الأموال التي التهمتها نيران البذخ والترف من قبل الخلفاء والأمراء وقادة الجند وغيرهم من المسؤولين في تلك المرحلة.

كما أنّ انفصال الأقاليم عن جسم الخلافة زاد من معاناة خزينة الدولة، وحرمانها من أموال تلك الأقاليم، وانعكاس ذلك بالسوء على عامة الناس، فكانت الأزمات الاقتصادية والاجتماعية الخانقة في العراق وانعكاساتها السياسية متمثّلة بأخطرها؛ غياب الخلافة العباسية عن مسرح الأحداث في العراق، وتسلّط النفوذ الأجنبي على الخلافة والناس.
كانت الحروب وما زالت من أخطر العوامل التي هددت المجتمعات البشرية بالزوال والفناء وبالفقر والعجز والتهجير، بغضّ النظر عن أسباب وقوعها وحدوثها، فقد تكون الأطماع الشخصية وحبّ التملك والسيطرة وراء قيامها أو الظلم والحرمان للشعوب أو غير ذلك من أسباب، وهذا ما حدث للمجتمع العراقي في العصر العباسي، فقد شهد هذا المجتمع في عصر القوة للخلفاء العباسيين تطوراً مادياً وثقافياً وازدهاراً لافتاً، شمل مفاصل الحياة الفكرية، والاقتصادية، والاجتماعية، لكنّ ظهور الفتن والثورات والتمردات والحروب الناجمة عن ذلك أدّت إلى خلق أزمات اقتصادية طالت نسج الحياة للمجتمع العراقي في تلك المدّة، ومن المؤسف أنّ معظم الخلفاء لم يستأصلوا أسباب الحروب بل تعاملوا مع نتائجها، فلم يضعوا مبادئ ثابتة لمنصب الخلافة أو لولي العهد، فكانت الحروب ما بين الخلفاء العباسيين لهذا السبب وأيضاً ما بين الأمراء البويهيين، وما جلبته من خراب ودمار اقتصادي وبشري وما خلفته من أزمات اقتصادية واجتماعية طالت حياة وأمن وقوت الشعب العراقي في تلك المدّة، وما زاد الطين بلة ما قام به الخلفاء والأمراء والوزراء من ترف وبذخ وما ترتب عليه من زيادة إفقار الدولة والمجتمع، إضافة إلى ما شكّلته الحروب الداخلية والخارجية في عصري القوة والضعف للخلفاء العباسيين من معاناة

اقتصادية حتى أنّ بيوت مال الدولة خلت من الدنانير والدراهم مرات عدّة من كثرة الإنفاق على هذه الحروب التي قامت هنا وهناك على أرض العراق ومن أجل القضاء على المتمردين والثائرين، وما خلّفته هذه الثورات من خسائر بشرية ومادية كبيرة طالت المجتمع ومقومات الحياة الاقتصادية في العراق في تلك المدّة، وكانت خسائر الدولة من خلال تجهيز الجيوش للتصدّي لهذه الثورات كبيرة وأدّت إلى أزمات اقتصادية نجم عن هذه وتلك، الموت والتهجير والجوع والفقر دفعت ثمنها الفئات الاجتماعية في العراق في تلك المدّة.

## الفصل الثاني: الأزمات الاقتصادية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في بلاد الشام من ( ١٣٢-٤٤٧هـ / ٧٥٠-١٠٥٥م):

**أولاً: الحياة الاقتصادية في بلاد الشام خلال العصر العباسي**

**ثانياً: الأزمات الاقتصادية الناجمة عن الحروب والثورات في بلاد الشام ومنعكساتها على الأوضاع السياسية:**

**١-الأزمات الاقتصادية ومنعكساتها في بلاد الشام في عصر القوة للخلافة العباسية.**

**٢-الأزمات الاقتصادية ومنعكساتها في بلاد الشام في عصر الضعف للخلافة العباسية.**

**مقدمة:**

من المعلوم أنّ بلاد الشام قد انطوت تحت لواء الدولة العباسية بعد القضاء على الخلافة الأموية التي اتخذت منها مقرّاً ومركزاً للخلافة، وقاموا بنقل العاصمة من دمشق إلى بغداد التي أضحت مركز الثقل والزعامة للعالمين العربي والإسلامي، وبحكم قربها من بغداد ومركز الخلافة فقد أولت الخلافة العباسية اهتماماً خاصاً بها ولا سيما أنها تتميّز بموقع استراتيجي وسياسي واقتصادي مهم، فهي متاخمة للثغور مع الامبراطورية البيزنطية، وبوابة العبور إلى الغرب الإسلامي وموطن الخيرات، وموئل الاضطرابات بحكم التبعية والولاء للخلافة الأموية التي قضت تحت ضربات الدولة العباسية، إذ شهدت بلاد الشام في العصر العباسي في مختلف أدواره العديد من الفتن والثورات التي قامت في مدن ومناطق متفرقة في هذا الإقليم، وكانت بدايتها بعد تولّي العباسيين للسلطة بمدّة بسيطة حيث شهدت مع تولّيها السلطة وما تلاه من سنوات خلال العصر العباسي قيام المزيد من الفتن والثورات على أرض بلاد الشام، وكان المحرّك الرئيسي لها في غالبيتها هي العصبية القبلية على نحوٍ عام والقيسية واليمنية على نحوٍ خاص، والتي أذكى نارها بعض الولاة الذين مارسوا الظلم بحق الناس، خاصة من خلال فرض الضرائب وسوء جبايتها، ما شكّل عاملاً إضافياً لقيام التمردات ضد الدولة العباسية، وإنّ تعصب بعض قبائل الأمويين وكرههم للعباسيين كان من الأسباب أيضاً التي دفعت إلى هذه الاضطرابات.

لقد تركت هذه الأعمال آثاراً تخريبية ضارّة بالاقتصاد متمثّلة بالزراعة والصناعة والتجارة، ونتج عنها ما نتج من أزمات مالية واجتماعية، كان الإنسان في بلاد الشام هو المتضرر الأول منها في هذه الحقبة، وكانت الدولة العباسية واقتصادها المحلي والوضع الأمني الناشئ عن ذلك المتضرر الأكبر، وكانت المنعكسات السياسية وردّات فعل الخلافة من إجراءات عسكرية وسياسية متمثّلة بعزل بعض الولاة وتكليف البديل عنهم، هي آثار طبيعية وحتمية لما فرضته الأزمة الاقتصادية المولودة من أصول الفتن والثورات والتمردات في بلاد الشام في هذه الحقبة.

**أولاً: الحياة الاقتصادية في بلاد الشام خلال العصر العباسي:**

بطبيعة الحال خضعت بلاد الشام سياسياً وإدارياً للسلطة المركزية في بغداد، وبالتالي من البديهي أن ما جرى من أنظمة وقوانين في العراق قد لا يكون قد طبق في بلاد الشام، من خلال حرص الخلفاء العباسيين على العدالة الاقتصادية والاجتماعية ومحاولة إنصاف الرعية مما لحق بهم ظلم أو حيف اجتماعي خلال العصر الأموي، وبالتالي كسب ودهم كما حدث في العراق مثلاً، مع محاولات الإنصاف وخصوصاً بعد الثورات التي كانت تقوم ضد الخلافة العباسية بين الحين والأخر.

ومن المعلوم أن بلاد الشام شكلت رافداً قوياً للاقتصاد للدولة العباسية، نظراً لما حملته من مقومات وروافع الاقتصاد فقد امتازت بلاد الشام بالموقع الجغرافي المميز، وكانت صلة الوصل بين مشرق

الخلافة ومغربها، ووقوعها على أهم بحر في العالم آنذاك البحر الأبيض المتوسط، بحر التجارة العالمي وطريق التنقل الأساس، كما أن مناخها وتضاريسها وطبيعة البلاد ذات الجو المعتدل ووفرة الأمطار ووجود الأنهار منحها خصب زراعي وشكل مورداً اقتصادياً داعماً، بالإضافة إلى جودة صناعاتها التي اشتهرت بها منذ القدم وتنامت هذه المعارف على يد الصانع الشامي الذي توارث الخبرات جيلاً بعد جيل.

وقد عانى الفلاح في العصر العباسي من كثرة الخراج حتى أن بعض أهالي قرى فلسطين تركوا أراضيهم، فوجه الخليفة هارون الرشيد قادته إلى إقناعهم إلى العودة إلى أراضيهم على أن يخفف عنهم الخراج[٣٨٦]

من الملاحظ أنه في مجال الزراعة ومشاريع الري لم يعتن الخلفاء العباسيون بنفس العناية التي أولوها للعراق، وحافظت نظم الري على ما كانت عليه زمن الدولة الأموية، واقتصرت على قيام الخليفة المأمون بحفر قناة من نهر منين مارة بسفح قاسيون إلى معسكره بدير مران[٣٨٧] وكانت الأسباب السياسية وراء ذلك، وقد تابع المأمون اهتمامه فقام بمسح دمشق سنة (٢١٤هـ/٨٢٩م)[٣٨٨] في محاولة منه للنهوض بالواقع الاقتصادي المتردي الذي تعاني منه الشام والمتمثل بارتفاع الضرائب.

وقد جادت بلاد الشام ببعض المزروعات التي حملت شهرة فائقة مثل التفاح، الذي كان يحمل منه إلى الخلفاء في كل سنة ثلاثون ألف تفاحة، كما اشتهرت بلاد الشام بزراعة الزيتون، واستخراج الزيتون[٣٨٩] كذلك اشتهرت دمشق بزراعة الرمان والقراصيا والبرقوق والخوخ والإجاص والتين والعنب والمشمش[٣٩٠]

وقد انتشر نظام الإقطاع للأراضي مكافأة لمن قدم خدمات جليلة للدولة العباسية، وانتشرت عادة إقطاع الولايات على أن يؤدي الوالي للخلافة مبلغاً معيناً من المال والهدايا[٣٩١]

وقد اشتهرت العديد من الصناعات في بلاد الشام والتي كانت ذات شهرة عريقة فيها منذ القدم ولا سيما الصناعات ذات المنشأ الزراعي، ويقف على رأسها العطور نظراً لانتشار الزهور في بلاد الشام فراجت

---

[٣٨٦] كرد علي، محمد. ( ١٩٨٣). **خطط الشام**. ط: ٣. دمشق: سوريا. مكتبة النوري. ج٥. ص: ٥٩.

[٣٨٧] الذهبي: (١٩٨٢)، ج١، ص: ٢٣٣.

[٣٨٨] ابن منظور. (١٩٨٤). **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**. تح: محمد مطيع الحافظ، نزار أباظة. مر: روحية النحاس. ط: ١. دمشق: سوريا. ج٦. ص: ٢٦٦. ٢٦٧. كرد علي (١٩٨٣)، ج٥، ص: ٥٨.

[٣٨٩] الحموي: (د.ت)، ج٢، ص٢٢١.

[٣٩٠] القلقشندي. (١٩١٤). **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. القاهرة: مصر. المطبعة الأميرية. ج٤. ص: ٨٧.

[٣٩١] حسن، إبراهيم حسن. (١٩٦٤). **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**. ط: ٧. مكتبة النهضة المصرية.ج٢. ص: ٢٠٦.

صناعة العطور والطيوب[٣٩٢] كما اشتهرت بالصناعات الغذائية وخاصة المربيات والجوز والقطين والزبيب[٣٩٣]

وقد تفوقت بلاد الشام على غيرها في صناعة الزجاج، وقد وصف زجاجها وضرب به المثل في الرقة والصفاء، كما برعوا في زخرفته وتلوينه وبلغوا درجة عالية من الاتقان[٣٩٤] كما اشتهرت بلاد الشام وخصوصاً دمشق بصناعة الورق وكان ورقها من النوع المتميز[٣٩٥]

ويمكن ملاحظة أن الصناعة لم تكن أوفر حظاً من الزراعة التي تأثرت بمجل الأوضاع التي سادت المنطقة بشكل عام وبلاد الشام بشكل خاص، إذ أثرت الثورات والحروب والكوارث على الصناعة التي أدت إلى تراجعها ومقتل أمهر الحرفيين والصناع أو على أقل تقدير الهجرة القسرية والعزوف عن المهنة.

أما في مجال التجارة فقد احتلت بلاد الشام موقعاً مميزاً على طرق القوافل التجارية العالمية وحافظت على هذا المركز المتقدم خلال مختلف أطوارها التاريخية وخصوصاً أيام الخلافة الأموية، إلا أنها تعرضت لبعض العوائق بسب اضطراب الأحوال السياسية والفوضى السائدة وانتشار قطاع الطرق وسيطرة الأعراب على طرق القوافل وقيامهم بالسلب والنهب[٣٩٦]

هذا وقد استمر النشاط التجاري لبلاد الشام مع محاولة جادة من الخلفاء العباسيين إشاعة الأمن والأمان وتأمين طرق التجارة والحج، ومن خلال ما كان يحمل من صادرات من دمشق إلى مختلف البقاع والمناطق، بالقياس على ما كان يجلب إليها، يتبين أن الميزان التجاري يصب لصالح دمشق، حيث شهد نشاطاً بالأسواق وعلى اختلافها سواء كانت دائمة أم موسمية [٣٩٧]

---

[٣٩٢] كرد علي (١٩٨٣)، ج٤، ص: ١٥٦.

[٣٩٣] المقدسي (٢٠٠٣)، ص: ١٧٨.

[٣٩٤] الثعالبي. (١٩٦٠). **لطائف المعارف**. تح: إبراهيم الأبياري. دار إحياء الكتب العربية. ص: ١٥٧. كرد علي (١٩٨٣)، ج٤، ص: ٢١٧.

[٣٩٥] المقدسي. (١٩٦٧). **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**. ط: ٢. ليدن. ص:١٨١. كرد علي (١٩٨٣)، ج٤، ص: ٢٢٢.

[٣٩٦] ابن الجوزي. (١٩٤٠). **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. حيدر أباد. ج٥. ق٢. ص: ٦٥.

[٣٩٧] سلامة، جميل محمود. (٢٠٠٣). **دمشق في العصر العباسي خلال الفترة (١٣٢-٢٦٤هـ/٧٤٩-٨٧٧م)**. رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية. ص: ٢١٢.

## ثانياً: الأزمات الاقتصادية الناجمة عن الحروب والثورات في بلاد الشام ومنعكساتها على الأوضاع السياسية:

اكتوى سكان بلاد الشام من الحروب وما خلّفتها من نتائج اقتصادية واجتماعية شملت معظم الناس في المناطق التي شهدت الثورات والتمردات التي وقفت بوجه الخلافة العباسية، وكان مسرح العمليات العسكرية بين هذه الثورات وجيش الخلافة هو أراضي وبساتين ومزروعات الفلاحين، وأسواق ومحلات الحرفيين، وبيوت ومنازل السكان، فتفاقمت الأزمات الاقتصادية وما نجم عنها من أزمات اجتماعية دفع ثمنها الباهظ المواطنون من سكان بلاد الشام، وكانت منعكساتها السياسية من قبل الخلافة العباسية بإنهاء مهمة قائد وحاكم أو والٍ وتعيين آخرين بدلاً منهم، ويبقى نزيف دماء السكان من فعل هذه الحروب لا يشعر بخطورته وشدّة آلامه إلا الذين يعانون منه.

**١- الأزمات الاقتصادية ومنعكساتها في بلاد الشام في عصر القوة للخلافة العباسية.**

واجه خلفاء بني العباس في عصر القوة ( ١٣٢-٢٣٢هـ/٧٥٠-٨٤٦م) الفتن والثورات في بلاد الشام بقوة وحزم واهتمام بالغ وذلك من خلال الجيوش والقادة المتمرسين في القتال، بالإضافة إلى تغيير بعض الولاة وعزلهم إن وجدوا ضعفاً أو سوءاً لديهم في إدارة الولاية وعدم قدرتهم على وأد الفتن في مهدها، وتعيين الأكفّاء من الولاة بدلاً منهم لضمان هيبة الدولة واستمرار سيطرتها، وكان القمع لهذه التمردات وإخماد نارها نتيجة حتمية بفعل الجيوش القوية التي تُكلّف وتقوم بهذه المهام، وهذا ما حدث في عصر القوة لخلفاء بني العباس.

ففي عهد الخليفة أبو العباس السفاح شهدت بلاد الشام منذ قيام الخلافة العباسية عدداً من الحروب والثورات والفتن، التي أدّت إلى تخريب ممتلكات كثير من الناس وإفقارهم بفعل النهب والسلب والتخريب الذي مُورس بحق الأفراد وبحق الدولة واقتصادها مضافاً إليه النفقات الكبيرة التي أُنفقت على تجهيز الجيوش التي خاضت المعارك ضد هذه التمردات، ما زاد في تفاقم الأزمة الاقتصادية التي تمثّلت بكثرة النهب والسلب لأموال وممتلكات الناس، وغلاء الأسعار، وقلّة المواد بسبب الحروب، وضعف الإنتاج الزراعي والصناعي وشلل حركة التجارة بسبب الحروب، كما أنّ التكاليف المادية الكبيرة التي أُنفقت على تجهيز الجيوش وإعدادها، لقمع وإنهاء هذه الثورات كانت كبيرة.

وكان لهذه الحروب التي دارت في عهد الخليفة أبو العباس السفاح في بلاد الشام وما نجم عنها من ويلات منعكسات سياسية أهمها قبول الخلافة العباسية بالصلح مع معظم الثورات التي قامت ضدها في بلاد الشام، وإجبار الخلافة على إرسال الجيوش الإضافية للقضاء على الثورات في بلاد الشام.

ومن هذه الثورات ثورة حبيب بن مرّة المرّي[٣٩٨] في البثنية والبلقاء[٣٩٩] وحوران[٤٠٠] سنة ( ١٣٢هـ / ٧٥٠م)، وقد جرى تكليف عبد الله بن علي على رأس جيش لمحاربته، وانتهى الأمر بالصلح بعد قتاله وقعات عدّة[٤٠١].

وواجه الخليفة أبو العباس، ثورة أبو الورد بن كوثر الكلابي[٤٠٢]، التي انطلقت من قنسرين[٤٠٣] وحلب ضد العباسيين، فقام السفاح بتكليف عمه عبد الله بن علي لمواجهة الثورة والقضاء عليها، وجرت المعركة في مرج الأخرم[٤٠٤]، وقد انتهت بمقتل أبو الورد، وانتصار العباسيين[٤٠٥].

كما توجه جيش عباسي بقيادة أبي جعفر المنصور سنة ( ١٣٣هـ / ٧٥٠م)، للقضاء على السفياني[٤٠٦] المتمرّد على الخلافة العباسية في حلب، واستطاع الجيش العباسي دخول حلب عنوة والقضاء على ثورته، كما غنم الجيش كثيراً من الغنائم[٤٠٧].

ومن الطبيعي أن تكون هذه الحروب قد سببت هزّات اقتصادية واجتماعية وأرهقت السكان اقتصادياً، وأشاعت الفوضى وفقدان الأمن، وجلبت الفقر معها أيضاً، ومن المؤكد أنّ الدولة قد أنفقت الأموال الطائلة على تجهيز الجيوش التي حاربت وقاومت هذه التمردات، وبالتالي لا بدّ أن تكون هذه الأموال قد شكّلت عاملاً ضاغطاً ومؤثّراً في خزينة الدولة.

---

[٣٩٨] لا يوجد له ترجمة.

[٣٩٩] البلقاء: كورة من أعمال دمشق، قصبتها عمّان، وسميت بالبلقاء نسبة إلى بانيها بالق من بني عمّان بن لوط. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ٤٨٩.

[٤٠٠] حوران: تقع جنوب دمشق، وهي كورة واسعة من أعمال دمشق، ومدينتها بصرى. الحازمي (١٩٩٣)، ج١، ص: ٣٨٨. الحموي (د, ت)، ج٢، ص: ٣١٧. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٢٠٦.

[٤٠١] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٣٥٧. الطبري (١٩٧١)، ج٧، ص: ٤٤٦ . مسكويه (٢٠٠٣)، ج٣، ص: ١٨. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج٧، ص: ٣١١.

[٤٠٢] لا يوجد له ترجمة.

[٤٠٣] قنسرين: مدينة بالشام بين حلب ومعرة النعمان، فتحها أبو عبيدة بن الجراح سنة ( ١٧هـ / ٦٣٨م )، وهي الآن تتبع محافظة حلب، ناحية الزاوية منطقة جبل سمعان. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ٤٠٣-٤٠٤. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٤٧٣. طلاس، مصطفى. (١٩٩٢). **المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري**. ط: ١. مركز الدراسات العسكرية. ج٤. ص: ٦٠٩. واصف (د. ت)، ص: ٧٠ .

[٤٠٤] مرج الأخرم: وهي بنواحي سلمية. الخوري، أسعد عيسى. (١٩٨٤). **تاريخ حمص**. ط: ١. مطرانية حمص. ص: ١٢٩-١٣٠.

[٤٠٥] البلاذري (١٩٩٦)، ص: ٢٢٣-٢٢٤. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٣٥٤. الطبري (١٩٧١)، ج٧، ص: ٤٤٣. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٣، ص: ١٨-١٩. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج٧، ص: ٣١٠-٣١١.

[٤٠٦] السفياني أبو محمد البيطار القرشي الأموي زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية، قُتِل في أول خلافة أبو جعفر المنصور، وقيل حوالي (١٥٠هـ/٧٦٧م). البلاذري (١٩٩٦)، ج٤، ص: ٢٢٣-٢٢٤. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٣٥٤. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٥، ص: ٨.

[٤٠٧] البلاذري (١٩٩٦)، ص: ٢٢٣-٢٢٤. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٣٥٤. المقدسي (د. ت)، ج٦، ص: ٧٣. ابن العديم. ( ١٩٩٦). **زبدة الحلب من تاريخ حلب**. وضع حواشيه: خليل المنصور . ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص: ٣٣.

ولما انتفض سكان الجزيرة ضد الخلافة العباسية بقيادة إسحاق بن مسلم العقيلي[٤٠٨] سنة (١٣٣هـ/٧٥٠م) وحاصروا النقيب موسى بن كعب[٤٠٩] في حران وجّه الخليفة أبو العباس السفاح أخاه أبو جعفر المنصور على رأس جيش لقتالهم، وجرت عدّة معارك بين جيش المنصور وجيش إسحاق، وكانت النتيجة إنهاء الثورة وعقد الصلح بطلب من إسحاق[٤١٠]، وقد أدّت هذه المعارك إلى خسائر ماديّة دفعتها خزينة الدولة إلى جانب ما تكبّده سكان المنطقة من خسائر مادية نتيجة المعارك التي دارت في مناطقهم.

وفي لبنان ثار رجل من الجراجمة[٤١١]على الخلافة العباسية ونهب البقاع[٤١٢] سنة ( ١٣٥هـ / ٧٥٢هـ)، والقرى التابعة له، ونهب أموال السكان، وحاول العباسيون الصلح معه، لكنّ المراسلات باءت بالإخفاق، فتحرّك الجيش العباسي نحوه، وتمكن من القضاء عليه في قرية المرج[٤١٣]، وعادت الثورة من جديد، وخاض الجراجمة معارك عدة مع الجيش العباسي، وتمكّنوا من الانتصار على الجيش العباسي في قرية الشوير[٤١٤]، واستمرت المعارك بينهم مدّة طويلة[٤١٥]، ومن المؤكد أن تكون المعارك العسكرية قد أضرّت بممتلكات الناس وأشاعت الفوضى وأرهقت خزينة الخلافة.

وعندما أعلن عبد الله بن علي نفسه خليفة بعد وفاة الخليفة العباسي أبو العباس السفاح سنة ( ١٣٧هـ / ٧٥٤م)، توجه على رأس جيش ضخم نحو حرّان، فعلم أبو جعفر المنصور بذلك، وكلّف أبا مسلم الخراساني بقيادة جيش للقضاء عليه، وجرت معارك عدّة بين الطرفين استمرت خمسة أشهر، انتهت

---

[٤٠٨] إسحاق بن مسلم بن ربيعة بن عاصم بن حزن بن عامر بن عوف بن عقيل، أبو صفوان العقيلي، كان من الولاة في العصر الأموي، ووالي أرمينيا، توفي في خلافة أبو جعفر المنصور. ابن قتيبة (د. ت)، ص: ٤١٨. ابن حزم (د. ت)، ص: ٢٩١.

[٤٠٩] موسى بن كعب التميمي، من دعاة الخلافة العباسية، ومن النقباء الاثني عشر، كان والياً على الهند ومصر، توفي سنة ( ١٤١هـ / ٧٥٨م). ابن الكندي (١٩٠٨)، ص: ١٠٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٤، ص: ٣٢٢- ٤١٥، ج٥، ص: ١٣٣. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٧، ص: ٣٢٧.

[٤١٠] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٣٥٤-٣٥٥. الطبري (١٩٧١)، ج٧، ص: ٤٤٧. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ٣٣.

[٤١١] الجراجمة شعب سكن في مدينة جرجومة بالقرب من مدينة بانياس عند جبل اللكام، ويُعرفون في بعض المصادر باسم مردة، الخطيب (١٩٩٦)، ص: ٢٠٩.

[٤١٢] البقاع أرض واسعة، قريبة من دمشق بين بعلبك ودمشق وحمص، وتوجد فيها قرى كثيرة. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ٤٧٠. البغدادي. (١٩٥٤). **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**. تح: علي محمد البجاوى. ط: ١. بيروت: لبنان. دار المعرفة. ج١. ص: ٢١١. أنيس، فريحة. (١٩٥٦). **أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها دراسة لغوية**. بيروت: لبنان. منشورات كلية العلوم والآداب الجامعة الأمريكية. ص: ٥٣.

[٤١٣] لا يوجد لها ترجمة.

[٤١٤] لا يوجد لها ترجمة.

[٤١٥] كرد علي ( ١٩٨٣)، ج١، ص: ١٥١.

بهزيمة جيش عبد الله بن علي بالقرب من نصيبين[٤١٦]، وفراره إلى البصرة[٤١٧]، وكلّف ذلك أموال طائلة هُدرت من خزينة الدولة إلى جانب الخسائر المادية التي أضرّت بسكان المنطقة.

وبهذه الحرب ما بين عبد الله بن علي وبين أبي مسلم الخراساني جاءت النتائج لصالح الخليفة أبو جعفر المنصور، حيث تخلّص من مطالبة أقوى المنافسين له في الخلافة، عمّه عبد الله بن علي وأضعفت الحرب أبا مسلم الخراساني الذي تخلص منه لاحقاً.

واستمرت الثورات في بلاد الشام والتمردات ضد العباسيين في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور، والتي أدّت إلى خراب وسلب ونهب لأموال الناس، بالإضافة إلى فقدان الأمن، وأسهمت النفقات الكبيرة التي أُنفقت على تجهيز الجيوش العباسية على نحوٍ كبير في تفاقم الأزمة الاقتصادية التي شهدتها مناطق عديدة من بلاد الشام خاصة التي قامت على أرضها هذه الحروب والثورات، ومعاناة السكان من ذلك، وقد أدّت هذه التمردات إلى إضعاف مقومات الاقتصاد، وبالتالي إلى أزمة اقتصادية أفضت إلى إفقار الناس وجوعهم، وكما تركت هذه الأزمة آثاراً اقتصادية، فقد كان لها منعكسات سياسية، من أهمها القضاء على أهم المطالبين بالخلافة عبد الله بن علي عم الخليفة أبو جعفر المنصور، ولجوء الخلافة العباسية إلى استخدام المال في حربها مع ملبد الشيباني[٤١٨] من أجل التخلص من ثورته.

خرج في الجزيرة ملبد بن حرملة الشيباني على الخلافة العباسية سنة ( ١٣٧هـ / ٧٥٤م)، واستطاع هزيمة جيوش عباسية عدّة، كلّفت الخزينة أموالاً طائلة، وبناءً على ميلان كفّة النصر لملبد فإنّ الخليفة أبو جعفر المنصور كلّف خازم بن خزيمة لقتاله، وزوّده بالمال ومستلزمات القتال، واستطاع خازم الانتصار على الشيباني وقتله[٤١٩]، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على إرهاق خزينة الدولة بتكاليف باهظة أنهكت اقتصادها بالتدريج.

---

[٤١٦] نصيبين: مدينة من بلاد الجزيرة بين دجلة والفرات، وهي على طريق القوافل من الموصل إلى الشام، وهي مدينة ديار ربيعة، وكلها بين الحيرة والشام. البكري (د. ت)، ج٤، ص: ١٣١٠. الإدريسي (٢٠٠٢)، ص: ٦٦١. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ٢٨٨. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٥٧٧. أيوب، برصوم. (٢٠٠٠). **الأصول السريانية في أسماء المدن والقرى السورية وشرح معانيها**. ط: ١. حلب: سوريا. دار ماردين. ص: ٣٣١. شامي (١٩٩٣)، ص: ٣٢٦.

[٤١٧] ابـن خيـاط (١٩٨٥)، ص: ٤١٥. الطبـري (١٩٧١)، ج٧، ص: ٤٧٤-٤٧٩. ابـن أعـثم (١٩٩١)، ج٨، ص: ٣٥٣-٣٥٥. القضاعي (١٩٩٥)، ص: ٤٠٠. علي (١٩٦١)، ص: ٢٠٠.

[٤١٨] ملبد بن حرملة الشيباني بن معدان بن سيطان بن قيس بن حارثة، أحد بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، تمرّد على الخلافة العباسية، واستولى على الجزيرة، قُتل سنة ( ١٣٨هـ / ٧٥٥م)، في إحدى معاركه مع العباسيين. البلاذري (١٩٩٦)، ص: ٣٣٥. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ٨٧٦.

[٤١٩] ابـن خيـاط (١٩٨٥)، ص: ٤١٧. الـبلاذري (١٩٩٦)، ص: ٣٣٥-٣٣٧. الطبـري (١٩٧١)، ج٧، ص: ٤٩٥-٤٩٦. مسـكويه (٢٠٠٣)، ج٣، ص: ٥٢.

ولم تكن المناطق في غرب بلاد الشام بمنأى عن الثورة على الظلم والتسلط نتيجة تعسف عمال الخراج، فقد قامت في المنيطرة[٤٢٠] ثورة على العباسيين سنة ( ١٤٢هـ / ٧٥٩م)، فتمكّن الثوار من نهب القرى وحرقها في البقاع، وتمكّن الجيش العباسي من القضاء على هذه الثورة، بينما كان ردّ الخلافة العباسية مزلزلاً عندما عمد والي الشام صالح بن علي إلى معاقبة سكان القرى الجبلية، ونقلهم إلى مناطق مختلفة في بلاد الشام، ردّاً على دعمهم للثورة التي قامت في وجه العباسيين[٤٢١]، ما يشير إلى التغيير الديموغرافي والبنية الاجتماعية للمناطق في بلاد الشام.

ولم تهدأ وتتوقف الفتن والثورات في بلاد الشام ضد الخلافة العباسية، فقد استهلّ الخليفة المهدي حكمه بثورات وتمردات، فكانت بدايتها عندما خرج عبد السلام بن هاشم[٤٢٢] في الجزيرة سنة ( ١٦٢هـ / ٧٧٨م)، وجرياً على عادته وجّه الخليفة المهدي عدداً من الحملات العسكرية للقضاء على هذه الفتنة لكنّ عبد السلام هزمها جميعاً، ما أجبر الخليفة على إرسال ألف فارس لنجدتهم، مستنهضاً هممهم بالأموال فأعطى كل فارس ألف درهم، وبذلك يكون قد أنفق مبلغاً قدره مليون درهم لإخماد الثورة، والنتيجة كانت نجاح الخلافة ومقتل عبد السلام[٤٢٣]، ومن الواضح والجلي هنا أنّ الخلفاء كانوا يُحفّزون القواد بإغرائهم بالأموال وغيرها، وبالطبع أدّت هذه النفقات فيما بعد لأزمات اقتصادية ظهر أثرها في حياة السكان سوءاً وأذى.

ولم تكن شمال بلاد الشام بمنأى عن إعلاء الصوت ضد ظلم الخلافة العباسية، فقد تمرّد الخوارج على الخلافة العباسية سنة ( ١٦٩هـ / ٧٨٥م)، ما اضطر الخليفة المهدي لإرسال جيش لمحاربتهم، لكنّ النتيجة خسارة جيشه للمعركة، بالإضافة إلى خسائر بشرية ومادية كبيرة، إذ قيل إنّ أثقاله وأمواله قد نُهبت[٤٢٤].

فيما بعد استطاعت الجيوش العباسية بعد جولات عدّة القضاء على تمرّد الخوارج بعد خراب ودمار نجما عن ذلك، وبعد أن كلّفت الدولة المبالغ الكبيرة بفعل تجهيز الجيوش وعطاءات الجند، ومن الواضح أنّ تمردات الخوارج ضد العباسيين لم تهدأ بسبب منطلقهم الديني المتعارض مع الدولة، وإذا خمدت

---

[٤٢٠] المنيطرة حصن يقع في الشام بالقرب من طرابلس. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ٢١٧.

[٤٢١] كرد علي (١٩٨٣)، ج١، ص: ١٥١-١٥٢. حتي، فيليب. (١٩٥٠). **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**. تر: جورج حداد، عبد الكريم رافق، أشرف على مراجعته: جبرائيل جبور. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الثقافة. ج٢. ص: ١٦٧.

[٤٢٢] عبد السلام بن هاشم اليشكري، تمرّد على الخلافة العباسية في الجزيرة بين الموصل وحلب، وقُتل سنة ( ١٦٢هـ / ٧٧٨م). الزركلي (٢٠٠٢)، ج٤، ص: ١٠. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ٩٧٢.

[٤٢٣] الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ١٤٢. الأزدي. (١٩٦٧). **تاريخ الموصل**. تح: علي حبيبة. القاهرة: مصر. لجنة إحياء التراث العلمي. ص: ٢٤٢. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج٨، ص: ٢٥٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٢٤٢. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ٣٥.

[٤٢٤] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٢٦٩.

الفتن مدّة فهي مؤقتة لأنّ نارها ما زالت حيّة تحت الرماد، وهذا ما حدث في عهد الخليفة هارون الرشيد، إذ جدّد الخوارج تمردهم في الجزيرة شمال بلاد الشام ضدّ الخلافة العباسية سنة ( ١٧١هـ / ٧٨٧م)، فوجّه الخليفة جيشاً لقتالهم، ولمّا كان النصر أول الأمر للخوارج، فقد أردفه الخليفة بجيش آخر استطاع حسم المعركة وانتزاع النصر من الخوارج وهزيمتهم[٤٢٥].

ولم تقتصر الثورات والفتن على ما قام به الخوارج في شمال بلاد الشام ضد العباسيين، بل شمل دمشق، إذ اندلعت فتنة عارمة بين المضرية بزعامة أبو الهيذام[٤٢٦] واليمانية سنة ( ١٧٦هـ / ٧٩٢م)، وتدخلت الخلافة لإخماد نار الفتنة عبر عزل الخليفة هارون الرشيد لواليها وتولية إبراهيم بن صالح بن علي[٤٢٧]، الذي وقف عاجزاً عن تحقيق تقدّمٍ في مهمته، بل ازدادت اشتعالاً، فعمد الخليفة أيضاً لعزل إبراهيم وتولية ابن إسحاق[٤٢٨] مكانه، الذي أخفق أيضاً في إخماد الفتنة، بل أجّج نارها لميله إلى اليمانية، وجرت معارك عدة في دمشق بين القبائل المتصارعة راح ضحيتها كثير من الناس، بالإضافة إلى الحرق والنهب والسلب الممارس في أحياء دمشق وقرى الغوطة[٤٢٩] فأحرقوا داريا[٤٣٠]، وامتدت هذه الفتنة إلى مناطق بعيدة منها البلقاء والجولان[٤٣١] وحوران والبقاع وحمص والأردن وفلسطين[٤٣٢]، ما يعني امتدادها على مساحات واسعة جداً شرقاً وجنوباً.

ومع ذلك لم تهدأ محاولات الخليفة هارون الرشيد في إخماد الفتنة بالاتصال مع بعض زعماء القبائل، لكنه لم ينجح في ذلك حتى أرسل جيشاً ضخماً إلى دمشق استطاع طرد أبا الهيذام منها وإعادة الهدوء إلى المنطقة بعد أن اكتوت بنيران هذه الحروب وما نجم عنها من خراب ودمار ألحقت بالاقتصاد

---

[٤٢٥] الأزدي (١٩٦٧)، ص: ٢٦٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٢٨١-٢٩٦-٣٠٠.

[٤٢٦] أبو الهيذام عامر بن عمارة بن خريم الناعم بن عمرو بن الحرث بن خراجة بن سنان، ويعود بنسبه إلى بني غطفان المري، توفي سنة ( ١٨٢هـ / ٧٩٨م). ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٢٩٢. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٣، ص: ٢٥٣.

[٤٢٧] إبراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، أمير هاشمي، ولّاه الخليفة العباسي المهدي مصر والجزيرة، توفي في مصر وهو وال عليها سنة ( ١٧٦هـ / ٧٩٢م). ابن الكندي (١٩٠٨)، ص: ١٢٣-١٣٥. الصفدي. (١٩٩١). **تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب**. تح: إحسان بنت سعيد خلوصي، زهير حميدان الصمصام. دمشق: سوريا. منشورات وزارة الثقافة. ق١. ص: ٢٤١. الزركلي (٢٠٠٢)، ج١، ص: ٤٣.

[٤٢٨] لا يوجد له ترجمة.

[٤٢٩] الغوطة: غوطة دمشق المشتهرة بكثرة الأشجار والثمار والمياه. الحازمي (١٩٩٣)، ج٢، ص: ٧٢٦.

[٤٣٠] داريا قرية كبيرة من قرى دمشق في الغوطة، والتسمية سريانية بمعنى الدار على وجه التكثير بإضافة الياء، وهي الآن مدينة في الغوطة الغربية ومركز منطقة، تتبع محافظة ريف دمشق. البكري (د. ت)، ج٢، ص: ٥٣٩. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ٤٣١. المعجم الجغرافي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٢٩٩.

[٤٣١] الجولان قرية وقيل جبل، من نواحي دمشق، من أعمال حوران، يقع بين دمشق وطبرية. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ١٨٨. البغدادي (١٩٥٤)، ج١، ص: ٣٦٠. الحميري (١٩٧٥)، ص: ١٨٣.

[٤٣٢] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤١٠. الأزدي (١٩٦٧)، ص: ٢٧٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٢٩٢-٢٩٦. عباس، احسان. (١٩٩٢). **تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢-٢٥٥هـ/ ٧٥٠-٨٧٠م**. عمان: الأردن. منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام. ص: ٤١-٤٨.

الخسائر المادية الكبيرة، وكان من مخرجاتها تعطل الزراعة في الغوطة والخسائر التي لحقت بالمزارعين، إذ نُهبت وسُرقت مواسمها الزراعية، بالإضافة إلى حرق القرى في المنطقة. ونجم عن ذلك فقدان المواد الغذائية، وارتفاع الأسعار، وانتشار الفقر، كما تمخّض عن هذه الحرب رحيل الفلاحين عن قراهم، وإهمال الزراعة، ولم يقتصر الضرر على الزراعة فقط بل شمل التجارة، إذ ضعفت حركتها وقلّت موادها، وارتفع ثمنها، واحتكر التجار كثيراً من المواد الغذائية، ما زاد من فقر الناس وانتشار المجاعة.

وعاد الخوارج للتمرد ضد الخلافة مرة أخرى وتحديداً سنة ( ١٧٦هـ / ٧٩٢م)، في نواحي نصيبين، عندها كلّف الخليفة هارون الرشيد جيش الموصل بالقضاء على هذا التمرّد، لكنّ النتيجة مالت أول مرة لصالح الخوارج، وفي الكرّة الثانية لصالح جيش الموصل، وعلى الرغم من محاولات الخلافة القضاء على تمردات الخوارج وثوراتهم، إلا أنّ هذه الثورات الرافضة للسلطة العباسية ظلّت مستمرة لدى الخوارج، ولا أدلّ على ذلك إلّا من ثورة الوليد بن طريف[٤٣٣] الذي عمد إلى الثورة في الجزيرة متحدياً العباسيين ومسيطراً على عدد من المناطق، وهنا تجلّت حنكة الخليفة هارون الرشيد عندما كلّف يزيد بن مزيد الشيباني[٤٣٤] العامل لدى العباسيين بمقاتلة الوليد الشيباني، الذي تمّ إضعافه ومقتله وإنهاء تمرّده سنة ( ١٧٩هـ / ٧٩٥م)[٤٣٥].

وبقيت الجيوش العباسية بتوجيه من الخليفة هارون الرشيد تلاحق الفتن ومدبريها في شمال بلاد الشام وجنوبها من أجل إخمادها والقضاء عليها، فعندما أُثيرت الفتن والعصبية القبلية في دمشق وريفها سنة ( ١٨٠هـ / ٧٩٦م)، أرسل الخليفة هارون الرشيد جيشاً كبيراً بقيادة جعفر بن يحيى بن خالد[٤٣٦] للقضاء على هذه الفتن، والواضح أنّه تمكن من إخماد نارها وملاحقة قادتها في دمشق وقرى الغوطة وأعاد

---

[٤٣٣] الوليد بن طريف بن سلط التغلبي الشيباني، تمرّد على الخلافة العباسية في الجزيرة الفراتية سنة ( ١٧٧هـ / ٧٩٣م)، وقُتل سنة (١٧٩هـ/٧٩٥م)، وقيل ( ١٨٠هـ / ٧٩٦م). ابن خياط (١٩٨٥)، ص: ٤٥١. ابن خلكان (د. ت)، ج٦، ص: ٣١. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ١٠٤١. البعلبكي (١٩٩٢)، ص: ٢٩.

[٤٣٤] يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني أبو خالد وأبو الزبير، وهو ابن أخي معن بن زائدة الشيباني، من القادة الذين خدموا في الخلافة العباسية، وولّي أذربيجان وأرمينيا سنة ( ١٧١هـ / ٧٨٧م)، وتوفي في مدينة بردعة في أذربيجان سنة ( ١٨٥هـ / ٨٠١م). ابن خلكان (د. ت)، ج٦، ص: ٣٢٧. الذهبي (١٩٨٢)، ج٩، ص: ٧١. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ١٠٧٦. البعلبكي (١٩٩٢)، ص: ٥٠٥.

[٤٣٥] ابن قتيبة (د. ت)، ص: ٣٨٢. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤١٠. الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٢٥٦-٢٦١. الأزدي (١٩٦٧)، ص: ٢٨١-٢٨٢. المقدسي (د. ت)، ج٦، ص: ١٠١-١٠٢. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٣٠٢.

[٤٣٦] جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي أبو الفضل وزير هارون الرشيد، ولد في بغداد سنة ( ١٥٠هـ /٧٦٧م ) وقتله هارون الرشيد سنة ( ١٨٧هـ / ٨٠٢م). ابن خلكان (د. ت)، ج١، ص: ٣٢٨. الذهبي (١٩٨٢)، ج٩، ص: ٥٩. العامري (١٩٨٥)، ص: ١٧١. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٢، ص: ١٣٠.

الأمن للمنطقة[٤٣٧]، كما نتج عن تلك الأحداث المزيد من الخراب والسلب وانتشار اللصوص وإفقار الناس ومعاناتهم مما حدث وجعلهم يعيشون في ضائقة مادية ومحنة معيشية.

ولم ينأ جنوب بلاد الشام عن القيام بالثورات والتمردات ضد العباسيين، فقد اندلعت ثورة أبي النداء في أيلة[٤٣٨] سنة ( ١٩١هـ / ٨٠٦م) ضد الخلافة العباسية، وامتنعوا عن دفع الخراج، عقب تلك الحوادث تحرك أبو النداء من أيلة، وهاجم بعض القرى الشامية، ونهبها، وقطع الطرق، وقد أكثر من النهب والقتل والفساد، عندها ردّ الخليفة هارون الرشيد بإرسال جيش مهمته القضاء على أبي النداء في أيلة، وكانت النتيجة لصالح الجيش العباسي الذي انتصر في اللقاءات، وقبض على أبي النداء سنة ( ١٩٢هـ / ٨٠٧م)[٤٣٩].

إنّ ما تمّ ذكره من حروب وثورات في بلاد الشام أيام الخليفة هارون الرشيد، قد تركت آثاراً اقتصادية سيئة، بفعل النهب والسلب وحرق القرى وقطع الطرق، وقلة المواد وارتفاع أسعارها، بالإضافة إلى الأموال الكثيرة التي أُنفقت على الجيوش التي خاضت هذه الحروب، وبالتالي أسهم هذا في تفاقم الأزمة الاقتصادية في بلاد الشام، والتي تجلّت بالفقر الذي لحق بسكان بلاد الشام في المناطق التي شهدت الحروب على أرضها، وكثرة السلب والنهب لممتلكات الناس، بالإضافة إلى حرق العديد من القرى، وهجرة كثير من السكان إلى مناطق آمنة غير مناطق الحروب، وقلة المواد الغذائية وارتفاع أسعارها في مناطق كثيرة من بلاد الشام، وكان تراجع الإنتاج الزراعي نتيجة لتخريب المزارع والقرى، بالإضافة إلى ضعف التجارة المتأثّرة بالحروب وفقدان الأمن، وقطع الطرقات، كما أنّ المبالغ الكبيرة التي أنفقتها الدولة على تجهيز الجيوش كانت من مظاهر الأزمة وأسهمت في زيادة حدتها وآثارها.

وقد تركت هذه الأزمة آثاراً ومنعكسات سياسية تجلّت في تعدّد القادة الذين كُلّفوا بمهمة القضاء على الفتن والثورات في بلاد الشام من قبل الخليفة هارون الرشيد تقديراً منه لخطورة التمردات وضرورة القضاء عليها، ومحاولة الرشيد الوقوف على مسافة واحدة من القبائل المتناحرة وعدم التحيز إلى إحداها دون الأخرى.

---

[٤٣٧] الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٢٦٢. الأزدي (١٩٦٧)، ص: ٢٨٩. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج٩، ص: ٤٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٣١٠.

[٤٣٨] أيلة: بلدة بحرية تقع على خليج العقبة، سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام، وكانت تعد آخر الحجاز وأول الشام. البكري (د. ت)، ج١، ص: ٢١٦. الحازمي (١٩٩٣)، ج١، ص: ٣٣. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ٢٩٢. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٧٠. واصف (د. ت)، ص: ١٥.

[٤٣٩] الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٣٢٣-٣٣٩. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج٩، ص: ١٩٣-١٩٨. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٣٤٨-٣٥١. ابن تغري بردي. (١٩٩٢). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. قدم له: محمد حسين شمس الدين. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج٢. ص: ١٧٠-١٧١.

وشاركت مدينة حمص أخواتها في مدن بلاد الشام بالثورة ضد ممارسات الخلافة العباسية، وتجلّى هذا واضحاً في عهد الخليفة الأمين عندما ثار سكان حمص على واليها المعروف عنه سوء الإدارة والمعاملة، والذي هرب إلى سلمية[٤٤٠] سنة ( ١٩٤هـ / ٨٠٩م)، ونتيجة لثورة الأهالي وردّة فعل جيش الخلافة حدثت أزمة اقتصادية تمثلت بمصادرة أرزاق الناس وحرق محلاتهم ودكاكينهم، ما أدّى إلى انتشار الفوضى، وفقر السكان، فكانت أزمة اقتصادية واجتماعية في المدينة عانى سكانها الويلات منها، ومن أجل إخماد الثورة أرسل الخليفة الأمين، عبد الله بن سعيد الحرشي[٤٤١] والياً جديداً على حمص، ويبدو أنه كان دموياً وعنيفاً في ممارساته، إذ عمد إلى قتل وسجن الكثير من سكان حمص، بل أضرم النيران في أنحائها، وتمكّن من قمع الثورة، التي نشبت من جديد بعد مدّة من الزمن، لكنه عاد وقمعها بنفس الأسلوب المتّبع من قبله والمعروف بالقوة والحزم[٤٤٢]، ونجم عن الثورة وما قام به الوالي الجديد من معاقبة الناس ومضايقتهم ضائقة اقتصادية وأزمة خانقة عاشها سكان حمص.

ولم تهدأ الثورات في بلاد الشام ضد العباسيين، واستغلالاً للحرب التي نشبت بين الخليفة الأمين وأخيه المأمون أعلن السفياني[٤٤٣]، الملقّب بأبي العميطر ثورته ضد العباسيين سنة ( ١٩٥هـ / ٨١٠م)، إذ سيطر على دمشق، بمساعدة اليمانية، فقاموا بنهب وقتل وحرق دور القيسية، وطردوا الوالي من دمشق، فكلّف الخليفة العباسي الأمين، محمد بن صالح بن بيهس الكلابي[٤٤٤]، بمحاربة السفياني، فشنّ ابن بيهس حرباً متواصلة ضد أبي العميطر واستطاع الانتصار عليه في ثلاث معارك، ذهب ضحيتها عدد كبير من جيش أبي العميطر السفياني، ولشقّ صف الأسرة الأموية إلى قسمين سفياني ومرواني، فقد حرّض ابن بيهس، مسلمة بن يعقوب[٤٤٥] وهو من المروانيين، ليكون قائداً بدلاً من أبي العميطر، فتمكن مسلمة من دخول دمشق والقبض على أبي العميطر وزجّه بالسجن، واستعصى مسلمة في دمشق، عندها حاصره ابن بيهس، وانقسمت القيسية بينهما، وتمكن ابن بيهس من دخول دمشق سنة ( ١٩٨هـ /

---

[٤٤٠] سلمية: بلدة من أعمال حماة على طرف البادية، وكانت تعد من أعمال حمص. اليعقوبي (د. ت)، ص: ١١١. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٢٤٠. أيوب (٢٠٠٠)، ص: ٢١٧.

[٤٤١] لا يوجد له ترجمة.

[٤٤٢] الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٣٧٤. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٠، ص: ٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٣٦٣.

[٤٤٣] السفياني الأمير علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، أبو الحسن، القرشي الأموي الدمشقي، كان يلقب بأبي العميطر، توفي سنة ( ١٩٨هـ / ٨١٣م). الذهبي (١٩٨٢)، ج٩، ص: ٢٨٤. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٢١، ص: ١٣٠. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٤، ص: ٣٠٣. الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ١١٤٠.

[٤٤٤] محمد بن صالح بن بيهس بن زميل بن عمرو بن هبيرة بن زفر بن عامر وينتهي نسبه إلى صعصعة الكلابي، توفي سنة (٢١٠هـ/٨٢٥م). الذهبي. (١٩٩١)، ج١٤، ص: ٣٥٢. الصفدي (١٩٩١)، ق١، ص٢٦١. العامري (١٩٨٥)، ص: ٢٠٠. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٦، ص: ١٦٢.

[٤٤٥] مسلمة بن يعقوب بن علي بن محمد بن سعيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، توفي في المزة سنة ( ١٩٨هـ / ٨١٣م). الذهبي (١٩٩٠)، ج١٣، ص: ٣٥٣. الصفدي (١٩٩١)، ق١، ص: ٢٥٧.

٨١٣م)، فهرب مسلمة وأبو العميطر بعد أن أطلق سراحه مسلمة من السجن إلى المزة[٤٤٦]، وبذلك تمكن ابن بيهس من إخماد ثورة السفياني، وإعادة سلطة العباسيين إلى دمشق ومناطقها، بعدها بوقت قصير توفي مسلمة سنة ( ١٩٨هـ / ٨١٣م)، وبعده بفترة قصيرة أبو العميطر، وبذلك تمّ القضاء على السفياني وثورته[٤٤٧].

وبسبب المدة الطويلة التي عاشتها هذه الثورة وما نجم عنها من قتل ونهب ومصادرة الأملاك، فقد عانى سكان دمشق وريفها خلال هذه الثورة التي استمرت حوالي ثلاث سنوات ( ١٩٥-١٩٨هـ / ٨١٠-٨١٣م)، من أزمة اقتصادية أدّت إلى ارتفاع الأسعار، وقلة المواد الغذائية، وفقدان الأمن وانتشار اللصوص في دمشق وريفها، خاصة عندما دخل أبو العميطر دمشق وأخذ أتباعه بالبيعة له، وبدأوا بإغلاق ومصادرة الدور والحوانيت للذين لا يُبايعون أبا العميطر، بالإضافة إلى طرد القيسيين من دمشق ومصادرة ممتلكاتهم، ومن المؤكد أنه كان لهذه الحروب أثر سلبي على الزراعة والمزروعات خاصة عندما هاجم ابن بيهس قرية قرحتا[٤٤٨]، وبين قرحتا وشبعا[٤٤٩] وداريا وبيت لهيا[٤٥٠] والمزة، بعد دخوله دمشق سنة ( ١٩٨هـ / ٨١٣م)، ومن الطبيعي أن تتوقف الحركة التجارية من بيع وشراء، وأن تصاب بالشلل من جرّاء الحروب، وبسبب فقدان الأمن على الطرقات، وانتشار اللصوص، وقاطعي الطرق الذين يستغلون الغياب الأمني، ليشغلوا دورهم في سلب ونهب أموال الناس[٤٥١].

وما زاد في إفقار الناس، وانتشار المجاعة بين صفوفهم وتعرضهم للقتل والخوف والتهجير، تفاقم الأزمة الاقتصادية في دمشق وريفها، التي تمثّلت بارتفاع أسعار المواد، والغلاء الذي عانى منه السكان، وقلّة المواد الغذائية، بالإضافة إلى تراجع المحاصيل الزراعية، بسبب الحروب، وهجرة الفلاحين من المناطق التي شهدت الصراع والقتال، كما أنّ فقدان الأمن، وانتشار اللصوصية، من مظاهر هذه الأزمة، بالإضافة إلى ضعف التجارة، بسبب فقدان الأمن، وقطع الطرقات، وإغلاق كثير من الدور

---

[٤٤٦] المزة قرية كبيرة تقع في الجهة الغربية من مدينة دمشق. البكري (د. ت)، ج٤، ص: ١٢٢٢. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ١٢٢. القزويني. (د. ت). **آثار البلاد وأخبار العباد**. بيروت: لبنان. دار صادر. ص: ٢٦٣. المعجم الجغرافي (١٩٩٢)، ج٥، ص: ٢٣١.

[٤٤٧] الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٤١٥. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٠، ص: ١٤. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٣٧٧. عباس (١٩٩٢)، ص: ٥٣-٦٠.

[٤٤٨] قرحتا قرية من قرى دمشق، تقع في أرض سهلية بمنطقة الغوطة الشرقية، تتبع إلى منطقة دوما، محافظة ريف دمشق. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ٣٢٠. المعجم الجغرافي (١٩٩٢)، ج٤، ص: ٥٢٩. أيوب (٢٠٠٠)، ص: ٢٥٦.

[٤٤٩] شبعا قرية من قرى دمشق، تقع في الطرف الجنوبي الشرقي لغوطة دمشق الشرقية. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٣٢١. المعجم الجغرافي (١٩٩٢)، ج٤، ص: ٨. أيوب (٢٠٠٠)، ص: ٢٢١.

[٤٥٠] بيت لهيا موضع على باب دمشق. البكري (د. ت)، ج١، ص: ٢٩٠. الحازمي (١٩٩٣)، ج٢، ص: ٨١٩. الحموي (د. ت)،ج٥، ص: ٢٨.

[٤٥١] الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٤١٥. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٣٧٧. كرد علي (١٩٨٣)، ج١، ص: ١٥٥-١٥٧. عباس (١٩٩٢)، ص: ٥٣-٦٠.

والحوانيت في دمشق وغيرها من الأماكن التي تعرضت لهذه الحروب وتوقف كثير من الحرف الصناعية المتأثرة بما آلت إليه الفتن والتمردات، إلى جانب المبالغ الكبيرة التي أنفقتها الدولة على الجيوش المكلّفة بإخماد هذه الفتن.

وكما كان لهذه الأزمة آثار مادية على المجتمع والدولة، فقد تركت آثاراً ومنعكسات سياسية تجلّت أولاً بتعيين والي جديد على حمص بدلاً من الوالي السابق، الذي هرب إلى السلمية، وثانياً انقسام الأمويين بين مروانيين وسفيانيين بعد استمالة مسلمة بن يعقوب إلى جانب ابن بيهس، ووقوف القيسية بقيادة ابن بيهس إلى جانب العباسيين في حربهم ضد السفياني.

وهنا لا بدّ من التساؤل كيف وقفت اليمانية مع السفياني ضد العباسيين وهي المعروفة بموالاتها لهم، وكيف وقفت القيسية إلى جانب العباسيين بتأييدها لابن بيهس، وهي المعروفة بمعارضتها لهم؟ وإذا كان من جواب على موالاة القيسية للعباسيين مجدداً فهو دليل على حنكة ابن بيهس واستفادته من وقوف اليمانية إلى جانب السفياني، ومجافاتهم للعباسيين لهذه الثورة.

واستغلالاً للحرب بين الخليفة الأمين وأخيه المأمون وما خلّفته من آثار على البيت العباسي الحاكم في الدرجة الأولى فقد تمرّد نصر بن سيار بن شبث العقيلي[٤٥٢] في كيسوم شمال حلب على الخليفة المأمون سنة ( ١٩٨هـ / ٨١٣م)، واستولى على سميساط[٤٥٣]، فأرسل الخليفة المأمون جيشاً لمحاربة نصر بقيادة طاهر بن الحسين، ودارت معركة شديدة انتصر فيها نصر على جيش الخليفة، وفي سنة ( ١٩٩هـ / ٨١٤م)، ازدادت قوة نصر في الجزيرة وحاصر حران، وعلى الرغم من انشغال الخليفة المأمون بترميم آثار حربه مع أخيه الأمين، إلا أنه وضع نصب عينيه القضاء على تمرد نصر فأرسل له عبد الله بن طاهر[٤٥٤] على رأس جيش لمحاربته سنة ( ٢٠٦هـ / ٨٢١م)، وبعد معارك عدّة بين جيش نصر والجيش العباسي بقيادة عبد الله بن طاهر، استطاع جيش الخليفة حصار نصر بكيسوم، وشدد عليه الحصار حتى اضطره إلى الصلح سنة ( ٢٠٩هـ / ٨٢٤م)، الذي وافق عليه الخليفة المأمون مشروطاً بمثوله بين يديه بعد إعطائه الأمان[٤٥٥]، وهذا يدل على حنكة المأمون في التعاطي مع بعض القضايا السياسية فلا يريد أن يفتح عليه أكثر من جبهة.

---

[٤٥٢] نصر بن سيار بن شبث العقيلي، من بني عقيل بن كعب بن ربيعة، زعيم القيسية، توفي سنة ( ٢١٠هـ / ٨٢٥م). الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ١٢١١.

[٤٥٣] سميساط مدينة غرب الفرات في طرف بلاد الروم، لها قلعة حصينة، تحيط بها جبال كثيرة الأشجار والمزروعات، وهي مدينة من مدن تركيا. الإدريسي (٢٠٠٢)، ص: ٦٥١. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٢٥٨. العفيفي (٢٠٠٠)، ص: ٢٨٧.

[٤٥٤] عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي، من أشهر الولاة في العصر العباسي، وأصله من خراسان، ولد سنة ( ١٨٢هـ / ٧٩٨م)، وتوفي في نيسابور، وقيل بمرو سنة ( ٢٣٠هـ / ٨٤٤م). الترمانيني (١٩٨٨)، ج١، ص: ١٢٩٩.

[٤٥٥] ابن قتيبة (د. ت)، ص: ٣٨٧-٣٩٠. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٥٥-٤٥٦-٤٥٩. الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٥٨١-٥٩٨. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٤١٢-٤١٣ -٤٢٠- ٤٥٧- ٤٧٣-٤٧٤. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ٣٩-٤٠.

ومن الطبيعي أن تؤدي هذه الحروب إلى مزيد من الفوضى، وكثرة النفقات على الجيوش المتحاربة، ما يزيد في حدّة معاناة الناس، كما ألحقت هذه الحروب الضرر الكبير بالزراعة والاقتصاد في بلاد الشام.

هذه الثورات تركت آثاراً ومنعكسات سياسية كان من مظاهرها تكليف عبد الله بن طاهر بقيادة الجيش ضد نصر العقيلي وبعد قبول الخليفة المأمون توقيع الصلح مع نصر احتواءً لثورته وتخفيفاً من آثارها.

لم تنعم بلاد الشام كثيراً بالاستقرار الأمني والسياسي؛ إذ ما لبثت أن اندلعت الثورات والاضطرابات من جديد ضد واليها أبي المغيث الرافعي[٤٥٦] سنة ( ٢٢٤هـ / ٨٣٨م)، المعروف بظلمه للسكان وسوء معاملته لهم، وكانت لهذه الثورة والأعمال العسكرية التي حدثت في دمشق، وفي فلسطين، الآثار الاقتصادية السيئة على السكان، من تخريب للمزروعات، وفي الواقع كانت منعكسات الثورة الاقتصادية سيئة على الناس وعلى الزراعة خصوصاً، إضافة إلى توقف الحياة المعاشية، إذ حدث تراجع في زراعة المحاصيل بسبب التخريب الذي لحق بأراضي الغوطة جرّاء العمليات العسكرية يضاف إلى ما سبق قلّة المواد الغذائية، وارتفاع أسعارها، إلى جانب معاناة السكان من حصار دمشق، ما أثّر سلباً في حياة السكان وزاد في معاناتهم، وأعاقت الأعمال العسكرية كافة الأنشطة الاقتصادية من صناعة وتجارة وغيرها، وازداد السلب والنهب وحدث الخراب الذي أصاب مدينة دمشق بسبب تمرد القيسيين فيها بقيادة ابن بيهس، يضاف إليها التكاليف الكبيرة التي أُنفقت على الجيوش المتحاربة، بسبب المدّة الزمنية الطويلة التي استمرت فيها التمردات والثورات، التي أرهقت خزائن الدولة، علاوة على حرمان الدولة من واردات هذه المناطق، ما أدّى إلى تفاقم الضائقة الاقتصادية، والتي تركت بدورها آثاراً ومنعكسات سياسية، من أبرزها اتفاق القيسيين واليمنيين على الوقوف بوجه والي دمشق المعيّن من قبل الخليفة العباسي المعتصم، وانقلاب موقف ابن بيهس ضد العباسيين وهو المعروف بولائه لهم، كما أنّ اعتماد قادة الجيش العباسي أسلوب النفَس الطويل في قمع ثورة المبرقع اليماني[٤٥٧]، وعدم دخول المعركة معه إلا بعد انفضاض قسم من الفلاحين عنه، بسبب انشغالهم بالأعمال الزراعية، كان من المنعكسات السياسية أيضاً.

وسبب التمردات الفوضى الناجمة عن أعمال الوالي ضد السكان التي تأذّى منها سكان دمشق والغوطة، ما وحّد اليمانيين والقيسيين في محاربة الوالي، إذ قُتلت أعداد كبيرة من السكان، وحاصر سكان الغوطة

---

[٤٥٦] أبو المغيث موسى أو عيسى بن إبراهيم بن سابق الرافقي وقيل الإفريقي، وقد ولّاه الخليفة المتوكل حمص. الذهبي (١٩٨٢)، ج١٠، ص: ٥٧٤. الصفدي (١٩٩١)، ق١، ص: ٢٨٤.

[٤٥٧] أبو حرب المبرقع اليماني، ولقّب بالمبرقع، من سكان فلسطين، وقيل إنه ادّعى النبوة، فوجه إليه المعتصم جيشاً فأسره، وتوفي خنقاً سنة ( ٢٢٧هـ / ٨٤١م). الزركلي (٢٠٠٢)، ج٢، ص: ١٧٣.

دمشق التي أغلقت أبوابها في وجههم، وكان ذلك في عهد الخليفة المعتصم، وثارت القيسية في دمشق بقيادة ابن بيهس الكلابي وقامت بأعمال تخريبية في المدينة أسفرت عن خسائر مادية كبيرة [٤٥٨].

وظهر ثائر آخر في فلسطين سنة ( ٢٢٦-٢٢٧هـ / ٨٤٠-٨٤١م)، هو المبرقع اليماني أبو حرب، بعد فراره من دمشق، والسبب المباشر لهروبه من دمشق، هو أنّ أحد الجند نزل على داره في دمشق وهو غائب عنها، فوجد زوجته وقيل أخته، فحاولت منعه، فضربها بالسوط على ذراعها فترك أثراً على ذراعها من الضربة، وعندما عاد أبو حرب إلى داره، علم بما جرى في غيابه، فذهب إلى الجندي وقتله، واعتصم في جبل من جبال الأردن، وأخذ يدعو الناس إلى الوقوف بوجه العباسيين، ولاقت دعوته استجابة من كثير من الناس نتيجة لمعاناة المزارعين من الضرائب وجبايتها، فقد سارع هؤلاء إلى الالتحاق بثورة أبي حرب المبرقع اليماني.

والسؤال المطروح هنا: ما سبب الانضمام الواسع من قبل الفلاحين إلى ثورة المبرقع اليماني؟ هل بسبب التعاطف معه؟ أم بسبب معاناتهم من ضرائب الولاة المفروضة عليهم؟ وهنا دلالة واضحة على سوء معاملة الولاة والجباة للسكان في تلك المدّة، وعلى استعداد السكان للثورة ضد الخلافة العباسية وولاتها.

ويقال: بلغ تعداد المشاركين في الثورة حوالي مائة ألف رجل، وهذا ما دفع الخليفة المعتصم لإرسال رجاء بن أيوب الحضاري[٤٥٩] على رأس جيش لقمع الثوار، لكنّ خطة رجاء كانت التريث في القتال لأسباب عدّة، منها كثرة المنضمين للثورة وتوقع عودة الفلاحين لأعمالهم، وعندما سنحت الفرصة لرجاء بخوض المعركة مع المبرقع اليماني لم يتردد في ذلك، ومالت كفة النصر للجيش العباسي على المبرقع اليماني قرب الرملة[٤٦٠]، إذ أُسر المبرقع اليماني وانتهت ثورته بالإخفاق[٤٦١].

إنّ ما قام به القائد رجاء الحضاري يدلّ على حنكة ومهارة، فعندما رأى كثرة جيش المبرقع، وقلّة عدد الجيش العباسي وعلم أنّ بنية جيش المبرقع من الفلاحين، استغلّ ذلك وانتظر حتى بداية الموسم الزراعي وانفضاض الفلاحين عن المبرقع لمزاولة أعمالهم الزراعية، فقرر خوض المعركة مع المبرقع، فكان النصر إلى جانبه.

---

[٤٥٨] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٧٣. الصفدي (١٩٩١)، ج١، ص: ٢٨٥. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ٣٠٣-٣٠٤. كرد علي (١٩٨٣)، ج١، ص: ١٦٤.

[٤٥٩] لا يوجد له ترجمة.

[٤٦٠] الرملة: مدينة في فلسطين، بين القدس وعسقلان، وسميت بالرملة لكثرة الرمل فيها. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٦٩. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٢٦٨. العفيفي (٢٠٠٠)، ص: ٢٥٦. واصف (د. ت)، ص: ٤٠.

[٤٦١] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٨٠. الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ١١٦-١١٨. المقدسي (د. ت)، ج٦، ص: ١١٩. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٤، ص: ٨٤-٨٥. العظيمي. (١٩٨٤). **تاريخ حلب**. تح: إبراهيم زعرور. دمشق. سوريا. د.ن. ص: ٢٥٢. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ١١٧-١١٨.

والواضح أنّ القيسية ظلّت طرفاً في الصراعات السياسية في بلاد الشام فقد ثارت مجدداً بقيادة ابن بيهس الكلابي في دمشق، وقامت بأعمال تخريبية في المدينة سنة ( ٢٢٧هـ / ٨٤١م)، وأدّت هذه الأعمال العسكرية إلى تخريب الزراعة وتعطيلها في الغوطة والمناطق الزراعية الأخرى التي شهدت هذه المعارك، وأدّت بالتالي إلى معاناة السكان وإفقارهم وحرمان خزينة الدولة من واردات كثيرة من جرّاء تخريب المحاصيل، وشلل الحياة الاقتصادية بفروعها المختلفة، وإنّ الإنفاق المالي على الجيوش المكلّفة بإخماد حرائق الفتن والثورات يُضعف خزينة الدولة، ويُسهم في خلق الأزمات الاقتصادية التي تمثّلت بتراجع المحاصيل الزراعية، وتعطيلها في بعض الأحيان، مع قلّة المواد الغذائية وارتفاع أسعارها والغلاء الذي أدّى إلى فقر السكان، والشلل الذي أصاب الحياة الاقتصادية في دمشق من صناعة وتجارة بفعل الحروب وآثارها، بالإضافة إلى الخراب والدمار الذي لحق بدمشق وعدد من قرى غوطتها، علاوة على التكاليف الكبيرة من جرّاء الأعمال العسكرية وتجهيز الجيوش، كما أنّ هذه الأزمة سببت هجرة كثير من سكان القرى والمزارع إلى مناطق آمنة.

هذا بالنسبة إلى ما خلّفته الأزمة من آثار اقتصادية، أمّا منعكساتها السياسية فقد تمثّلت بالإبقاء على القائد العسكري رجاء بن أيوب على رأس الجيش المكلّف بقمع الثورة والتمرد في دمشق من قبل الخليفتين المعتصم والواثق، معتمداً على خبرته في قمع ثورة المبرقع اليماني في عهد الخليفة المعتصم، واعتماد الخلافة العباسية أسلوب الشدّة في قمع التمرد والثورة في دمشق وغوطتها.

وردّاً على هذه الأعمال التخريبية أرسل الخليفة الواثق، جيشاً بقيادة رجاء بن أيوب الذي حارب المتمرّدين في الغوطة، في مرج راهط[٤٦٢]، وقرى دومة[٤٦٣]، وكفر بطنا[٤٦٤]، وجسرين[٤٦٥]، وسقبا[٤٦٦]، وغيرها من القرى الثائرة، وقتل منهم أعداداً كبيرة[٤٦٧].

---

[٤٦٢] مرج راهط يقع في غوطة دمشق. البكري (د. ت)، ج٢، ص: ٦٣٠. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٢١.

[٤٦٣] دومة قرية من قرى دمشق في الغوطة، تقع في أرض سهلية خصبة، في الطرف الشمالي الشرقي من غوطة دمشق. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ٤٨٦. المعجم الجغرافي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٣٧٥. أيوب (٢٠٠٠)، ص: ١٧٦.

[٤٦٤] كفر بطنا قرية من قرى غوطة دمشق، وهي الآن ناحية في غوطة دمشق تتبع منطقة مركز محافظة ريف دمشق. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ٤٦٨. المعجم الجغرافي (١٩٩٢)، ج٥، ص: ٤٢. أيوب (٢٠٠٠)، ص: ٢٧٠.

[٤٦٥] جسرين قرية من قرى دمشق في الغوطة، تقع في الجزء الشرقي من الغوطة، على الحافة اليسرى لنهر بردى. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ١٤٠. المعجم الجغرافي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ٦٧٣. أيوب (٢٠٠٠)، ص: ١٢٣.

[٤٦٦] سقبا قرية من قرى دمشق في الغوطة، تقع في القسم الشرقي من الغوطة، وتبعد عن مدينة دمشق ( ٥كم). الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٢٢٦. المعجم الجغرافي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٦٣٢.

[٤٦٧] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٨٠. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٧٣. الصفدي (١٩٩١)، ج١، ص: ٢٨٥. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ٣٠٣-٣٠٤. كرد علي (١٩٨٣)، ج١، ص: ١٦٤.

**٢- الأزمات الاقتصادية ومنعكساتها في بلاد الشام في عصر الضعف للخلافة العباسية.**

لم تتوقف الثورات والفتن في بلاد الشام في عصر الضعف للخلافة العباسية، ولكنّ أسلوب وطريقة وسرعة الرد من قبل الخلفاء والسلاطين في هذا العصر تغيّرت لأسباب تتعلق بالخلفاء وبظروف العراق وبالمشاكل الداخلية لهم، بالإضافة إلى تسلّط الأجانب على الخلافة وتهميش دورها القيادي على كافة المستويات، وكذلك الأمر بالنسبة لظروف بلاد الشام، إذ كانت القوى الإقليمية والدولية المجاورة له تتربّص به، علاوة على الدول التي استقلّت عن الخلافة كلياً أو اسمياً في بلاد الشام، هذه الظروف الذاتية منها والموضوعية جعلت إشراف خلفاء بني العباس على هذا العصر محدود الأثر ولا يرقى إلى فرض السلطة والقرار عند بعضهم، وعند بعضهم الآخر كان وجودهم اسمياً فقط وكانت الخلافة مشلولة الفعل في مضمونها وروحها. وظهرت أولى نتائجها عندما عيّن الخليفة المتوكل أبي المغيث الرافقي عاملاً على حمص وأدّى ذلك إلى تمرد السكان عليه سنة ( ٢٤١هـ/٨٥٥م)، بسبب سوء سيرته وظلمه للناس، وكانت الجهود التي بذلها الخليفة المتوكل عسكرياً عبر نقل الجند من دمشق والرملة للمساعدة، والدعم المادي الكبير قد أسهم في نجاح قمع الثورة، لكنّ آثارها الاقتصادية تمثّلت بالسلب والنهب وزيادة الضائقة الاقتصادية[٤٦٨]، وهنا يطرح التساؤل الآتي: كم تكلفت خزينة الدولة بعد نقل الجند من الرملة إلى حمص؟ من الذي غطّى هذه النفقات؟ هل المصادرات؟ أم الضرائب التي كانت تُفرض على الناس؟

ومن اللافت للانتباه أنّ الكثير من الفتن والثورات ضد العباسيين في بلاد الشام تعود بأسبابها إلى ظلم الولاة وسوء معاملتهم للسكان، وبدلاً من أن يستدعي الخليفة الوالي ويكلّف آخر بدلاً منه، كان يقوم بدعمه بالجند لقتل وإهانة السكان، وهذا تبيّن عندما دعم الخليفة المتوكل والي حمص.

والواضح أنّ أزمة اقتصادية جديدة أرخت بثقلها على كاهل سكان حمص بعدما جدّدوا تمردهم على عاملها سنة ( ٢٤٨هـ / ٨٦٢م)، وما رافقها من فوضى وما قام به الجيش العباسي من تخريب وحرق للمدينة، وتعطيل للحياة الاقتصادية، قد كلّفت المبالغ الكبيرة، وزاد في معاناة السكان وحرمانهم، وأضعف خزينة الدولة بتحمّلها لنفقات الجند ومستلزمات قتالهم.

وقمعاً للتمرد أرسل الخليفة المستعين بالله القائد الفضل بن قارن[٤٦٩] لإسكاتهم، ما اضطره لقتل أعداد كبيرة منهم فعادوا للثورة ضده من جديد سنة ( ٢٥٠هـ/٨٦٤م)، وعمدوا إلى قتله، هنا سارع الخليفة إلى

---

[٤٦٨] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٩٠. العظيمي (١٩٨٤)، ص: ٢٥٧. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٢٨٢. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٢٠-١٢٢.

[٤٦٩] الفضل بن قارن، عيّنه الخليفة المستعين أميراً على حمص سنة ( ٢٤٨هـ / ٨٦٢م)، وبقي عليها حتى مقتله سنة ( ٢٥٠هـ / ٨٦٤م). ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٦١.

إرسال جيش بقيادة موسى بن بغا[٤٧٠]، التقى مع المتمردين بين حمص والرستن[٤٧١] ولكنّ كفة اللقاء مالت لصالح العباسيين الذين عمدوا إلى السلب والنهب والأسر لكثير من السكان إلى جانب إحراق المدينة[٤٧٢]، وهنا يمكن القول بوجود مبالغة بأنّ المدينة قد أُحرقت بالكامل، بل بعض أجزائها أو مناطقها، وإذا كان الحصار يعطّل حياة الناس فما بال الحرق؟ ولم تذكر المصادر التاريخية التكلفة المادية لهذه الحروب، لكنها بالتأكيد باهظة الثمن.

والملاحظ أنّه بعد وفاة أحمد بن طولون، أصبحت بلاد الشام مسرحاً للحرب بين قادة الخلافة العباسية من جهة وبين والي مصر خمارويه من جهة أخرى، فحدثت أزمة اقتصادية خانقة كان من مظاهرها معاناة سكان بلاد الشام من آثارها، ومكلفة من حيث نفقاتها، ومخرّبة لكثير من المناطق، ومعطّلة للحياة الاقتصادية، خاصة في المناطق التي دارت على أرضها رحى هذه الحروب، فزادت من فقر الناس ومعاناتهم، كما أرهقت خزينة الدولة من جرّاء تحمّلها لنفقات هذه الجيوش.

أمّا منعكساتها السياسية فتتمثل بسيطرة قادة الأتراك ممثلة بخمارويه على دمشق وخروج الجيش العباسي منها.

وقد كُلّف إسحاق بن كنداج[٤٧٣] عامل الموصل، ومعه محمد بن أبي الساج[٤٧٤] في أيام الخليفة المعتمد، بالسيطرة على بلاد الشام سنة ( ٢٧٠هـ / ٨٨٣م)، بالإضافة إلى المدد الذي التحق بهم من العراق، بقيادة أحمد بن الموفق والملقب بالمعتضد، والتقى الحلفاء ممثلين بالجيش العباسي ومؤيّديه مع جيش خمارويه عند شيزر[٤٧٥]، وكان النصر حليف العباسيين، ودخل المعتضد دمشق غير أنّ هذا استدعى تحركاً عاجلاً من خمارويه في مصر إلى الشام سنة ( ٢٧١هـ / ٨٨٤م)، فوصل الرملة، والتقى

---

[٤٧٠] موسى بن بغا الكبير أبو عمران، أحد قواد المتوكل، توفي سنة ( ٢٦٤هـ / ٨٧٧م)، ودفن في سامراء. المسعودي (٢٠٠٥)، ج٤، ص: ١٦٥. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ١٩٦. ابن منظور. ( ١٩٨٩). **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**. تح: مأمون الصاغرجي. ط: ١. دمشق: سوريا. دار الفكر. ج٢٥. ص: ٢٨٣.

[٤٧١] الرستن: بليدة قديمة على نهر العاصي، وهي قرية تابعة لحمص، تقع في منتصف المسافة بين حمص وحماة، وهي الأن مدينة ومركز منطقة تتبع محافظة حمص، تقع على مرتفع يطلّ على نهر العاصي، تبعد عن مدينة حمص مسافة (٢٠كم) باتجاه الشمال، تجاورها من الشمال والشرق محافظة حماة، ومن الجنوب والغرب محافظة حمص. الحازمي (١٩٩٣)، ج١، ص: ٤٧٢. الحموي (د. ت)،ج٣، ص: ٤٣. المعجم الجغرافي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٤٧٢.

[٤٧٢] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٩٥-٤٩٦. الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٢٥٩-٢٧٦. العظيمي (١٩٨٤)، ص: ٢٦٠. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ٨-٣٥. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٥١-١٦١. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ٤٥.

[٤٧٣] إسحاق بن كنداج، توفي سنة ( ٢٧٨هـ / ٨٩١م). ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٣٦٧.

[٤٧٤] محمد بن أبي الساج، أحد الأمراء الذين كانوا ببغداد، سار لمحاربة خمارويه بن أحمد بن طولون عند دمشق، فهُزم جيشه وفرّ إلى الفرات. ابن منظور ( ١٩٨٩)، ج٢٢، ص: ١٧١.

[٤٧٥] شيزر: كورة بالشام، قرب معرة النعمان، تقع على الضفة اليسرى لوادي العاصي إلى الشمال الغربي من مدينة حماة بمسافة ( ٢٥كم). الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٣٨٣. المعجم الجغرافي (١٩٩٢)، ج٤، ص: ٨٩.

مع الجيش العباسي بقيادة أحمد بن الموفق عند ماء عليه طواحين فسميت المعركة باسم معركة الطواحين، وهُزم الجيش العباسي بقيادة المعتضد، ودخل خمارويه دمشق[٤٧٦].

هذه الحروب، وإن أهملت المصادر ذكر تكاليفها الاقتصادية، فقد تسببت بأزمة اقتصادية خانقة.

فقد أرسل الخليفة المكتفي جيشاً كبيراً وأمدّه بالأموال سنة ( ٢٩٢هـ / ٩٠٤م)، لمحاربة هارون بن خمارويه[٤٧٧]، وجرت وقعات عدّة، وقُتل هارون إثر خلافات بينه وبين جنده، فاستلم مكانه عمه شيبان[٤٧٨] الذي طلب الأمان من جيش الخليفة وسلّمه مصر[٤٧٩].

لقد كلّفت هذه الحروب خزينة الدولة المبالغ الكبيرة، لأنه من المؤكد أنّ الجيوش التي تُرسل إلى مناطق بعيدة كمصر لا بدّ أن تكون نفقاتها كبيرة ومرهقة لخزينة الدولة، وتتمثّل النفقات بالسلاح والميرة والطعام والخيل والماء ورواتب الجند وغيره من النفقات.

والآن: ألم تكن المسيرة لهذه القوات المتوجّهة من العراق إلى مصر طويلة ومنهكة جسدياً، ألم تستنزف كثيراً من خزينة الدولة، ألم يكن لبلاد الشام دور في النفقات سيما أنّ الجيوش مرّت بها أي هي نقطة العبور؟ وهنا لا بدّ من القول إنّه ربما كان يتمّ الإنفاق على هذه الجيوش من طعام وميرة من سلطة أو ولاة بلاد الشام في العصر العباسي، أو ربما تكون هناك مصادر أخرى للإنفاق على هذه الجيوش وتأمين حاجاتها.

كما أغفلت المصادر ذكر تكاليف نفقات الجيش العباسي المتوجه لحرب الفاطميين لمرتين متتاليتين الأولى سنة ( ٣٠١هـ / ٩١٣م)، عندما انتصر العباسيون، والثانية بعد محاولة الفاطميين دخول مصر سنة ( ٣٠٢هـ / ٩١٤م)، عندها أرسل الخليفة جيشاً ضخماً وأمده بالسلاح والمال، وانتصر العباسيون وطردهم من مصر[٤٨٠].

---

[٤٧٦] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ٨. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٤، ص: ٣٤٠. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ٢٤٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٣٣٧- ٣٤٢. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ٤٩-٥٠.

[٤٧٧] هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون، من ملوك الدولة الطولونية، ولد بمصر، وتولى الحكم بعد مقتل أخيه جيش سنة ( ٢٨٣هـ / ٨٩٦م)، قامت الفوضى في جيشه، فقتله أحد المغاربة، وقيل عمه شيبان، سنة ( ٢٩٢هـ / ٩٠٥م). ابن الكندي (١٩٠٨)، ص: ٢٤٢. الذهبي. (١٩٨٣). **سير أعلام النبلاء**. إشراف: شعيب الأرنؤوط. تح: اكرم البوشي. ط: ١. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. ج١٤. ص: ١٧. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٨، ص: ٦٠.

[٤٧٨] شيبان بن أحمد بن طولون، تولى مصر سنة ( ٢٩٢هـ / ٩٠٥م)، وبنفس العام انقرضت الدولة الطولونية. ابن الكندي (١٩٠٨)، ص: ٢٤٦.

[٤٧٩] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ١١٨. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٤٢٤.

[٤٨٠] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٤٨٣- ٤٨٦. دعكور، عرب. (٢٠١٠). **تاريخ الفاطميين والزنكيين والأيوبيين والمماليك وحضاراتهم**. بيروت: لبنان. دار النهضة العربية. ص: ٣٠. الدشراوي، فرحات. (١٩٩٤). **الخلافة الفاطمية بالمغرب ( ٢٩٦-٣٦٥هـ / ٩٠١-٩٧٥م) التاريخ السياسي والمؤسسات**. تر: حمّادي الساحلي. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي. ص: ٢١٢-٢١٤.

تكرّر الدعم العسكري للجيش العباسي في عهد الخليفة المقتدر، عندما أرسل جيشاً بقيادة مؤنس المظفر الذي تمكّن من طرد الفاطميين من مصر سنة ( ٣٠٧هـ / ٩١٩م)[٤٨١].

لم تكن خزينة الخلافة العباسية هي الخاسر الوحيد في هذه الحروب، بل كانت أيضاً خزائن الدول المستقلّة عن جسد الخلافة كالإخشيديين والحمدانيين، وهذا ما ظهر جليّاً وواضحاً أثناء إرسال الإخشيد محمد بن طغج جيشه لاحتلال حلب سنة ( ٣٣٣هـ / ٩٤٤م)، مستغلاً انشغال سيف الدولة بقتال البيزنطيين، وتمّ اللقاء الأول بين الطرفين عند الرستن، وكانت النتيجة هزيمة الإخشيد، وبسط سيف الدولة سيطرته على حمص، ودمشق، وقام بمحاربة الأعراب خارجها، فتحرّك الإخشيد من الرملة لمحاربة سيف الدولة الحمداني، الذي عاد إلى حلب، فتبعه الإخشيد، والتقى الطرفان عند قنسرين، إذ هُزم سيف الدولة الحمداني، وهرب إلى الرقة، وقيل إنّ سكان حلب منعوا سيف الدولة من دخول المدينة، ودخل الإخشيد حلب، وأفسد جيشه في جميع نواحيها، ونهبوا الأموال، كما نهبوا ريف المدينة، وقطعوا أشجارها، وبالغوا في تخريب المزروعات، وأكثروا من ظلمهم للسكان، وبعد مراسلات تقرّر الصلح بين سيف الدولة الحمداني، وبين الإخشيد[٤٨٢].

توفي الإخشيد سنة ( ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)، فتولى ابنه أبو القاسم أنوجور[٤٨٣]، وتولّى الأمر كافور الإخشيدي[٤٨٤]، الذي ترك دمشق متوجّهاً إلى مصر، فاستغلّ ذلك سيف الدولة وزحف إلى دمشق، وسيطر عليها وجبى خراجها، وطمع في أراضي الغوطة ومواسمها، فتوجّه كافور ومعه أنوجور من مصر لمحاربة سيف الدولة، والتقى الطرفان عند اللجون[٤٨٥]، وكانت النتيجة هزيمة سيف الدولة، ورحيله إلى حمص، إذ أعاد ترتيب جيشه للمعركة التي وقعت بمرج عذراء[٤٨٦] مع كافور سنة ( ٣٣٥هـ

---

[٤٨١] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٥٠١. ماجد، عبد المنعم. (١٩٩٤). **ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر التاريخ السياسي**. ط: ٤. القاهرة: مصر. دار الفكر العربي. ص: ٨٩-٩٠. الدشراوي (١٩٩٤)، ص: ٢١٧-٢٢٠.

[٤٨٢] الهمذاني (١٩٥٨)، ص: ١٤١-١٤٦. الأزدي. (١٩٨٥). **أخبار الدولة الحمدانية بالموصل وحلب وديار بكر والثغور**. تح: تميمة الرواف. ط: ١. دار حسان. ص: ٣٠. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٠٣. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ٦٨-٦٩. الطباخ، محمد راغب. (١٩٨٨). **أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**. نقحه: محمد كمال. ط: ٢. حلب: سوريا. دار القلم العربي. ج١. ص: ٢٣٠.

[٤٨٣] أبو القاسم أنوجور بن محمد بن طغج بن الإخشيد، ولد سنة (٣١٩هـ/٩٣١م)، وتولّى بعد وفاة والده سنة ( ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)، وتوفي سنة ( ٣٤٩هـ / ٩٦٠م). ابن الكندي (١٩٠٨)، ص: ٢٩٤-٢٩٦. ابن خلكان (د. ت)، ج٤، ص: ٩٩. الشرقاوي، عبد الله. (١٩٩٦). **تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الملوك والسلاطين**. تح: رحاب عبد الحميد القاري. القاهرة: مصر. مكتبة مدبولي. ص: ٧٩.

[٤٨٤] كافور بن عبد الله الإخشيدي أبو المسك، تولّى مصر سنة ( ٣٥٥هـ / ٩٦٥م)، وتوفي سنة ( ٣٥٧هـ / ٩٦٧م) وقيل سنة ( ٣٥٦هـ / ٩٦٦م). ابن خلكان (د. ت)، ج٤، ص: ٩٩-١٠٥. الذهبي (١٩٨٤)، ج١٦، ص: ١٩٠-١٩٢. العامري (١٩٨٥)، ص: ٣٠٩. ابن العماد. (١٩٧٩). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. ط: ٢. بيروت: لبنان. دار المسيرة. ج٣. ص: ٢١.

[٤٨٥] اللجون بلد يقع في الأردن. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ١٣. البغدادي (١٩٥٤)، ج٣، ص: ١٢٠٠.

[٤٨٦] مرج عذراء قرية تقع في غوطة دمشق. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ١٠١.

/ ٩٤٦م)، وكانت نتيجتها هزيمة سيف الدولة وتراجعه إلى حلب ومنها إلى الرقة بسبب ملاحقة الجيش الإخشيدي له وسيطرته على حلب، وقام أنوجور بتسليم المدينة إلى يأنس المؤنسي[٤٨٧]، لكنّ سيف الدولة أعاد ترتيب جيشه وهاجم جيش يأنس المؤنسي وانتصر عليه سنة ( ٣٣٦هـ / ٩٤٧م)، واستعاد حلب وفرّ يأنس المؤنسي منها، ثم وقع الصلح بعد المراسلات بين سيف الدولة وأنوجور[٤٨٨]. ولم تذكر المصادر التاريخية التكلفة المادية لهذه الحروب، ومن المحتمل أن تكون كبيرة جداً.

عانت بلاد الشام اقتصادياً أثناء سيطرة الإخشيديين أكثر مما عانت من الطولونيين، سيما أنّه جرت وقائع على أرضها بين الإخشيديين والحمدانيين من جهة وخاصة زمن حكم سيف الدولة الحمداني. وإنّ هذه الحروب التي جرت في حلب ومناطق مختلفة من بلاد الشام بين سيف الدولة الحمداني والإخشيديين، تركت آثاراً اقتصادية واجتماعية كبيرة، وإن أهملت المصادر ذكرها، فقد عانى السكان من نقص المواد الغذائية، وارتفاع أسعارها، كما خرّبت المحاصيل الزراعية، وتعطّلت الصناعة، وشُلّت التجارة، وأنفقت الأموال الطائلة على الحروب فكانت الأزمة الاقتصادية وآثارها المرهقة للسكان، وكان لها منعكسات سياسية تمثّلت بوصول الإخشيديين إلى حلب وفرار سيف الدولة منها إلى الرقة، وبالصلح الذي جرى ما بين سيف الدولة الحمداني والإخشيديين، كما أنّ غياب دور الخلافة العباسية، وعدم الرجوع إليها كان من منعكسات هذه الأزمة، يضاف إلى هذه المنعكسات، عودة سيف الدولة من حربه للبيزنطيين، والاتجاه لمحاربة الإخشيديين سنة ( ٣٣٣هـ / ٩٤٤م)، بعد سماعه بتحرّك الإخشيديين لاحتلال حلب.

إنّ ما ورد ذكره عن الحروب ما بين سيف الدولة الحمداني وبين الإخشيديين على أرض بلاد الشام يدلّ على ضعف الخلافة العباسية وغيابها، وتُبيّن هذه الحروب بأنّ الهدف منها ومن نشوبها كان الأطماع الشخصية للقادة وليس مصالح الناس وأمنهم.

في ظلّ الوجود الاسمي للخلافة العباسية في بلاد الشام، وفي عهد الخليفة المطيع لله، أعلن سكان حرّان ثورتهم على عاملها هبة الله بن ناصر الدولة الحمداني[٤٨٩]سنة ( ٣٥٢هـ / ٩٦٣م)، الذي كان عند عمّه سيف الدولة الحمداني، ويعود سبب الثورة إلى ظلم هبة الله للسكان، وعندما علم هبة الله بذلك سارع إلى قتال أهل حرّان فحاصرهم مدّة شهرين، وقتل منهم خلقاً كثيراً، حتى انتهى الأمر بالصلح على يد سيف الدولة الحمداني.

---

[٤٨٧] يأنس المؤنسي منسوب إلى مؤنس الخادم، ولاّه الإخشيد دمشق سنة ( ٣٣٣هـ / ٩٤٤م)، وعُزل عنها سنة ( ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)، بسبب مكاتبته لسيف الدولة بالتحالف معه. الصفدي (١٩٩١)، ج١، ص: ٣٤٨.

[٤٨٨] الأزدي (١٩٨٥)، ص: ٣٠-٣١. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢١١-٢١٢. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ٧٠-٧٢. ابن تغري بردي (١٩٩٢) ، ج٣، ص: ٣٣٤-٣٣٥. الطباخ (١٩٨٨)، ج١، ص: ٢٣١.

[٤٨٩] لا يوجد له ترجمة.

ومن الطبيعي أنّ الظلم الذي مارسه والي حران على السكان أدّى إلى إرهاقهم اقتصادياً، الأمر الذي أدى إلى تمردهم وعصيانهم، وإنّ محاصرة حران وقتل السكان، أدّت إلى فقدان المواد الغذائية، وارتفاع الأسعار، وتخريب المزروعات، الأمر الذي أدّى إلى إفقار السكان وحرمانهم من حقوقهم، بعد ذلك تمرّد هبة الله على عمّه سيف الدولة، وأخذ البيعة لنفسه من أهل حران، فأرسل سيف الدولة غلامه نجا[٤٩٠] على رأس جيش، فهرب هبة الله إلى الموصل، وفرض نجا مبلغاً قدره مليون درهم على سكان حران، وجباه بالقوة، ما أجبر سكان حران على بيع كل ما يساوي ديناراً بدرهم لأصحاب نجا، الأمر الذي أدّى إلى مزيد من الفقر في حران، بعدها غادر نجا حران وتركها من غير والٍ عليها، ما أدّى إلى تسلّط العيارين عليها، وانتشار الفوضى والنهب فيها[٤٩١].

امتدت شرارة التمردات إلى أنطاكيا، فقد تمرد سكانها ضد واليهم التابع للحمدانيين سنة ( ٣٥٤هـ / ٩٦٥م)، وطردوه من المدينة، وأسفرت الأحداث والصراعات عن خراب ودمار لحق بالمزروعات وأملاك الناس، ما زاد في معاناتهم، وبقيت أنطاكيا من غير والٍ عليها، فاتجهت أنظار والي طرسوس رشيق النسيمي للسيطرة عليها، بعد أن اتصل قسم من سكانها معه، وشجّعوه على غزو حلب، إذ كان سيف الدولة غائباً عنها في ميافارقين[٤٩٢]، بعد أن ترك غلامه قرغويه[٤٩٣] عليها، وجرت حروب عدّة بين رشيق وقرغويه، تمكّن رشيق إثرها من دخول حلب، وحصار قلعتها ثلاثة أشهر، لكنّ النتيجة لم تكن لصالحه فقد قُتِل، وانسحب جيشه إلى أنطاكيا، بعدها توجّه قرغويه غازياً لأنطاكيا لكن محاولته باءت بالإخفاق فهُزم، ما اضطره للعودة إلى حلب[٤٩٤]، وهنا لا بدّ من طرح تساؤلات عديدة حول وضع جنود قلعة حلب المحاصرين لمدّة ثلاثة أشهر، هل كانت لديهم مخازن غذائية وأسلحة احتياطية للدفاع

---

[٤٩٠] نجا غلام سيف الدولة الحمداني، أرسله إلى حران بسبب تمرّد واليها هبة الله على سيف الدولة سنة ( ٣٥٢هـ / ٩٦٣م)، فدخل حران وصادر الأموال، فأخذها وسار إلى ميافارقين وبلاد أرمينيا معلناً تمرّده على سيف الدولة الذي انتصر عليه وقتله سنة ( ٣٥٤هـ / ٩٦٥م) في ميافارقين. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٨١.

[٤٩١] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٣٣٦-٣٣٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٧٨-٢٧٩. ابن شداد. (١٩٩١). **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**. تح: يحيى زكريا عبارة. دمشق: سوريا. منشورات وزارة الثقافة. ج٣. ق١. ص: ٣٦-٣٧. الغزي، كامل (د. ت). **نهر الذهب في تاريخ حلب**. حلب: سوريا. المطبعة المارونية. ج٣. ص: ٦١-٦٢. الطباخ (١٩٨٨)، ج١، ص: ٢٤٣-٢٤٤.

[٤٩٢] ميافارقين: أشهر مدينة بديار بكر، وهي من أرض أرمينية، وقيل من أعمال الجزيرة، تقع شرقي نهر دجلة. البكري (د. ت)، ج٤، ص: ١٢٨٦. الإدريسي (٢٠٠٢)، ص: ٦٦٣. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ٢٣٥. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٥٦٧. شامي (١٩٩٣)، ص: ٣٢٤.

[٤٩٣] قرغويه حاجب سيف الدولة الحمداني، استولى على حلب سنة ( ٣٥٨هـ / ٩٦٨م)، وطرد سعد الدولة منها، وتوفي في حلب سنة ( ٣٨٠هـ / ٩٩٠م). ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ٩٠-٩٤-١٠٣.

[٤٩٤] الأنطاكي. (١٩٩٠). **تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا**. تح: عمر عبد السلام تدمري. طرابلس. جروس برس. ص: ١٠٨-١١٤-١١٥. العظيمي (١٩٨٤)، ص: ٣٠٣. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ٨٦-٨٨. أبو الفداء. (د. ت). **المختصر في أخبار البشر**. المطبعة الحسينية المصرية. ج٢. ص: ١٠٥. الغزي (د. ت)، ج٣، ص: ٦٣. الطباخ (١٩٨٨)، ج١، ص: ٢٤٥.

الطويل؟ ثم ما هي أوضاع مدينة حلب الاقتصادية باعتبار أنّ هذه الحقبة كانت حقبة صراعات وحصار وغزوات لمدينة حلب، فكيف تحمّل السكان الأعباء الاقتصادية؟ وهل كانت هناك لديهم امدادات من مناطق أخرى؟

في هذه الأثناء كان البيزنطيون يترقبون سير الأحداث في حلب، سيما أنّ سعد الدولة شريف[٤٩٥] بن سيف الدولة هو الذي تولّى سدّة السلطة، وتنفيذاً لمطامعهم فقد وصلوا إلى نواحي حلب سنة ( ٣٥٧هـ / ٩٦٧م)، وهزموا جيش سعد الدولة الحمداني، ودخلوا معرة النعمان[٤٩٦]، وكفرطاب[٤٩٧]، وشيزر، وحماة، وحمص، وهم يحرقون ويخرّبون، ووصلوا إلى عرقة[٤٩٨] وطرابلس[٤٩٩]، وجبلة[٥٠٠] واللاذقية، ثم إلى أنطاكيا، وأحرقوا وخرّبوا قرى ما لا يُحصى عدده، فاقترح قرغويه على سعد الدولة أن يخرج من حلب، حرصاً عليه من محاصرة البيزنطيين لحلب، فخرج سعد الدولة إلى ميافارقين، في الوقت الذي تحصّن فيه قرغويه في حلب، لكنه انقلب على سيده سعد الدولة وتآمر عليه، واستولى على حلب سنة ( ٣٥٨هـ / ٩٦٨م)، ومعه غلامه بكجور[٥٠١]، فتحرّك سعد الدولة وحاصر حلب ثلاثة أشهر، وجرت معارك عدّة بينه وبين قرغويه، في الوقت الذي هاجم فيه البيزنطيون أنطاكيا وأحرقوا وأسروا، فاستنجد قرغويه بالبيزنطيين، ما اضطر سعد الدولة إلى الرحيل إلى معرة النعمان، وقيل إلى حمص سنة ( ٣٥٩هـ / ٩٦٩م)، بينما هاجم البيزنطيون حلب، وحاصروا القلعة، فصالحهم قرغويه على مال يُحمل إليهم قيمته سبعمائة ألف درهم، فرحل البيزنطيون عن حلب[٥٠٢]، وفي الوقت نفسه كان هناك صولات وجولات في

---

[٤٩٥] سعد الدولة أبو المعالي شريف بن علي سيف الدولة بن عبد الله بن حمدان، تولّى حلب بعد وفاة والده سنة ( ٣٥٦هـ / ٩٦٦م)، وتوفي سنة ( ٣٨١هـ / ٩٩١م). ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ٩١. ابن العماد (١٩٧٩)، ج٣، ص: ١٠٠.

[٤٩٦] معرة النعمان: كانت من أعمال حمص بين حلب وحماة، وهي مدينة كبيرة قديمة، وقيل: سميت بالنعمان نسبة إلى النعمان الملقب بالساطع بن عدي بن غطفان الذي يعود بنسبه إلى قضاعة. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ١٥٦. المعجم الجغرافي (١٩٩٢)، ج٥، ص: ٣٠٥. أيوب (٢٠٠٠)، ص: ٣٠٥.

[٤٩٧] كفر طاب بلدة بين المعرة وحلب. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ٤٧٠. القزويني (د. ت)، ص: ٢٤٨.

[٤٩٨] عرقة بلدة من العواصم تقع شرقي طرابلس، بين طرابلس ورفنية. الحازمي (١٩٩٣)، ج٢، ص: ٦٧٠. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ١٠٩.

[٤٩٩] طرابلس مدينة بالشام، تقع على ساحل البحر المتوسط في لبنان شمال شرق بيروت حوالي ( ٦٠كم). الحميري (١٩٧٥)، ص: ٣٩٠. العفيفي (٢٠٠٠)، ص: ٣٢٧.

[٥٠٠] جبلة قلعة بساحل الشام قرب اللاذقية، وهي الآن مدينة ومركز منطقة على شاطئ البحر المتوسط. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ١٠٥. المعجم الجغرافي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ٦٣٠.

[٥٠١] بكجور غلام قرغويه غلام سيف الدولة الحمداني، ودُعي بالأمير، انتزع حلب من قرغويه ، وجرت حروب بينه وبين سعد الدولة الحمداني، حتى انتهت بتولية بكجور حمص سنة ( ٣٦٦هـ / ٩٧٦م)، وقتله سعد الدولة سنة ( ٣٨١هـ / ٩٩١م)، وكان والياً على الرقة، أثناء حصاره بالس. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٧٢-٤٥٣. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ٩٤. الذهبي (٢٠٠٣)، ج٨، ص: ٥١٧.

[٥٠٢] العظيمي (١٩٨٤)، ص: ٣٠٤-٣٠٥. الأزدي (١٩٨٥)، ص: ٤٨-٤٩. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ٩٢-٩٨.

جنوب بلاد الشام، إذ شهدت معارك عنيفة ما بين القواد الأتراك والفاطميين، دفعت ثمنها صيدا[٥٠٣] وعكا[٥٠٤] وطبرية[٥٠٥]، إذ تعرضت لحصار ونهب من قبل الفتكين التركي[٥٠٦] وجيشه سنة ( ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م)، كما عانت عسقلان[٥٠٧] من ارتفاع الأسعار، وندرة المواد الغذائية، نتيجة للحصار الشديد الذي فرضه الفتكين عليها، لإجبار الفاطميين على الخروج منها، وبعد مدّة من الحصار خرج الفاطميون منها، ودائماً التسويات تكون على حساب الناس، فقد غادرها الفاطميون بموجب صلح معقود مع الفتكين[٥٠٨].

وقد استعرضت المصادر الخراب والدمار وحجم الضائقة الاقتصادية التي لحقت بسكان بلاد الشام في هذه المدة، خصوصاً في عهد الخليفة المطيع لله، دون أن تذكر المبالغ الكبيرة التي كلّفتها هذه الحروب والمنازعات، حيث شهدت الأسواق قلّةً في المواد الغذائية، وارتفاعاً في أسعارها، ونهباً لأموال الناس وممتلكاتهم، بالإضافة إلى ضعف المردود الزراعي بسبب الحروب والخراب الذي لحق بالزراعة والمزارعين، وإضعاف التجارة نتيجة للحروب وفقدان الأمن وقطع الطرقات، كما ساهمت المبالغ الكبيرة التي فُرضت على السكان في إفقارهم وتشريدهم، زيادة على ذلك انتشار اللصوص والعيارين الذين تسلّطوا على حياة الناس وممتلكاتهم، ومن نتائج الأزمة طرد ولاة الدولة الحمدانية من حران وأنطاكيا من قبل السكان وهذا يدل على عدم رضى الناس عليهم بسبب ظلمهم وتعسّفهم وسوء معاملتهم للناس.

عانت حران من خسارة محاصيلها الزراعية إثر الحصار الذي فرضه استيلاء أبو تغلب الغضنفر عليها في زمن حكم الخليفة الطائع بالله سنة ( ٣٥٩هـ / ٩٦٩م)، إذ استولى على المحاصيل الزراعية، حتى انتهى الحصار بالصلح، ودخل أبو تغلب حرّان[٥٠٩].

---

[٥٠٣] صيدا ذكرها الحموي باسم صيداء وهي مدينة كبيرة على ساحل بحر الشام شرقي صور، عامرة الأسواق رخيصة الأسعار محاطة بالبساتين والأشجار، غزيرة المياه. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٤٣٧. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٣٧٣. شامي (١٩٩٣)، ص: ١٢٦. العفيفي (٢٠٠٠)، ص: ٣٢٢.

[٥٠٤] عكا مدينة كبيرة من ثغور الشام تقع على ساحل بحر الشام، وهي الآن تقع في شمال غرب فلسطين. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ١٤٣. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٤١٠. شامي (١٩٩٣)، ص: ١٠٢. العفيفي (٢٠٠٠)، ص: ٣٤١.

[٥٠٥] طبرية: وهي بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية، من أعمال الأردن في طرف الغور، وهي الآن مدينة في فلسطين. البكري (د. ت)، ج٣، ص: ٨٨٧. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ١٧. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٣٨٥. شامي (١٩٩٣)، ص: ١٠٠. العفيفي (٢٠٠٠)، ص: ٣٢٦.

[٥٠٦] الفتكين التركي، من أمراء سبكتكين التركي في العراق، وتوفي سنة ( ٣٧١هـ / ٩٨١م)، وهو في خدمة الخليفة الفاطمي العزيز في مصر. الذهبي (١٩٨٤)، ج١٦، ص: ٣٠٧.

[٥٠٧] عسقلان مدينة بالشام، من أعمال فلسطين، تقع على ساحل البحر، وهي الآن مدينة في فلسطين، تقع شمال شرق غزة. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ١٢٢. القزويني (د. ت)، ص: ٢٢٢. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٤٢٠. العفيفي (٢٠٠٠)، ص: ٣٢٨.

[٥٠٨] الهمذاني (١٩٥٨)، ص: ٢٢٦. ابن القلانسي. (١٩٨٣). **تاريخ دمشق**. تح: سهيل زكار. ط: ١. دمشق: سوريا. دار حسان. ص: ٢٨-٣٢. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٥٥. تامر، عارف. (١٩٨٢). **الخليفة الفاطمي الخامس العزيز بالله قاهر القرامطة وافتكين**. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الآفاق الجديدة. ص: ٣٤.

[٥٠٩] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٢١. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٧، ص: ٤٠٢. ابن شداد (١٩٩١)، ج٣، ق١، ص: ٣٧. أبو الفداء (د. ت)، ج٢، ص: ١١١.

وفي هذه الأثناء، تناهى إلى مسامع سعد الدولة شريف قيام بكجور بالقبض على سيده قرغويه ووضعه في السجن سنة ( ٣٦٤هـ / ٩٧٤م)، لمدة خمس سنوات، فتحرك سعد الدولة بجيشه متوجهاً إلى حلب وحاصرها أربعة أشهر ودخلها، واستعصى بكجور في القلعة، لكنّ الصلح كان سيد الأحكام إلا أنه كان مشروطاً بخروج بكجور من حلب، وتوليته حمص[٥١٠]، ومن الطبيعي إنّ تحرّك هذه الجيوش وحصارها لمدينة حلب أدّى إلى تكاليف مادية كبيرة، وكان المتضرر منها بالدرجة الأولى سكان مدينة حلب المحاصرين. والسؤال المطروح: إذا استمر الحصار لمدينة حلب لمدّة أربعة أشهر ألم تنتهي المواد الغذائية لسكان المدينة؟ أم هل كانت لديهم مستودعات لهذه المواد تمّ إعدادها من قبل لمثل هذه الظروف؟

والجدير ذكره أنّ مركز نفوذ حلب الاقتصادي في شمال بلاد الشام جعلها عرضةً للاحتلالات المتكررة، وقد تجسّد هذا عندما هاجمها منجوتكين[٥١١] الفاطمي سنة ( ٣٨١هـ / ٩٩١م)، حيث حاصرها لمدّة ثلاثة وثلاثين يوماً وقيل شهرين، فضجر السكان وطلبوا من سعيد الدولة الحمداني[٥١٢] تسليم البلد، أو إيجاد حلّ لهذا الحصار، بسبب الأزمة الاقتصادية الخانقة التي حلّت بهم، متمثّلة بفقدان المواد الغذائية وغلاء الأسعار وانتشار الفقر والجوع، فاستنجد سعيد الدولة الحمداني بالبيزنطيين في أنطاكيا، فقدموا لفك الحصار عن حلب، وبعد معارك جرت بين البيزنطيين والفاطميين المحاصرين لحلب، انتصر الفاطميون وقام جيشهم بحرق قرى تابعة للبيزنطيين ومنها قرية عم[٥١٣] التي سيطروا على حصنها، ووصلوا إلى أنطاكيا، وقاموا بنهبها مع القرى القريبة منها، وصادروا الجواميس والبقر والمواشي، وكان لذلك أثره السيء في حياة السكان الاقتصادية والمعيشية، وأحرق الفاطميون قرى ومزارع كثيرة، ووصلوا إلى مرعش، فخرّبوا وحرقوا ونهبوا، وعادوا إلى حلب سنة ( ٣٨٢هـ / ٩٩٢م)، ثم عادوا إلى دمشق، وقد أعاد منجوتكين الكرّة مرّة أخرى وحاصر حلب سنة ( ٣٨٣هـ/٩٩٣م)، كما سيطر على شيزر،

---

[٥١٠] العظيمي (١٩٨٤)، ص: ٣٠٥-٣٠٧. الأزدي (١٩٨٥)، ص: ٤٩-٥٠. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٧٢. أبو الفداء (د. ت)، ج٢، ص: ١١٨. الغزي (د. ت)، ج٣، ص: ٦٥.

[٥١١] منجوتكين التركي، مولى الخليفة الفاطمي العزيز بالله، تولّى دمشق سنة ( ٣٨١هـ / ٩٩١م)، وبقي عليها حتى سنة ( ٣٨٥هـ / ٩٩٥م). الصفدي (١٩٩١)، ق٢، ص: ١٣.

[٥١٢] سعيد الدولة الحمداني أبو الفضائل بن شريف سعد الدولة بن علي سيف الدولة، تولّى بعد وفاة والده سنة ( ٣٨١هـ / ٩٩١م)، وتوفي سنة ( ٣٩٢هـ / ١٠٠١م). العظيمي (١٩٨٤)، ص: ٣١٦. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ١٠٥-١٠٩. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٣، ص: ٩٦.

[٥١٣] عم قرية تقع بين حلب وأنطاكيا، وهي من قرى حلب في جبل سمعان، وذكرت باسم كفر عمًا بين بالس وحلب. الحازمي (١٩٩٣)، ج٢، ص: ٦٩١. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ١٥٧. أيوب (٢٠٠٠)، ص: ٢٣٩.

وأفامية[٥١٤]، وعمد إلى نهب الأبقار والأغنام والجواميس والمواشي من أنطاكيا مجدداً، ووصل بجيشه إلى نواحي بوقا[٥١٥]، وبغراس[٥١٦]، والروج[٥١٧]، ثم عادوا إلى أفامية[٥١٨].

هذه الحروب وما خلّفته من خراب ودمار ونهب لممتلكات الناس، بالإضافة إلى الحصار الشديد الذي فُرض على حلب وغيرها، كان السبب الرئيسي في تفاقم الأزمة الاقتصادية في شمال بلاد الشام التي كانت تابعة اسمياً للخلافة العباسية أيام الخليفة العباسي الطائع لله، ومن دلائلها الغلاء الذي انتشر في حران، وحلب، وأنطاكيا، بالإضافة إلى القرى العديدة التابعة لهذه المناطق، وحرق وتدمير كثير من ممتلكات السكان في شمال بلاد الشام، بالإضافة إلى ضعف التجارة وتوقفها أحياناً من جرّاء الحصار المضروب على بعض المناطق لمدة طويلة علاوة على فقدان الأمن، كما أنّ نهب حيوانات الفلاحين والمزارعين من جواميس، وأبقار، وأغنام وغيرها من الحيوانات التي يعتمد عليها الفلاحون في حياتهم وأعمالهم كان من أبرز دلائلها في الريف، إضافة إلى ضعف المحاصيل الزراعية بسبب نهبها، وهجرة الفلاحين للأراضي هرباً من الحروب والدمار التي جرت في مناطقهم، وقتل كثير من السكان نتيجة لهذه المعارك.

وإذا كانت الأزمة الاقتصادية قد تركت آثاراً مادية خانقة بحق الناس، فقد تركت أيضاً منعكسات سياسية في طليعتها لجوء الحمدانيين في بعض الأحيان للاستنجاد بالبيزنطيين ضد الفاطميين، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على محاولتهم الارتكاز إلى القوة الضاغطة في المنطقة باعتبار حدود بيزنطة ملاصقة لحدود دولة حلب، إضافة إلى غياب دور الخلافة العباسية كلياً عن هذه الأحداث، إلى جانب تحكم الغلمان بقوادهم وتمثّل هذا في سجن قرغويه حاكم حلب من قبل غلامه بكجور، والصلح الموقع بين سعد الدولة حاكم حمص وبكجور، وتنازل بكجور مكرهاً عن حلب وتوليته حمص.

والسؤال المطروح: هل غابت العداوة مع البيزنطيين، ونسي الأمراء الشواتي والصوائف والثغور العربية، وحلّ مكانها عداوة الأخوة وأبناء العمومة لدرجة الاستنجاد بالبيزنطيين ضد بعضهم؟

هذا ما ظهر واضحاً جلياً عند استعراض الأحداث السياسية إثر وفاة سعيد الدولة الحمداني سنة ( ٣٩٢هـ / ١٠٠١م)، واستلام الحكم من قبل حاجبه لؤلؤ الكبير[٥١٩]، الذي أرسل أولاد سعيد الدولة إلى

---

[٥١٤] أفامية مدينة حصينة من سواحل الشام، بناها سلوقس نيكاتور ملك سورية وبابل في الفترة (٣١٧-٣٠٠ق.م)، وسماها أفامية باسم زوجته الفارسية، وهي ناحية قلعة المضيق، منطقة الغاب. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ٢٢٧. المعجم الجغرافي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ١١٨.

[٥١٥] بوقا: من قرى أنطاكيا. الحازمي (١٩٩٣)، ج١، ص: ١١٦. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ٥١٠.

[٥١٦] بغراس مدينة بينها وبين أنطاكيا أربعة فراسخ، في البلاد المطلة على نواحي طرسوس. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ٤٦٧.

[٥١٧] الروج تقع غرب حلب، وهي من كورها. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٧٦.

[٥١٨] ابن القلانسي (١٩٨٣)، ص: ٦٩-٧٠. الأزدي (١٩٨٥)، ص: ٥٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٥٥. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ٥٤-٥٧. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ١٠٥-١٠٧.

مصر سنة ( ٣٩٤هـ / ١٠٠٣م)، وحكم لؤلؤ حلب حوالي سبع سنوات، وبعد وفاته سنة ( ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م)، تولّى ابنه مرتضى الدولة منصور[٥٢٠]الحكم، الذي عُرف بظلمه لسكان حلب، فاستنجد السكان بأبي الهيجاء بن سعد الدولة[٥٢١] المقيم عند البيزنطيين، لإنقاذهم من ظلم مرتضى الدولة لهم، فسار أبو الهيجاء بجيش قاصداً حلب، بعد انضمام بني كلاب لجيشه، فخاف منه حاكم حلب، الذي استنجد بالفاطميين، واتّصل ببني كلاب ووعدهم بالإقطاعات مقابل التخلّي عن أبي الهيجاء، وجرت معارك، هُزِم فيها أبو الهيجاء، لكنّ مرتضى الدولة لم يف بوعده إلى بني كلاب، فقاموا بقطع الأشجار، وخرّبوا المزروعات، وأثاروا الفوضى، فقام مرتضى الدولة بالقبض على بعضهم، حيث قتل قسماً وأودع في السجن قسماً آخر، من بينهم صالح بن مرداس[٥٢٢] الذي فرّ من سجنه سنة ( ٤٠٥هـ / ١٠١٤م)، ونزل في تل حاصد[٥٢٣] وحارب ضد جيش مرتضى الدولة، الذي أُسر في المعركة، بعد انتصار ابن مرداس عليه، لكنّ ابن مرداس عفى عنه وسمح له بالعودة إلى حكم حلب بعد صلح جرى بينهما سنة ( ٤٠٥هـ / ١٠١٤م)، وسرعان ما تجدّد الخلاف بينهما، وحاصر صالح حلب، ومنع دخول المؤن والمواد الغذائية إليها، فضجّ السكان، وهرب مرتضى الدولة إلى أنطاكيا بعد أن أخذ معه كثيراً من الأموال سنة ( ٤٠٦هـ / ١٠١٥م)، لمّا علم سكان حلب بذلك، قام بعضهم بالهجوم على قصره ونهبوه، وتذكر الروايات أنّ المبلغ يقدّر بثمانين ألف دينار، ونهبوا الدور وعمّت الفوضى[٥٢٤].

هذه المعارك والحروب التي جرت في شمال حلب، وما رافقها من حصار وفوضى وفقدان للأمن وقتل وأسر كثير من الناس شكّلت أزمة خانقة لسكان المنطقة، كان من مؤشراتها قلّة المواد الغذائية بسبب الحصار وارتفاع الأسعار، وانتشار الفقر بين السكان بسبب نهب أموالهم ومصادرة أملاكهم وتعطيل

---

[٥١٩] لؤلؤ الكبير السيفي، حاجب سعيد الدولة الحمداني، تفرّد بحكم حلب، وأرسل أولاد سعيد الدولة إلى مصر سنة ( ٣٩٤هـ / ١٠٠٣م)، وتوفي لؤلؤ سنة ( ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م)، وتولى ابنه منصور. العظيمي (١٩٨٤)، ص: ٣١٩. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ١١١-١١٢.

[٥٢٠] مرتضى الدولة منصور أبو نصر بن لؤلؤ، تولّى حلب بعد وفاة والده سنة ( ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م)، وتوفي سنة ( ٤٢١هـ / ١٠٣٠م). ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ١١٩.

[٥٢١] أبو الهيجاء بن سعد الدولة بن سيف الدولة الحمداني، رحل عن حلب خوفاً من لؤلؤ، وأقام عند البيزنطيين، وبعد هزيمته سنة ( ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م)، في معركته مع مرتضى الدولة، عاد إلى القسطنطينية، وبقي فيها إلى أن توفي. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ١١٢-١١٣.

[٥٢٢] صالح بن مرداس بن ادريس بن نصر، ويعود بنسبه إلى معد بن عدنان الكلابي، أسد الدولة أبو علي، سيطر على مدينة حلب سنة ( ٤١٧هـ / ١٠٢٦م)، فأرسل له الخليفة الفاطمي الظاهر جيشاً والتقوا عند الإقحوانة سنة ( ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م) وقيل سنة ( ٤١٩هـ / ١٠٢٨م)، انتهت بمقتل أسد الدولة صالح. ابن خلكان (د. ت)، ج٢، ص: ٤٨٧. الذهبي (١٩٨٣)، ج١٧، ص: ٣٧٥. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٦، ص: ١٥٧.

[٥٢٣] لا يوجد لها ترجمة.

[٥٢٤] العظيمي (١٩٨٤)، ص: ٣٢١-٣٢٢. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٦٨. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ١١١-١١٩. الغزي (د. ت)، ج٣، ص: ٦٧.

أعمالهم، وكان قطع الأشجار وتخريب المزروعات، وهجرة كثير من الفلاحين وتركهم للزراعة من أبرز مظاهرها في الريف، بالإضافة إلى مصادرة حيوانات السكان من مواشي وأبقار وجواميس من قبل معظم المتحاربين، ومن مظاهرها أيضاً ضعف التجارة ونهب أموال التجار بسبب فقدان الأمن وقطع الطرقات ومصادرة البضائع.

وكما كان لهذه الأزمة آثار اقتصادية فقد تركت آثاراً ومنعكسات سياسية تمثّلت بغياب سلطة الأسرة الحمدانية عن حلب في أيام حكم لؤلؤ وابنه مرتضى الدولة رغم محاولة أبي الهيجاء بن سعد الدولة استعادة حلب، وكان من منعكساتها إرغام مرتضى الدولة على التقرب من بني كلاب لإبعادهم عن أبي الهيجاء وتقديم الوعود الكاذبة لهم.

وبعد استعراض الحروب في بلاد الشام في عصري القوة والضعف، لا بدّ من ذكر الملاحظات الآتية:

١- كانت العصبية القبلية وراء كثير من الفتن والثورات التي قامت في بلاد الشام.

٢- ازدياد حدّة الفتن والتمردات كان وراءها انحياز بعض الولاة إلى قبيلة دون أخرى كما فعل الوالي صالح بن علي وابنه إسحاق في دمشق بميلهما نحو اليمانية، ما أدى إلى تفاقم الأزمة من قبل القيسية.

٣- ولاء بعض القبائل في بلاد الشام للأمويين وكرههم للعباسيين كان وراء كثير من الفتن والثورات.

٤- سوء معاملة الولاة والضرائب المفروضة على الناس وسوء جبايتها من الأسباب الرئيسة للاضطرابات في بلاد الشام.

٥- انطلاق معظم ثورات الخوارج في الجزيرة ضد العباسيين كانت من منطلق ديني يتعارض مع الخلافة ونهجها ووراثية الحكم فيها.

٦- انطلقت ردود فعل الخلافة العباسية في عصر القوة من الاهتمام البالغ بما يحدث في بلاد الشام، مستخدمين شتّى الأساليب لإخماد الفتن، ومنها التقرب من الناس وعزل الولاة المسيئين، واتّباع القوة والشدّة والحزم والسرعة في ذلك.

٧- في عصر ضعف الخلافة العباسية كانت ردّات فعل الخلفاء مختلفة عما كانت عليه في عصر القوة من حيث الاهتمام والسرعة في التعامل وغياب الشدة والحزم خاصة بعد تسلّط الأتراك والبويهيين على الخلافة وغياب دورها الفاعل خاصة في بلاد الشام.

٨- إنّ ما أفرزته الحروب الناجمة عن الفتن والثورات والتمردات في بلاد الشام في العصر العباسي، ظهر أثره في حياة السكان على نحوٍ مباشر، وشكّل ضائقة اقتصادية وحياتية تمثّلت بالفقر الشديد والمعاناة القاسية وضياع الحقوق المادية والأمنية والمعيشية لهم من خلال السلب والنهب والحرق الذي لحق بقراهم ومزارعهم وبيوتهم ومحلاتهم الصناعية والتجارية، ومصادرة حيواناتهم في الريف،

هذه الكوارث الاقتصادية التي جاءت بها الحروب فرضت بدورها ردّات فعل سياسية كمنعكسات لهذه الأزمات الاقتصادية في بلاد الشام تتقاطع في معظمها مع عزل الولاة من قبل الخلفاء خاصة في عصر القوة، إن وجدوا في ذلك إخماداً للفتن والثورات، وقبول الخلفاء بالمصالحات إذا وجدوا فيها حدّاً لهدر الدماء والنفقات المالية، ومن ردّات الفعل السياسية اعتماد الأكفاء من القادة في قيادة الجيوش المكلّفة بقمع التمردات.

هذه المنعكسات تنطبق في غالبيتها على عصر القوة، أمّا في عصر الضعف وفي ظلّ الوجود الاسمي للخلافة في بلاد الشام فأبرز المنعكسات السياسية تمثّلت بالاعتماد على القوى الخارجية مثل البيزنطيين في حروب أبناء الوطن الواحد ضد بعضهم، ومن منعكسات هذا العصر غدر كثير من القادة بأسيادهم كما حدث لقرغويه من قبل غلامه بكجور، وكذلك ترحيل أولاد سعيد الدولة الحمداني إلى مصر من قبل لؤلؤ حاكم حلب وابنه مرتضى الدولة.

وفي مجمل الأحوال، إنّ الحروب التي جرت بفعل الفتن والثورات كان بعضها ضد العباسيين وولاتهم، وبعضها الآخر بين الحمدانيين والإخشيديين وبين الولاة والأمراء ضد بعضهم في بلاد الشام أدّت إلى أزمات اقتصادية خانقة عاشها ودفع ثمنها السكان في مكان حدوثها وزمانها، والدولة العباسية والدويلات المستقلة والولايات التي أنفقت الأموال على الجيوش، وقد أسهم هذا الإنفاق في تفاقم الأزمات الاقتصادية التي أفرزت بدورها منعكسات سياسية تفاوتت ردودها بين عصر القوة والضعف لخلفاء بني العباس، وكذلك الأمر بالنسبة للدول المستقلة في بلاد الشام وأثر ذلك كلّه في السكان وحياتهم المعيشية.

يلاحظ من خلال رصد الأزمة الاقتصادية التي ألمّت ببلاد الشام ما بين ( ١٣٢-٤٤٧هـ / ٧٥٠-١٠٥٥م)، التي كانت بفعل الحروب والمنازعات أمور عدّة:

١- كانت الثورات والفتن في بلاد الشام في عصر القوة، والتي تسبّبت في أزمة اقتصادية، كانت مدّتها محدودة، تُقمع وتنتهي من قبل جيش الخلافة العباسية.

٢- محدودية الوجود العسكري للخلافة العباسية في بلاد الشام في عصر ضعفها فكانت الحروب والمنازعات تستمر لمدة طويلة، ما يزيد في عمر الأزمة الاقتصادية ومعاناة السكان منها.

٣- أصبحت بلاد الشام مسرحاً للصراع بين القوى الطامعة في السيطرة والتحكم، ما زاد في حدة الأزمة الاقتصادية، وأثرها السلبي على السكان.

٤- التهجير القسري الذي حلّ في عدد من مناطق بلاد الشام بفعل القتل والأسر والسبي ومصادرة الممتلكات.

٥- الشلل الذي أصاب الحياة الاقتصادية في بلاد الشام من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها، بسبب استمرارية الحروب والمنازعات على مدن وقرى بلاد الشام التي استمرت مدة زمنية طويلة، وما رافقها من قتل وأسر وتهجير للسكان، وما جلبته على الحركة الاقتصادية من تدمير وأذى، ما زاد في شقاء الناس وتعاستهم وفقرهم وتشردهم.

إن ما أحدثته الحروب الناجمة عن الفتن والثورات والتمردات في بلاد الشام في العصر العباسي، وما أفرزته من أزمات اقتصادية متمثّلة بحرق المحلات والدكاكين والمنازل وتخريب للمزروعات وإتلاف لمواسمها مع نهبها وسرقتها، وتهجير السكان في أحيان كثيرة وبالرغم من آثارها التخريبية وشدّة وقعها، فقد كانت مدتها قصيرة وتُقمع بسرعة خاصة في عصر القوة، وكانت أسبابها نفعية وغرضية وعبثية أحياناً ولم تهدف إلى إذلال الناس بل كانت ترمي إلى مكسب معيّن، مادياً كان أو سلطوياً، وكان إذلال الناس وإفقارهم وقوداً لهذه الحرب وليس مطلباً لها، أمّا في عصر ضعف الخلافة العباسية فإنّ الحرب التي حدثت بفعل التمردات والثورات في بلاد الشام ضدّ العباسيين فقد طال أمدها وتعددت وكثرت نتائجها التخريبية وانعكاسها السيء على اقتصاد الناس وحياتهم المعيشية بسبب ندرة الجيوش العباسية التي قدمت من العراق من أجل إضفاء نار هذه الفتن أو لضعف وترهّل هذه الجيوش في الأداء.

## الفصل الثالث: الأزمات الاجتماعية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق ( ١٣٢-٤٤٧هـ / ٧٥٠-١٠٥٥م):

**أولاً: الحياة الاجتماعية خلال العصر العباسي**

**ثانياً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن الثورات ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق:**

**أ- ثورة الموصل سنة (١٣٣هـ/٧٥٠م).**

**ب-ثورة الزط.**

**ج-ثورة الزنج.**

**د-ثورة القرامطة.**

**ثالثاً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن التعدد المذهبي والطائفي ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق.**

**رابعاً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن التعدد العرقي ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق.**

**خامساً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن سوء إدارة الخلافة وتسلّط الأجانب عليها ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق:**

**أ- سوء الإدارة وردّة فعل السكان وتمرّد الأعراب.**

**ب- تسلّط الأتراك.**

**ج- تسلّط النساء وفساد الوزراء.**

**أولاً: الحياة الاجتماعية خلال العصر العباسي:**

جاء التطور الاجتماعي كنتيجة حتمية للتطور الاقتصادي الذي شهده العصر العباسي، وأدى إلى ارتفاع مستوى الدخل، وما نتج عن ذلك من امتلاك الخلفاء لثروات خيالية وعنى للدولة بصورة فريدة، وما جمعته البيروقراطية الحاكمة من وزراء وكتاب وقادة وولاة من دخول وظفت في المشاريع التجارية[٥٢٥]

هذا وقد تميز مجتمع الخاصة الذي كان يتألف من الخليفة وكبار موظفي الإدارة والقادة والقضاة والوزراء والكتاب والحجاب بالغلو والترف واصطناع الأبهة ومظاهر الملكية بحكم التأثر بالفرس والنزوع إلى الرفه في الأطعمة والأشربة والأزياء والفرش والأبنية والتأنق في الحياة والمساكن والمباني والقصور، وبمعنى أخر تجاوز ضرورات العيش إلى الرفه والكمال[٥٢٦]

وكانت الفئة المتوسطة موضع احترام وتقدير الخاصة والعامة على السواء ومنهم المؤدبون الذين تقربوا إلى الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة بعلمهم وثقافتهم، وكان الخاصة يعهدون إليهم بتأديب أبنائهم، وقد ذكر الجاحظ: " إن المعلمين على ضربين ضم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة[٥٢٧] ومن أشهر مؤدبي أبناء الخلفاء الكسائي عالم اللغة المشهور، وكان مؤدباً لهارون الرشيد ثم ابنه الأمين ومن بعده المأمون، ويدخل في عداد هذه الفئة الأطباء والجراحون والكحالون أمثال آل بختشيوع[٥٢٨] ويدخل في عداد هذه الفئة التجار الذين كانوا يجوبون أصقاع الأرض فيقصدون الصين والهند والغرب والأندلس وبلاد الروم والبلغار والخزر والصقالبة، فيستوردون ويصدرون، ومن بين السلع التي كانوا يتاجرون بها السيوف والحرير والخزف والكاغد والياقوت والصندل والأبنوس والأدم والعقيق والمسك والرقيق[٥٢٩]

كما حظي العديد من المغنون والمنشدون الشعراء بمكانة رفيعة لدى الخلفاء العباسيين وخصوصاً أن العديد منهم كانت مجالسهم عامرة بالأدب والطرب ويكفي للتدليل على ذلك ما تمتع به إبراهيم الموصلي[٥٣٠]

---

[٥٢٥] محمود، الشريف. حسن، أحمد. (د. ت). **العالم الإسلامي في العصر العباسي**. ط: ٥. دار الفكر العربي. ص٢٢٦.

[٥٢٦] ابن خلدون.(١٩٦١). **المقدمة**. مطبعة بيروت. ص:٢٩٥.

[٥٢٧] الجاحظ. (١٩٩٨). **البيان والتبيين**. تح: عبد السلام محمد هارون. ط: ٧. القاهرة: مصر. مطبعة الخانجي. ج١. ص: ٢٧٦.

[٥٢٨] سنبط (١٩٦٤)، ص: ١٥٧.

[٥٢٩] الجاحظ (١٩٣١)، ص: ٢٦.

[٥٣٠] إبراهيم بن ماهان بن بهمن أبو إسحاق الموصلي، كبير أهل الغناء، فارسي الأصل، برع في الشعر والأدب، واتصل بالخلفاء والملوك ببغداد، وأخذ الجوائز الوافرة، توفي سنة (١٨٨هـ)، الصفدي: الوافي، ج٦، ص٦٥.

وقد تألفت فئة العامة من مختلف الأجناس التي كانت تعيش ضمن الخلافة العباسية مثل الفرس والترك والكرد والديلم، ولم تتمتع بمزايا إضافية بسبب الفقر الذي صبغ طابع حياتهم، وكان طعامهم ولباسهم وبيوتهم تتسم بالبساطة الشديدة[٥٣١]

وبطبيعة الحال إذا كان الخلفاء الأمويون يعتمدون على العنصر العربي الذي كان المكون الأساسي من أفراد الشعب في بلاد الشام، وعندما ظهرت الدولة العباسية بمساعدة الفرس تحول مركز هذه الدولة إلى العراق، وساد العنصر الفارسي، واعتمد الخلفاء العباسيون على الفرس دون العرب، وأسندوا إليهم المناصب المدنية والعسكرية، ومن ثم قامت المنافسة بين العرب والفرس حتى جاء الخليفة المعتصم بالله، وكانت أمه تركية فاعتمد على العنصر التركي وأسند إليهم مناصب الدولة، بل وقد أخرج العرب من ديوان العطاء، فحقد عليهم العرب والفرس معاً، وكان العنصر العربي يتكون من المضريين واليمنيين، ثم من الفرس وخاصة الخراسانيين والترك، وكان هناك أهل الذمة وهم النصارى واليهود، كما كان هناك الرقيق الذي كان عبارة عن فئة كبيرة من فئات المجتمع الإسلامي في العصر العباسي[٥٣٢]

أما في بلاد الشام فإلى جانب القبائل العربية التي شكلت المحور والأساس خلال العصر الأموي وهي العنصر الغالب، وجد إلى جانبهم الموالي الذين كان لهم دور بارز في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وكانوا يعملون في مختلف الصنائع والمهن كالتجارة[٥٣٣] وقد حوى الجيش العباسي أعداد كبيرة منهم واستقروا في الشام، ومارسوا حياتهم العامة والمهنية فيها[٥٣٤]

كما كان إلى جانبهم أهل الذمة الذين كانوا يشكلون نسبة لا بأس بها من سكان بلاد الشام، وكان بعضهم قد حافظ على مكانة قوية ومقربة من الخلفاء والأمراء، ونافسوهم حتى في مظاهر الأبهة[٥٣٥]

---

[٥٣١] حسن (١٩٦٤)، ج٢، ص: ٤٣٤.

[٥٣٢] حسن (١٩٩٦)، ج٢، ص: ٢٨٩. أيوب (١٩٨٩)، ص:٢٤٩ ومابعد.

[٥٣٣] ابن خياط. (١٩٧٧). **تاريخ خليفة ابن خياط**. تح: أكرم العمري. ط:٢. دمشق: سوريا. دار القلم. ص: ٢٢٨.

[٥٣٤] بيطار، امينة. (١٩٨٠). **الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام**. دمشق: سوريا. وزارة الثقافة. ص:٢٤٩.

[٥٣٥] القفطي. (د.ت). **أخبار العلماء بأخبار الحكماء**. مصر. مطبعة السعادة. ص: ٧٢. ٧٣.

## ثانياً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن الثورات ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق:

جلبت الحروب عبر تاريخ البشرية الطويل الويلات والهلاك للمجتمعات التي عاشتها واكتوت بنيرانها، فمن نتائجها حصاد المزيد من أرواح الناس بالإضافة إلى الجرحى والمشوّهين والمصابين وما عانته أسر هؤلاء جميعاً من فقر وتشرّد وحرمان، هذا بالنسبة للجنود المشاركين فيها ولم تقتصر نتائجها على ما ذُكر فقط بل زاد عليها الهجرة والتهجير للسكان والأضرار المادية الكبرى متمثّلة بالنهب والسلب لممتلكات الناس وحرق مزروعاتهم ومصادرة منتجاتهم، يضاف إلى ما سبق انتشار اللصوص وقطاعي الطرق وكانت النتائج أمراض اجتماعية شهدها العراق خلال العصر العباسي (١٣٢-٤٤٧هـ/٧٥٠-١٠٥٥م).

### أ- ثورة الموصل سنة ( ١٣٣هـ / ٧٥٠م):

احتلت الموصل مكانة هامة لموقعها الجغرافي الذي يربط العراق ببلاد الشام، وهي مدينة ذات موارد اقتصادية كبيرة، تأتيها من الزراعة والتجارة، وأصبحت بعد قيام الخلافة العباسية وثيقة الصلة ببغداد ومشاكل العراق السياسية، كما أضحت جسراً للسيطرة على شمال بلاد الشام إذا ما قررت الخلافة العباسية القضاء على ثورة أو تمرد هناك قام ضدها، وعانت الموصل مثل غيرها من المدن والمناطق من جور وبطش ولاة الخلافة العباسية، فكانت ردّة فعل السكان عنيفة وثائرة بوجه ممارسات الولاة وظلمهم، وكان لهذه الثورات نتائج اقتصادية واجتماعية وأمنية.

ويعود سبب هذه الأزمة إلى تعيين محمد بن صول[٥٣٦] والياً على الموصل من قبل الخليفة العباسي أبو العباس السفاح وقد انتهج الوالي المذكور سياسة البطش والقتل، فثار السكان عليه وطالبوا بتغييره، فاستجاب الخليفة أبو العباس السفاح لمطلبهم فعزله واستبدله بأخيه يحيى بن محمد[٥٣٧] والياً على المدينة، والذي اتبع سياسة مماثلة لسياسة محمد بن صول المتجسّدة بالقتل والبطش، والنتيجة المتوقعة لهذه السياسة هي الاضطرابات والفوضى التي أدّت إلى نهب الأسواق، فطالب أهل الموصل بتغيير

---

[٥٣٦] لا يوجد له ترجمة.

[٥٣٧] يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أخ الخليفة أبو العباس السفاح، توفي سنة ( ١٣٥هـ / ٧٥٢م)، وكان أميراً على فارس. ابن قتيبة ( د.ت)، ص: ٣٧٧. ابن حزم الأندلسي ( د.ت)، ص: ٢٠. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٨، ص: ١٦٣.

الوالي الجديد، ولُبّي طلبهم بتعيين إسماعيل بن علي[٥٣٨] والياً على الموصل لإخماد الفوضى وإنهاء الثورة[٥٣٩].

وقد أصيبت الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالشلل نتيجة لهذه الفوضى التي أدت إلى قتل العديد من السكان المنتجين في مختلف القطاعات الاقتصادية، وقدّرت المصادر عدد القتلى بثمانية عشر ألف إنسان. وربما تكون هذه الأعداد مبالغاً فيها بناء على ما رواه المؤرخون لغايات متعددة.

ونتيجة لهذه الثورة، تمّ تدمير وتعطيل القسم الأكبر من أسواق الموصل لمدّة ثلاث سنوات تقريباً، إلى جانب تناقص عدد العمال بسبب كثرة القتلى، ومن بينهم العمال[٥٤٠]، ونتيجة لذلك حُرمت خزينة الدولة من عائدات الموصل لمدّة طويلة، بالإضافة إلى نقص المواد الغذائية، وارتفاع أسعارها، وانتشار الفقر بين السكان، نتيجة الشلل الذي أصاب الحياة الزراعية بسبب وفاة وقتل عدد كبير من اليد العاملة في قطاع الزراعة إضافة إلى انعدام الأمن، بالإضافة إلى تعطّل التجارة وضعفها ما بين الموصل وبقية المناطق، وساعدت الأزمة على انتشار اللصوص وقطاع الطرق، وزيادة أعدادهم بسبب فقدان الأمن، ومن الواضح أن ما حدث من شلل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الموصل ينطبق على كل منطقة تعيش هذا الواقع، وبالتالي فإن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية هي مرآة عاكسة للأوضاع السياسية.

وقد خلّفت هذه الأزمة منعكسات سياسية تجلّت بإجبار الخلافة العباسية على اتباع سياسة المهادنة والتقرّب من سكان الموصل، بدلاً من سياسة البطش والقتل على نحوٍ عام وفي الموصل على نحوٍ خاص، إذ تمّ عزل والي الموصل محمد بن صول، الذي اشتهر بالقتل والبطش حينها، وتم تعيين يحيى بن محمد ولم يبق في السلطة مدة طويلة، حيث عُزل لامتصاص النقمة والتهدئة، وتم تعيين إسماعيل بن علي إرضاءً لسكان الموصل، ولم يقتصر الاهتمام من قبل الخلافة على الولاة لامتصاص النقمة، بل شمل عوائل القتلى والمنكوبين من السكان أيضاً، منعاً لازدياد الاضطرابات والفوضى وغيرها [٥٤١].

هذه الاجراءات التي اتخذتها الخلافة العباسية والتي أُجبرت عليها، فرضتها ثورة الموصل وما نجم عنها من خراب ونهب ودمار.

---

[٥٣٨] لا يوجد له ترجمة.

[٥٣٩] اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٣٥٧. الأزدي (١٩٦٧)، ص: ١٤٥- ١٥٧. عمر، فاروق. (١٩٧٧). **بحوث في التاريخ العباسي**. ط: ١. بيروت: لبنان. دار القلم. ص: ١٥٨.

[٥٤٠] البلاذري (١٩٩٦)، ج٤، ص: ٣٧٧. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢. ص: ٣٥٧. الأزدي (١٩٦٧)، ص: ١٤٨- ١٥٢- ١٥٧. عطوان، حسين. (١٩٩٥). **الدعوة العباسية تاريخ وتطور**. ط: ٢. بيروت: لبنان. دار الجيل. ص: ٤٣٣- ٤٣٤.

[٥٤١] الأزدي (١٩٦٧)، ص: ١٥٦.

**ب-ثورة الزط:**

كان لاضطراب الأوضاع السياسية آثارها في الأوضاع الاقتصادية، فالأمر يتناسب عكساً واختلاف الأوضاع الاقتصادية سيما المعيشية منها، التي تمسّ الشعب لا بدّ أن تُرخي بظلالها على الأوضاع السياسية، فاضطراب الأوضاع السياسية وغياب هيبة الدولة العباسية من جرّاء الحروب بين الخليفة الأمين وأخيه المأمون، كانت فرصة إيجابية مناسبة لقوم سكنوا جنوب العراق، عُرفوا بالزط، للتعبير عن مطالبهم الاقتصادية والاجتماعية المتردّية، فمن هم الزط؟ ولماذا قاموا بالثورة ضد الخلافة العباسية؟

هناك آراء عن أصل الزط، فمنهم من قال: إن الحجّاج قد جاء بهم من منطقة السند[٥٤٢]، وأسكنهم في أسافل كسكر[٥٤٣]، وقيل: جاؤوا من ناحية الهند، بسبب الفقر وغلاء الأسعار، فسكنوا جنوب العراق للعمل في الأراضي وتحسين أحوالهم المعيشية[٥٤٤].

إنّ سبب قيام ثورة الزط الذين عرفوا (بالغجر) ومن انضم معهم من العبيد، هو وضعهم المعاشي والاجتماعي المتردّي، فانتهزوا فرصة غياب الأمن عن الدولة العباسية، نتيجة الصراع بين الأمين وأخيه المأمون، فتمرّدوا على الخلافة العباسية، واستولوا على المحاصيل في كسكر وقطعوا طريق البصرة، ونشروا الخوف والرعب بين الناس، ففُقِد الأمن في تلك المنطقة، ومنعوا وصول المؤن إلى بغداد، وفرضوا الضرائب على السفن الداخلة لبغداد[٥٤٥].

إثر تلك الأعمال، أرسل الخليفة العباسي المأمون حملات عدة للقضاء عليهم، ومنها حملة عيسى بن يزيد الجلوذي[٥٤٦] سنة ( ٢٠٥هـ /٨٢٠م )، وحملة داود بن ماسجور[٥٤٧] سنة ( ٢٠٦هـ /٨٢١م )، لكنّ هذه الحملات أخفقت في مهمتها، وبقي الزط متمردين على الخلافة العباسية، حتى استلام المعتصم سدّة الخلافة ( ٢١٨هـ / ٨٣٣م)، عندئذ وضع حدّاً لهم سنة ( ٢١٩هـ / ٨٣٤م )، بإرساله للقائد عجيف ابن عنبسة للقضاء عليهم، الذي وصل بحملته إلى واسط، وقطع عليهم الأنهار بسدّه لها، والتقى معهم

---

٥٤٢ السند: بلاد كبيرة بين الهند وكرمان وسجستان، وهذا الاسم يطلقه العرب على ثلاثة أقاليم يفصلها عن الهند نهر كبير اسمه نهر مكران أو مهران، وهي بلاد زابولستان أفغانستان اليوم وبلاد طورن ومكران وهما بلوخستان الآن. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٢٦٧. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٣٢٧. واصف (د. ت)، ص: ٤٧.

٥٤٣ كسكر: وتعني أرض الشعير، وهو بلد بالعراق تقع بين الكوفة والبصرة، من أعمال واسط. البكري (د. ت)، ج٤، ص: ١١٢٨. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ٤٦١. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٥٠٠.

٥٤٤ البلاذري (١٩٩٧)، ص: ٥٢٢. المسعودي. (١٩٨١). **التنبيه والإشراف**. بيروت: لبنان. دار الهلال. ص: ٣٢٣.

٥٤٥ البلاذري (١٩٩٧)، ص: ٥٢٣. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٧٢. الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٨. ابن دحية الكلبي (١٩٤٦)، ص: ٧٣. بك، محمد الخضري. (١٩٨٦). **الدولة العباسية**. تح: محمد العثماني. ط: ١. بيروت: لبنان. دار القلم. ص: ٢٢٠. الدوري، عبد العزيز. (١٩٩٧). **العصر العباسي الأول**. ط: ٣. بيروت: لبنان. دار الطليعة. ص: ١٨٧.

٥٤٦ عيسى بن يزيد الجلوذي، من ولاة الدولة العباسية، تولى مصر سنة ( ٢١٢هـ / ٨٢٧م)، وتوفي بعد سنة ( ٢١٤هـ / ٨٢٩م). ابن الكندي (١٩٠٨)، ص: ١٨٤. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٥، ص: ١١١.

٥٤٧ لا يوجد له ترجمة.

في معركة استطاع هزيمتهم فيها بقيادة زعيمهم محمد بن عثمان[٥٤٨]، الذي قُتل في المعركة، وأُسر العديد من الزط من قبل جيش الخليفة الذي ضيّق الحصار عليهم، وأجبرهم على الاستسلام بعد أن حصلوا على الأمان من قائد جيش الخليفة عجيف الذي دخل بهم بغداد سنة ( ٢٢٠هـ /٨٣٥م )، والمقدّر عددهم بسبعة وعشرين ألفاً من النساء والصبيان، أمّا القادرون منهم على حمل السلاح فكان عددهم اثنى عشر ألفاً، فأمر الخليفة المعتصم بنقلهم إلى عين زربة[٥٤٩] للاستفادة منهم في حربه مع بيزنطة[٥٥٠].

**النتائج الاقتصادية والاجتماعية لثورة الزط:**

أ- فرض الضرائب على السفن الداخلة لبغداد من قبل الزط، ما يؤدي بدوره إلى رفع أسعار المواد وحدوث المجاعة وانتشار الفقر، وتحصيل الضرائب من قبل الزط بحدّ ذاته يشكل عامل تحدّ قوي للدولة وفقدان هيبتها ودورها الأساسي في التحصيل وتراجع الإيرادات.

ب-فقدان الأمن، وانتشار اللصوص، خاصة بقطع الزط لطريق البصرة، ما أحدث أزمة اجتماعية.

ت-منع وصول الإمدادات لبغداد[٥٥١]، ما يؤدي إلى مضاعفة الأزمة الاجتماعية، وازدياد عدد الفقراء والمحتاجين.

ث-كثرة القتلى والأسرى خاصة من الزط من جرّاء هذه الحروب وما نتج عن ذلك من ضائقة اجتماعية.

ج- هدر المبالغ الكبيرة التي أنفقتها خزينة الخلافة العباسية على الجيوش التي أُرسلت لمحاربة الزط من أجل القضاء على ثورتهم، ما انعكس سلباً على الحياة المعيشية للناس.

**وتجلّت المنعكسات السياسية لثورة الزط في الآتي:**

أ- إنّ قيام ثورة الزط في هذا التاريخ أربك الخلافة العباسية، إذ كان الخليفة المأمون منشغلاً في حروبه على جبهات عدّة داخل العراق وخارجها.

ب-ضعف منصب الخلافة العباسية بسبب الحروب الداخلية والخارجية، شجّع العديد من القوى، خاصة التي تشعر بالظلم على القيام بالثورة ضد الخلافة العباسية.

---

[٥٤٨] لا يوجد له ترجمة.

[٥٤٩] عين زربة: بلد من بلاد الثغور الشامية، من نواحي المصيصة، على حدود آسيا الصغرى، تتميز بحسنها وكثرة خيراتها الزراعية، أمر ببنائها الخليفة المهدي، وقيل الخليفة هارون الرشيد سنة ( ١٨٠هـ / ٧٩٦م). الإدريسي (٢٠٠٢)، ص: ٦٤٦. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ١٧٧. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٤٢٢. واصف (د. ت)، ص: ٦١.

[٥٥٠] البلاذري (١٩٩٧)، ص: ٥٢٣. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٧٢. الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ١٠. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٤، ص: ٦. الجرديزي (٢٠٠٦)، ص: ١٣٣. بك (١٩٨٦)، ص: ٢٢٠-٢٢١. الدوري (١٩٩٧)، ص: ٨٧.

[٥٥١] البلاذري (١٩٩٧)، ص: ٥٢٣. الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٨.

ت-نقل الكثير من الزط من داخل العراق إلى عين زربة سنة ( ٢٢٠هـ / ٨٣٥م)[٥٥٢]، وبالتالي إبعادهم عن مركز السلطة والقوة، وتخلّصاً من قوّتهم باعتبارها تهدد الدولة من حينٍ لآخر.

**ج-ثورة الزنج:**

حركة الزنج من الحركات الاجتماعية المتميزة التي شهدها العصر العباسي في القرن الثالث الهجري( التاسع الميلادي)، فقد اعتمدت على الزنج المضطهدين خاصة في جنوب العراق، والذين جيء بهم من مناطق عدة إلى العراق للعمل في المزارع والبيوت، وكانت حياة هؤلاء مليئة بالبؤس والشقاء والحرمان، علاوة على وجودهم في أماكن موبوءة تسببت لهم بكثير من الأمراض والمعاناة.

وقد اهتمّ المؤرخون بدراسة هذه الثورة التي أقلقت الخلافة العباسية، وخلّفت آثاراً مهمّة خاصة في مناحي الأمن والحياة الاجتماعية لمدة زمنية دامت أكثر من أربع عشرة سنة، وعلى الرغم من اهتمام المؤرخين بهذه الثورة إلا أنهم لم يصلوا إلى حقائق ثابتة عن أصل ومعتقدات صاحب الزنج الذي ادّعى بأنه علي ابن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، حتى يُثبت حقّه الشرعي في الثورة ضد الخلافة العباسية[٥٥٣]، وهناك رأي آخر يقول: إنّ علي بن محمد بن عبد الرحيم، ومولد جدّه عبد الرحيم في الطالقان[٥٥٤]، التي هجرها ورحل إلى العراق، وتزوج وأنجب محمداً والد علي صاحب الزنج.

ووجد علي بن محمد ضالته المنشودة بين صفوف الزنج والفئات الاجتماعية الفقيرة، إذ وعد هذه الفئات بإنصافهم وإعادة حقوقهم المسلوبة واسترجاعها من أسيادهم المستغلين، ولهذا أخذ ينتقل بين العراق والبحرين، ثم استقر في البصرة سنة ( ٢٥٤هـ / ٨٦٨م)، وتمكّن من كسب أعداد كبيرة من الفقراء إلى جانبه آملين بتحسين أحوالهم وخلاصهم من مستغليهم، واستطاع كسب الكثير من العبيد الفارين من ظلم أسيادهم، إلّا أنّ والي البصرة محمد بن رجاء[٥٥٥] أرغم صاحب الزنج على ترك البصرة، فالتجأ بعدها إلى بغداد، وظلّ مستمراً في دعوته.

لكن ما لبث صاحب الزنج أن عاد إلى البصرة مرة أخرى سنة ( ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) بعد عزل ابن رجاء عنها وخروج أهله من السجن، وأخذ يدعو الزنوج إليه سرّاً، واعداً بتحسين أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية وتمليكهم المنازل والأموال، واستجابت لدعوته أعداد كبيرة أملاً بالخلاص من أوضاعهم

---

[٥٥٢] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ١٠. الدوري (١٩٩٧)، ص: ٨٧.

[٥٥٣] المسعودي (٢٠٠٥)، ج٤، ص: ١٥٦. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ٨٥.

[٥٥٤] الطالقان: بلدة في خراسان بين مروالروذ وبلخ، وهناك بلدة بنفس الاسم، بين قزوين وأبهر، وهي الآن مدينة في أفغانستان، تقع في أقصى الشمال من البلاد إلى الشمال من العاصمة كابل. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ٦. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٣٨٠. شامي (١٩٩٣)، ص: ٢٤٠.

[٥٥٥] لا يوجد له ترجمة.

المتردّية، إذ قادهم إلى المحمدية والقادسية وأمرهم بالنهب والسلب، ثم اتجه إلى الجعفرية وقتل عدداً كبيراً من سكانها، وعندها سارعت الخلافة العباسية إلى إرسال الحملات من البصرة ضده فما كان منه إلا أن حقّق انتصاراً ساحقاً عليها، إذ استولى على مائتي سفينة تحمل دقيقاً، وقام مناصروه بنهب القرى وتخريبها[٥٥٦]، والسؤال المطروح: هل كانت مصادرة الدقيق من أجل الضغط على الخلافة العباسية وإدارتها، أم من أجل تجويع الناس، أم من أجل الاستفادة منها بوصفها غذاء لقواتهم المقاتلة، أم لهذه الأسباب جميعاً؟

ونتيجة لكثرة القتلى والخراب الذي أصاب البصرة فقد ناشد سكانها الخليفة العباسي المعتمد مستغيثين به لحمايتهم ونجدتهم، فأنجدهم بجيش سنة (٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، لكنّ هذا الجيش هُزِم في لقائه مع الزنوج بقيادة صاحب الزنج الذي استولى على العديد من المراكب في نهر أبي الخصيب[٥٥٧] ونهبها وقتل من فيها، ثم دخل الزنج الأبلة[٥٥٨] سنة ( ٢٥٦هـ / ٨٦٩م) وقتلوا أهلها وأحرقوها، ونشروا الرعب والخوف في المناطق المجاورة لها[٥٥٩]، الأمر الذي أدّى إلى تسليم سكان عبادان[٥٦٠] بلدتهم لصاحب الزنج مقابل منحهم الأمان، ودخل الزنج الأهواز وارتكبوا فيها مجازر وأعملوا فيها يد الفساد والتخريب[٥٦١].

بنى الزنوج لأنفسهم مدينة جديدة سمّوها المختارة تقع على قناة نهر أبي الخصيب جنوب شرق البصرة، وأصبحت مركزاً لهم وعاصمة لحكومتهم، الأمر الذي أقضّ مضاجع الخلافة العباسية خصوصاً الخليفة المعتمد الذي أرسل جيشاً كبيراً بقيادة منصور بن جعفر[٥٦٢]سنة ( ٢٥٧هـ / ٨٧٠م) لمحاربتهم، وجرت معارك بين الطرفين انتصر فيها الزنج على جيش الخليفة[٥٦٣].

---

٥٥٦ الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٤٣٧.

٥٥٧ نهر أبي الخصيب: يقع في البصرة. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ٣١٥.

٥٥٨ الأبلة بلدة على شاطئ دجلة عند البصرة عند زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة. البكري (د. ت)، ج١، ص: ٩٨. الحازمي (١٩٩٣)، ج١، ص: ٣٣. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ٧٧.

٥٥٩ اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٥٠٧. الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٤٣١-٤٣٧-٤٧٠-٤٧٣. المسعودي (٢٠٠٥)، ج٤، ص: ١٥٦-١٥٧. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ١٠٢- ١٠٨. الأعظمي (د. ت)، ص: ٩٦-٩٧.

٥٦٠ عبادان: قرية من قرى البصرة. البكري (د. ت)، ج٣، ص: ٩١٦. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ٧٤. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٤٠٧.

٥٦١ ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ١٠٨. السامر، فيصل. (٢٠٠٠). **ثورة الزنج**. ط: ٢. دمشق: سوريا. دار المدى. دمشق، ص: ١٠٢.

٥٦٢ لا يوجد له ترجمة.

٥٦٣ الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٤٧٦-٤٨١. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ١٢٤. الأعظمي (د. ت)، ص: ٩٧-٩٨. السامر (٢٠٠٠)، ص: ١٠٤.

أمر صاحب الزنج أنصاره بمهاجمة البصرة من جهات ثلاث بعد أن انضم إليه كثير من الأعراب وقام بقتل كثير من سكانها وأشعل النار فيها، وقطع الماء العذب عن السكان، وهناك روايات تتحدث عن الآلاف من القتلى من رجال ونساء وشيوخ وأطفال[٥٦٤].

والسؤال المطروح: هل المعاناة التي عاشها الزنوج قبل ثورتهم من تمييز طبقي وظلم اجتماعي وأمني واقتصادي، كانت وراء حرقهم للمدن والقرى منطلقين من ردّة فعل حاقدة ودفينة في نفوسهم؟ لم تذكر المصادر التاريخية أيّة معلومات عن ذلك، ومن المحتمل إنّ معاناتهم السابقة كانت وراء هذا العنف وهذا التدمير.

تناهت هذه الأخبار إلى مسامع الخليفة المعتمد فأرسل جيشاً ضخماً بقيادة أخيه الموفق[٥٦٥] سنة ( ٢٥٨هـ / ٨٧١م)، لقتال الزنج وجرت المعارك بين الطرفين راح ضحيتها كثير من القتلى، ولم تكن النتائج حاسمة كما يرغبها الموفق[٥٦٦] الذي عاد بجيشه إلى سامراء، بعدها عمد الزنوج إلى اقتحام الأهواز سنة ( ٢٥٩هـ / ٨٧٢م) ونهبها، ونشروا الفساد فيها وأحرقوا دورها، وبقوا فيها حتى مجيء موسى بن بغا على رأس جيش ضخم بأمر من الخليفة المعتمد، غير أن الكفة مالت للزنوج وهُزم الجيش العباسي في الجولة الأولى، لكنه استطاع النصر في الجولة الثانية، إذ قام بقتل وأسر كثير من الزنوج[٥٦٧]، والواضح أنّ الزنوج أنهكوا الخلافة العباسية اقتصادياً وسياسياً فقد تواءمت أعمالهم مع ما قام به بعض الولاة في مشرق الخلافة، إذ استغلّ الزنوج انشغال الدولة العباسية بمحاربة الصفاريين في كرمان وفارس، وسيطروا على البطيحة ودَستِ مِيسان[٥٦٨] سنة ( ٢٦٢هـ / ٨٧٥م)، ولم تتوقف حملات العباسيين ضدهم، إذ حققت إحداها نصراً كبيراً على الزنوج في الأهواز[٥٦٩].

وانطلاقاً من جولة رابحة وأخرى خاسرة لم تتوقف هجمات الزنوج على المدن والقرى، ففي سنة ( ٢٦٤هـ / ٨٧٧م) سيطر الزنج على واسط وجنبلاء[٥٧٠] متّبعين سياسة القتل والتخريب والنهب والفساد فيها،

---

[٥٦٤] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ١٢٤. السامر (٢٠٠٠)، ص: ١٠٥-١٠٦.

[٥٦٥] أبو أحمد الموفق طلحة، ومنهم من سمّاه محمد بن جعفر المتوكل بن المعتصم محمد بن هارون الرشيد، والد الخليفة المعتضد، ولد سنة ( ٢٢٩هـ / ٨٤٣م)، وتوفي سنة ( ٢٧٨هـ / ٨٩١م). الذهبي (١٩٨٣)، ج١٣، ص: ١٦٩. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٢، ص: ٢١٩. العامري (١٩٨٥)، ص: ٢٤٩.

[٥٦٦] المسعودي (٢٠٠٥)، ج٤، ص: ١٦٠. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ١٣٦.

[٥٦٧] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ١٥٢.

[٥٦٨] دست ميسان: موضع من أرض البصرة، تقع بين واسط والبصرة والأهواز. البكري (د. ت)، ج٤، ص: ١٢٨٣. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ٤٥٥. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٥٦٦.

[٥٦٩] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٤٩٠-٥٠٦. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٤، ص: ٢٦٣-٢٦٥. الأعظمي (د. ت)، ص: ٩٨-٩٩.

[٥٧٠] جنبلاء: تقع بين واسط والكوفة الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ١٦٨.

وأحرقوا النعمانية[٥٧١] وسيطروا على جرجرايا[٥٧٢] التي هرب سكانها إلى بغداد خوفاً من بطش الزنوج[٥٧٣].

وظلّت الجيوش العباسية التي قادها الموفّق في حالة حرب دائمة مع الزنوج، ولم تحقق النصر المرجو للموفق إلا بعد أن انتهت حرب العباسيين في كرمان وفارس، وتفرغت بعدها لحرب الزنوج، إذ بدأت الانتصارات تتوالى، فقد انتصر الموفق عليهم في واسط والأهواز سنة ( ٢٦٧هـ / ٨٨٠م)، واستعاد السيطرة على هذه المناطق، وأخذت هزائم الزنوج تتلاحق أمام العباسيين، وأعلن الموفق العفو عن كل من يستسلم من جيش الزنوج مع إجزال العطاء له، وكان لهذا العفو آثار إيجابية على المعارك العنيفة بين الطرفين، فقد ترك كثير من الزنوج الجيش وانضموا إلى جيش الموفق، الذي استعاد معظم المناطق التي كانت تحت سيطرتهم، ووصلوا إلى عاصمتهم المختارة بعد معركة عظيمة ( ٢٧٠هـ / ٨٨٣م)، انتصر فيها الموفق على الزنوج، وقُتل صاحب الزنج فيها، وانتهت الثورة ويقال إنّه ذهب ضحيتها نحو مليون ونصف من الناس، (ومن المحتمل أن يكون العدد مبالغ به)، وأمر الموفق بالنداء بمقتل صاحب الزنج وعودة كل مواطن إلى بلده آمناً على نفسه وماله وأهله[٥٧٤]، ويمكن أن يكون العدد هنا مبالغاً فيه وهذا شائع لدى المؤرخين.

وبذلك وضع الموفق حدّاً لهذه الحركة التي أتعبت الدولة العباسية سنوات طويلة وأرهقتها مادياً من خلال الأموال التي أُنفقت وأُحرقت في أتون هذه الحرب، ومن آثارها تدهور الزراعة خاصة في جنوب العراق ومعها الصناعة أيضاً، وأعاقت الثورة التجارة أو أنهتها في بعض الأحيان، سيما أن الطرق التجارية البرية كانت غير آمنة، ودمّرت وحرقت وخرّبت أملاك الناس وأرزاقهم.

وبالرغم من صورة هذا الدمار الكبير والخسائر الجسيمة التي حصلت بفعل ثورة الزنج فقد حظيت باهتمام المؤرخين، خاصة من الجانب الطبقي فيها، لأنهم رأوا فيها ثورة اجتماعية هدفها المعلن إيصال

---

[٥٧١] النعمانية وهي مدينة الزاب الأعلى بين واسط وبغداد. اليعقوبي (د. ت)، ص: ١٠٨. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ٢٩٤.

[٥٧٢] جرجرايا: تقع بين واسط وبغداد، شرقي دجلة بقرب دير العاقول. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ١٢٣. الحميري (١٩٧٥)، ص: ١٥٧.

[٥٧٣] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٥٣٦-٥٤٥. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ١٩١- ١٩٧.

[٥٧٤] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٥٥٧-٥٧٥- ٦١٣-٦٦٣. المسعودي (٢٠٠٥)، ج٤، ص: ١٦٥-١٦٦. الحصري. ( ١٩٥٣). **جمع الجواهر في الملح والنوادر**. تح: علي محمد البجاوي. ط: ٢. بيروت: لبنان. دار الجيل. ص: ١٩٠. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ٢١١-٢٣٥. ابن طباطبا (د. ت)، ص: ٢٥١. الأعظمي (د. ت)، ص: ١٠٠.

Hinrich Biesterfeldt, Sebastian Gunther, Wadad Kadi: Crisis And Continuity At Abbassid Court. Leiden. Boston.Pp. ١٥.

العمال المعدمين والمسحوقين إلى حقوقهم واستردادها من أسيادهم المستغلين لهم، وإن كان صاحب الزنج يسعى إلى تحقيق غاياته ومصالحه الشخصية من خلفهم وبواسطتهم.

**النتائج الاقتصادية والاجتماعية لثورة الزنج:**

استمرت ثورة الزنج أكثر من أربع عشرة سنة ( ٢٥٥-٢٧٠هـ / ٨٦٨-٨٨٣م)، تركت آثاراً هامة جدّاً على أصعدة عدّة، الأمنية والاقتصادية، والاجتماعية وغيرها، وبالرغم من العناوين والشعارات التي حاربت وقاتلت ثورة الزنج من أجلها، وأهمها تخليص المضطهدين وتحريرهم من مستغليهم الأسياد، فإنّ هذه الثورة نوعية في زمنها، إذ اعتمدت على الفقراء والمعدمين الذين كانوا جندها في تحصيل أهدافها وتحقيقها وتركت من جانب آخر آثاراً خطيرة فقد دمّرت قدرات وإمكانات مادية كبيرة في العراق، فشلّت الحياة الزراعية والصناعية والتجارية خاصة بين بغداد وجنوب العراق، راح ضحيتها كثير من الناس، وهُجّر العديد منهم، وأُرهقت ميزانية الدولة العباسية من كثرة النفقات التي أُنفقت على الجيوش في سبيل القضاء عليها، ومن آثارها الاقتصادية والاجتماعية:

أ- الدمار والخراب الذي لحق بالمدن والقرى، والذي شمل المنازل والممتلكات وأماكن التجارة والصناعة في العراق، ما أدّى إلى إفقار الناس ومجاعتهم.

ب-تراجع الإنتاج الزراعي، بسبب تخريب الحقول وحرقها وقتل الفلاحين، وتهجيرهم من قراهم ومزارعهم خاصة في جنوب العراق.

ت-قطع الإمدادات عن كثير من المدن في العراق خاصة بغداد بعد مصادرة السفن المحمّلة بالمؤن أو حرقها وتعطيلها، مما زاد في إفقار الناس.

ث-كثرة المهجرين والمشرّدين نتيجة لهجمات الزنج على المدن والقرى وتدميرهم للمنازل والممتلكات ورافق ذلك من محن اجتماعية.

ج- إنفاق الخزينة الأموال الطائلة على المهجرين من مدنهم وقراهم بفعل أعمال الزنج وما قاموا به من تخريب ونهب وسلب في هذه المناطق.

ح- حرمان الدولة من واردات المناطق التي سيطر عليها الزنج لمدة طويلة كالخراج، والزكاة والضرائب المتنوعة، مما أدّى إلى إفقار خزينة الدولة، وهذا بدوره انعكس سلباً على حياة العامة من الناس.

خ- النفقات الكبيرة التي أنهكت خزائن الدولة على تجهيز وتمويل الجيوش لمحاربة الزنج لمدّة لا تقل عن أربع عشرة سنة.

لا شكّ أن الدمار والخراب والتراجع في الإنتاج الزراعي وكثرة الأموال التي أُنفقت على الجيوش التي خاضت الحروب مع الزنج أدّت إلى إفقار الدولة، وما لذلك من أثر في عامّة الناس الذين اكتووا بنارها من خلال قتلهم وتهجيرهم وتدمير أملاكهم.

**المنعكسات السياسية لثورة الزنج:**

أ- الإرباك الكبير الذي أصاب الخلافة العباسية من جرّاء قيام ثورة الزنج، في عهد الخليفة المهتدي سنة ( ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، وبداية الخليفة المعتمد سنة ( ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، وأحوال الدولة المضطربة وغير المستقرة، ما أدّى إلى اضطراب أمني وسياسي وهجرات من مناطق إلى أخرى.

ب-كثرة القادة الذين جرى استبدالهم بقادة آخرين لقيادة الجيوش العباسية في حربها مع الزنج، بسبب الضغط المتزايد للزنج وأعمالهم التخريبية المتكررة.

ت-اتّباع الخلافة العباسية سياسة المهادنة مع الزنج بعد القضاء على ثورتهم وإعطائهم الأمان وعدم ملاحقتهم.

ث-الاهتمام الملحوظ من قبل الخلافة العباسية بالسكان عند تهجيرهم القسري من قبل الزنج، وتقديم ما يلزمهم من خدمات، ثم دعوتهم للعودة إلى أماكنهم التي هُجّروا منها بعد القضاء على ثورة الزنج وتقديم المساعدة لهم.

**د-ثورة القرامطة:**

ولدت حركة القرامطة من رحم الظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة التي كانت تعيشها الفئات الاجتماعية الفقيرة في العراق في القرن الثالث الهجري( التاسع الميلادي)، وهي مماثلة لتلك الظروف التي نشأت فيها حركة الزنج، واستغلالاً لهذه الأوضاع المتعبة للفقراء والمضطهدين، نشط مؤسس الحركة بين هذه الفئات المتضررة، ونادى بمبادئ المساواة والعدالة وإنصاف العاملين والفقراء، ولاقت هذه المبادئ قبولاً بين أوساط الناس أصحاب الحقوق المسلوبة من قبل أسيادهم المستغلين لهم.

كان أول ظهور للقرامطة في العراق في سواد الكوفة سنة (٢٧٨هـ / ٨٩١م)، وينسب القرامطة إلى حمدان الملقّب بقرمط، وهو رجل قدم من بلدة خوزستان إلى سواد الكوفة في العراق، بدأ يدعو الناس إليه، ويُظهر الزهد والتقشف، والتقى مع صاحب الزنج، لكنهم اختلفوا في الرأي، فتركه قرمط[٥٧٥].

توسعت الحركة ووصلت حتى البحرين، إذ تزعمها هناك أبو سعيد الجنابي[٥٧٦] الذي أعلن عن رغبته سنة ( ٢٨٦هـ / ٨٩٩م)، بالتوجه إلى البصرة، وعندما علم عامل البصرة أحمد بن محمد بن يحيى

---

[٥٧٥] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ٢٣-٢٧. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٣١-١٣٢.

الواثقي[٥٧٧] بهذا الخبر، قام بإعلام الخليفة العباسي المعتضد بذلك، الذي أمره بإنشاء سور حول البصرة لحمايتها من القرامطة، إذ أُنفق على بنائه أربعة عشر ألف دينار[٥٧٨].

أمّا القرامطة بزعامة الجنابي، فقد نفّذوا نيّتهم بمهاجمة البصرة سنة ( ٢٨٧هـ / ٩٠٠م)، ووصلوا إلى مقربة منها، فاستنجد عاملها أحمد الواثقي، بالخليفة المعتضد الذي أمدّه بالرجال، وعلى رأسهم العباس ابن عمرو الغنوي[٥٧٩] الذي وصل البصرة، وجرت المعركة بين الطرفين وكانت نتيجتها هزيمة الجيش العباسي، وأسر قائده، وغنيمة القرامطة ما كان في معسكر الجيش العباسي، بالإضافة إلى قتله الأسرى الذين وقعوا بين يديه في المعركة، بعدها غادر إلى البحرين بعد أن أفرج عن العباس بن عمرو الغنوي، ونتيجة للرعب والمخاوف الناجمة عن هجوم القرامطة حاول قسم من سكان البصرة الرحيل عنها لكنّ واليها تصدّى لمحاولتهم ومنعهم من ذلك[٥٨٠].

برز من دعاة القرامطة في العراق زكرويه بن مهرويه[٥٨١]، الذي تولّى زعامتهم، لكنّ الخلافة العباسية بادرت مباشرة بزعامة الخليفة المعتضد لإرسال الجيوش إلى سواد الكوفة للقضاء على القرامطة وقتل الكثير منهم.

ولم يقتصر الأمر على العراق فقط بل توسعت تحركات القرامطة إلى المناطق المجاورة، إذ أرسل زكرويه ابنه يحيى[٥٨٢] الملّقب بالشيخ، إلى بلاد الشام سنة ( ٢٨٩هـ / ٩٠١م) لنشر الدعوة، وضمّ أكبر عدد من السكان إليه، ولتكون مركزاً له، فدخل يحيى بلاد الشام مدعوماً بعدد من الأعراب الذين قاتلوا

---

[٥٧٦] أبو سعيد الجنابي الحسن بن بهرام القرمطي، من أهل جنابة بفارس، قُتل علي يد خادمه بهجر سنة ( ٣٠١هـ / ٩١٣م). ابن خلكان (د. ت)، ج٢، ص: ١٤٨. الذهبي (٢٠٠٣)، ج٧، ص: ٨. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١١، ص: ٣١٤. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٢، ص: ١٨٥.

[٥٧٧] لا يوجد له ترجمة.

[٥٧٨] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ٧١. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٣٣. الأعظمي (د. ت)، ص: ١٠٢. النبهاني (١٩٩٩)، ص: ٢٧٠.

[٥٧٩] العباس بن عمرو الغنوي، من قادة الجيش العباسي، توفي في الرقة سنة ( ٣٠٥هـ / ٩١٧م). الزركلي (٢٠٠٢)، ج٣، ص: ٢٦٣.

[٥٨٠] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ٧٥–٧٨– ٨٢. الأعظمي (د. ت)، ص: ١٠٢. النبهاني (١٩٩٩)، ص: ٢٧٠.

[٥٨١] زكرويه بن مهرويه القرمطي، من زعماء القرامطة، من سكان القطيف، توفي على أثر معركة بين القادسية وخفّان، مع جيش الخليفة المكتفي سنة ( ٢٩٤هـ / ٩٠٦م). ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ٤٩. الذهبي (٢٠٠٣)، ج٦، ص: ٨٦٨. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٣، ص: ٤٥.

[٥٨٢] يحيى بن زكرويه بن مهرويه القرمطي، أبو القاسم، الملقب بالشيخ، من كبار القرامطة في عهد المعتضد والمكتفي، قُتل على باب دمشق سنة ( ٢٩٠هـ / ٩٠٢م). الذهبي (٢٠٠٣)، ج٦، ص: ٨٤٩. العامري (١٩٨٥)، ص: ٢٥٧. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٨، ص: ١٤٤.

كل من يقف في طريقهم حتى وصلوا إلى دمشق، وكان حاكمها آنذاك طغج بن جف[٥٨٣] الذي قاتلهم، والذي هُزم في أكثر من موقعة معهم[٥٨٤].

لم يستسلم طغج بن جف للقرامطة، بل أرسل جيشاً سنة ( ٢٩٠هـ / ٩٠٢م) لمحاربتهم لكنّ النصر كان حليف القرامطة، الذين حاصروا دمشق، وضيّقوا الحصار عليها، وقتلوا الموالين لطغج، فاستنجد أهل دمشق بالخليفة المكتفي، في الوقت الذي أقدم فيه الطولونيون في مصر على مساعدة سكان دمشق، لكن ما لبثت أن وصلت في هذه الأثناء النجدة العباسية وخاضت معركة إلى جانب الحلفاء، كانت نتيجتها هزيمة القرامطة، وقتل يحيى بن زكرويه على أبواب دمشق[٥٨٥].

عندها سارع القرامطة وولّوا عليهم أخاه الحسين بن زكرويه[٥٨٦]، والذي سمّى نفسه ( أحمد) وتجمّع الناس حوله، وأظهر شامة على وجهه وزعم أنها آية، ووصل إلى دمشق، إذ طلب أهلها الصلح معه فوافق عليه مقابل مال يدفع له، ثم رحل عن دمشق إلى حمص وتلقّب بالمهدي، وفتح أهل حمص أبواب مدينتهم له، وخطبوا له خوفاً منه، وأكمل مسيره إلى حماة ومعرة النعمان التي قتل كثير من أهلها ومن بينهم النساء والصبيان، ووصل إلى بعلبك[٥٨٧] وقتل كثيراً من أهلها، وتابع إلى سلمية التي امتنعت أول الأمر، لكنه صالحهم ودخلها وغدر بأهلها، وقتل البهائم، والكثير من أهالي القرى وأحرقها، ونشر الرعب والخوف، ما أدّى إلى انعدام الأمن وفقدانه[٥٨٨].

أرسل أهالي الشام إلى الخليفة العباسي المكتفي يستغيثون به مما جرى لهم من وقائع وفظائع، قتل وسبي ونهب وحرق البلاد، عندها أرسل الخليفة جيشاً يقدّر بعشرة آلاف رجل، فلمّا وصل الجيش

---

[٥٨٣] طغج بن جف بن خاقان الفرغاني التركي، والد محمد الإخشيد، وكان من كبار قواد خمارويه، توفي مسجوناً في بغداد في عهد الخليفة المكتفي سنة ( ٢٩٤هـ / ٩٠٦م). ابن خلكان (د. ت)، ج٥، ص: ٥٧. الذهبي (١٩٨٣)، ج١٥، ص: ٣٦٥. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٦، ص: ٢٦٠.

[٥٨٤] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ٩٤-٩٦. المسعودي (٢٠٠٥)، ج٤، ص: ٢٢٢. ابن العبري (١٩٩٧)، ص: ١٣٥. أيوب (١٩٨٩)، ص: ١٢٠.

[٥٨٥] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ٩٧-٩٩. الناطور، وعودات، وبيضون، شحادة، وأحمد، وجميل. (١٩٩٠). **الخلافة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري**. ط: ١. الأردن. دار الثقافة. ص: ٣١٧-٣١٨.

[٥٨٦] الحسين بن زكرويه بن مهرويه، المعروف بصاحب الشامة، أو صاحب الخال، وهو من ثوار القرامطة، وتسمّى بأحمد، قُبض عليه وأخذوه أسيراً إلى الخليفة المكتفي، فقُتل في بغداد سنة ( ٢٩١هـ / ٩٠٣م). الذهبي (٢٠٠٣)، ج٦، ص: ٨٨٢. العامري (١٩٨٥)، ص: ٢٥٨. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٢، ص: ٢٣٨.

[٥٨٧] بعلبك: مدينة قديمة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وهي اليوم مدينة من مدن لبنان تقع في سهل البقاع، وتقع شمال غرب دمشق حوالي ٥٠كم، وتبعد عن العاصمة بيروت (٩٠كم). البكري (د. ت)، ج١، ص: ٢٦٠. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ٤٥٣. شامي (١٩٩٣)، ص: ١١٨. العفيفي (٢٠٠٠)، ص: ١١٥.

[٥٨٨] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ١٠٠. أيوب (١٩٨٩)، ص: ١٢٠.

العباسي قرب حلب، والتقى مع القرامطة، استطاع الجيش العباسي بقيادة بدر[٥٨٩] مولى ابن طولون إلحاق الهزيمة بالقرامطة، وقتل العديد منهم، وفرّ صاحب الشامة إلى البادية، ولاحقه جيش الخليفة بقيادة الحسين بن حمدان[٥٩٠][٥٩١].

أصرّ الخليفة المكتفي على استئصال شأفة القرامطة، فقاد بنفسه جيشاً سنة ( ٢٩١هـ / ٩٠٣م)، متوجهاً إلى الشام والتقى معهم قرب حماة، واستطاع هزيمتهم وقتل منهم أعداداً كبيرة، ما عدا الذين تفرّقوا، والنتيجة إلقاء القبض على صاحب الشامة، إذ سيق إلى بغداد وقُطع رأسه[٥٩٢].

إثر وصول خبر مقتل صاحب الشامة أرسل زكرويه بن مهرويه سنة ( ٢٩٣هـ / ٩٠٥م) أحد زعماء القرامطة الذي يدعى عبد الله بن سعيد[٥٩٣] إلى الشام، فوصل بصرى[٥٩٤] ثم أذرعات[٥٩٥] بعدها البثنية[٥٩٦]، وقتل سكان هذه المناطق، بعد أن طلبوا الأمان، وأخذ أموالهم مستغلاً غياب عامل دمشق والأردن أحمد بن كيغلغ[٥٩٧] ووجوده في مصر، بعدها توجه عبد الله إلى دمشق التي وقفت في وجههم،

---

[٥٨٩] بدر أبو النجم، ويسمّى بدر الكبير، وبدر الحمامي، مولى المعتضد بالله، كان قد تولى الأعمال بمصر مع ابن طولون، ثم تولى دمشق سنة (٢٩٠هـ/٩٠٢م)، وتولّى الأعمال بفارس أصبهان سنة (٢٩٥-٣٠٠هـ/٩٠٧-٩١٢م)، وتوفي في شيراز سنة ( ٣١١هـ / ٩٢٣م)، وقيل سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م). ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ٢٢٨. الذهبي (٢٠٠٣)، ج٧، ص: ٢٣٤. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٢، ص: ٤٥.

[٥٩٠] الحسين بن حمدان بن حمدون التغلبي، الأمير أبو عبد الله، أحد الأمراء في العصر العباسي، وهو عم سيف الدولة الحمداني، كُلّف بعدّة مهام من قبل الخلافة العباسية، منها قيادته لجيش عباسي لمحاربة الطولونيين في الشام في عهد الخليفة العباسي المكتفي، ثم كلّفه الخليفة المقتدر بمحاربة القرامطة في دمشق، وتولّى ديار ربيعة، وله معارك مع البيزنطيين وفتح عدّة حصون، وفي سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م) خرج عن طاعة الخلافة العباسية، فسُجن في بغداد وقُتل بأمر من الخليفة المقتدر سنة ( ٣٠٦هـ / ٩١٨م). الذهبي (٢٠٠٣)، ج٧، ص: ١٤-١٠٣. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٢، ص: ٢٢٣. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٢، ص: ٢٣٦.

[٥٩١] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ١٠٣-١٠٤.

[٥٩٢] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ١٠٨-١١٢.

[٥٩٣] عبد الله بن سعيد القرمطي أبو غانم المتسمى بنصر من زعماء القرامطة، قُتل سنة ( ٢٩٣هـ / ٩٠٥م). الذهبي (٢٠٠٣)، ج٦، ص: ٨٦٦. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٤، ص: ٩٠.

[٥٩٤] بصرى: مدينة حوران تقع بالشام، من أعمال دمشق، وهي مدينة قديمة وأثرية تقع في الطرف الشرقي من سهل حوران. البكري (د. ت)، ج١، ص: ٢٥٣. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ٤٤١. الحميري (١٩٧٥)، ص: ١٠٩.

[٥٩٥] أذرعات: بلد في الشام، من بلاد دمشق، بالقرب من البلقاء وعمان. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ١٣٠. الحميري (١٩٧٥)، ص: ١٩.

[٥٩٦] البثنية: وهي الأرض السهلة، وهي بالشام بلدة من نواحي دمشق. البكري (د. ت)، ج١، ص: ٢٢٦. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ٣٣٨. المعجم الجغرافي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ٢٤٨.

[٥٩٧] أحمد بن إبراهيم بن كيغلغ، أبو العباس، تركي الأصل، ولد في بغداد، وتولّى دمشق في عهد الخليفة المقتدر أكثر من مرة سنة (٣٠٢هـ/٩١٤م) وسنة (٣١٢-٣١٣هـ/٩٢٣-٩٢٤م)، وكان قبل ذلك قد تولّى غزو الصائفة سنة (٢٩٤هـ/ ٩٠٦م)، وتولّى مصر من قبل الخليفة المقتدر سنة (٣١١هـ/٩٢٣م)، ثم صُرف عنها بنفس العام، وعاد إليها أميراً في عهد الخليفة القاهر بالله سنة (٣٢١هـ/٩٣٣م)، وبقي فيها حتى سنة (٣٢٣هـ/٩٣٤م)، حيث سلّم الإمارة للإخشيد محمد بن طغج، وتوفي بعد سنة ( ٣٢٣هـ / ٩٣٤م). ابن منظور (١٩٨٩)، ج٣، ص: ٢١٩. الصفدي (٢٠٠٠)، ج٧، ص: ١٩٧. الزركلي (٢٠٠٢)، ج١، ص: ٨٥.

فقصدوا طبرية وهناك التقوا مع خليفة أحمد المدعو يوسف بن إبراهيم، وانتصروا عليه، وقتلوه ونهبوا طبرية، وقتلوا أهلها، وسبوا نساءها.

انتقى الخليفة المكتفي أحد القواد الأبطال وهو الحسين بن حمدان لمحاربتهم فوصل دمشق، فانسحبت القرامطة إلى السماوة[٥٩٨] فلحقهم الحسين، لكنه عاد إلى الرحبة[٥٩٩] لعدم وجود الماء فيها، وهاجم القرامطة هيت وقتلوا أهلها ونهبوها، لكنّ جيش الخليفة لاحقهم من جهة الرحبة، وقام رجل من القبائل العربية بقتل عبد الله قائد القرامطة، وأرسله إلى الخليفة المكتفي للتقرب منه، فانقسم القرامطة على بعضهم وتقاتلوا، فطلب قسم منهم الأمان من الخليفة، وقسم ظلّ على عدائه مع العباسيين لكنّ زكرويه أوكل إلى القاسم بن أحمد[٦٠٠] بقيادة القرامطة، وأمره بدخول الكوفة فلبّى طلبه، وكان عاملها إسحاق بن عمران[٦٠١] الذي حاربهم فانسحبوا إلى القادسية، ولم يستكن إسحاق للظروف بل وضع نفسه في حالة تأهب قصوى خوفاً من العودة لقتاله مرة أخرى فاستنجد بالخليفة الذي أرسل لنجدته وصيف بن صوارتكين[٦٠٢] التركي، الذي التقى القرامطة بقيادة زكرويه، وجرت المعركة بالقرب من القادسية، فمالت كفة النصر فيها للقرامطة على جيش الخليفة وقتلوا منه ألفاً وخمسمائة رجل، وقوي القرامطة بسبب الغنائم التي حصلوا عليها من عسكر الخليفة، ووصل خبر الهزيمة إلى الخليفة ببغداد، فأرسل جيشاً لمحاربتهم، لكنّ زكرويه غادر مكانه بسبب كثرة القتلى ورائحتهم إلى نهر المثنية[٦٠٣][٦٠٤].

وضع القرامطة بزعامة زكرويه نصب أعينهم مهاجمة قوافل الحجاج، وقد تسنّى لهم ذلك سنة ( ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م)، فقاموا بقتل أعداد كبيرة من الحجاج وسلبهم، وعندما وصلت الأخبار إلى الخليفة المكتفي أرسل جيشاً بقيادة وصيف بن صوارتكين لمحاربتهم، واستطاع هذه المرة هزيمتهم وتحقيق النصر عليهم، وقتل قائدهم زكرويه مع عدد كبير من جنده، وأسر عدداً منهم، جيء بهم إلى بغداد، كما فرّ قسم منهم إلى بلاد الشام، إذ واجهوا المصير نفسه بملاحقة الجيش العباسي لهم وقيامه بقتل العديد منهم وأسرهم، كما تمّت ملاحقتهم في العراق، وقُتلت أعداد منهم، وسُجن آخرون[٦٠٥].

---

[٥٩٨] السماوة: بادية بين الشام والكوفة، وقيل بين الموصل والشام. البكري (د. ت)، ج٣، ص: ٧٥٤. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٢٤٥. شامي (١٩٩٣)، ص: ٧٨.

[٥٩٩] الرحبة: تقع بين الرقة وبغداد، على شاطئ الفرات. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٣٤.

[٦٠٠] القاسم بن أحمد بن علي أبو محمد القرمطي، من قواد ودعاة القرامطة، يُعتقد أنه قُتل مع أتباع زكرويه سنة ( ٢٩٤هـ / ٩٠٦م). الزركلي (٢٠٠٢)، ج٥، ص: ١٧٢.

[٦٠١] إسحاق بن عمران، كان أميراً على الكوفة سنة (٢٩٣هـ/٩٠٥م)، وعزله الخليفة المقتدر سنة ( ٣٠٣هـ / ٩١٥م)، وتوفي سنة ( ٣٠٦هـ / ٩١٨م). عريب (١٨٩٧)، ص: ٥٦-٧٠. آل خليفة (٢٠٠٤)، ص: ٦٦٤.

[٦٠٢] لا يوجد له ترجمة.

[٦٠٣] لا يوجد له ترجمة.

[٦٠٤] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ١٢٢-١٢٨. أيوب (١٩٨٩)، ص: ١٢١.

[٦٠٥] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ١٣٠-١٣٤. أيوب (١٩٨٩)، ص: ١٢١.

ولم تنفصل أحلام القرامطة في العراق ومطامحهم عنها في البحرين، فبعد قتل أبي سعيد الجنابي تولّى ابنه أبو طاهر سليمان[٦٠٦] سنة ( ٣٠١هـ / ٩١٣م)[٦٠٧]، الذي سار على سياسة والده في محاولة غزو مدن العراق ونهبها، فقد تمكن من دخول البصرة سنة ( ٣١١هـ / ٩٢٣م)، وقتل كثير من سكانها وتهجير آخرين إلى جانب نهب أموال المدينة وأمتعتها، وسبي النساء والصبيان، ثم غادر بعدها عائداً إلى البحرين[٦٠٨].

ترتّب على هجوم القرامطة على البصرة محنة اقتصادية واجتماعية كبيرة كان من مظاهرها تشرّد وفقر وحرمان كثير من أبناء المدينة، بالإضافة إلى مقتل المزيد منهم، وتعرض العديد منهم للسبي.

وازدادت الأوضاع الأمنية والسياسية اضطراباً كبيراً إثر الهجوم القرمطي على قافلة الحج المتجهة إلى مكة سنة ( ٣١٢هـ / ٩٢٤م)، إذ ضمّت القافلة عدداً كبيراً من أهالي بغداد، ونتج عن هذا الهجوم مقتل كثير منهم ونهب أموالهم وأمتعتهم، وهروب الناجين من الحجاج باتجاه طريق الكوفة، غير أنّ أبو طاهر قطع عليهم الطريق، واستطاع دخول الكوفة والانتصار على عاملها جعفر بن ورقاء الشيباني[٦٠٩]، وبقي ستة أيام ينهب ويُرحّل أموالها وأمتعتها ثم عاد إلى البحرين، وأرسل الخليفة المقتدر مؤنس المظفر إلى الكوفة لكشف أحوالها، فوجد أنّ القرامطة قد رحلوا عنها، فتابع مؤنس السير إلى واسط خوفاً عليها من القرامطة، وجرى تعيين الوالي والقائد ياقوت[٦١٠] عاملاً على الكوفة، وتوقف الحج في هذه السنة[٦١١].

والجدير ذكره إنّ إغاثة الخليفة العباسي للمدن كانت تحصل بعد دخول القرامطة إليها، إذ لم يتخذ أي خليفة منهم احتياطات عسكرية أو غيرها لمنعهم من اجتياحها ونهبها، وفي سنة ( ٣١٥هـ / ٩٢٧م) دخل أبو طاهر القرمطي الكوفة قادماً من البحرين، فأمر الخليفة، القائد يوسف بن أبي الساج بملاقاة

---

[٦٠٦] أبو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام القرمطي الجنابي، ملك البحرين، توفي سنة ( ٣٣٢هـ / ٩٤٣م). ابن خلكان (د. ت)، ج٢، ص: ١٥٠. الذهبي (١٩٨٣)، ج١٥، ص: ٣٢٠. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١٥، ص: ٣٢٤. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٣، ص: ١٢٣.

[٦٠٧] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ١٤٨.

[٦٠٨] عريب (١٨٩٧)، ص: ٩٧. الهمذاني (١٩٥٨)، ص: ٣٩-٤٠. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ١٥. الأعظمي (د. ت)، ص: ١٠٤. أيوب (١٩٨٩)، ص: ١٢٣.

[٦٠٩] جعفر بن محمد بن ورقاء بن محمد بن ورقاء الشيباني، أبو محمد، كان من الولاة وشاعراً وكاتباً، ولد في سامراء سنة ( ٢٩٢هـ / ٩٠٤م)، وله مكاتبات شعرية ونثرية مع سيف الدولة الحمداني وأبو فراس الحمداني، وتولّى عدّة ولايات، توفي سنة ( ٣٥٢هـ / ٩٦٣م). الثعالبي. (١٩٨٣). **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**. تح: مفيد محمد قميحة. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج١. ص: ١٢٢. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١١، ص: ١١٤. الكتبي (١٩٧٣)، ج١، ص: ٢٩٥. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٢، ص: ١٢٨.

[٦١٠] ياقوت أبو الفوارس، من ولاة وقادة الخلافة العباسية، تولّى عدّة مهام ففي عهد الخليفة المقتدر كان حاجب له، ثم تولّى الكوفة سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م)، وتولّى إمارة الأهواز في عهد الخليفة الراضي بالله، وله معارك مع مرداويج والبويهيين، قُتل بمؤامرة من كاتبه أبو عبد الله البريدي سنة ( ٣٢٤هـ / ٩٣٥م). ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ١١٨. الذهبي (٢٠٠٣)، ج٧، ص: ٤٢٠. آل خليفة (٢٠٠٤)، ص: ٦٧٨.

[٦١١] عريب (١٨٩٧)، ص: ١٢٤. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٨١-٨٢. الهمذاني (١٩٥٨)، ص: ٤٢. ابن الأثير: (١٩٨٧)، ج٧، ص: ١٧- ٢٢-٢٣.

القرامطة، لكنّ النصر لم يحالف جيش العباسيين، بالإضافة إلى أسر قائد الجيش يوسف بن أبي الساج، وسيطرة القرامطة على الأنبار ونهبها بعد سيطرتهم على الكوفة، وكلّف الخليفة القائد مؤنس المظفر مع قادة آخرين بمحاربة القرامطة وفكّ أسر القائد يوسف، ولم يحالف النجاح الجيش العباسي بل هُزم أمام القرامطة، وقُتل الأسير يوسف، وزاد القرامطة سيطرتهم على بلدة هيت، لكنْ تصدّى لهم الجيش العباسي، وأجبرهم على التراجع عنها[٦١٢].

استمر أبو طاهر القرمطي في أعماله العسكرية، فقطع الطريق للحجاج عند القادسية، ما أدّى إلى توقف الحج سنة ( ٣٢٣هـ / ٩٣٤م)[٦١٣].

لم يتوقف هجوم القرامطة على العراق مدّة طويلة، فبعد خمسين عاماً عادوا ووصلوا بهجومهم إلى مقربة من بغداد سنة ( ٣٧٣هـ / ٩٨٣م) إثر وفاة عضد الدولة، وتمّت التسوية معهم عن طريق الصلح بالمال مقابل عودتهم وتراجعهم[٦١٤].

لكنّ التسوية كانت مؤقتة، فقد عادوا من جديد ودخلوا الكوفة سنة ( ٣٧٥هـ / ٩٨٥م) بزعامة اثنين من سادة القرامطة في البحرين المدعوين باسم إسحاق وجعفر، وكانت لهما اقطاعات كثيرة مقدّمة من عضد الدولة وبختيار، فأخذوا الغلات والأموال، وتحرّك جيش صمصام الدولة باتجاه القرامطة، وجرت المعركة، وكان النصر فيها لجيش صمصام الدولة، فقتل وأسر عدداً كبيراً من القرامطة، الذين رحلوا عن الكوفة، وجلوا عن العراق[٦١٥].

**النتائج الاقتصادية والاجتماعية لثورة القرامطة:**

أ- الدمار والخراب الذي شمل كثيراً من المناطق في العراق، خاصة في المدن والقرى.

ب- الظلم والاضطهاد الذي مورس بحق الأهالي الذين تعرّضوا لهجمات القرامطة.

ت- الجوع الذي لحق بالسكان من جرّاء الغلاء الفاحش بسبب الحصار ومصادرة المؤن والبضائع.

ث- كثرة القتلى من السكان نتيجة لحروب القرامطة، مما أدّى إلى نقص اليد العاملة، وهجرة السكان خوفاً من البطش والإرهاب.

ج- تراجع المحاصيل الزراعية بسبب حرق الحقول وتخريب الأنهار والأقنية، وهجرة الفلاحين من قراهم ومزارعهم.

ح- تشرد الكثير من السكان بعد أن تعرضت حياتهم للخطر ومنازلهم وأرزاقهم للخراب.

---

[٦١٢] عريب (١٨٩٧)، ص: ١١٣-١١٥. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٩٨-١٠٣. الهمذاني (١٩٥٨)، ص: ٥٢-٥٥. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣١-٣٤. أيوب (١٩٨٩)، ص: ١٢٣.

[٦١٣] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ١١٥.

[٦١٤] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤١٧.

[٦١٥] الروذراوري (٢٠٠٣)، ص: ٦٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٢٢.

خ- انتشار الأمراض والأوبئة من جرّاء تفسخ جثث القتلى نتيجةً للمعارك الطاحنة التي جرت ما بين القرامطة وجيش الخلافة العباسية.

د- التكاليف الباهظة التي تحملتها خزائن الدولة العباسية من جرّاء تجهيز الجيوش التي حاربت القرامطة وتمويلها والمقدّرة بأكثر من سبعة ملايين دينار، كما مرّ في دراسة الحروب الداخلية للخلافة العباسية، وأدّى هذا إلى زيادة حدّة الأزمة الاقتصادية والاجتماعية في العراق.

**المنعكسات السياسية لثورة القرامطة:**

أ- إرباك الخلافة العباسية من جرّاء حرب القرامطة التي استمرت سنوات طويلة، وإظهار الخلافة العباسية بمظهر الضعف وعدم قدرتها على حماية المجتمع.

ب-توقف الحج في العراق أكثر من سنة، بسبب خوف الخلافة العباسية على الحجاج بعد قطع الطرقات.

ت-تحصين البصرة عسكرياً حتى لا تكون لقمة سائغة للقرامطة، وذلك بإنشاء سور للبصرة، لصدّ هجمات القرامطة عنها.

ث-سياسة اللين المتّبعة من قبل الخلافة العباسية تجاه القرامطة الذين طلبوا الأمان من الدولة وكان لهم ذلك.

ج- الصلح مع القرامطة وتقديم المال لهم، مقابل عدم دخولهم بغداد سنة ( ٣٧٣هـ / ٩٨٣م)، عند وفاة عضد الدولة.

ح- كثرة القادة الذين جرى استبدالهم بقادة آخرين من قبل الخلافة العباسية في حربها مع القرامطة.

## ثالثاً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن التعدد المذهبي والطائفي ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق:

إنّ الازدهار الثقافي والتنوع المعرفي الذي شهده المجتمع العراقي في العصر العباسي وما رافقه من تطور وازدهار في البنية التحتية لهذا المجتمع نتج عنه اتجاهات فكرية ومذهبية متعددة قائمة على التفسير والتأويل لقضايا مادية وغيرها لم تكن موجودة في الحقبة الأولى للإسلام، فكانت الاجتهادات وكان التشظّي للمذهب الواحد إلى فرق دينية عديدة، مختلفة فيما بينها إلى حدّ التنافر والتناحر، فوقع القسم الأكبر منها بيد الطامعين بالسلطة والنفوذ والمكاسب فارتداها عباءة ليقود معتنقيها من السكان ويجعلهم أداة من أجل تحقيق مآربه الشخصية، فحدثت الصدامات ما بين الطوائف والمذاهب الدينية بين كل مدّة ومدّة وفي مواقع جغرافية عدّة، دفع ثمنها الكبير عامة الناس، وشكّلت عاملاً خطيراً من عوامل الأزمات الاجتماعية في العراق في العصر العباسي مهددة وحدته الداخلية وتماسكه القومي.

وهذا ما حدث عندما وقعت الفتنة ما بين السنة والشيعة سنة ( ١٧٤هـ / ٧٩٠م)، في مناطق عدّة من العراق والتي نتج عنها العديد من القتلى والمصابين إلى جانب الخسائر المادية بفعل السلب والنهب والفوضى التي رافقت نار الفتنة المشتعلة والتي التهمت الكثير من مصالح الناس وأمنهم[٦١٦]، وإذا كانت نار الفتنة قد هدأت لبعض الوقت إلّا إنها عادت مجدداً سنة ( ٢٠١هـ / ٨١٦م)، عندما أعطى الخليفة المأمون ولاية العهد لعلي الرضا من آل البيت، فرفض سكان العراق مبايعته، وخلعوا المأمون لمبايعته هذه، وقام قسم من السكان بمبايعة إبراهيم بن المهدي سنة ( ٢٠٢هـ / ٨١٧م)، وقد انضمت الكوفة والمدائن وواسط للصف المعارض وبالطبع كان لهذا الانضمام نتائج كارثية أدّت إلى الخراب والدمار والتشرّد والانقسام والتناحر بين السكان بين مؤيد ومعارض، واستمرت حتى سنة ( ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، بعدها عمد المأمون إلى خلع إبراهيم من ولاية العهد[٦١٧].

وعادت رياح الفتنة الطائفية من جديد إلى الكوفة عندما ثار الحسين بن أحمد مطالباً بالخلافة للعلويين سنة ( ٢٥١هـ / ٨٦٥م)، فجرت الصدامات في المدينة بين أنصاره وأنصار العباسيين، وقد أدّت إلى مزيد من القتلى والمصابين، بالإضافة إلى حرق الأسواق والممتلكات وانتشار الفقر والمجاعة والتشرّد مما شكّل أزمة اجتماعية لسكان المدينة[٦١٨].

لم تنته نار الفتنة الطائفية بين السنة والشيعة، فنارها تحت الرماد كلّما هبّت رياح الفتن والمنازعات عادت من جديد، وهذا ما حدث من فتن ما بين أعوام ( ٣٣٨-٣٥١هـ / ٩٤٩-٩٦٠م)، حيث تجددت المواجهات والصدامات ما بين الطرفين في مناطق عدّة من العراق، خلّفت وراءها أزمة اجتماعية من خلال أعداد القتلى والمشرّدين وحالات الفقر والجوع التي انتشرت بين السكان[٦١٩]، وعندما أغلق الشيعة الأسواق في بغداد بمناسبة عيد عاشوراء العاشر من محرم سنة ( ٣٥٣-٣٥٤هـ / ٩٦٤-٩٦٥م)، حدثت الصدامات بينهم وبين السنة، وكثرت أعداد القتلى والشغب في المدينة، وانتشرت الفوضى فيها وشكّل ذلك أزمة اجتماعية دفع ثمنها سكان بغداد، وتقول بعض المصادر التاريخية إنّ نار الفتنة هذه قد أجّجها معز الدولة البويهي حاكم العراق بدعمه للشيعة، ولم يعمل على إخمادها[٦٢٠]، بدليل أنّها تجددت

---

[٦١٦] ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ٩٩.

[٦١٧] المقدسي (د. ت)، ج٦، ص: ١١١. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٤٤١-٤٥٢. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ٢١٤-٢١٧.

[٦١٨] الأصفهاني (د. ت)، ص: ٦٦٥. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ٤٩-٥٠. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٨٠.

[٦١٩] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٧٥-١٠٩-١١٨-١٢٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٦٧-٢٧٦. ابن كثير. (٢٠١٠). **البداية والنهاية**. تح: إبراهيم الزيبق. راجعه: عبد القادر الأرناؤوط، بشار عواد معروف. ط: ٢. دمشق: سوريا. دار ابن كثير. ج١٢. ص: ١٨٠- ١٩٨- ٢٠٢- ٢٠٥- ٢١٣. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٣٦٨.

[٦٢٠] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ١٥٥. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٨٦. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٢١٨-٢٢٠. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٣٨٦-٣٨٩.

ما بين أعوام ( ٣٦١-٣٦٣هـ/ ٩٧١-٩٧٣م) في الكرخ وبغداد، حيث أُحرقت المحال التجارية، ونشط العيارون بأعمال النهب والسلب وإضرام النيران خاصة في الكرخ التي أتت على المحال والدور فيها[٦٢١]، فحدثت المجاعة والتشرّد والفقر الذي شمل الكثير من سكان هذه المناطق، علاوة على الانقسامات الحادة التي أصابت المجتمع العراقي في وحدته وبنيته الداخلية، وهي أمراض اجتماعية قاتلة في حدّ ذاتها.

والسؤال المطروح: لماذا تعامل حكام العراق في هذه المدّة مع النتيجة ولم يتعاملوا مع سببها؟ لماذا لم يعمل حكام العراق في تلك المدّة على معالجة سبب الانقسامات الطائفية ويعملون على تعزيز عناصر الوحدة والتآخي بين الطوائف ويحاربون ويمنعون عناصر التباعد والتناحر فيما بينها؟

إنّ عدم قيام حكام العراق في العصر العباسي باستئصال أسباب المنازعات والخلافات ما بين الطوائف والمذاهب المتناحرة أدّى إلى تجدد الفتن ما بين سنتي ( ٣٨٠-٣٨٢هـ / ٩٩٠-٩٩٢م)، والتي أفضت إلى حرق المحال والمنازل خاصة في بغداد، بالإضافة إلى المزيد من القتلى والخراب والدمار والفقر والمجاعة التي لحقت بالسكان[٦٢٢].

لم تنعم بغداد بوئامٍ دائم بين مكوّناتها الاجتماعية، فقد عادت الفتن بين السنة والشيعة ما بين أعوام ( ٣٩٣-٣٩٨هـ / ١٠٠٢-١٠٠٧م) والتي أفضت إلى مزيد من القتل والخراب والتشرّد، إلى جانب الفوضى والفقر والمجاعة[٦٢٣].

وشهدت مدن بغداد والكوفة وواسط والبصرة والكرخ أحداث قتل ونهب وفوضى بسبب المنازعات الطائفية بين السنة والشيعة ما بين أعوام ( ٤٠٧-٤٣٢هـ / ١٠١٦-١٠٤٠م) أفضت إلى أزمات اجتماعية حادّة دفع ثمنها سكان هذه المناطق[٦٢٤].

وفي نهاية مدّة حكم البويهيين في العراق شهدت بغداد الفتنة ما بين الشيعة والسنة ما بين ( ٤٤٠هـ - ٤٤٥هـ / ١٠٤٨-١٠٥٣م)، نجم عنها المزيد من القتلى والمصابين وحرق الأسواق وزيادة نشاط العيارين[٦٢٥].

---

[٦٢١] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٣٩٠-٣٩٣- ٤٠٥. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٢١٠-٢١٥-٢٢٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٣٠-٣٣٦-٣٤٠. النجار، محمد رجب. (١٩٨١). **الشطار والعيارين حكايات في التراث العربي.** الكويت. عالم المعرفة. ص: ٩٢-٩٣.

[٦٢٢] الروذراوري (٢٠٠٣)، ص: ١١٤. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ٣٤٤-٣٥٦-٣٦٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٤٦-٤٥٩. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٣٢٧.

[٦٢٣] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٥٨-٥٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢٦. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ١٦٧. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٤، ص: ٢١٩.

[٦٢٤] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ١٢٠-١٢٥-٢٠٤-٢١٣-٢٤٠-٢٧٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١١٤- ١١٥- ١٢١- ١٤٣- ٢٠٠. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ٣١٤- ٣٥٦. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ٦٤- ٦٨- ٧٥- ٩٥. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٤، ص: ٢٤٠- ٢٦٠- ٢٧٤.

لم تقتصر الفتن على الشيعة والسنة فقد وقعت ما بين الحنابلة وعامة بغداد سنة ( ٣٠٦هـ / ٩١٨م)، ولم تتوقف حتى تدخل الخليفة المقتدر لفضّ المنازعات، وأدخل قسماً منهم في السجن[٦٢٦]، لكنّ هذه الفتنة عادت وتجددت ما بين أعوام ( ٣١٧-٣٢٣هـ / ٩٢٩-٩٣٤م) راح ضحيتها المزيد من القتلى والمصابين، إلى جانب النهب والسلب الذي أفقر الناس وعرّضهم للمجاعة والتشرّد، ولم تتوقف هذه الفتنة حتى تدخل جند الخلافة لفضّها[٦٢٧].

وفي هذه الأثناء حدثت فتنة في بغداد بين المسلمين والمسيحيين سنة ( ٣٩٢هـ / ١٠٠١م)، حيث قام المسلمون بمهاجمة الكنائس، وحدثت أعمال نهب وسلب وتخريب أدّت إلى تصدّع وحدة المجتمع وإفقاره[٦٢٨].

وها هي نار الفتنة تستعر مجدداً بين المسلمين والمسيحيين سنة ( ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)، حيث قام المسلمون بحرق بعض الكنائس، ومن ثم انتشرت الفوضى وتعطّلت الأسواق ودفع السكان ثمناً باهظاً تمثّل بالفقر والمجاعة والتناحر الاجتماعي[٦٢٩].

وهذا يدلّ على عدم اهتمام حكام العراق في تلك المدّة، وخاصة البويهيين بتوفير الأمن ووحدة السكان، ويدلّ على ذلك ما حدث من فتنة بين المسلمين والمسيحيين سنة ( ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م)، حيث أُحرقت الأديرة والكنائس، وانتشرت الفوضى والحرائق، مما شكّل أزمة اجتماعية للسكان كان من أخطر مظاهرها تصدّع الوحدة الاجتماعية للمجتمع العراقي في تلك المدّة[٦٣٠].

نجم عن هذه الفتن ما بين الفئات الاجتماعية ذات المذاهب والطوائف المختلفة والمتعددة أزمة اجتماعية تمثّلت بالقتل والنهب والخراب والدمار وحرق المحلات والأسواق وزيادة الوفيات، كما حدث الجوع والتشرّد والهجرة لأناس كثيرين، ووقعت الانقسامات بين الفئات الاجتماعية، وقد تركت الأزمة الاجتماعية منعكسات سياسية من أهمها إرسال الخلافة العباسية الكثير من الجيوش والقادة للقضاء على الثورات المناهضة خاصة لهم التي رفعت شعار حق العلويين بالخلافة ومن منعكساتها مبايعة الخليفة

---

[٦٢٥] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٣١٣- ٣١٩-٣٢١- ٣٢٩-٣٣١- ٣٣٥-٣٣٦- ٣٤٠. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢٨٥-٢٩٢-٣٠١-٣١٠-٣١٢-٣٢٥. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ١٠٩-١١٢-١١٧-١١٨-١١٩-١٢٣. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٥، ص: ٤٩-٥٢.

[٦٢٦] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٥٠١.

[٦٢٧] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٥٧- ١١٣.

[٦٢٨] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٣٢. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٣٦٢.

[٦٢٩] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٩٢. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ٢١٣. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ١٣.

[٦٣٠] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٣٠٢. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢٧٢. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ١٠٤. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٥، ص: ٤٢.

المأمون لعلي الرضا من آل البيت بولاية العهد وتراجعه عن ذلك تحت ضغط الناس المعارضين لهذه المبايعة، ومبايعة الناس لإبراهيم بن المهدي بولاية العهد ثم قيام المأمون بخلعه.

إنّ ما تمّ ذكره من فتن اجتماعية والتي انطلقت من منطلق ديني بسبب الاختلافات المذهبية والطائفية أدّت إلى تصدّع الوحدة الوطنية للعراقيين أيام حكم العباسيين وأدّت إلى مزيد من الضحايا والخراب والأزمات الاجتماعية.

## رابعاً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن التعدد العرقي ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق:

انفتح العباسيون على الشعوب الأجنبية التي اعتنقت الدين الإسلامي واعتمدوا عليها فكان منهم الوزراء والأمراء والقادة الذين استوطن بعضهم العراق وازدادت أعدادهم، يضاف إلى ذلك القوميات المختلفة ذات الأصول العرقية المتباينة والتي كانت في العراق أصلاً، وبسبب هذا التنوع العرقي في عصر الضعف لخلفاء بني العباس ظهر التعصب العرقي الذي أدّى في أحيان كثيرة إلى القتال والمواجهة بين هذه القوميات وكان بعض الخلفاء ينحازون لطرف ضد آخر مما يؤجج نار الفتنة بين هذه الفئات المتناحرة فكانت الضحايا والخسائر الاجتماعية الضارة والمؤذية بالمجتمع.

كانت الأزمات الاجتماعية التي ألمّت بسكان العراق في العصر العباسي من فقر وتشرّد وفوضى، شجّعت العيارين على القيام بأعمال السلب والنهب لممتلكات الناس، كالأزمة الاجتماعية التي حلّت بسكان شمال العراق خاصة في منطقة الموصل الناجمة عن المنازعات والصراعات ما بين الأكراد وسكان منطقة شمال العراق من العرب وخصوصاً الموصل سنة ( ٢٢٤هـ / ٨٣٨م)، والتي راح ضحيتها الكثير من القتلى وما رافقها من أعمال التخريب التي أدّت إلى إفقار الناس وإضعافهم وتعميق الانقسام بين الأكراد والعرب، ولم تتوقف هذه المنازعات إلّا بعد تدخل الجيش العباسي سنة ( ٢٢٥هـ / ٨٣٩م)[٦٣١].

والواضح أنّ تعاظم دور العنصر غير العربي على حساب العنصر العربي في العراق في العصر العباسي شجّع الكثيرين من أبناء القوميات الأخرى القاطنة على أرض العراق إلى مهاجمة العرب خاصة في عصر الضعف لخلفاء بني العباس، فقد تجددت المنازعات والصراعات بين الأكراد والعرب في منطقة نينوى[٦٣٢] سنة ( ٢٩٣هـ / ٩٠٥م)، وحدث ما حدث من قتل ونهب وتهجير لحق بسكان المنطقة الذين استنجدوا بالخلافة العباسية، والتي أرسلت جيوشاً لفضّ هذه المنازعات[٦٣٣]، بعد أن

---

[٦٣١] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٥٧.

[٦٣٢] نينوى قرية يونس بن متى عليه السلام، بالموصل؛ وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ٣٣٩.

[٦٣٣] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٤٢٦.

تمخّض عنها المزيد من الأزمات الاجتماعية التي أحاطت بحياة سكان المنطقة، وهذا ما أكدته المنازعات والحروب بينهما سنة ( ٣١٤هـ / ٩٢٦م)، في منطقة الموصل والتي أدّت إلى مزيد من القتل والسلب ونشر الفوضى والفساد، ولم تتوقف الصراعات هذه حتى تدخل ناصر الدولة الحمداني بقواته لفضّ المنازعات، وصدّ الأكراد المهاجمين وإعادتهم إلى مناطقهم[٦٣٤]، والتي أسست لحقد طويل بين الأكراد والعرب شربت لبنه الأجيال اللاحقة من ضرع هذه المنازعات.

ونتيجة انخفاض أو انعدام الوعي السياسي فقد أطلّت الفتنة الكردية العربية برأسها من جديد سنة ( ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، في منطقة الموصل، ولم تكن النتيجة مختلفة عما سبقها من قتل وخراب، ولم تتوقف هذه المنازعات حتى قدمت جيوش الخلافة العباسية من بغداد واضعة حدّاً لهذه المعارك ما بين الطرفين[٦٣٥].

ولم ينج عرب النعمانية من الخراب والدمار وإراقة الدماء بسبب حربهم مع الأكراد المهاجمين لها سنة ( ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م)[٦٣٦].

ولم تكن الصراعات الكردية العربية هي الوحيدة أو الأخيرة، بل قامت المنازعات بين الديلم وعرب بغداد سنة ( ٣٢٩هـ / ٩٤٠م)، تمخّض عنها المزيد من القتلى والمصابين، بالإضافة إلى الخراب والدمار الذي لحق بممتلكات الناس وأرزاقهم[٦٣٧]، وهذا ما أدّى إلى جوع الناس وإفقارهم وتشجيع العيارين الذين قاموا بسلب ونهب أملاك الناس، والتنوع العرقي الذي شكّل فسيفساء المجتمع العراقي، كان له وجهان الإيجابي منه شغل دوراً هاماً في إغناء الحركة الفكرية وازدهارها، والوجه السلبي تمثّل أنه كان عاملاً من عوامل الفوضى التي أدّت إلى إراقة الدماء ونشر الرعب والفساد وساهم في تعميق الأزمات الاجتماعية التي حلّت بالمجتمع العراقي في تلك المدّة، والتي أدّت إلى أزمة اجتماعية عاش ويلاتها الكثيرون من سكان بغداد والتي اكتوت بنيران الحرب التي وقعت ما بين العرب والديلم سنة ( ٤٠٨هـ / ١٠١٧م)[٦٣٨].

والأتراك الذين قويت شوكتهم بعد انحياز بهاء الدولة نحوهم، اصطدموا مع عرب الكرخ سنة ( ٣٩١هـ / ١٠٠٠م)، وحدثت معارك بين الطرفين أسفرت عن مزيد من القتل والتخريب بممتلكات السكان وأدّت إلى مزيد من الأوجاع والمآسي الاجتماعية[٦٣٩].

---

[٦٣٤] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٧.

[٦٣٥] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٤٣. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ٤٢.

[٦٣٦] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٦٦-٣٠٩.

[٦٣٧] سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٧، ص: ١٧٩. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٣١٣.

[٦٣٨] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٢١. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ٣١.

[٦٣٩] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٨.

وجرى نزاع ما بين الديلم والأتراك سنة ( ٣٦٣هـ / ٩٧٣م)، والذي أدّى إلى مزيد من الخراب والدمار وإفقار الناس وإلحاق الضرر بأرزاقهم وأمنهم خاصة بغداد والكرخ والبصرة، والنتيجة تمكّن الديلم من قتل المزيد من الأتراك ونهب أموالهم وثرواتهم[٦٤٠]، ولم تقتصر المنازعات على عنصري الديلم والأتراك بل طالت سكان المنطقة، كما أنّها أسست لجولات لاحقة من الصراعات ما بين الطرفين إحداها استمرت ثلاث سنوات ( ٣٧٦-٣٧٩هـ/٩٨٦-٩٨٩م)، في بغداد وأدّت إلى مزيد من الخسائر البشرية والمادية، بسبب الأحقاد الدفينة بينهما، ولم تتوقف هذه المنازعات حتى أخرج بهاء الدولة البويهي قسماً من الديلم خارج بغداد، مما أدّى إلى رجحان كفّة الأتراك[٦٤١]، إلى جانب القتل والتهجير والسلب والنهب خاصة الذي مارسه العيارون بحق السكان نتيجة للفوضى وانعدام الأمن.

وعادت الفتنة ما بين الديلم والأتراك في بغداد سنة ( ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م)، فلم يبق الخلاف محصوراً بين الطرفين بل شارك فيه الأكراد إلى جانب الديلم مما أجّج نار الفتنة التي أسفرت عن مزيد من القتلى والخسائر البشرية والمادية[٦٤٢].

وتجددت الفتنة ما بين الطرفين في واسط تمخّض عنها المزيد من القتلى والمصابين، كما كثرت حالات النهب والسلب والفساد والفوضى سنة (٤٠٨هـ/١٠١٧م)[٦٤٣]، وكانت محاربة الأتراك للديلم منطلقة من أحقاد قديمة، تجسّدت في النزاع الذي حصل ما بين الطرفين في البصرة سنة ( ٤١٩هـ / ١٠٢٨م)، والذي حصد المزيد من الأرواح البشرية، ودمّر الكثير من البنى التحتية لمجتمع العراق[٦٤٤].

والسؤال المطروح: لماذا لم يعمل الخلفاء وحكّام العراق في العصر العباسي على تعميق الروابط المشتركة ما بين هذه القوميات، فتزداد الوحدة الوطنية تلاحماً وتماسكاً؟ وإذا كان الوطن الواحد من أهم مقومات التلاحم والتضامن الذي يجمع هذه العناصر المختلفة بأصولها القومية، فلماذا لم يسع حكام العراق في تلك المدّة إلى تفعيله في نفوس وعقول ومصالح أبناء هذه القوميات؟ هل أهمية ذلك كانت غائبة عنهم أم أنّ الأولويات في تلك المدّة كانت غير ذلك؟

هذه الفتن الناجمة عن تعدد القوميات في العراق أيام الخلافة العباسية أدّت إلى أزمات اجتماعية خانقة تجلّت بكثرة القتل والنهب والسلب للممتلكات وتعميق الفجوة والانقسام بين الفئات الاجتماعية التي تعود

---

[٦٤٠] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٤٢. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٧، ص: ٤٤٣-٤٤٤. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٢٦٥.

[٦٤١] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٢٧-٤٣٨.

[٦٤٢] سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ١٨٢.

[٦٤٣] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٢١. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ٣١.

[٦٤٤] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٦٦-٣٠٩.

إلى أصول مختلفة رغم أنها تعيش في وطن واحد، يضاف إلى ما سبق انتشار الأمراض والعيارين والمفاسد الاجتماعية مثل الرشوة، والانحلال الأخلاقي وغير ذلك من المظاهر الاجتماعية الفاسدة.

وكان لهذه الأزمة الاجتماعية آثاراً سياسية ومنعكسات لها تمثّلت بإرسال جيوش الخلافة لمؤازرة والي الموصل في سعيه لإيقاف المنازعات بين العرب والأكراد، وقيام بهاء الدولة بإصلاح الخلاف ما بين الديلم والأتراك.

كان لانفتاح الخلافة العباسية على الشعوب المختلفة والاعتماد على بعضهم في إدارة الدولة وقيادة الجيش له الأوجه الإيجابية من حيث التعرف على ثقافة وفكر وحضارة تلك الشعوب، لكن الوجه السلبي لذلك يتمثّل بتسلّط بعض هذه القوميات على الدولة خاصة في أيام ضعفها ووقوع الفتن والحروب ما بين الفئات الاجتماعية المختلفة عرقياً فكانت التنافرات والفتن وأحداث الشغب وما نجم عنها من خراب ودمار وأزمات اجتماعية خانقة.

**خامساً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن سوء إدارة الخلافة وتسلّط الأجانب عليها ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق:**

**أ-سوء الإدارة وردّة فعل السكان وتمرّد الأعراب:**

شملت الإدارة أيام الخلافة العباسية الوزراء والقضاة وقادة الجيش والولاة وأعداد من الموظفين والإداريين، وقد أساء الكثير من الولاة للناس بفعل فرض الضرائب وجبايتها، أو التحيّز لفئة اجتماعية ضد أخرى، بالإضافة إلى انشغالهم بمصالحهم ونزعاتهم الشخصية وإهمالهم لمصالح الناس وعدم اهتمامهم بسلامة الدولة وأمنها مما أدّى إلى الفوضى والفلتان الأمني في كثير من الأحيان، مما شجع على الفتن بين الناس وشجع البدو أيضاً على مهاجمة أماكن تجمع السكان من خلال غزواتهم ومحصّلة ذلك معاناة الناس وفقرهم وتشردهم.

قام الأعراب في بادية البصرة بأعمال الفساد، وقطعوا الطريق الواصل بين اليمامة والبحرين سنة ( ١٦٧هـ / ٧٨٣م)، فأرسل الخليفة المهدي جيشاً لمحاربتهم، فانتصر عليه الأعراب، وقتلوا عدداً كبيراً من الجيش العباسي، ونتيجة لذلك ازداد فسادهم وهجماتهم على أماكن الناس وأرزاقهم[٦٤٥].

ومن سوء الإدارة، ظلم الولاة للسكان، وهذا ما حدث سنة ( ١٨٠هـ / ٧٩٦م) في الموصل، عندما ولّى الخليفة هارون الرشيد والياً على الموصل، فأساء السيرة مع سكانها، وظلمهم، وطالبهم بخراج سنتين قد مضت، الأمر الذي أدّى إلى هجرة ورحيل قسم كبير من السكان[٦٤٦]، فكان الرحيل هو الحل الوحيد

---

[٦٤٥] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٢٥٦. النويري. ( د. ت). **نهاية الأرب في فنون الأدب**. تح: عبد المجيد ترحيني. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج٢٢. ص: ٨٢.

[٦٤٦] الأزدي ( ١٩٦٧)، ص: ٢٨٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٣١١.

للسكان، للتخلّص من الظلم، تاركين ورائهم أرزاقهم وأراضيهم، لعدم قدرتهم على دفع الضرائب التي فرضها الوالي بسبب فقرهم، وهذا ما يزيد من انتشار الفقر، وغلاء بالأسعار، بسبب إهمال الأراضي والمنشآت التجارية.

ولم تخل الموصل من الفوضى وعدم توفّر الأمن، حيث وقعت فتنة بين قبيلتي اليمانية والنزارية سنة ( ١٩٨هـ / ٨١٣م)، تطورت إلى حرب داخلية، أدّت إلى مقتل العديد من القبيلتين، وانتصار اليمانية[٦٤٧]. وازداد فساد بني شيبان وغيرهم من العرب في البلاد سنة ( ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، فأمر الخليفة المأمون والي الموصل بمحاربتهم، فقاد جيشاً والتقى معهم عند الدسكرة فانتصر عليهم ونهب أموالهم[٦٤٨].

ومن مظاهر ضعف إدارة الدولة، تسلّط الكتّاب والعمال والمتنفّذين في الدولة، وهذا ما يساهم في خلق أزمات اجتماعية، مما دفع بالخليفة الواثق سنة ( ٢٢٩هـ / ٨٤٣م)، إلى مصادرة أموال قُدّرت بألفي ألف دينار من عمّاله وكتّاب الدواوين[٦٤٩]، ومن الطبيعي أن ينعكس نهب الكتّاب والعمال للأموال على السكان سلباً، فبدلاً من أن يتم إرسالها إلى الخزينة، وتوزيع الفائض منها على السكان لتحسين وضعهم المعاشي، أصبحت بيد الكتّاب والعمال والمتنفذين بالدولة الذين استغلّوا مناصبهم في جمع الأموال على حساب السكان، فحرموا السكان من الاستفادة منها في تحسين وضعهم المعاشي، الأمر الذي أدّى إلى خلق ضائقة ومعاناة سكانية شملت قسماً كبيراً من الناس.

وثارت العامة في بغداد سنة ( ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، مطالبة بأبي أحمد بن المتوكل خليفة بدلاً من المهتدي وجرت صدامات راح ضحيتها عدد من القتلى حتى انتهت الفتنة[٦٥٠].

وفي العام نفسه ثارت العامة على الصعاليك الذين جلبهم أمير بغداد من الري، بسبب قيامهم بأفعال أغضبت العامة من سلب ونهب وغيرها من الأفعال المحرّمة، فثارت العامة والشاكرية[٦٥١] وفتحوا سجن باب الشام وأخرجوا المساجين، ونشروا الفوضى، ونهبوا دور الصعاليك[٦٥٢].

وفي ظل فقدان الأمن وانتشار الفوضى، تمرّد الأعراب من بني شيبان في الموصل ما بين أعوام ( ٢٧٢-٢٨٦هـ/ ٨٨٥-٨٩٩م)، وهاجموا أعمال الموصل والأنبار ومارسوا الفساد والخراب والنهب

---

[٦٤٧] الأزدي (١٩٦٧)، ص: ٣٣٢. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٤١٤.

[٦٤٨] الأزدي (١٩٦٧)، ص: ٣٦٤. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٤٧٠.

[٦٤٩] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ١٢٥. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٤، ص: ٩١. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ١٤٤. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١١، ص: ١١٤. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ٣١١.

[٦٥٠] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٣٩٢. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٤، ص: ٢١٧. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ٨٥.

[٦٥١] الشاكرية: يعني بالفارسية الخدم، وهم من المرتزقة المرتبطين بالوالي أو القائد، وفي العصر العباسي الأول استخدموا في الخدمات والحراسة، وفي أواخر العصر العباسي الأول تم ربط الشاكرية بالمؤسسة العسكرية العباسية، إذ سجلوا في ديوان واحد مع الجند سمي (ديوان الجند والشاكرية). المناصير، محمد عبد الحفيظ. (٢٠٠٠). **الجيش في العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٣٢هـ**. ط: ١. عمان: الأردن. دار مجدلاوي. ص: ١٢٦.

[٦٥٢] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٣٩٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٢٠٣-٢٠٤. سعد، فهمي. (١٩٩٣). **العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة دراسة في التاريخ الاجتماعي**. ط: ١. بيروت: لبنان. دار المنتخب العربي. ص: ٤٤١.

والسلب، فأرسل الخليفة المعتضد جيشاً لقتالهم واستطاع هزيمتهم، ومع ذلك ظلّوا يمارسون الفساد والنهب، والجيش العباسي يلاحقهم حتى رحلوا مرغمين إلى بلاد الشام[٦٥٣].

ونتيجة لانتشار الفوضى وضعف إدارة الدولة، تمرّد الأعراب ونهبوا مناطق الكوفة وخرّبوها سنة ( ٣١٥هـ / ٩٢٧م)، فأرسل الخليفة المقتدر جيشاً وطردهم[٦٥٤]، ومع ذلك استمرت هجماتهم خصوصاً على المناطق التي تؤدي إلى ديار ربيعة ومضر سنة ( ٣٢٤هـ /٩٣٥م) وقطعوا المواد الغذائية عن كثير من المناطق مما أدّى إلى ارتفاع الأسعار، كما توقفت حركة التجارة بين هذه المناطق[٦٥٥]، وقد أدّت هذه الهجمات إلى ازدياد المجاعة في بغداد والوفيات الناجمة عن ذلك ففي العام المذكور نفسه ماتت الناس في الطرقات، وتذكر بعض المصادر إنّ مادة الخبز فُقدت في بغداد لمدّة خمسة أيام، ويدلّ هذا على ضعف وترهّل أداء الإدارة العباسية وتبذير وسرقة أموال الدولة حتى أصبحت خزينة الدولة خالية من المال[٦٥٦].

وبناءً على الإشاعات الواردة إلى سكان بغداد بحرب متوقعة بين الخليفة العباسي المتقي وبين أمير الأمراء توزون فقد رحل نتيجة الخوف قسم من سكان بغداد سنة ( ٣٣١هـ / ٩٤٢م) إلى الشام ومصر وبسبب الرحيل عمّت الفوضى وانعدم الأمن وكثرت أعداد اللصوص وعمليات النهب والسطو التي أرهقت الناس وأفقرتهم وزادت من معاناتهم[٦٥٧]، كما تكررت اعتداءات بني شيبان على الناس وأملاكهم في عين تمر[٦٥٨]، عندئذٍ أرسل الأمير عضد الدولة جيشاً لقتالهم سنة ( ٣٦٩هـ / ٩٧٩م)، وتمكن من قتل الكثير منهم ونهب ديارهم[٦٥٩].

ولكن لم تكن الفئات الداعمة للسلطة من أتراك وديلم بمنأى عن النزاعات فيما بينها أو مع السلطة الحاكمة، والواضح أنّ موقف الديلم في بغداد سنة ( ٣٧٥هـ / ٩٨٥م) تأرجح ما بين مؤيد لصمصام الدولة أو بهاء الدولة بن عضد الدولة لكنّ هذا الموقف كلّف الطرفين خسائر فادحة، لكنها انتهت بانتصار صمصام الدولة[٦٦٠]، وعلى الرغم من خسارة بهاء الدولة إلّا أنّه تحيّز للأتراك مما شجعهم

---

[٦٥٣] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ٣٢-٣٣- ٧١-٧٣. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ٣٣٢. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٣٩٧. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١١، ص: ٣٠١- ٣٣٤.

[٦٥٤] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٧.

[٦٥٥] ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٢٩٦.

[٦٥٦] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ٣٥٧. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ١٢١-١٢٢.

[٦٥٧] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٢٧. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٧، ص: ٢١٠. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٣٢١-٣٢٤.

[٦٥٨] عين تمر: بلدة بالقرب من الأنبار، غربي الكوفة. الحموي (د.ت)، ج٤، ص: ١٧٦.

[٦٥٩] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٤٤٤. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٢٧١. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٨٦. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٣٠١.

[٦٦٠] الروذراوري (٢٠٠٣)، ص: ٦٦-٦٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٢١.

على السيطرة وفرض إرادتهم على الدولة، كما شجعتهم على الاقتتال مع الديلم سنة ( ٣٧٩هـ / ٩٨٩م)، والواضح أنه ما زال حاقداً على الديلم وهذا ما دفعه إلى تشجيع الأتراك ضدهم، ونتيجة الحروب المتبادلة والسلب والنهب عمّ القتل وانعدم الأمن فاضطر بهاء الدولة إلى إجراء الصلح بينهما، وقوي مركز الأتراك وضعف مركز الديلم[٦٦١].

والسؤال المطروح: ألم يدرك بهاء الدولة إنّ تبنّيه وتحيّزه للأتراك على حساب الديلم وباقي الفئات الاجتماعية الأخرى سيشجع الأتراك على الاعتداءات على الناس وبالتالي سيساهم في نشر الفوضى وزعزعة الأمن؟ وهل كان وراء هذا التحيّز الاستقواء بهم ضدّ باقي الفئات؟ أم سعياً وراء زعزعة الوحدة لمكونات الشعب العراقي من أجل إضعافه وديمومة السيطرة عليه؟

ومن تداعيات سوء الإدارة انتشار العيارين في بغداد وقيامهم بالنهب والسلب والقتل سنة ( ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، وإضرام النيران التي التهمت الكثير من المحال والمنازل[٦٦٢].

لم يكلّ الديلم ولم يملّوا ولم يهدأوا حيث استمروا بأعمال الشغب والسلب والنهب لأملاك الناس حتى دار الوزير لم تسلم من نهبهم في بغداد سنة ( ٣٨٣هـ / ٩٩٣م)، مستغلين ضعف الإدارة وسوء تصرفها، واستطاعوا نشر الرعب والفوضى بين السكان، كما طالبوا بهاء الدولة بدفع المبالغ المالية إليهم[٦٦٣].

وهذا ما دفع العيارين في بغداد في العام التالي إلى القيام بأعمال التخريب والسلب والقتل وإضرام النيران في الأسواق، إضافة إلى جباية الأموال، والنتيجة إفقار الناس وتهجيرهم وزيادة معاناتهم[٦٦٤]، ومردّ ذلك انشغال بهاء الدولة في حروبه مع صمصام الدولة[٦٦٥].

ولمّا تناهى إلى مسامع الشطّار والعيارين خروج بهاء الدولة من بغداد إلى فارس قاموا بأعمال البطش والقتل في بغداد سنة ( ٣٩٢هـ / ١٠٠١م)، مما أدّى إلى رحيل قسم من سكان بغداد إلى مناطق أكثر أمناً منها البطيحة والكوفة، عندئذ أرسل بهاء الدولة، القائد هرمز والملقب بعميد الجيوش[٦٦٦] ولاحق العيارين والشطار، وتمّ القضاء على الفتنة[٦٦٧].

---

[٦٦١] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٣٨. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ٣٧.

[٦٦٢] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٣٤٤. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٤٧. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٣٢٥.

[٦٦٣] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٣٦٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٦١-٤٦٣.

[٦٦٤] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٣٦٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٦٩. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ٧٣. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٣٣٢.

[٦٦٥] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٦٧-٤٧٣.

[٦٦٦] عميد الجيوش أستاذ هرمز أبو علي الحسين بن أبو جعفر، ولد سنة ( ٣٥٠هـ / ٩٦١م)، وكان والده من حجاب عضد الدولة البويهي، ثم قام أبو علي بخدمة صمصام الدولة وبهاء الدولة البويهي، وتولّى العراق، وقدم بغداد سنة ( ٣٩٢هـ / ١٠٠١م)، وتوفي سنة ( ٤٠١هـ / ١٠١٠م). سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ١٩٧.

[٦٦٧] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٣٢-٣٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢١. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ١٣١-١٣٢. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٣٦٢.

ولم تقتصر الفوضى على ما قام به العيارون بل امتدت لتشمل الأعراب الذين ثاروا وقطعوا طرق الحج سنة ( ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م)[٦٦٨].

وبدأ الغليان مجدداً في العراق سنة ( ٣٩٧هـ / ١٠٠٦م)، نتيجة للمجاعة وغلاء الأسعار، فتحرّك الجند لقمعهم، فحدثت الفوضى، وضجّت العامة، وحدث ما حدث من الفوضى وانعدام الأمن، لكنّ هذه الأزمة دفع ثمنها عامة الناس[٦٦٩].

إنّ ضعف الخلافة العباسية وعدم توفير الأمن للحجاج، جعل الأعراب يهاجمون قوافل الحجاج، وهذا ما حدث في العراق ما بين أعوام ( ٣٩٨-٤٠١هـ / ١٠٠٧-١٠١٠م)[٦٧٠].

والسؤال المطروح: إذا كانت هجمات الأعراب على قوافل الحجاج متكررة، لماذا لم ترسل الخلافة العباسية قوة عسكرية لحمايتها؟ وهل المكاسب المادية وراء هجمات البدو على قوافل الحجاج؟ أم من أجل منعها من أداء هذه الفريضة، كما حدث في مواسم كثيرة، أم لكسر هيبة الخلافة العسكرية والسياسية؟ اجابات متعددة بحاجة إلى إعادة نظر من قبل الباحثين في استقراء الروايات التاريخية.

والحقيقة أنّ هجمات الأعراب لم تقتصر أضرارها على قوافل الحج، بل تواءمت مع الأضرار بحركة التجارة بين المناطق العراقية وبين غيرها من المناطق المجاورة.

والجدير ذكره أنه من خلال استقراء الأحداث التاريخية في هذه السنوات تبيّن إثر مغادرة الحاكم لسدّة السلطة أو لمكان إقامته فإنّ القيامة تقوم، وهذا ما حدث سنة ( ٤٠٩هـ / ١٠١٨م)، عندما غادر سلطان الدولة البويهي بغداد إلى الأهواز، فوقعت الفتن بين السنة والشيعة، واستغلّ العيارون في بغداد ذلك ونهبوا أموال السكان، ولم يقفوا عند هذا الحد، بل أضرموا النيران في أرجاء المدينة[٦٧١].

ولا بدّ من التساؤل: هل خروج السلطان من بغداد إلى جهة ما يعني حدوث الفوضى وعدم الاستقرار؟ هل خرج الجند بكاملهم مع السلطان وتركوا المدينة مسرحاً للعيارين والشطار ومثيري الشغب والفوضى؟ لا يوجد مرويات تُثبت أو تنفي هذه التساؤلات، لكن ظهر مجدداً حقيقة على مسرح الأحداث سطوة الأتراك إثر وفاة شرف الدولة البويهي حيث طغت على السطح السياسي في العراق جبهتان الأولى موالية لأخيه جلال الدولة أمير البصرة، والثانية لأبي كاليجار أمير خوزستان سنة ( ٤١٧هـ /١٠٢٦م)، ونتيجة لذلك قام الأتراك بمصادرة أموال الناس ونهبها، وكثر القتل بين العامة والجند، وأُحرقت الأسواق والمنازل والمحال، ووقعت الفتنة بين العرب والأكراد، وخُرّبت بغداد اقتصادياً واجتماعياً ولم تستطع

---

[٦٦٨] سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ١٣٧. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٣٦٦.

[٦٦٩] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٤٧.

[٦٧٠] سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ١٦٦- ١٨٠- ١٩٦. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٣٧٩. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٤، ص: ٢٢٨.

[٦٧١] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٢٢-١٢٣. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ٢٦٧.

إدارتها السياسية توفير الأمن ووضع حدّ للفتن ولنشاط العيارين المتزايد، وفي العام نفسه ولنفس السبب المتمثّل بسوء الإدارة وعدم ضبطها للأمور حدثت أزمة اقتصادية واجتماعية في الأنبار أيضاً بسبب نهب أسواقها وممتلكات السكان فيها من جرّاء مهاجمة الأعراب لها وقيامهم بقطع الطرقات المؤدية إليها مما أدّى إلى مجاعة الناس بسبب قلة المواد الغذائية وارتفاع أسعارها وفقر السكان[٦٧٢].

وهنا ألم يُلفت انتباه الخلفاء ردّة فعل السكان من سوء معاملة الولاة والأمراء وغيرهم من المسؤولين في الإدارة؟ لماذا لم يضع الخلفاء حدّاً لسرقات الموظفين والقائمين على الإدارة المالية؟ أم كلّ ذلك كان ثانوياً وغير مهم مقارنة بحياتهم الخاصة المليئة بالبذخ والترف؟!

تجددت الفتن والاضطرابات في بغداد سنة ( ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م) ونشط العيارون وتوقف الحج هذا العام بسبب فقدان الأمن[٦٧٣]، وازداد فساد العيارين ما بين أعوام ( ٤٢٤-٤٢٦هـ/ ١٠٣٢-١٠٣٤م) وقاموا بسرقة أموال الناس خاصة في بغداد ولم تتمكن الإدارة من وضع حد لهم، كما تعرضت الكثير من مناطق العراق إلى هجمات الأعراب التي أدّت إلى إفقار السكان وتهجير البعض منهم خاصة أطراف بغداد والكوفة[٦٧٤]،

حدث المزيد من القتل والنهب والسلب لأرزاق الناس ما بين ( ٤٤٤-٤٤٦هـ/ ١٠٥٢-١٠٥٤م)، بسبب الصراع الذي جرى ما بين الأكراد والأعراب، حيث عمد الأكراد إلى نهب النعمانية ونشر الفساد، في الوقت الذي هاجم الأعراب العديد من المناطق العراقية، ونتيجة لقطع طرقات الحج من قبلهم لم يستطع سكان العراق أداء فريضة الحج في سنة ( ٤٤٦هـ/١٠٥٤م)[٦٧٥]، واستمرت الفوضى وانتشار اللصوص حتى سنة ( ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م)، التي أدّت إلى إفقار السكان وتفاقم الأزمة الاقتصادية والاجتماعية متمثّلة بقلّة المواد الغذائية وارتفاع الأسعار والمجاعة التي طالت أعداداً كبيرة من السكان وهجرة ورحيل الكثير من السكان إلى مناطق آمنة، وإذا دلّت هذه الأعمال على شيء فهي تدل على ضعف إدارة الخلافة العباسية وعدم قدرتها على توفير الأمن والحماية للناس، ومن الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى الفقر والمجاعة والتهجير للناس وكثرة الوفيات الناجمة عن الأمراض والأوبئة الفاسدة وضعف الخدمات الصحية بالرغم من وجود البيمارستان، ومن المرجح أن تكون هذه الأزمات قد أدّت إلى ضعف التعليم وتحصيله من قبل العامة واقتصاره بكثرة على أبناء الملوك والحكام، وانقسام المجتمع والاقتتال الداخلي

---

[٦٧٢] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ١٧٠-١٧١-١٧٥-١٨٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٥١-١٥٣-١٥٦-١٥٧-١٦١. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ٥٣. النجار (١٩٨١)، ص: ٩٤.

[٦٧٣] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ١٩٧-٢٠٠-٢٠٢. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٨٤. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ٦١.

[٦٧٤] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢٠٨-٢٠٩- ٢١٢- ٢١٥- ٢١٧. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ٦٥-١٢٣- ٧٤- ٧٧. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٤، ص: ٢٨٣.

[٦٧٥] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٣٠٩- ٣١٤- ٣١٦. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ١٢٢.

بين فئاته المتناحرة بتحريض أحياناً من الإدارة السيئة من وزراء وأمراء وولاة وموظفين آخرين، وقد أظهر هذا الخلافة العباسية بمظهر العجز وعدم القدرة على الإجراءات الحاسمة التي تحدّ من مظاهر الفساد والفتن.

إنّ سوء الإدارة وعدم قيامها بواجبها خاصة في عصر الضعف لخلفاء بني العباس، أضعف من قدرة الدولة وحدّ من إمكاناتها وساهم في تأجج نار الفتن والحروب الداخلية التي أدّت إلى أزمات اجتماعية عاشها سكان العراق في تلك المدّة.

**ب-تسلّط الأتراك:**

تسبب الوجود التركي المتنامي والمتعاظم في أدائه وتسلّطه على الخلافة العباسية وإدارتها في خلق أزمات اجتماعية جديدة ألمّت بالمجتمع العراقي وأحيا أزمات اجتماعية قديمة بفعل التحريض والعدوان والاعتداءات على الديلم والعرب وغيرهم من مكوّنات المجتمع العراقي، فكانت المعاناة الاجتماعية الناجمة عن ذلك متمثّلة بكثرة الضحايا من القتلى والمصابين والمهجّرين والفقر والجوع والحرمان بفعل السلب والنهب والفوضى، كما أنّ ممارسة الأتراك بحقّ إدارة الدولة والمجتمع وإشاعة أجواء الفوضى وعدم الاستقرار الأمني شجّع الكثير من عناصر الشغب من شطّار وعيارين وغيرهم على ممارسة القتل والسلب والنهب والإجرام بحق السكان في تلك المدّة، كما أنّ هذه الأزمات الاجتماعية التي تسبب التسلّط التركي في ولادتها ونموّها وتعاظم خطرها شملت بالتأكيد مفاصل ومناحي الحياة الاجتماعية للمجتمع من تعليم وصحة وخدمات اجتماعية وأدّت إلى تراجعها وتقهقر أدائها في خدمة المجتمع.

إنّ اعتماد الخلفاء العباسيين على العناصر الأجنبية في إدارة الدولة أدّى مستقبلاً إلى تغييب دور الخلفاء أنفسهم على مسرح القرار والفعل في الدولة التي شهدت ضعفاً قاتلاً بسبب التسلط الأجنبي عليها ومنهم الأتراك الذين جاء بهم الخليفة المعتصم من أجل توازن القوى الأجنبية في عهده وقد تنامى دور الأتراك حتى أصبح الآمر والناهي في عهد عدد من الخلفاء في الدور الثاني من الخلافة العباسية، وساهم وجودهم بقيام المزيد من الفتن والحروب الداخلية والانفلات الأمني وانتشار اللصوصية وعانى الشعب من جرّاء ذلك فكثر عدد الفقراء والجياع وتفاقمت الأزمة الاجتماعية التي عاشها سكان العراق وكان من بين أسبابها تسلّط الأتراك على الخلافة والدولة، وازداد أعداد العنصر التركي في العراق بسبب اعتماد الخلفاء العباسيين عليهم في إدارة الدولة وإشراكهم في الحكم، وأدّى هذا إلى تسلّطهم وتحكمهم بالخلفاء، واستاء السكان من تصرفات الأتراك وشكوهم إلى الخليفة المعتصم، فأمر ببناء مدينة لهم وهي سامراء ونقلهم إليها[٦٧٦].

---

[٦٧٦] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ١٨. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ٢٨٤.

وعندما تعارض نهج الخليفة المتوكل مع سياسة الأتراك عمدوا إلى قتله سنة ( ٢٤٧هـ / ٨٦١م)، وتولية ابنه المنتصر خليفة، وعلى الرغم من تنفيذ الخليفة المنتصر لإرادة الأتراك إلا أنهم لم يستسيغوا نهجه فتخلصوا منه عن طريق طبيبه الذي أعطاه السم سنة ( ٢٤٨هـ / ٨٦٢م)[٦٧٧]، وعيّنوا المستعين خليفة في العام نفسه، لكن هذا النهج كان مرفوضاً من قبل العامة الذين ثاروا ضد الأتراك وتدخلهم في شؤون الخلافة والدولة، فانتشرت الفوضى وكثرت حالات القتل والسرقة وانتشار اللصوصية وقاتل السكان القائد بغا الكبير وجرت معارك بين جيشه والعامة ذهب ضحيتها أعداد كبيرة من الطرفين[٦٧٨].

ظلّت الثورات والانتفاضات من عامة الناس ضد الأتراك سنة ( ٢٤٩هـ / ٨٦٣م) في بغداد طالما لم ينته تدخل الأتراك في شؤون السلطة والخلافة واستبدادهم بالخليفة المستعين، وقامت العامة بفتح السجون في بغداد وسامراء وأخرجوا المساجين منها فانتشرت الفوضى وأُحرقت الأسواق بعد نهبها وكثر القتل والنهب لدور الناس من العامة[٦٧٩].

ومما يؤكد تسلّط الأتراك على الخلافة ما قام به الخليفة المستعين عندما أوكل الأمور المالية إلى والدته، وأتامش، وشاهك الخادم، الذين أوصلوا الدولة إلى ضائقة اقتصادية وأزمة اجتماعية أضرّت بالمجتمع وأدّت إلى مقتل أتامش سنة ( ٢٤٩هـ / ٨٦٣م)[٦٨٠].

استمرّ تحكم الأتراك بمفاصل الدولة فقاموا بخلع الخليفة المستعين وتعيين المعتز بدلاً منه بسامراء سنة ( ٢٥١هـ / ٨٦٥م)، فوقفت العامة إلى جانب المستعين وقاتلوا الأتراك أشدّ قتال، والواضح من خلال سياق الأحداث أنّ الخليفة المستعين كان مكرهاً في تنفيذ رغبات الأتراك، وإلّا لماذا قبل وقوف العامة إلى جانبه؟ لكنّ النتيجة كانت حصار بغداد من قبل الأتراك، مما أدّى إلى انتشار الفقر والمجاعة وغلاء الأسعار، ثم تخريب معظم منشآتها، وتعيين المعتز خليفة وقتل المستعين من قبل الأتراك[٦٨١].

وعندما أراد الأتراك خلع الخليفة المهتدي لعدم تقيّده بأوامرهم سنة ( ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، وقفت عامة السكان إلى جانب الخليفة، وجرت مواجهات بينهم وبين الأتراك انتهت بمقتل الخليفة في العام

---

[٦٧٧] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٢٤٤-٢٥١. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٤، ص: ١٣٦-١٤٦. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ٣-٤- ١٦.

[٦٧٨] ابن قتيبة (د. ت)، ص: ٣٩٣. اليعقوبي (١٩٩٥)، ج٢، ص: ٤٩٢-٤٩٤. الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٢٥٦-٢٥٧. المقدسي (د. ت)، ج٦، ص: ١٢٢-١٢٣. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٤، ص: ١٤٧. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ٦.

[٦٧٩] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٢٦٢-٢٦٣. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٤، ص: ١٥٠. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ٢٠-٢١. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ٣٩٤.

[٦٨٠] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٢٦٣. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٤، ص: ١٥٠. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ٢١. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٥٤.

[٦٨١] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٢٨٢-٢٨٣. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ٤٣-٤٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٦٥-١٨٢.

نفسه[٦٨٢]، واستمرّ تسلّط الأتراك السافر على مفاصل الخلافة والدولة على الرغم من احتجاجات السكان التي وصلت في أحيان كثيرة إلى المواجهات والقتال وإراقة الدماء وهذا ما حدث سنة ( ٢٩٦هـ / ٩٠٨م)، عندما عارض القضاة والكتّاب وجهات شعبية أخرى خلافة المقتدر بالله المفروضة من الأتراك وقيام هذه الجهات بمبايعة عبد الله بن المعتز[٦٨٣] بدلاً منه، ونتيجة لذلك جرت المواجهات بين السكان والأتراك في بغداد تمخّض عنها المزيد من القتلى والنهب والسلب وانتشار الفوضى، وبالرغم من ذلك استطاع الأتراك تثبيت خلافة المقتدر بالله[٦٨٤].

ومن الواضح والمؤكد أنّ مصلحة الأتراك وغيرهم من العناصر الأجنبية التي جيء بها من خارج العراق للاستقواء بها من قبل بعض الخلفاء العباسيين كانت متمثّلة بالمكاسب المادية والسلطوية التي هي فوق كل اعتبار، وعلى حساب دماء وقوت وأمن السكان، كما أنّ المواجهات العديدة التي حدثت بينهم وبين السكان لم تكن موضع اهتمام من قبلهم وغير آبهين بما تعني وعلى أي منحى تشير.

وفي أثناء حكم البويهيين قام الأمير البويهي معز الدولة سنة ( ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)، بتوزيع القرى على القادة، تعويضاً لهم لمشاركتهم في حربه ضد الحمدانيين، وقام بزيادة عطاءات الجند الأتراك، وحرمان الديلم منها، الأمر الذي أدّى إلى زيادة التنافر بين الديلم والأتراك، أمّا الذين حصلوا على الاقطاعات فقد قاموا بتخريبها وإهمالها، وعدم دفع المبالغ المترتّبة عليهم للدولة، وطرد العمال منها، الأمر الذي أدّى إلى انتشار الفقر بين السكان بسبب نهب أموالهم من قبل قادة الجند المالكين الجدد للأرض وما عليها مما أدّى إلى هجرة الكثيرين من السكان بسبب إفقارهم وجوعهم وانتشار البطالة بين صفوفهم[٦٨٥].

ومما قام به الأتراك من أحداث مؤلمة أدّت إلى تفاقم الأزمات، حربهم مع ناصر الدولة الحمداني سنة ( ٣٣٥هـ / ٩٤٦م)، في تكريت والموصل ونصيبين وما جلبته هذه الحرب من قتل ودمار وخراب لسكان هذه المنطقة، والسبب المعلن لهذه الحرب التقارب ما بين ناصر الدولة الحمداني وبين معز الدولة البويهي، والسبب الحقيقي لها هو سعي الأتراك للسيطرة والنهب وتحقيق المكاسب المادية[٦٨٦]، واعتمد

---

[٦٨٢] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٤٤٣. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٤، ص: ٢٤٤-٢٤٩. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ١٠٠-١٠٢. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٣١.

[٦٨٣] عبد الله أبو العباس بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، ولد سنة (٢٤٧هـ/٨٦١م)، وقيل سنة (٢٤٦هـ/٨٦٠م)، كان أديباً وشاعراً، وفي سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) أجمع بعض القادة على خلع الخليفة المقتدر، وتعيين عبد الله خليفة، ولقّب المرتضي بالله، وقيل المنصف بالله، وقيل الغالب بالله، فجلس خليفة يوماً وليلة، إذ استطاع أتباع الخليفة المقتدر المخلوع من إعادته، فألقى الخليفة المقتدر القبض على ابن المعتز، وسلّمه إلى مؤنس الخادم الذي قتله في نفس العام المذكور. ابن خلكان (د. ت)، ج٣، ص: ٧٦-٨٠.

[٦٨٤] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ١٤٠-١٤١. عريب (١٨٩٧)، ص: ٣١-٣٢. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٤-٦. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ٧٩-٨١. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٤٤١-٤٤٢.

[٦٨٥] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٢٨٢-٢٨٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢١٠-٢١١.

[٦٨٦] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢١٨.

الأتراك الحروب وسيلة لجلب المال وفرض نفوذهم وسيطرتهم على الآخرين، وهذا ما سعى إليه الأتراك في العراق، وكذلك ما حدث بينهم وبين الديلم سنة ( ٣٤٥هـ / ٩٥٦م) من قتال وضحايا وخراب دفع معظم ثمنه السكان، كما قام الأتراك بنهب أموال الديلم الذين ثاروا في بغداد مطالبين بإعادتها[٦٨٧].

وعاد سكان العراق إلى الانقسام مجدداً سنة ( ٣٦٣هـ / ٩٧٣م)، إثر وفاة القائد التركي سبكتكين[٦٨٨]، وتولّي مكانه القائد التركي الفتكين، عندها وقف بختيار ضده فاندلعت الحرب بينهما ودامت خمسين يوماً في واسط وبغداد، وأدّت إلى مزيد من الضحايا البشرية والمادية، مما جعل بختيار يطلب النجدة من عضد الدولة سنة ( ٣٦٤هـ / ٩٧٤م)، الذي قدم وحاصر بغداد من الجانب الشرقي، بينما حاصرها بختيار من الجانب الغربي، وعزّزوا حصارهم بقطع المؤن عنه، فوقع الفتكين في بغداد بين فكي كماشة، لكنّ الضرر الأكبر كان على سكان المدينة الذين دبّت فيهم المجاعة لقلّة المواد وارتفاع أسعارها، ورافقها نشاط العيارين الذين أضرموا النيران في أسواقها، ونتيجة للحصار الخانق فقد فرّ الأتراك من المدينة قاصدين تكريت، بعد مقتل أعداد منهم[٦٨٩]، لكنّ الأتراك الذين امتهنوا القتال والسلب والنهب للحصول على المكاسب المادية والسلطوية، ثاروا مجدداً في بغداد سنة ( ٤١٩هـ / ١٠٢٨م)، على جلال الدولة البويهي، وقاموا بأعمال الشغب والنهب ومحاصرة داره ونهبها، مما أدّى إلى إشاعة الفوضى في المدينة وقيام العيارين بأعمال النهب والسلب ملحقين المزيد من الأذى والضرر بالسكان، ولم تهدأ هذه الفتنة حتى باع جلال الدولة أملاكه وأعطاها للثائرين من الأتراك[٦٩٠].

وإذا خمدت الفتنة مؤقتاً بين الأتراك وجلال الدولة فقد اندلعت ما بين الأتراك والهاشميين بباب البصرة في بغداد سنة ( ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)، وانتشر العيارون واللصوص في بغداد، وقاموا بأعمال النهب والسلب[٦٩١].

وتجددت الفتنة بين الأتراك وجلال الدولة البويهي في بغداد ما بين أعوام ( ٤٢٣-٤٣١هـ/ ١٠٣١-١٠٣٩م)، حيث حاصر الأتراك جلال الدولة وأجبروه على الرحيل إلى عكبرا، ونهبوا داره، وظلّ الأتراك يقومون بأعمال الشغب وإثارة الفتن والضغط عليه حتى رحل إلى تكريت، لكنّ أجواء التسوية ما لبثت أن ظهرت على السطح إثر قيام الخليفة القائم بالله بإجراء مصالحة بينهم وبين جلال الدولة الذي عاد إلى بغداد بعد الصلح، وخلال هذه الفتن نشط العيارون وكثرت حالات النهب والسلب التي أدّت إلى إفقار

---

[٦٨٧] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٥٥.

[٦٨٨] سبكتكين أحد القواد الأتراك، وحاجب معز الدولة البويهي، توفي سنة ( ٣٦٣هـ / ٩٧٣م). مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٤٠٩.

[٦٨٩] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٤٧-٣٥٠. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٤، ص: ١١١.

[٦٩٠] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٦٥. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ٣٣٨.

[٦٩١] ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ٦٥.

الناس وزيادة معاناتهم وبؤسهم في العراق وشارك الجند في عمليات السلب والنهب فارتفعت الأسعار وعمّ الغلاء في العديد من المناطق العراقية[٦٩٢].

وبغياب قوة السلطة العباسية عمد الأتراك إلى نهب المؤن الداخلة لبغداد، إضافة إلى فساد الأعراب والأكراد، الذين نهبوا البلاد، فخُرّبت بغداد، وانتشر الفقر والمجاعة والقتل بين الناس، سنة (٤٤٦هـ/١٠٥٤م)[٦٩٣].

إن تسلط الأتراك على الخلافة العباسية وسلطتها في بغداد قد حيّد الخلافة العباسية عن مسرح الأحداث في العراق وصادر قرارها إن لم نقل أنهاها، مما أدّى إلى أزمات ألمّت بالسكان كان من مظاهرها كثرة القتل بين السكان وزيادة الوفيات بينهم، كما كثرت حالات السلب والنهب وانتشار اللصوص وسرقة المحال التجارية وتخريب الأراضي ومحاصيلها الزراعية، علاوة على الانقسامات الداخلية التي شهدها المجتمع العراقي من جرّاء الفتن والحروب الداخلية.

**ج- تسلّط النساء وفساد الوزراء:**

تحكّمت أمهات ونساء الخلفاء في عصر الضعف لخلفاء بني العباس بقرارات الخلافة خاصة المتعلقة بتسمية الوزراء والقضاة والولاة وكبار رجالات الدولة حيث أخذن يتدخلن بتعيين الوزراء أو غيرهم وذلك حسب الأموال التي يقمن بقبضها من هؤلاء الأشخاص، كما أن فساد الوزراء وتلاعبهم بقضايا الدولة خاصة المالية منها أدّى إلى تعميق ضعف الدولة وعجزها حتى أصبح منصب الخلافة شكلاً بدون مضمون وانعكس ذلك على المجتمع بكامله فتضاعفت أزماته وتعمّقت أمراضه الاجتماعية ومآسيه.

ونتيجة سوء الإدارة وضعف الخلافة، تسلّطت النساء وكدّست ثرواتها وهذا ما أشارت إليه المصادر التي ذكرت أنه وُجِد وراء قبيحة أم الخليفة المعتز أموالاً وجواهر سنة ( ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، فأموالها ببغداد تقدّر بخمسمائة ألف دينار، وخزائن تحت الأرض فيها أموالاً كثيرة، ومن جملتها دار تحت الأرض وجدوا فيها مليون وثلاثمائة ألف دينار، وقُدّرت الجواهر التي أُخذت منها بألفي ألف دينار، ووجدوا زمرد ولآلئ وياقوت أحمر، غير أموالها في سامراء[٦٩٤].

وهنا لا بدّ من السؤال: كيف تمكنت نساء البلاط من جمع هذه المبالغ الكبيرة من الأموال؟ هل كانت هناك مخصصات مشروعة من الدولة تحت اسم رواتب، أو مكافآت، أو مهام أو غيرها تُعطى لهنّ؟ أم

---

[٦٩٢] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢٠٣- ٢١٩- ٢٣٥. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ٧٩- ٩٣. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٥، ص: ٣٤.

[٦٩٣] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٣١٥.

[٦٩٤] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٣٩٣-٣٩٥. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٤، ص: ٢١٨-٢١٩. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٢، ص: ٨٠. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٢٠٢-٢٠٣. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٢٩.

أنّ الرشاوى والفساد والتلاعب بقرارات الخلفاء هي المصدر الرئيسي لهذه التخمة المالية عند نساء القصر التي تمّت على حساب قوت ودموع وآلام السكان؟

وظهر جليّاً على السطح أنّ الرشاوى أحد العوامل لتجميع الثروة، فقيل أنّ عهد الخليفة المقتدر، تميّز بالانتشار الكبير للرشاوى والفساد، ويعود السبب إلى فساد الوزراء، فقد خلع الخليفة المقتدر الوزير علي ابن الفرات[٦٩٥] بتهمة تآمره مع الأعراب على مهاجمة بغداد سنة ( ٢٩٩هـ / ٩١١م)، وعيّن مكانه محمد ابن عبيد الله بن خاقان[٦٩٦] في الوزارة، الذي استخدم الرشوة لجمع الأموال، حتى قيل أنه عيّن تسعة عشر والياً للكوفة في يوم واحد، وقبض من كل شخص رشوة، وعمل على بيع الولايات، ونهج أولاده منهجه في الفساد، حيث استغلّوا منصبه واعتمدوا الرشوة في التعيين، وهذا ما سبّب خللاً في أحوال الدولة، فعمد الخليفة إلى عزله سنة ( ٣٠٠هـ / ٩١٢م)[٦٩٧].

من جانب آخر ظهر انخراط النساء في إرساء قواعد انحلال السلطة وفسادها عندما كانوا يتلقّون الرشاوى، وهذا ما ظهر واضحاً وجلياً سنة ( ٣٠٤هـ / ٩١٦م) عندما طلبت أم موسى القهرمانة من الخليفة المقتدر تعيين علي بن الفرات وزيراً، فاستجاب لطلبها، مقابل تقديم ابن الفرات رشوة عبارة عن ضياع بنواحي كسكر ومستغلّات بالبصرة[٦٩٨]، وهذا دليل قاطع وثابت على استشراء الفساد.

وإذا كانت نساء البلاط في عصر الضعف للخلفاء العباسيين يقمن بتعيين الوزراء والولاة والإداريين، ماذا بقي للخليفة من صلاحيات ومهام؟ سيما أنّ الأتراك قد أخذوا دور الخليفة بالتخطيط والتنفيذ بحق الناس كما يرغبون، أمّا النسوة تأخذن مهام التعيين والعزل للوزراء وكبار الموظفين، فلم يبق للخليفة في هذه المدّة إلا دور المتفرّج على مسرح الأحداث في العراق؟!

ولم يقتصر فساد النساء على الرشوة فقط، بل طال منصب القضاء وديوان المظالم، الأمر الذي أدّى إلى نقمة العامة، واستهزائهم بالخلافة، حيث تولّت ثمل[٦٩٩] قهرمانة السيدة شغب[٧٠٠] سنة ( ٣٠٦هـ /

---

[٦٩٥] علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، أبو الحسن الوزير، تولّى الوزارة ثلاث مرّات، الأولى سنة ( ٢٩٦هـ / ٩٠٨م)، ثم سنة ( ٣٠٤هـ / ٩١٦م)، والثالثة سنة (٣١١هـ/ / ٩٢٣م )، وتوفي سنة ( ٣١٢هـ / ٩٢٤م). الذهبي (٢٠٠٣)، ج٧، ص: ٢٥٣.

[٦٩٦] محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، الوزير ابن الوزير، تولّى الوزارة سنة ( ٢٩٩هـ / ٩١١م)، وتوفي سنة ( ٣١٢هـ / ٩٢٤م). الذهبي (٢٠٠٣)، ج٧، ص: ٢٥٦.

[٦٩٧] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٤٧٠-٤٧٣. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ١٩٧. ضيف (١٩٧٣)، ص: ٢٣.

[٦٩٨] الصابي. (د. ت). **الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء**. تح: عبد الستار أحمد فراج. مكتبة الأعيان. ص: ٣٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٤٧٠-٤٩١.

[٦٩٩] ثمل من ربّات النفوذ والسلطان في الخلافة العباسية، في عهد الخليفة المقتدر بالله، توفيت سنة ( ٣١٧هـ / ٩٢٩م). الذهبي (٢٠٠٣)، ج٧، ص: ٢٢٠. كحالة (د. ت)، ج١، ص: ١٨٥.

[٧٠٠] السيدة شغب والدة الخليفة العباسي المقتدر بالله، توفيت سنة ( ٣٢١هـ / ٩٣٣م). الذهبي (٢٠٠٣)، ج٧، ص: ٤٠٥. كحالة (د. ت)، ج٥، ص: ٦٧-٧٠.

٩١٨م) مجلس النظر في المظالم، وحولها الوزراء، والكتّاب، والقضاة، والعلماء، ولا تُنفّذ القرارات إلا بعد توقيعها، فأصبحت النساء الآمر الناهي في الخلافة العباسية وشؤونها الإدارية[٧٠١].

ودفع حامد بن العباس[٧٠٢] رشاوى وأموالاً لوالدة الخليفة المقتدر شغب، ولنصر الحاجب سنة ( ٣٠٦هـ / ٩١٨م)، مقابل تعيينه وزيراً، فوافق الخليفة المقتدر على ذلك، وعزل ابن الفرات من الوزارة[٧٠٣].

وقام الوزير حامد بن العباس، باحتكار المواد الغذائية، والغلّات الزراعية من حنطة وشعير، وتخزينها في المخازن سنة ( ٣٠٧هـ / ٩١٩م)، فنتج عن هذا الفساد والاحتكار، ضجيج العامة وقيامهم بثورة، لارتفاع الأسعار، وقاموا بنهب المحلات، وعمّت الفوضى، فأرسل المقتدر جيشاً واشتبك مع العامة في حرب دامت أياماً، ذهب ضحيتها المزيد من القتلى والخسائر المادية، ولم يتمكن الخليفة من إخماد الفتنة حتى أمر والدته، ووزيره بفتح المخازن وطرحها في الأسواق، لإرضاء الجياع والفقراء من السكان من أجل إخماد ثورتهم[٧٠٤].

وعندما ثبت قطعياً للخليفة المقتدر فساد أم موسى القهرمانة، عندئذ قبض عليها سنة ( ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، وأخذ منها أموالاً عظيمة، تُقدّر بمليون دينار، وجواهر نفيسة[٧٠٥]، علماً أنّ الدخل السنوي لأملاك والدته شغب قُدّر بمليون دينار[٧٠٦].

إنّ تسلّط النساء على حكم العراق وفساد الوزراء والإدارة وانتشار الرشوة أدّى إلى خلو خزائن الدولة من المال، بالإضافة إلى انتشار الفوضى وضياع حقوق الناس، وما قام به العامة من ثورات ضد هذا الواقع الفاسد يدلّ على حجم الأزمة الاجتماعية التي عاشتها الطبقة الفقيرة ومعاناتها من الظلم والقهر والجوع الناجم عن قلّة المواد واحتكارها من قبل المسؤولين عن تأمينها والغلاء الذي حال بين الإنسان ولقمة عيشه، وهي مظاهر للأزمة الاجتماعية التي رزح سكان العراق بفعل ثقلها وتأثيرها السلبي على حياة السكان والدولة بشكل عام، وقد تركت هذه الأزمة منعكسات سياسية كان أبرزها تحكم نساء الخليفة في عصر الضعف بقرارات الخليفة، وشراء منصب الوزير بالمال، وتحكّم شغب أم الخليفة المقتدر بالله

---

[٧٠١] عريب (١٨٩٧)، ص: ٦٧. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ١٨٠. الذهبي (٢٠٠٣)، ج٧، ص: ١٤-٢٦. السيوطي (٢٠١٣)، ص: ٥٨٩. حسن (١٩٩٦)، ج٣، ص: ٤٥٦.

[٧٠٢] حامد بن العباس الوزير، ولد سنة ( ٢٢٣هـ / ٨٣٧م)، ولّي نظر فارس، ثم واسط والبصرة، توفي في واسط سنة ( ٣١١هـ / ٩٢٣م). الذهبي (٢٠٠٣)، ج٧، ص: ٢٣٥-٢٣٩.

[٧٠٣] عريب (١٨٩٧)، ص: ٦٨. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٤٩٩.

[٧٠٤] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٤٢. الهمذاني (١٩٥٨)، ص: ٢١٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٥٠٣. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٢٢٢.

[٧٠٥] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ٢٠٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ١٠. الذهبي (٢٠٠٣)، ج٧، ص: ٢٦. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٥٥.

[٧٠٦] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ٣٢١. الذهبي (٢٠٠٣)، ج٧، ص: ٤٠٥. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ١٠٨.

بأمور مفصلية متعلّقة بإدارة الدولة مقابل الأموال التي تتقاضاها من الطامعين في هذه المناصب، وطلب الخليفة المقتدر من والدته شغب ومن وزيره فتح مخازن المواد التموينية وعرضها في الأسواق بأسعار مخفّضة لامتصاص نقمة العامة التي ثارت بوجه المحتكرين.

وردّاً على ضجيج العامة من تصرّفات الوزير حامد بن العباس، وتلاعبه بالأموال وتأخير أرزاق الخدم والحاشية، وتخفيض أرزاق العمال، فقام الخليفة المقتدر بالله بعزله سنة ( ٣١١هـ / ٩٢٣م)[٧٠٧]، علماً أنّ الوزير حامد كان ينفق على مائدته في كل يوم مبلغاً قدره مائتي دينار، وقد وجدوا في داره في حفرة المرحاض مبلغاً قدره أربعمائة ألف دينار[٧٠٨].

وقد طالت الاحتجاجات الخليفة المقتدر نفسه عندما أرسل إليه القائد التركي مؤنس الخادم كتاباً سنة ( ٣١٧هـ / ٩٢٩م)، يذكر فيه استنكار الجيش لإسرافه للأموال والضياع المقدّمة منه إلى الخدم والحرم، والسماح لهم في التحكم بالخلافة والإدارة، يضاف إلى ما سبق أنّ منصب الوزارة أضحى يُنال بالرشوة، بصرف النظر إذا كان الشخص مؤهّلاً أو غير مؤهل لهذا المنصب، بمقدار ما يدفع لأم المقتدر، وتأكيد على أفعالها فقد عُثر في قبرها بعد وفاتها على مبلغ قدره ستمائة ألف دينار[٧٠٩]، باعتبارها كانت الآمرة الناهية في شؤون البلاد[٧١٠]، مما يعني أنها كدست الثروة وحرمت منها بقية أفراد المجتمع، لكن الأمر لم يطل فقد نفذ صبر الأتراك عندئذٍ قتلوه سنة ( ٣٢٠هـ / ٩٣٢م)، وولّوا بدلاً منه القاهر بالله الذي تخلص مباشرة من مؤنس الخادم، وكان ردة فعل الأتراك سريعة حيث عمدوا إلى قتل القاهر بالله[٧١١].

ولم يكن استبداد الوزراء أقلّ شأناً من غيرهم، فها هو بختيار يعزل الوزير أبو الفضل العباس بن الحسين[٧١٢] سنة ( ٣٦٢هـ / ٩٧٢م)، بسبب سوء إدارته وحرقه للكرخ في بغداد، وقتله للعديد من السكان، بالإضافة إلى نهبه لأموال كثيرة، وظلمه للرعية[٧١٣].

---

[٧٠٧] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٤٣-٤٨. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ٢١٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ١٢.

[٧٠٨] التنوخي (١٩٧١)، ج١، ص: ٢٤، ج٤، ص: ١٦٣. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ٢٢٨-٢٣٣.

[٧٠٩] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٩-٧٤-٧٥-٨٠-٩٦-٩٨. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٨١. أيوب (١٩٨٩)، ص: ١٢٢.

[٧١٠] ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٢٧٢.

[٧١١] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٩-٧٤-٧٥-٨٠-٩٦-٩٨. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٩٦-٩٨- ١٠٣-١٠٤- ١١١. أيوب (١٩٨٩)، ص: ١٢٢.

[٧١٢] العباس بن الحسين الشيرازي أبو الفضل، ولد بشيراز سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م)، وكان كاتباً لمعز الدولة البويهي، ثم ولّي الوزارة في عهد بختيار سنة (٣٥٧هـ/٩٦٧م) وبقي فيها ثلاثة أشهر، فعزل عنها، وأعيد إليها سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م) وبقي فيها حتى سنة (٣٦٢هـ/٩٧٢م) إذ عزل عنها، وأُرسل إلى الكوفة وتوفي فيها بنفس العام المذكور. الذهبي (١٩٨٤)، ج١٦، ص: ٢٢٢-٢٢٣.

[٧١٣] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٢١٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٣٧. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٢٦١.

وفي سنة ( ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م)، كثر استبداد القواد بالدولة، وامتلاكهم للأموال، وذلك عندما قال أصاغر الغلمان، لجلال الدولة البويهي، ((قد هلكنا فقراً وجوعاً واستبد القواد بالدولة، وهذا بارسطغان[٧١٤] قد أفقرنا وأفقرك أيضاً))[٧١٥].

وإذا كانت مناصب الدولة وقضاياها العامة تُباع وتشرى من قبل نساء الخليفة وحجّابه وخدمه فإن ما يصدر عن هذه المهام سيخضع حتماً للابتزاز المالي، فالوزير الذي اشترى مركزه بالمال فقد أخذ إذناً له بالرشوة والفساد من أجل استعادة ماله، والسؤال هل اقتصر دور الخليفة على المتفرّج على ما يحدث؟ أو على توقيع قرار تعيينٍ أو عزلٍ لوزيرٍ أو والٍ كانت النساء قد اتخذن هذا القرار دون رأي الخليفة؟ هل مصلحة العامة والدولة قد غابت أو ماتت عند خلفاء بني العباس في عصر الضعف؟ إنّ الإجابة على ذلك تُكمن في مضامين الأزمات الاجتماعية التي عاشها سكان العراق في تلك المدّة.

إذا كانت الأزمات الاجتماعية التي اكتوى سكان العراق من لهيب نارها في العصر العباسي ما بين (١٣٢-٤٤٧هـ/٧٥٠-١٠٥٥م) قد تمّت بفعل عوامل عدّة من حروب نشبت هنا وهناك على أرض العراق، وبفعل أسباب وعناصر عدّة وفي أوقات مختلفة، فإنّ الضعف الذي عاشته الخلافة العباسية وما نجم عنه من تهميش لدورها أو تغييب لهذا الدور في كثير من الأحيان، يأتي على رأس الأسباب التي أوصلت سكان العراق في تلك المدّة إلى حالات الفقر والجوع والحرمان وقبل هذا وذاك إلى القتل والتهجير للكثيرين من سكانه، ولا أُقلّل بذلك من دور الفتن والحروب التي نشبت ما بين الخلفاء والأمراء والقادة بسبب أطماعهم الشخصية، كما أنّ التسلط الأجنبي على الخلافة العباسية وعلى مفاصل الدولة من أتراك وبويهيين وغيرهم ما كان له أن يحدث لو أنّ الخلافة العباسية بعافيتها وتمسك بزمام الأمور، وإنّ معاناة الناس والأزمات الاجتماعية التي أحلّت بهم من جرّاء سوء الإدارة وتسلط النساء عليها ما كان لها بدورها أن تحدث لو كانت مجريات الأمور الحياتية بكاملها بيد الخلفاء في المدّة المشار إليها.

ويلاحظ على ما جاء في الفصل الثالث ما يلي:

١- إنّ تسلط الولاة العباسيين وممارساتهم التعسفية بحق السكان كانت وراء اندلاع بعض الثورات ومنها ثورة الموصل.

٢- الأطماع الشخصية لبعض قادة الثورات المناهضة للخلافة العباسية كانت وراء تحريك الثائرين، كقادة حركة الزنج الذين استغلوا معاناة الزنوج ووعدوهم بتحقيق أحلامهم.

---

[٧١٤] لا يوجد له ترجمة.

[٧١٥] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٢٥٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢٠١-٢٢٣. منيمنة (١٩٨٧)، ص: ١٥٥.

٣- الاختلافات في الرؤى المذهبية والتشريعية من أجل تحقيق العدالة شكّلت العنوان الرئيسي لحركة القرامطة، لكنّ الممارسات كانت متناقضةً مع هذه العناوين، وهذا ما أكّده الدمار والخراب والقتل والتهجير والنهب والسلب الذي نجم عن هذه الثورة.

٤- شكّل التعدد المذهبي والطائفي والعرقي أطياف المجتمع العراقي في تلك الحقبة من تاريخ الخلافة العباسية مستفيداً من التطور الثقافي والمعرفي للمجتمع في تلك المدّة، لكنه شكّل عبئاً ثقيلاً على المجتمع عندما تمّ استغلاله من قبل مثيري الفتن الطائفية والعرقية بين شرائح المجتمع العراقي.

٥- إنّ ضعف الخلافة العباسية في دورها الثاني أدّى إلى انتشار الفساد وتحكّم النساء في قرارات الإدارة فكانت عاملاً من عوامل تدهور الاقتصاد، وسبباً من أسباب الأزمات الاجتماعية في العراق.

٦- لم يستطع الأجانب التدخل في قرارات الخلافة العباسية في دورها الأول، لكنه استطاع ذلك في دورها الثاني في دور ضعفها، وكان عاملاً من عوامل نشوء الأزمات الاجتماعية في تلك الحقبة من تاريخ العراق.

# الفصل الرابع: الأزمات الاجتماعية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في بلاد الشام من ( ١٣٢-٤٤٧هـ / ٧٥٠-١٠٥٥م):

**أولاً: الأزمة الاجتماعية الناجمة عن أعمال منظمة الأحداث ومنعكساتها على الأوضاع السياسية.**

**ثانياً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن هجمات العرب على المدن والقرى في بلاد الشام ومنعكساتها على الأوضاع السياسية.**

**ثالثاً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن هجمات القرامطة ومنعكساتها على الأوضاع السياسية.**

**رابعاً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن هجمات البيزنطيين ومنعكساتها على الأوضاع السياسية.**

**أولاً: الأزمة الاجتماعية الناجمة عن أعمال منظمة الأحداث ومنعكساتها على الأوضاع السياسية.**

شكّلت الهجمات البيزنطية المباغتة والمتكررة على منطقة الثغور العربية الإسلامية خطراً وجودياً يهدد حياة العرب والمسلمين في تلك المناطق، وتفاقم ذلك في عصر ضعف الخلافة العباسية، وتراجعها العسكري عن حماية هذه الثغور، تاركةً سكانها يواجهون مصيرهم بأنفسهم أحياناً عديدة خاصة في منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) المليء بالحروب والفتن الداخلية التي ظهرت هنا وهناك خاصة في بلاد الشام على حساب وسلامة وأمن الثغور الشامية، فكان لا بدّ من مشاركة سكان الثغور بما فيهم الأحداث الجيوش العربية في الأعمال القتالية لصدّ المهاجمين لهذه الثغور، وإذا أصبحت مهمة الدفاع عن الثغور ملقاة في الدرجة الأولى على السكان المقيمين فيها بعد ترهّل أداء الجيوش العباسية في عصر الضعف، فكان من الطبيعي أن تشارك جميع الفئات العمرية في الدفاع عن ديارهم وأرزاقهم، ومن هذه الفئات فئة الشباب ممن يُطلق عليهم مصطلح الأحداث، والذين يتمتعون بسرعة الحركة، والمناورة في الحرب، لهذا شكّلوا أداةً وحربةً بوجه البيزنطيين، بعد أن تمّ تدريبهم وإعدادهم لهذه المهام، وكانوا جزءاً من المقاومة الشعبية التي تصدّت للاعتداءات البيزنطية، وأُطلق على المحاربين الصغار منظمة الأحداث التي انتشرت في جميع المدن الشامية وشكلت أول الأمر قوةً رديفةً للجيوش النظامية وأصبحت في أحيان كثيرة القوة الرئيسة في المدن حيث اعتمد عليها الحكام من أجل تحقيق أهدافهم[٧١٦]، وتجاوزت منظمة الأحداث الأهداف التي أُنشئت من أجلها في بعض الأحيان، فمارست النهب والسلب والقتل والتدخل في شؤون الناس فنجم عن أعمالها المزيد من الخراب والدمار والتي ساهمت في إيجاد الأزمات الاجتماعية الضارة والمؤذية للناس.

أرسل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله[٧١٧] جيشاً بقيادة جعفر بن فلاح[٧١٨] لضمّ دمشق إلى أملاكه سنة ( ٣٥٩هـ / ٩٦٩م)، والتي كانت خاضعة لحكم الإخشيديين بزعامة إقبال[٧١٩]، وتزعّم معارضة القادمين

---

[٧١٦] زكار، سهيل. (١٩٩٥). **الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية المشرق**. دمشق: سوريا. دار الفكر. ج١. ص: ٧٩.

[٧١٧] المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور اسماعيل بن القائم بن المهدي عبيد الله، ولد في المهدية سنة ( ٣١٩هـ / ٩٣١م)، وتولّى الخلافة سنة ( ٣٤١هـ / ٩٥٢م)، وتوفي في القاهرة سنة ( ٣٦٥هـ / ٩٧٥م). ابن أبي السرور( د. ت)، ص: ١٤٩-١٥٠. ابن خلكان (د. ت)، ج٥، ص: ٢٢٤-٢٢٨.

[٧١٨] جعفر بن فلاح أبو علي الكتامي، أحد قواد الخليفة الفاطمي المعز، وهو أول أمير للفاطميين على دمشق، قُتل سنة ( ٣٦٠هـ / ٩٧٠م) في حربه مع القرامطة. ابن خلكان (د. ت)، ج١، ص: ٣٦١. الذهبي (٢٠٠٣)، ج٨، ص: ١٤٢. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١١، ص: ٩٥. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٢، ص: ١٢٦.

[٧١٩] إقبال مولى شمول بن عبد الله، أبو الحسن الكافوري، مولى كافور الإخشيدي، ولّى إقبال دمشق سنة ( ٣٥٨هـ / ٩٦٨م) عندما توجّه لقتال القائد الفاطمي جعفر بن فلاح. الصفدي (١٩٩١)، ج١، ص: ٣٦٩.

رجل يدعى أبو القاسم إسماعيل بن أبي يعلى الهاشمي، الذي جمع حوله الأحداث، وأعلن طاعته للخليفة العباسي المطيع بالله، وقد استطاع السيطرة على المدينة، وطردوا أميرها إقبال، ووصل الجيش الفاطمي إلى مقربة من الدكّة[٧٢٠] حيث جرت معركة بينه وبين أهالي دمشق بقيادة أبي القاسم، تلتها معركة ثانية في منطقة الشماسية[٧٢١] والقطيعة، انتصر فيها الفاطميون على سكان وأحداث دمشق، وفرّ أبو القاسم زعيم الأحداث بسبب خسارته للمعركة[٧٢٢].

بعدها تزعّم الأحداث أبو إسحاق محمد بن عصودا، الذي اتبع خطة تفضي إلى إغلاق أبواب المدينة، وتوزيع الرماة على أسوارها، تلاها قيام الأحداث برمي المغاربة من الجيش الفاطمي بالنشّاب، إلى جانب إضرام النيران في منطقة عاتكة، فما كان من الجيش الفاطمي إلا أن شدّد الحصار على إثرها، واضطرب الناس في دمشق، وكثر النهب والسلب وتعرّضوا لضائقة اقتصادية اجتماعية، حيث أُغلقت الأسواق، وحُفرت الخنادق، وبعد مراسلات عدّة ما بين الطرفين دخل القائد جعفر بن فلاح إلى دمشق، وبدأ المغاربة بنهب الأسواق، ما تمخّض عنه مناوشات مع الناس، وسقوط القتلى من المغاربة، عندها غضب جعفر وطالب السكان بديّة القتلى الذين سارعوا لدفعها، بينما استقرّ جعفر على الدكة، وفتح الأسواق، وعمد إلى ملاحقة وقتل الزعّار وحملة السلاح وعلى رأسهم إسحاق بن عصودا[٧٢٣]، فلما سمع ابن عصودا بذلك هرب ومعه ظالم بن موهوب العقيلي[٧٢٤] إلى الإحساء مستنجداً بالقرامطة، الذين سيّروا جيشاً إلى دمشق سنة ( ٣٦٠هـ / ٩٧٠م)، بقيادة الحسن بن أحمد[٧٢٥] المعروف بالأعصم، والتقى الجيشان في موقعة كانت نتيجتها هزيمة الفاطميين، ومقتل القائد جعفر بن فلاح، حيث قطع رأسه محمد بن عصودا منتقماً لأخيه إسحاق، ودخل القرامطة دمشق، فتركوا عليها ظالم بن موهوب العقيلي[٧٢٦]، بعد أن دفع سكان المدينة ثمناً باهظاً من الخسائر البشرية والمادية التي طالت البشر والحجر.

---

[٧٢٠] الدكة: موضع في ظاهر دمشق في الغوطة. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ٤٥٩.

[٧٢١] الشماسية محلة بدمشق. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٣٦١. البغدادي (١٩٥٤)، ج٢، ص: ٨١٠.

[٧٢٢] الصفدي (١٩٩١)، ج١، ص: ٣٧٠. المقريزي. (١٩٨٧). **المقفى الكبير**. تح: محمد اليعلاوي. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي. ص: ٢٢٣. زكار (١٩٩٥)، ج١، ص: ٧٩.

[٧٢٣] المقريزي (١٩٨٧)، ص: ٢٢٤-٢٢٥.

[٧٢٤] ظالم بن موهوب العقيلي، ولّاه الخليفة الفاطمي المعز لدين الله على دمشق سنة ( ٣٦٣هـ / ٩٧٣م)، وتوفي حوالي سنة ( ٣٧٠هـ / ٩٨٠م). ابن القلانسي (١٩٨٣)، ص: ٩. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٣، ص: ٢٣٧.

[٧٢٥] الحسن بن أحمد بن أبي سعيد حسن بن بهرام القرمطي، أبو علي، الملقّب بالأعصم، ولد في الإحساء سنة ( ٢٧٨هـ / ٨٩١م)، وتوفي في الرملة سنة ( ٣٦٦هـ / ٩٧٦م). الذهبي (١٩٨٤)، ج١٦، ص: ٢٧٤. الصفدي (٢٠٠٠)، ج١١، ص: ٢٨٧.

[٧٢٦] المقريزي (١٩٨٧)، ص: ٢٢٥-٢٢٧- ٢٦٣.

لم تستكن الخلافة الفاطمية لما قام به أحداث دمشق بزعامة محمد بن عصودا، بل أرسلت جيشاً آخر بقيادة أبي محمود إبراهيم بن جعفر بن فلاح[٧٢٧] سنة ( ٣٦٣هـ / ٩٧٣م)، وكان على دمشق ظالم بن موهوب العقيلي، واستطاع القائد أبو محمود من دخول دمشق، وبدأ المغاربة من جيشه بالنهب والسلب، فانتشرت الفوضى في المدينة وانتشر الأحداث والزعار وحملة السلاح، وفرّ ظالم إلى بعلبك، هنا برز زعيم جديد للأحداث للدفاع عن المدينة وهو ابن المارود الذي سارع إلى طرد الفاطميين، وأخذت الصراعات مجراها بين الطرفين في أحياء دمشق، حتى غدت دمشق وقراها، خالية من السكان من كثرة القتلى ورحيل السكان منها، بالإضافة إلى إغلاق الأسواق التي نهبت وسلبت، ونظراً لمعاناة أهل دمشق من نهب وسلب الزعار لممتلكاتهم فقد اتفق مشايخ البلد مع أهلها على وضع حدّ لتصرفات أهل الشر، فقاموا بالقبض على ابن المارود والأحداث، وألزموهم ببيوتهم، وعدم معارضة القائد أبو محمود الفاطمي، فوافقوا على ذلك مرغمين[٧٢٨].

ولا شك أنّ الإنهاك قد أصاب دمشق مرّة أخرى عندما عاد جوهر الصقلي[٧٢٩] سنة ( ٣٦٥هـ / ٩٧٥م) لاستردادها من الأمير التركي الفتكين المتحالف مع القرامطة الذي سارع مباشرة إلى تجنيد الزعار بزعامة قسّام لصدّ الجيش الفاطمي بعد توزيع الأرزاق، ولكنّ الأحداث تسللت وحصلت لقاءات عسكرية لمدّة عام ما بين الطرفين انعكست آثارها السلبية على مدينة دمشق، وهو الذي أغفلت ذكره المصادر، بعد كلّ تلك النكبات وقدوم القرامطة لمؤازرة سكان دمشق غادر جوهر المدينة إلى عسقلان بينما سيطر قسّام على دمشق معلناً الولاء والطاعة للخليفة الفاطمي العزيز بالله[٧٣٠] مع إصداره قراراً بمنع دخول القرامطة إلى دمشق[٧٣١].

---

[٧٢٧] إبراهيم بن جعفر الكتامي أبو محمود، توفي بدمشق سنة ( ٣٧٠هـ / ٩٨٠م). الصفدي (١٩٩١)، ق١، ص: ٣٩٣.

[٧٢٨] المقريزي (١٩٨٧)، ص: ٢٩٠-٢٩٤.

[٧٢٩] جوهر الصقلي أبو الحسن جوهر بن عبد الله من موالي المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي صاحب إفريقيا، دخل مصر سنة ( ٣٥٨هـ / ٩٦٨م)، وقام بإدارة مصر مدة أربع سنوات حتى دخلها المعز، وتوفي سنة ( ٣٨١هـ / ٩٩١م). ابن خلكان (د. ت)، ج١، ص: ٣٧٥-٣٨٠. ابن العماد (١٩٧٩)، ج٣، ص: ٩٨-١٠٠.

[٧٣٠] العزيز بالله أبو منصور نزار بن المعز معد بن إسماعيل بن القائم محمد بن المهدي، ولد سنة ( ٣٤٤هـ/٩٥٥م ) في المهدية، وقيل سنة ( ٣٥٤هـ / ٩٦٥م)، في القيروان، وتولى مصر سنة ( ٣٦٥هـ/٩٧٥م ) بعد وفاة والده، وتوفي سنة ( ٣٨٦هـ/٩٩٦م ). ابن أبي السرور (د.ت)، ص: ١٥١. الذهبي (١٩٨٢)، ج١٥، ص: ١٧٣.١٦٧. ابن إياس. (١٩٨٤). **بدائع الزهور في وقائع الدهور** تح: محمد مصطفى. ط: ٢. القاهرة: مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج١. ق١. ص: ١٩٢-١٩٧.

[٧٣١] المقريزي. (١٩٩٦). **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**. تح: جمال الدين الشيّال. ط: ٢. القاهرة: مصر. لجنة إحياء التراث الإسلامي. ج١. ص: ٢٣٩-٢٤١- ٢٥٠.

تسارعت الأحداث السياسية مجدداً عندما أرسل الفاطميون القائد سليمان بن جعفر بن فلاح[٧٣٢] مجدداً إلى دمشق سنة ( ٣٦٩هـ / ٩٧٩م)، ونزل هذا الجيش بظاهر دمشق، فخاف منه قسام، وثار عليه ومعه الأحداث والغوغاء، وأغلقوا أبواب البلد، وقاموا بمحاربته، وأرسل قسام إلى الخليفة الفاطمي يخبره بما جرى، فأمر الخليفة سليمان بأن يرحل عن دمشق، فرحل[٧٣٣]، ولا بدّ من التساؤل: بعد ولاء قسام للفاطميين، لماذا سيّر الفاطميون جيشاً ضدّ قسّام، ولماذا حاولوا احتلال دمشق، ولماذا نقضوا التسوية مع قسّام بإرسال سليمان لاحتلال دمشق، أم أنّ سليمان كان يعمل دون أوامر الخليفة الفاطمي؟ من الواضح أنّ الخلافة الفاطمية هي التي كلّفت سليمان بمهمة احتلال دمشق، ولم تستأمن قسّام ولا أحد غيره، ولم تعتبرهم أنداداً لها، بل أدواتاً لتحقيق مصالحها وأهدافها، وحاولت مراراً إخضاع دمشق لنفوذها، لكنّها عندما واجه سليمان مقاومة من سكان دمشق، بالإضافة إلى شكوى قسّام إلى الخليفة الفاطمي بما جرى، عندها أمر الخليفة القائد سليمان بن جعفر بالرحيل عن دمشق، لكنّ قسّام لم يستكين لما فعله الفاطميون، حيث جمع أحداث البلد والغوطة ورمّم الأسوار، وحشد الرجال على الأبواب، وتجهّز للحرب والدفاع عن المدينة المهدّدة من قبل القائد الفاطمي بلتكين[٧٣٤] سنة (٣٧٢هـ/٩٨٢م) الذي نزل بظاهر دمشق، حيث أرسل رسالة إلى قسّام يأمره فيها بتسليم المدينة فرفض قسّام، فعادت الحرب إلى المواجهة سنة ( ٣٧٣هـ / ٩٨٣م)، وبدأت الهزائم وكانت من نصيب قسّام، بسبب تخلي السكان عنه، نتيجة الفساد الذي قام به الأحداث في البلد والغوطة، وقيامهم بالسلب والنهب وإيذاء الناس، فلم يبق معه سوى العيارين، فطلب قسم من السكان من قسام بالاستسلام، وذهب قسم من وجهاء المدينة وطالبوا بلتكين بالتوقف عن الحرب، ودخول المدينة بسبب كره سكان دمشق لقسّام، ويعود ذلك لتصرفات الأحداث المضرّة بأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية، ونتيجة لذلك انفضّ الأحداث والناس عن قسام، فهرب من المدينة، وأُلقي القبض عليه، وسُيّر إلى مصر فعفى عنه الخليفة الفاطمي[٧٣٥].

استمر الأحداث بعد عقد ونيف من قدوم بلتكين إلى دمشق بمحاولتهم السيطرة على دمشق، وقد تكلّلت محاولاتهم بالنجاح عندما تمكن الدهيقين من السيطرة على المدينة سنة ( ٣٨٧هـ / ٩٩٧م)، فأرسلت

---

[٧٣٢] سليمان بن جعفر بن فلاح أبو نميم، تولّى دمشق سنة ( ٣٨٧هـ / ٩٩٧م)، وتوفي سنة ( ٣٩١هـ / ١٠٠٠م). المقريزي. (١٩٩٦). **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**. تح: محمد حلمي محمد أحمد. القاهرة: مصر. لجنة إحياء التراث الإسلامي. ج٢. ص: ٤٣.

[٧٣٣] المقريزي (١٩٩٦)، ج١، ص: ٢٥٣.

[٧٣٤] بلتكين: من الأتراك، وورد باسم يلتكين، من غلمان القائد التركي الفتكين والي دمشق، أهداه الفتكين إلى الوزير يعقوب بن كلّس في مصر. الصفدي (١٩٩١)، ق٢، ص: ٧.

[٧٣٥] المقريزي (١٩٩٦)، ج١، ص: ٢٥٦-٢٥٨.

الخلافة الفاطمية جيشاً كبيراً بقيادة جيش بن صمصامة[٧٣٦] للقضاء على الدهيقين، فغيّر مساره عن دمشق، ونزل بالقرب من صور[٧٣٧] بسبب تمرّد الأحداث على الخلافة الفاطمية، لكن سرعان ما تدبّر الدهيقين الأمر فقد ترك دمشق وتوجّه إلى مصر معلناً خضوعه للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله[٧٣٨] فعفى عنه سنة ( ٣٨٨هـ / ٩٩٨م)[٧٣٩]، وفي السنة نفسها تمرّد الأحداث في مدينة صور برئاسة رجل عُرف باسم علّاقة الملّاح، الذي التفّ حوله الأحداث والرعاع، وأعلن تمرّده على الخلافة الفاطمية، وضرب السكّة باسمه، وطلب النجدة من البيزنطيين، ووعدهم بتسليم البلد لهم، فجاءت الإمدادات البيزنطية في البحر، بينما حاصرت الجيوش الفاطمية صور، ودخلتها بالقوة، وانتصرت على النجدة البيزنطية، كما ألقت القبض على علاّقة زعيم الأحداث، وتمّ إرساله إلى مصر، فقُتل وصُلب[٧٤٠]، وأدّت هذه الأحداث إلى مزيد من الخسائر البشرية والمادية التي لحقت بالسكان من قتل وتهجير وتخريب للممتلكات وما رافق ذلك من أمراض وجوع وتشرّد.

والسؤال: هل بقيت منظمة الأحداث ملتزمة بأهدافها التي وُلدت من أجلها، بل المؤكد أنها أصبحت قوة عسكرية واجتماعية وسياسية تشارك في صنع الأحداث أينما وُجدت كما تصدّرت الأفعال والأحداث في أوقات كثيرة خاصة في ظلّ الضعفاء من الحكام وإذا كانت هذه المنظمة شعبية وغير حكومية فمن أين تمويلها ومن يقوم بتأمين مستلزمات بقائها؟ والسؤال الثاني بعد تعاظم دور الأحداث في تقرير أوضاع المدن والحكام والناس لماذا لم يقم الحكام بضمّها رسمياً إلى جيوشهم؟ والسؤال الثالث الذي يتضمّن جواباً للأول إذا كان السلب والنهب ومصادرة أرزاق الناس هو المموّل الرئيسي لهذه المنظمة، لماذا لم يقم الحكام بوضع حد لهذه الممارسات الضارة بالناس؟ والجواب على ذلك قد تكون مصلحة الحكام خاصة عندما يتهدد وجودهم من قبل طامع أو غازٍ في المحافظة على الأحداث واستمرارهم وقد يكون ضعف الحكام هو المطيل في عمر هذه المنظمة.

---

[٧٣٦] جيش بن محمد بن صمصامة أبو الفتوح، تولّى دمشق عدّة مرات، سنة ( ٣٦٣هـ / ٩٧٣م)، وقيل ( ٣٦٤هـ / ٩٧٣م)، وعُزل عنها سنة ( ٣٦٤هـ / ٩٧٤م)، وتولّى سنة ( ٣٧٠هـ / ٩٨٠م)، وعزل عنها، ثم تولّى سنة ( ٣٨٩هـ / ٩٩٨م) وبقي عليها إلى أن توفي سنة ( ٣٩٠هـ / ٩٩٩م)، وقيل سنة ( ٣٩١هـ / ١٠٠٠م). سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ١٢٦. الصفدي (١٩٩١)، ق١، ص: ٣٩٠. ابن العماد (١٩٧٩)، ج٣، ص: ١٣٣.

[٧٣٧] صور مدينة حصينة تقع على ساحل البحر، قريبة من عكا. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٣٦٩.

[٧٣٨] الحاكم بأمر الله المنصور أبو علي بن عبد العزيز نزار بن المعز معد بن المنصور بن القائم بن المهدي، ولد في القاهرة سنة ( ٣٧٥هـ / ٩٨٥م)، وتولّى مصر بعد وفاة والده العزيز سنة ( ٣٨٦هـ / ٩٩٦م)، وتوفي سنة ( ٤١١هـ / ١٠٢٠م). ابن أبي السرور (د. ت)، ص: ١٥٢. ابن خلكان (د. ت)، ج٥، ص: ٢٩٢–٢٩٨. ابن إياس (١٩٨٤)، ج١، ق١، ص: ١٩٧–٢١٠. ابن العماد (١٩٧٩)، ج٣، ص: ١٩٢–١٩٥. مقديش، محمود. (١٩٨٨). **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**. تح: علي الزواري، محمد محفوظ. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي. ج١. ص: ٣٥٧–٣٥٨.

[٧٣٩] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ٢٤٠.

[٧٤٠] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ٢٤٠–٢٤١.

وعندما تولّى القائد الفاطمي جيش بن الصمصامة دمشق سنة ( ٣٨٨هـ / ٩٩٨م)، جمع الأحداث فيها، ووعدهم بالأرزاق، ولكنه دبّر مكيدةً للتخلص منهم، فلاحقهم وتتبّع أثرهم، وسلب أموالهم، بسبب قيامهم بالنهب والسلب والتخريب في المدينة وغوطتها، حتى ضجّ السكان منهم، وكانت النتيجة أن قُتل منهم ثلاثة آلاف رجل[٧٤١].

لم يهدأ الأحداث في دمشق، بل ثاروا مجدداً سنة ( ٤١٠هـ / ١٠١٩م) بزعامة محمد بن أبي طالب الجزّار، وكان الجزّار من سكان دمشق، حيث جمع حوله عدداً كبيراً من الأحداث، ومن أهل حوران، وحارب بهم الجند مستغلين خروج والي دمشق عبد الرحمن بن الياس منها، وتسلّط الجزّار على المدينة، ونهب السكان، فارتفعت الأسعار، وانتشر الجوع والنهب والقتل، وقام الجزّار بسدّ الباب المعروف بباب شرقي، فتضايق سكان دمشق من ذلك وفتحوا الباب، وقبضوا على الجزّار وقتلوه وصلبوه، على باب الجابية، ومعه جماعة من الأحداث[٧٤٢]، وهذا يدلّ على أنّ منظمة الأحداث لا تسير وفق خطة مدروسة هدفها الدفاع عن السكان وحمايتهم، بل كانت تسير وفق رغبات وأطماع قادتها.

والواضح إنّ منظمة الأحداث في دمشق لم تكن الوحيدة الفعّالة على مسرح الأحداث السياسية، بل شابهتها منظمة الأحداث في حلب، عندما دخل غلام سيف الدولة الحمداني أبو المرجا سالم بن مستفاد زعيم الأحداث في حلب في طاعة صالح بن مرداس عندما دخل المدينة سنة ( ٤١٥هـ / ١٠٢٤م)، فوكّله صالح بفتح قلعة حلب ففتحها سنة ( ٤١٦هـ / ١٠٢٥م)، ووكّله صالح بأمور حلب، وبعد مقتل صالح سنة ( ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م)، وتولّي ابنه نصر حلب، واستمر سالم مسيطراً على أحداث ورعاع حلب، حتى دبّ الخلاف بينهما سنة ( ٤٢٣هـ / ١٠٣١م)، والذي انتهى بمقتل سالم سنة ( ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م)[٧٤٣].

وإثر مقتل نصر سنة ( ٤٢٩هـ /١٠٣٧م )، في معركة مع القائد الفاطمي أنوشتكين الدزبري[٧٤٤] الذي سيطر على حلب حتى وفاته سنة ( ٤٣٣هـ /١٠٤١م )، تقدّم ثمال بن صالح بن مرداس[٧٤٥] بمساعدة

---

[٧٤١] ابن القلانسي (١٩٨٣)، ص: ٨٩. المقريزي (١٩٩٦)، ج٢، ص: ٣١.

[٧٤٢] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ٣٥١.

[٧٤٣] ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ١٢٩-١٣١- ١٤١.

[٧٤٤] أنوشتكين أبو منصور، مولى دزبر الديلمي، ولاه الخليفة الفاطمي الظاهر دمشق سنة ( ٤١٩هـ / ١٠٢٨م)، وبقي فيها حتى سنة ( ٤٣٣هـ / ١٠٤١م)، حيث حدث خلاف بينه وبين الجند، فدخل حلب، وتوفي فيها سنة ( ٤٣٣هـ / ١٠٤١م). الصفدي (١٩٩١)، ق٢، ص: ٢٩.

[٧٤٥] ثمال بن صالح بن مرداس، معز الدولة، قدم من الرحبة سنة ( ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م)، وتملّك حلب، وقاتله المصريون سنة ( ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) فهزمهم، وصالح الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الذي أرسل من يتسلّم حلب سنة ( ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م). ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٧٠. الذهبي (١٩٨٣)، ج١٧، ص: ٣٧٥.

الأحداث إلى جانبه، ودخل حلب وطرد الفاطميين منها[٧٤٦]، وإنّ ما جرى من أحداث وصراعات بمشاركة الأحداث أدّت إلى مزيد من القتل والأسر والسبي وإفقار الناس وهذه من مظاهر الأزمة الاجتماعية التي عاشها سكان حلب من جرّاء ذلك.

ونشأت أزمة اجتماعية في العديد من مدن ومناطق بلاد الشام وفي أوقات مختلفة من جرّاء الحروب التي شاركت بها منظمة الأحداث وما قامت به من قتل وتخريب وتهجير للسكان ومن سلب ونهب لأرزاقهم بالإضافة إلى الفوضى وما نجم عنها من انتشار للعيارين واللصوص وأدّى مجموع ذلك إلى فقر وجوع المزيد من السكان علاوة على كثرة الوفيات التي تسببت بها الأوبئة الضارة وقلّة المواد الغذائية والغلاء الذي رافق الحروب والأزمات وكان هذا بعضاً من مظاهر الأزمة الاجتماعية التي خلّفت آثاراً ومنعكسات سياسية كان من أبرزها قيام الأحداث بالدفاع عن دمشق عندما أراد الفاطميون دخولها سنة ( ٣٥٩هـ/٩٦٩م)، واستعانة زعيم الأحداث أبي إسحاق محمد بن عصودا بالقرامطة ضد الفاطميين وكذلك قيام سكان دمشق بالقبض على ابن المارود زعيم الأحداث وعلى العديد من أنصاره والزامهم بالبقاء ببيوتهم بسبب مضايقتهم لسكان دمشق، إلى جانب استنجاد أحداث صور بالبيزنطيين ضد الفاطميين ومن تداعياتها السياسية أيضاً توكيل أبي المرجان سالم زعيم الأحداث في حلب بأمور المدينة من قبل صالح بن مرداس سنة ( ٤١٦هـ/١٠٢٥م).

**ثانياً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن هجمات العرب على المدن والقرى في بلاد الشام ومنعكساتها على الأوضاع السياسية.**

إنّ استمرار العصبية القبلية لدى القبائل العربية في بلاد الشام وعدم تقبّلها فكرة الاندماج والذوبان في الدولة ذات الأنظمة والقوانين والمرجعيات أبقت حالة القبائل القائمة فيما بينها على العداوات والحروب، كما أبقتها على عاداتها في الغزو والسلب والنهب ضد المدن والقرى من أجل الحصول على المكاسب والغنائم مخلّفة المزيد من القتل والأسر والتهجير للسكان، بالإضافة إلى تخريب المنازل والمحلات وتعطيل الزراعة وإفقار السكان وتعريض حياتهم وأمنهم للخطر، وقد اختلفت سمات أو خصائص حروب العرب ما بين العصر العباسي الأول والثاني، ففي العصر الأول وعلى الرغم من اختلاف أسبابها ودوافعها وغاياتها إلّا أنها تواجَه بقوة وحزم من قبل الخلافة العباسية في عصرها الأول عصر القوة، بينما توسّعت وتعمّقت آثارها على السكان والمكان في العصر الثاني عصر ضعفها فقد ألقي على عاتق السكان في المدن صدّ هجمات العرب والدفاع عن أنفسهم وأرزاقهم بسبب انكفاء الخلافة العباسية وتراجعها عن دورها في الدفاع عن هذه المناطق، وقد شغلت الحروب المتبادلة والمستمرة ما بين

---

[٧٤٦] ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ١٤١-١٤٧.

الفاطميين وعرب جنوب الشام ركناً أساسياً في حياة سكانها، كما شكّلت هجمات العرب على المناطق الحضرية أزمات اقتصادية واجتماعية بالسكان وممتلكاتهم، كما شكّلت تهديداً دائماً طال حياة السكان وأمنهم واستقرارهم وأرزاقهم، والسؤال: لماذا لم تتعاون القوى الفاعلة في تلك المدّة وتوحّد قواها لصدّ هذه الهجمات وإبعاد خطرها عن الناس؟ والسؤال الثاني: لماذا عملت بعض الإدارات على تأجيج نار الحرب ما بين القبائل؟ وهل الهدف من ذلك كان من أجل إضعاف العرب والحدّ من هجماتهم؟ أم استخدام بعض القبائل كورقة ضدّ قوى أخرى غير آبهين بما ينتج عن الحرب من آثار تدميرية؟ وفي جميع الأحوال كانت الحرب تهمّ عامة الناس الذين يكتوون بحرّ نارها حيث تُزهق الأرواح وتُنهب وتُخرّب الأرزاق وتُشرّد الناس.

والمعروف إنّ قبائل طيء استوطنت في جنوب بلاد الشام في مناطق متعددة وبالتالي أرادت فرض سيطرتها على المناطق الواقعة في القسم الجنوبي من بلاد الشام ووضعها تحت نفوذها، وقد تكرّس ذلك أثناء سيطرة بنو طيء بزعامة مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي[٧٤٧]على مناطق جنوب بلاد الشام سنة ( ٣٦٩هـ / ٩٧٩م)، وقاموا بأعمال النهب والسلب، ونشر الفساد، فعمّ الناس البلاء والفوضى، وخاصة بعد انتصارهم على بني عقيل عند الرملة، ولم يستطع الخليفة الفاطمي العزيز بالله من القضاء عليهم، فطلب من والي دمشق محاربتهم والقضاء عليهم، فاتفق الوالي مع بني عقيل على محاربتهم، وعندما علم ابن الجراح بذلك رحل عن ظاهر دمشق، وأرسل إلى الخليفة الفاطمي معتذراً فقبل الخليفة اعتذاره، لكنّ ابن الجراح عاد إلى الفساد وقام بأعمال تخريبية في فلسطين، فانتشر الفقر والجوع بين السكان، وكثرت الوفيات، وخُرّبت الأعمال، وعانى سكان دمشق من غلاء الأسعار وانتشار الفقر والجوع، بسبب ما أفسده العرب في غوطتها وغيرها من أعمال دمشق، وبقيت الحال حتى مجيء بكجور والياً لدمشق، فحماها هي وأعمالها من العرب[٧٤٨].

واستمرّ فساد ابن الجراح وتخريبه للمناطق الجنوبية من بلاد الشام حتى سنة ( ٣٧١هـ / ٩٨١م)، وأتعبت أعماله الخلافة الفاطمية، فأرسلت له جيشاً بقيادة بلتكين التركي للقضاء عليه، وانضمّ إلى الجيش الفاطمي عدد كبير من القيسيين، وجرت المعركة بينهما فهُزم ابن الجراح وفرّ إلى أنطاكيا[٧٤٩]، لكنه عاد إلى جنوب بلاد الشام مستغلاً ثورة العلّاقة في صور، وعمد إلى نشر الفساد في الرملة وغيرها من البلاد، معلناً خروجه عن طاعة الفاطميين سنة ( ٣٨٦هـ / ٩٩٦م)، وبعد الخلاص من ثورة العلّاقة

---

[٧٤٧] المفرج بن دغفل بن جراح من قبيلة طيء أمير بادية الشام، كان من إقطاعه الرملة في فلسطين في أيام الفاطميين، توفي سنة ( ٤٠٤هـ / ١٠١٣م). الزركلي (٢٠٠٢)، ج٧، ص: ٢٧٨.

[٧٤٨] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ١٩١-١٩٢. ابن القلانسي (١٩٨٣)، ص: ٣٩-٤٢.

[٧٤٩] ابن القلانسي (١٩٨٣)، ص: ٤٤.

في صور، تحرك جيش بن الصمصامة للقضاء على المفرج بن دغفل الطائي والمدعو ابن الجراح، الذي قدّم اعتذاره، طالباً العفو، فعفى عنه ابن الصمصامة[٧٥٠].

توجّه المفرج بن دغفل إلى الرملة، وسمح للعرب بنهبها وسلبها ومصادرة أموال الناس سنة ( ٤٠١هـ / ١٠١٠م) مما أدّى إلى إفقار الناس، وأقام الدعوة لأمير مكة أبي الفتوح الحسن بن جعفر[٧٥١]، ولقّبه أمير المؤمنين، والراشد لدين الله، وضرب النقود باسمه، وسيطر على مناطق واسعة من بلاد الشام، وقام بمحاصرة حصون السواحل مدّة طويلة[٧٥٢].

توضّح حبّ السلطة والتملك أكثر عند بني الجراح وخاصة المفرج لكنّ هذا الحب كلّف الشام سنة ( ٤٠١هـ / ١٠١٠م)، الكثير من الظلم والمصادرات حتى اضطر قسم كبير من المسيحيين للمغادرة قاصدين بيزنطة، لكنّ المعادلة لم تستمر كما تمنى المفرج بل انقلبت الأمور رأساً على عقب، عند إرسال الخليفة الحاكم بأمر الله جيشاً بقيادة علي بن جعفر[٧٥٣] الملقب بقطب الدولة لحربه سنة (٤٠٤هـ/١٠١٣م)، وكان الحاكم قد طلب من الجيوش في دمشق والسواحل مساندة قطب الدولة، لكنّ المفرج بن دغفل توفي قبل المعركة، وفرّ أولاده من الرملة وغيرها من البلاد التي ملكوها، ودخل قطب الدولة الرملة[٧٥٤]، لكن ما لبث أن قطع حسان بن المفرج بن الجراح[٧٥٥] الطريق على قطب الدولة إذ سرعان ما توجه إلى الرملة، وقام بنهبها وحرقها وأسر وسبى من سكانها سنة ( ٤١٥هـ / ١٠٢٤م)، كما نهب حسان أيلة وسبى النساء والأطفال، وجرى اتفاق بين أمراء العرب في بلاد الشام على تقاسم المنطقة فيما بينهم، فأخذ صالح بن مرداس أمير الكلابيين حلب وأعمالها وحسان بن المفرج أمير الطائيين فلسطين وأعمالها، وسنان بن عليان[٧٥٦] أمير الكلبيين دمشق وأعمالها[٧٥٧].

وتنفيذاً لبنود الاتفاق حاصر سنان بن عليان وصالح بن مرداس دمشق، وقامت قبائلهم العربية بنهب الغوطة والقرى، وقتل الفلاحين ونهب أموالهم ومحاصيلهم الزراعية، كما نهبوا مخازين القمح في القرى،

---

[٧٥٠] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٨٠.

[٧٥١] الحسن بن جعفر بن محمد الموسوي الحسني الطالبي القرشي، من الأمراء، ولّي مكة سنة (٣٨٤هـ/٩٩٤م) معلناً ولائه للفاطميين في مصر، توفي سنة (٤٣٠هـ/١٠٣٩م) في مكة. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٢، ص: ١٨٦.

[٧٥٢] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ٢٩١.

[٧٥٣] علي بن جعفر بن فلاح الكتامي، أبو الحسن، من أكابر وزراء الفاطميين بمصر، ومن أبرز الأمراء في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، ولقّب بعدّة ألقاب منها وزير الوزراء ذي الرياستين، قُتل سنة (٤٠٩هـ/١٠١٩م) في القاهرة على يد فارسان متنكران. الزركلي (٢٠٠٢)، ج٤، ص: ٢٦٩.

[٧٥٤] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ٢٩٢–٣٠٥. المقريزي (١٩٩٦)، ج٢، ص: ٩٨–١٠٠.

[٧٥٥] حسان بن المفرج بن دغفل بن جراح الطائي، أمير بادية الشام، تولّى الإمارة بعد وفاة والده سنة ( ٤٠٤هـ / ١٠١٣م)، وتوفي نحو سنة ( ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م). الزركلي (٢٠٠٢)، ج٢، ص: ١٧٧.

[٧٥٦] سنان بن عليان الكلبي، توفي سنة ( ٤١٩هـ / ١٠٢٨م). العظيمي (١٩٨٤)، ص: ٣٢٨.

[٧٥٧] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ٣٨٩–٣٩٠. المقريزي (١٩٩٦)، ج٢، ص: ١٤٣–١٤٧.

وأخذوا المواشي، فرحل الفلاحون والسكان، ووقعت الحرب بينهم وبين أهالي دمشق، وكثر عدد القتلى من الطرفين، وسيطروا على البلاد، ونهبوا أموال الناس، وجاءت نجدة من الأمير حسان بن المفرج بن الجراح لسنان، واشتدت المعارك مع أهالي دمشق، وكثرت الوفيات فيها حيث قُدّر العدد بالآلاف، وانتهى الأمر بالصلح، لكنّ الأمير حسان رفض صلح سنان، وطلب منه بأن يحارب سكان دمشق، فعاد سنان للحرب، وقام حسان بنهب الرملة، وقتل سكانها، وإضرام النيران فيها، أمّا أهالي دمشق فقد طلبوا من سنان هدنة فوافق على ذلك، فأرسل الخليفة الفاطمي الظاهر[٧٥٨] القائد أنوشتكين الدزبري لمحاربة العرب، فالتقى مع حسان بن الجراح في عسقلان، وجرت عدّة معارك بينهما في الرملة وعسقلان، ولكنّ وفاة الأمير سنان سنة ( ٤١٩هـ / ١٠٢٨م) أضعف هذا الحلف بين القبائل العربية، حيث استطاع الخليفة الفاطمي الظاهر من استمالة بعض العشائر إلى جانبه، فوقفت قبيلة الكلبيين إلى جانب الفاطميين، حتى انتهى الأمر سنة ( ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م)، في معركة الإقحوانة بمقتل صالح وابنه بينما فرّ حسان من المعركة[٧٥٩]، ولم يتركه الخليفة الفاطمي الظاهر وشأنه بل أرسل له جيشاً إلى الشام بقيادة الدزبري للقضاء عليه سنة ( ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م)، فهرب حسان والتجأ إلى البيزنطيين وتحالف معهم فخرج بجيش إلى أفاميا، وقام بأعمال النهب والسلب، وأسر أهلها وسيطر عليها، فقام الدزبري بدعوة الناس إلى النفير العام ومحاربة حسان بن المفرج[٧٦٠].

وهنا لا بدّ من السؤال: لماذا لم تعمل الخلافة العباسية على التخفيف من حدّة العصبية القبلية لدى القبائل إنْ لم تستطع إلغائها؟ ولماذا لم تقم الخلافة بإخضاع هذه القبائل لقوانين وأنظمة الدولة بدلاً من الاكتفاء بجباية الضرائب المفروضة عليها؟ والسؤال الأهم إذا كانت الخلافة العباسية مدركةً لخطورة أعمال العرب على أمن وسلامة السكان لماذا لم تقُم بدعم حاميات المدن بالعدد والعتاد للوقوف بوجه الهجمات المحتملة للعرب؟ هل عدم الاهتمام هو السبب بذلك، أم ضعف الدولة العباسية، أم كليهما في عصر ضعفها؟

أدّت هجمات القبائل العربية على مدن ومناطق بلاد الشام والتي استمرت مدّة زمنية طويلة إلى أزمة اجتماعية خانقة للسكان تمثّلت بكثرة القتلى والأسرى والمهجّرين، وبكثرة الوفيات الناجمة عن الفقر والجوع وتلوث البيئة والأمراض، والفقر وقلّة المواد الغذائية وارتفاع أسعارها من جرّاء السلب والنهب

---

[٧٥٨] الظاهر لإعزاز دين الله علي بن منصور الحاكم بن عبد العزيز نزار بن معد المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي، ولد في القاهرة سنة ( ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م)، وتولّى سنة ( ٤١١هـ / ١٠٤٩م)، وتوفي سنة ( ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م). ابن أبي السرور(د.ت)، ص: ١٥٦. ابن خلكان (د. ت)، ج٣، ص: ٤٠٧-٤٠٨. ابن إياس (١٩٨٤)، ج١، ق١، ص: ٢١٤.٢١١. ابن العماد (١٩٧٩)، ج٣، ص: ٢٣٢. مقديش (١٩٨٨)، ج١، ص: ٣٥٨-٣٥٩.

[٧٥٩] المقريزي (١٩٩٦)، ج٢، ص: ١٥٦-١٧٨.

[٧٦٠] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢٠٠.

ومصادرة أملاك الناس بالإضافة إلى حرق المحلات والمنازل وإتلاف المزروعات وتخريب القرى، إلى جانب انتشار ظاهرة اللصوصية نتيجة الفوضى وفقدان الأمن.

بينما تجلّت المنعكسات السياسية بعزل الخليفة هارون الرشيد والي دمشق سنة ( ١٧٦هـ/٧٩٢م) لعدم قدرته على إخماد الفتنة بين المضرية واليمانية وتعيين إبراهيم بن صالح والياً بدلاً منه، واستمرار إرسال الجيوش العباسية لبلاد الشام من أجل إخماد ثورات وتمردات العرب وهجماتهم على المدن والقرى، والصلح الذي أمر به الخليفة هارون الرشيد بين قبيلتي مضر واليمن على أن تقوم الدولة بدفع ديّات القتلى، وانقسام الأمويين بين سفياني ومرواني نتيجة لهذه الفتن، وانشغال الخلافة الفاطمية ولمدة طويلة بحرب الأعراب.

**ثالثاً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن هجمات القرامطة ومنعكساتها على الأوضاع السياسية:**

إنّ دخول القرامطة على خط الصراع السياسي والعسكري في المنطقة مع القوى الأخرى أدّى إلى اضطراب الأوضاع الاجتماعية في بعض مدن وقرى بلاد الشام بسبب ما خلّفه القرامطة من تخريب وحرق ونهب لمدنها، وإنّ ما قام به القرامطة من حروب وقتل وتخريب، قد ظهر أثره سلباً في الحالة الاجتماعية لبلاد الشام، وهذا ما بدا واضحاً من خلال الأزمة الاجتماعية الناجمة عن حروبهم وتخريبهم لممتلكات الناس، ومن خلال تدهور حالة التجار الذين استنجدوا بالخليفة العباسي المكتفي بالله.

عانى سكان بلاد الشام كثيراً من حروب القرامطة، ودفعوا ثمناً باهظاً من الدماء والجوع والفقر والحرمان والتشرّد نتيجة لهذه الحروب، واضطربت الحياة الاجتماعية، وازدادت الأزمة تفاقماً، ومن مظاهرها الخراب والدمار والأمراض والتشرّد الذي لحق بالعديد من المدن والقرى التي هاجمها القرامطة مثل الرصافة ومعرة النعمان وبعلبك وبصرى وغيرها من المناطق، والنهب والسلب الذي مارسه القرامطة في المدن والقرى التي دخلوها وسيطروا عليها، وقتل السكان بأعداد كبيرة كما حدث في بعلبك وحماة ومعرة النعمان، وإنّ الحصار الشديد الذي مارسه القرامطة على بعض المدن ومنها دمشق ويافا[٧٦١] وما نجم عنه من نقص في المواد الغذائية وارتفاع أسعارها كان من آثارها، بالإضافة إلى الأموال التي فُرضت على سكان دمشق من قبل القرامطة مقابل الصلح مع أهلها حيث دُفعت إلى قائدهم الحسين بن زكرويه، وأدّت الأزمة إلى تعطّل التجارة بدليل استغاثة تجار دمشق بالخليفة العباسي المكتفي بعد أن تعطلت تجارتهم ونهبت حوانيتهم.

---

[٧٦١] يافا مدينة على ساحل بحر الشام في فلسطين، وهي الآن مدينة فلسطينية عريقة على البحر المتوسط. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ٤٢٦. شامي (١٩٩٣)، ص: ١٠٦. العفيفي (٢٠٠٠)، ص: ٥١٧.

ففي سنة ( ٢٨٩هـ / ٩٠١م)، هاجم القرامطة الرّصافة وخرّبوها ونهبوها وأحرقوها، وقتلوا قسماً من سكانها، ثم توجهوا إلى دمشق بزعامة يحيى بن زكرويه، وأحرقوا ودمّروا القرى في طريقهم وقتلوا الناس، وشرّدوهم، ولمّا وصلوا دمشق سنة ( ٢٩٠هـ / ٩٠٢م)، التي كانت تحت إمرة طغج بن جف، حاصروها حصاراً شديداً دام سبعة أشهر، حتى أشرف سكانها على الموت، إذ كثُرت الوفيات، وخرّبوا البلد، فاستنجد الدمشقيون بحكام بغداد ومصر، وأتتهم النجدة من بغداد ومصر، وجرت معركة مع القرامطة انتصر فيها العباسيون وحلفاؤهم وقُتل يحيى بن زكرويه في المعركة قرب دمشق[٧٦٢].

وفي سنة ( ٣٥٨هـ / ٩٦٨م)، وقعت مدينة الرملة بأزمة اجتماعية، تمثّلت بقلّة اليد العاملة، وانتشار الأمراض، وهجرة الكثيرين من السكان، ويعود السبب في ذلك إلى المعارك التي جرت بين القرامطة والحسن بن طغج[٧٦٣]، والتي هُزم فيها ابن طغج، وبقي الجيش القرمطي في الرملة شهراً، ثم رحل، وقد أدّى وصول القائد الفاطمي جعفر بن فلاح على رأس جيش ضخم إلى الرملة، وبها الحسن بن طغج، إلى اشتباك الطرفين في حروب عدّة، كان النصر فيها حليف الفاطميين، فدخلوا الرملة بالقوة، وأكثروا من السبي وقتل السكان، وتهجير بعضهم، ثم سار الفاطميون إلى دمشق وملكوها سنة ( ٣٥٩هـ / ٩٦٩م)[٧٦٤].

وصل القرامطة إلى دمشق سنة ( ٣٦٠هـ / ٩٧٠م)، وقتلوا القائد الفاطمي جعفر بن فلاح في معركة انتصروا فيها على الفاطميين، ودخلوا دمشق، ثم ملكوا الرملة، وحاصروا يافا حصاراً شديداً[٧٦٥]، ونجم عن حرب القرامطة أزمة اجتماعية طالت معظم سكان المناطق التي تعرضت لهجماتهم فكانت الوفيات والأمراض والتهجير والفقر حالة معظم السكان من جرّاء هذه الحروب.

إنّ الدمار والخراب وكثرة الوفيات والتشرّد ومصادرة أملاك الناس والحصار الذي تمّ على مدن كثيرة زاد من معاناة الناس وشكّل عاملاً خطيراً من عوامل الأزمة الاجتماعية في بلاد الشام، التي فرضت ردوداً ومنعكسات سياسية كان من أبرزها استجابة الخليفة المكتفي بالله لاستغاثة تجار دمشق، وإرساله الجيوش لمحاربة القرامطة، وإبعاد خطرهم عن بلاد الشام، واتباع أسلوب الشدّة من قبل الخلافة العباسية، كما حدث لقائد القرامطة الحسين بن زكرويه، عندما ألقي القبض عليه، وسيق إلى بغداد، وقُطع رأسه، لإشاعة الرعب والخوف بين القرامطة، كما أنّ الصلح والعفو من قبل الخليفة العباسي المكتفي بالله على

---

[٧٦٢] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ٩٥-٩٦. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٤، ص: ٤٠٦. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ١٤-١٥. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٤٠٩. الدواداري. (د. ت). **كنز الدرر وجامع الغرر**. مطبعة عثمان عبد الرزاق. ج١. ق٦. ص: ٦٩-٧٠.

[٧٦٣] أبو محمد الحسن بن عبد الله بن طغج، تولّى دمشق سنة ( ٣٥٨هـ / ٩٦٨م)، وعُزل عنها في نفس العام، وتوفي سنة ( ٣٦١هـ / ٩٧١م). الصفدي (١٩٩١)، ق١، ص: ٣٦١-٣٦٤.

[٧٦٤] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣١٠. الدواداري (د. ت)، ج١، ق٦، ص: ١٢٢-١٢٣.

[٧٦٥] القضاعي (١٩٩٥)، ص: ٥٦٥. ابن القلانسي (١٩٨٣)، ص: ١-٤. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٢٦-٣٢٧.

قسم من القرامطة الذين طلبوا ذلك بعد انقسام القرامطة على بعضهم كان من المنعكسات السياسية أيضاً، ومن ذلك أيضاً دخول الفاطميين على خط مواجهة القرامطة في بلاد الشام بعد استغاثة قسم من سكان دمشق بهم، ومقتل القائد الفاطمي جعفر بن فلاح في معاركه مع القرامطة في دمشق.

والملاحظ عن حروب القرامطة أنّها أربكت الخلافة العباسية والفاطميين والولايات في بلاد الشام، لأنها لا تحارب انطلاقاً من جغرافية محددة، ولا تُقاتل من أجل أهداف معروفة، إنما قتالها من أجل المكاسب وجمع الأموال معتمدة على الحركة السريعة والانتقال من مكان لآخر، والغاية لديها تبرر وسائلها من نهب وغزو وقتل وتدمير.

## رابعاً: الأزمات الاجتماعية الناجمة عن هجمات البيزنطيين ومنعكساتها على الأوضاع السياسية:

تميزت الحروب مع البيزنطيين في عصر القوة للخلفاء العباسيين بالغزوات المستمرة داخل الأراضي البيزنطية، وكانت الشواتي والصوائف للجيوش العباسية منتظمة وتهدد الأراضي البيزنطية، أمّا منطقة الثغور العربية الإسلامية فكانت محصّنة وقوية ومنيعة، لكنّ الأمر تغيّر في عصر الضعف للخلفاء خاصة بعد تسلّط الأتراك والبويهيين على الخلافة، وإنّ استقلال الدول في بلاد الشام وانفصالها عن العباسيين مثل الحمدانيين والمرداسيين في حلب، والطولونيين والإخشيديين والفاطميين في مصر، شجّع البيزنطيين على شنّ الحروب والهجمات على الأراضي العربية الإسلامية والتوغل داخل بلاد الشام، خاصة بعد الاقتتال الذي كان دائماً ومستمراً بين دول وممالك بلاد الشام، وبينهم وبين الإخشيديين والفاطميين، ما أضعفهم وشتّت قواهم ووصلت الأمور عند بعضهم إلى الاستقواء بالبيزنطيين ضد الآخرين، ما دفع بيزنطة إلى القيام بهجمات مدمّرة على الأراضي الزراعية في القرى والأرياف متّبعين أسلوب القتل والأسر والسلب والنهب لممتلكات الناس مع حرق قراهم ومنازلهم ومحلاتهم في المدن، فكان القتل والتشرد والحرمان والظلم مصير سكان المناطق المنكوبة من الغزو البيزنطي المتكرر والمدمر.

ومن الواضح والجلي هنا أنّ غارات البيزنطيين كانت متكررة، فلا يكاد يخلو عام من غزوة واحتلال وتوغل في أراضي بلاد الشام، وقد ترافقت تلك الغزوات بتدمير الحجر والبشر ومقومات الحياة، خاصة الزراعي منها بتخريبهم للمزروعات وقطعهم للأشجار ومصادرتهم للمواسم، بالإضافة إلى الضرائب والغرامات التي فرضوها على السكان، وقيامهم بالقتل والأسر والتهجير، هذه الممارسات البيزنطية بحق سكان بلاد الشام أدّت إلى إفقار السكان وانتشار الأمراض والمجاعة بينهم وديمومتها ما دامت الغزوات والاعتداءات البيزنطية عليهم مستمرة. ومن مظاهر المحنة الاجتماعية وأزماتها الناجمة عن الاعتداءات

البيزنطية على أراضي بلاد الشام قيام البيزنطيين بقتل أعداد كبيرة من سكان بلاد الشام بفعل غزوهم للمدن والقرى وأسر الأعداد الكبيرة منهم، والسبي الذي مارسه البيزنطيون لأعداد كبيرة من سكان بلاد الشام، ومن مظاهر الأزمة الخراب والدمار الذي اتبعه البيزنطيون في حربهم لمدن وقرى بلاد الشام، وممارستهم للسلب والنهب وتخريب ممتلكات الناس، كما أنّ الحصار الذي فرضه البيزنطيون على مدن بلاد الشام وقراها أدّى إلى انتشار الأمراض والأوبئة وزيادة الوفيات وإلى نقص في المواد الغذائية، بالإضافة إلى الجوع والفقر الذي حلّ بسكان المدن والقرى المحاصرة، ومن صور معاناة السكان قطع المياه عنهم من قبل البيزنطيين، وهذا ما حدث في شيزر عندما حاصرها البيزنطيون، وكانت المبالغ الكبيرة التي فرضها البيزنطيون على سكان المدن والمناطق والتي أرهقت السكان، وزادت من فقرهم ومعاناتهم دليلاً على حجم الأزمة الاجتماعية وتأثيرها السيء على السكان، وأدّى حرق البيزنطيين للمحاصيل الزراعية في مواسم جنيها، وحرمان السكان منها ومعاناتهم، وهجرة الكثيرين منهم وتركهم للزراعة إلى ازدياد فقرهم ومحنتهم، وإنّ التهجير المتعمّد والقسري من قبل البيزنطيين للسكان من مناطق سكنهم مثلما حصل لسكان زربة سنة ( ٣٥٠هـ / ٩٦١م)، أدّى إلى موت عدد من السكان المهجرين في الطرقات من قلّة الطعام، بالإضافة إلى مصادرة المواشي وحرمان المربّين منها، مثلما حصل في منازكرد[٧٦٦] وديار مضر[٧٦٧] وربيعة[٧٦٨] وديار بكر[٧٦٩]، ويدلّ ذلك على شدّة الأزمة وعمقها وخطورة وقعها.

حيث بدأت هجماتهم على أراضي بلاد الشام في العصر العباسي عندما هاجموا ملطية ودخلوها عنوة، بعد أن هدموا سورها سنة ( ١٣٨هـ /٧٥٥م )[٧٧٠]، وبالرغم من ردّ الجيش العباسي عليهم، وبالرغم من دعم الثغور العربية الإسلامية، فقد هاجم البيزنطيون مناطق الثغور، وأحرقوا القرى، وقتلوا أعداداً كبيرة سنة ( ١٦١هـ / ٧٧٧م)[٧٧١]، ولم تتوقف هجمات البيزنطيين على الثغور العربية الإسلامية كلّما

---

[٧٦٦] منازكرد وهو بلد بين خلاط وبلاد بيزنطة. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ٢٠٢.

[٧٦٧] ديار مضر: تقع شرقي الفرات نحو حران والرقة. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ٤٩٤.

[٧٦٨] ديار ربيعة تقع بين الحيرة والشام، وتضم عدة كور منها كورة نصيبين وكورة قرقيسيا، وكورة رأس عين، وكورة ميافارقين، وكورة آمد، وكورة ماردين، وكورة سميساط، وكورة بلد وغيرها. البكري (د. ت)، ج٢، ص: ٥٦٨. الإدريسي (٢٠٠٢)، ص: ٦٦٢.

[٧٦٩] ديار بكر مدينة من مدن شرق تركيا، تقع شمال شرق مدينة الرها، وتبعد عن حلب حوالي (٤٠٠كم)، إلى الشمال الشرقي. العفيفي (٢٠٠٠)، ص: ٢٤٣.

[٧٧٠] الطبري (١٩٧١)، ج٧، ص: ٤٩٧. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٣، ص: ٥٢. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج٨، ص: ٢٠. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ١١٧.

[٧٧١] ابن خياط (١٩٨٥)، ص: ٤٣٦. الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ١٣٦. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج٨، ص: ٢٤٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٢٤٠.

سمحت الظروف لهم بذلك وهذا ما حدث عندما هاجموا عين زربة وأذنة[٧٧٢] سنة ( ١٨٩هـ / ٨٠٤م)[٧٧٣]، وبعد مضي أكثر من نصف قرن على هجوم عين زربة فقد جدّدوا هجومهم عليها سنة ( ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، وقتلوا وأسروا قسماً من سكانها، وبعد مضي سنة على مهاجمة عين زربة هاجم البيزنطيون الثغور الجزرية، ونهبوا قرى عدّة، وأسروا حوالي عشرة آلاف من السكان، وعادوا إلى بلادهم[٧٧٤].

وفي النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة (التاسع الميلادي) هاجم البيزنطيون سميساط، ونهبوها وقتلوا وأسروا أعداداً من سكانها، بالإضافة إلى مهاجمة ثغور الجزيرة، ولم تنج ديار بكر من هجماتهم وارتكاب المجازر بحق سكانها وهروبهم من الجزيرة والموصل[٧٧٥]، ومدينة أنطاكيا وريفها كانت هدفاً لهجمات البيزنطيين الذين اعتدوا على أهلها، ونشروا الرعب بين سكانها، وكان ريف حلب بدوره ضحية الغزو البيزنطي وما نجم عنه من قتل وأسر للسكان ونهب لأموالهم وأرزاقهم[٧٧٦]، وشهد النصف الأول من القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي) هجمات متكررة للبيزنطيين على أراضي بلاد الشام وما رافق ذلك من قتل وأسر للسكان، إلى جانب السلب والنهب لأرزاقهم، وما نجم عنه من مجاعة وحرمان وتشرّد، فقد هاجموا مجدداً حصن منصور[٧٧٧]، وقتلوا أعداداً من سكان مرعش وسميساط، إذ قُدّر عدد القتلى بخمسين ألفاً، ونجم عن ذلك أزمة اجتماعية كبيرة[٧٧٨]، كما دخلوا ملطية واعتدوا على سكانها من قتل وسبي وتهجير، وقاموا بحرقها ونهبها وبقوا فيها ستة عشر يوماً، إذ استغاث سكانها بحكام بغداد دون جدوى[٧٧٩].

---

[٧٧٢] أذنة بلد يقع في ثغور الشام، وهي على نهر سيحان، بين طرسوس والمصيصة، بناها الخليفة هارون الرشيد. البكري (د. ت)، ج١، ص: ١٣٣. الإدريسي (٢٠٠٢)، ص: ٦٤٧. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ١٣٣. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٢٠. العفيفي (٢٠٠٠)، ص: ٣٧. واصف (د. ت)، ص: ٢٩.

[٧٧٣] ابن خياط (١٩٨٥)، ص: ٤٥٨.

[٧٧٤] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٢٠١-٢٠٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٢٤-١٢٦.

[٧٧٥] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٢٠١-٢٠٧-٢١٨-٢٦١. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٢٨٢-٢٩٤-٣٣٠. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٢٤-١٢٦-١٣١-١٥٣. القرماني (١٩٩٢)، ج٢، ص: ١٢٨.

[٧٧٦] الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ١١٦-١٢٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٤٢٣-٤٣١. القرماني (١٩٩٢)، ج٢، ص: ١٣٥.

[٧٧٧] حصن منصور مدينة صغيرة في الثغور الجزرية تقع غربي الفرات بين سميساط وملطية بالقرب من سميساط وهي كورة من كور ديار مضر. البكري (د. ت)، ج٢، ص: ٤٥٢. الإدريسي (٢٠٠٢)، ص: ٦٥١. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ٢٦٥. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٢٠٣.

[٧٧٨] عريب (١٨٩٧)، ص: ٥٤. مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٢٢. العظيمي (١٩٨٤)، ص: ٢٨٠. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٤٨٩.

[٧٧٩] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٨٢. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ٢٥٥. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٥-٣٠. القرماني (١٩٩٢)، ج٢، ص: ١٣٨.

الهجمات والاعتداءات البيزنطية على الثغور الشامية وعلى معظم المدن والقرى والمناطق في هذا الإقليم، ما كان لها أن تحدث وتتوسع لولا ضعف الخلافة العباسية وانشغالها بمشاكلها الداخلية وانكفائها إلى داخل العراق وتراجع نفوذها ودورها في بلاد الشام ومعظم الولايات التابعة لها هذا من جهة ومن جهة ثانية الاقتتال الداخلي بين الأمراء والحكام المحليين أدّى إلى إضعافهم وتشتيت إمكاناتهم أمام الدولة البيزنطية.

ازدادت أعداد الوفيات والأسرى بين السكان وزادت المجاعة، وضعفت فرص العمل لقلّة اليد العاملة بسبب قتلها وأسرها وهجرة كثير من الناس منها بسبب عدم قدرة سكان ملطية وميافارقين وآمد[٧٨٠] وأرزن[٧٨١] الوقوف في وجه الهجمات البيزنطية وصدّها، بسبب الضعف الذي لحق بهم من جرّاء الهجمات المتكررة عليهم، والأضرار الكبيرة التي لحقت بهم، واستغاث سكان هذه المناطق بالخليفة المقتدر بالله ولكن دون جدوى، ويدل ذلك على الأزمة الاجتماعية الكبيرة التي ألمّت بسكان الثغور العربية الإسلامية، من نهب للقرى، وسبيٍ للسكان قُدّر بحوالي خمسة عشر ألف إنسان، بسبب الهجمات البيزنطية سنة ( ٣٣٠هـ / ٩٤١م)[٧٨٢]، بعدها قام البيزنطيون بأسر سكان ديار بكر، وأرزن، ونصيبين وميافارقين، وتخريب مناطقهم[٧٨٣]، كما سبوا سكان مدينة دارا[٧٨٤]، ورأس العين[٧٨٥] بعد احتلالهم لهذه المناطق[٧٨٦]، وخرّبوا سور الحدث سنة ( ٣٣٦هـ / ٩٤٧م)[٧٨٧]، وسبوا ونهبوا سكان مدينة سروج[٧٨٨]، وخرّبوا مساجدها سنة ( ٣٤١هـ / ٩٥٢م)[٧٨٩].

---

[٧٨٠] آمد: وهي من أعظم مدن ديار بكر وأشهرها، تقع غربي نهر دجلة على جبل، بالقرب من ميافارقين. الإدريسي (٢٠٠٢)، ص: ٦٦٣. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ٥٦. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٣. واصف (د. ت)، ص: ١٤.

[٧٨١] أرزن مدينة كبيرة سهلية جبلية، من نواحي أرمينيا. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ١٥٠. القزويني (د. ت)، ص: ٤٩٤. البغدادي (١٩٥٤)، ج١، ص: ٥٥. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٢٦.

[٧٨٢] عريب (١٨٩٧)، ص: ١٢٥. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٥٧-١٠٦-١٦٨.

[٧٨٣] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ٤١. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٢٦. القرماني (١٩٩٢)، ج٢، ص: ١٤٩. الغزي (د. ت)، ج٣، ص: ٤٤.

[٧٨٤] دارا مدينة رومية من بلاد الجزيرة وهي بلد ديار ربيعة، تقع بين نصيبين وماردين، على سفح جبل. الحموي (١٩٨٧)، ج٢، ص: ٤١٨. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٢٣٠.

[٧٨٥] رأس العين وهي مدينة كبيرة من كور ديار ربيعة، وهي بين الحيرة والشام، من أرض الجزيرة بالخابور. البكري (د. ت)، ج٢، ص: ٦٢٣. الإدريسي (٢٠٠٢)، ص: ٦٦١. الحازمي (١٩٩٣)، ج٢، ص: ٧٠٦. المعجم الجغرافي (١٩٩٢)،، ج٣، ص: ٤٣٦-٤٣٧.

[٧٨٦] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ٤٤. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٣٤. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ١٨٥.

[٧٨٧] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ٧٧.

[٧٨٨] سروج بلدة قريبة من حران وملطية، وهي من ديار مضر بالقرب من الجزيرة. البكري (د. ت)، ج٣، ص: ٧٣٧. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٢١٦. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٣١٥. المعجم الجغرافي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٦١٦.

[٧٨٩] الهمذاني (١٩٥٨)، ص: ١٦٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٤٣. ابن شداد (١٩٩١)، ج٣، ق١، ص: ١٠٢. الطباخ (١٩٨٨)، ج١، ص: ٢٣٤.

وتجددت المآسي الاجتماعية متمثلة بقتل وسبي سكان ميافارقين وطرسوس، مع نهب أرزاقهم وحرق قراهم من قبل البيزنطيين سنة (٣٤٥هـ/٩٥٦م)[٧٩٠].

والسؤال المطروح: ألم يشعر الحكام والأمراء في بلاد الشام بخطر البيزنطيين عليهم فيتركوا خلافاتهم جانباً ويتحدوا ضد البيزنطيين ليتّقوا خطرهم ويحفظوا أمن بلاد الشام؟ وهل كانت الخلافات فيما بينهم أشد خطورة على وجودهم من الخطر البيزنطي فلم يستطيعوا تجاوزه وإنهائه؟ إنّ ما حدث من تفرقة ومن حرب بين الحكام والأمراء بين بعضهم البعض أدّى إلى إضعافهم والحدّ من قدرتهم على الوقوف بوجه الغزوات البيزنطية على بلاد الشام وعلى ما خلّفته من أزمات ونكبات اجتماعية عاشها السكان في هذا الإقليم بمرارة ولمدّة طويلة.

هاجم البيزنطيون حصن اليماني من عمل آمد، وهاجموا حصوناً عدّة من نواحي آمد وميافارقين، ووصلوا إلى قنسرين، فالتقى معهم سيف الدولة الحمداني، فهُزم وقُتل من جيشه عددٌ كبيرٌ، ونهب البيزنطيون عسكره، وتمكنوا من دخول سميساط سنة ( ٣٤٧هـ / ٩٥٨م)[٧٩١]، وفي السنة التالية تعرض سكان طرسوس والرها[٧٩٢] وحران وديار بكر للقتل والسبي من قبل البيزنطيين[٧٩٣]، وبعد عامين من ذلك تمّ تهجير العديد من سكان عين زربة ووفاة الكثيرين منهم في الطرقات بسبب تخريب البيزنطيين واحتلالهم للمنطقة وتدميرهم للعديد من الحصون سنة (٣٥١هـ/٩٦٢م)[٧٩٤].

في العام نفسه أو كما ذكرت بعض الروايات في العام التالي دخل البيزنطيون حلب، وبقوا فيها ثمانية أيام، جعلوها أثراً بعد عين، وكانت شاهداً على وحشيتهم، فنهبوا الأموال والعتاد وما لا يحصى، وحرقوا ما تبقى فيها، وخرّبوا المدينة، وقتلوا وأسروا أعداداً كبيرةً من السكان، بعد أن كانوا قد فتحوا حصوناً عدّة منها دلوك[٧٩٥] ومرعش ورعبان[٧٩٦]، كما هاجموا منبج[٧٩٧][٧٩٨].

---

[٧٩٠] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ١٠٢. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٥٧. اليافعي. (١٩٩٧). **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**. وضع حواشيه: خليل منصور. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج٢. ص: ٢٥٣.

[٧٩١] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ٨٨. الهمذاني (١٩٥٨)، ص: ١٧٢. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ١١٤. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ٧٥. اليافعي (١٩٩٧)، ج٢، ص: ٢٥٥.

[٧٩٢] الرها: مدينة رومية، تقع بالجزيرة بين الموصل والشام، متصلة بحران. الحازمي (١٩٩٣)، ج١، ص: ٤٨٩. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ١٠٦. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٢٧٣. شامي (١٩٩٣)، ص: ٣١٥. العفيفي (٢٠٠٠)، ص: ٢٥٧.

[٧٩٣] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٦٣. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ٧٦. اليافعي (١٩٩٧)، ج٢، ص: ٢٥٧. الطباخ (١٩٨٨)، ج١، ص: ٢٣٧.

[٧٩٤] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٣٣٢. الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ٩٦. الهمذاني (١٩٥٨)، ص: ١٨٠. العظيمي (١٩٨٤)، ص: ٣٠٠. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ١٣٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٧٢. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ٧٨. اليافعي (١٩٩٧)، ج٢، ص: ٢٦٠.

[٧٩٥] دلوك بلدة من نواحي حلب، وهي من الثغور المتصلة ببلاد الروم. البكري (د. ت)، ج٢، ص: ٥٥٥. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ٤٦١. البغدادي (١٩٥٤)، ج٢، ص: ٥٣٢. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٢٣٦.

والواضح من سياسة البيزنطيين العسكرية تدمير المناطق بصورة كاملة وإجلاء سكانها، وقتل ما تبقّى منهم، فهل كان هدفهم إبعاد الخطر عنهم والمتمثّل بالثغور العربية الإسلامية الممتدة على حدودها؟ أم أنّ ذلك النهج للرعب فقط وإدخال الخوف إلى قلب سكان تلك المناطق؟ على كل حال تجلّى هذا سنة ( ٣٥٣هـ / ٩٦٤م)، عندما أدّت الهجمات البيزنطية إلى المزيد من القتل والتهجير للسكان، وإلى انتشار الفقر والجوع في المصيصة وطرسوس وحلب، ومناطق الثغور، وأكلت الناس الكلاب، بسبب محاصرة البيزنطيين لهذه المدن، إذ حرقوا وخرّبوا في تلك المناطق مالا يُحصى، وقتلوا وسبوا من العرب المسلمين أعداداً كبيرةً، ورحل الناس إلى دمشق والرملة، هرباً من الغلاء، وخوفاً من البيزنطيين[٧٩٩]، وتمّ تخريب وحرق ونهب ممتلكات سكان قنسرين سنة ( ٣٥٥هـ / ٩٦٥م)، وقتل وأسر أعداد كبيرةً من سكان آمد، الذين رحل قسم منهم إلى دارا، بسبب مهاجمة وحصار البيزنطيين لهم، كما تعرض سكان منبج وبالس[٨٠٠] وقنسرين وأرتاح[٨٠١] للسبي من قبل البيزنطيين الذين أجبروا قسماً من سكان الثغور والشام إلى الرحيل إلى أنطاكيا التي تعرضت بدورها للحصار من قبل البيزنطيين، حيث عملوا على تخريبها ونهبها[٨٠٢].

قام البيزنطيون بقتل وأسر أعداد كبيرة من سكان أرزن وميافارقين وكفرتوثا[٨٠٣] سنة ( ٣٥٧هـ / ٩٦٧م)، كما نهبوا معرة النعمان وطرابلس وحماة وقاموا بحرق حمص وقتلوا وأسروا أعداداً كبيرة من السكان، وحاصروا عرقة تسعة أيام، وفتحوا حصون انطرطوس[٨٠٤] ومرقية[٨٠٥] وجبلة، وأُجبر أهل اللاذقية على

---

[٧٩٦] رعبان مدينة في الثغور من عمل المنبج من الثغور الجزرية بين حلب وسميساط. البكري (د. ت)، ج٢، ص: ٦٦٠. الحازمي (١٩٩٣)، ج١، ص: ٤٦٦. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٥١.

[٧٩٧] منبج مدينة كبيرة من بناء الروم، تعدّ من جند قنسرين، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ. البكري (د. ت)، ج٤، ص: ١٢٦٥. الإدريسي (٢٠٠٢)، ص: ٦٥١. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ٢٠٦. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٥٤٧. المعجم الجغرافي (١٩٩٢)، ج٥، ص: ٣٤٨.

[٧٩٨] مسكويه (٢٠٠٣)، ج٥، ص: ٣٣٣. الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ٩٧-٩٩. الهمذاني (١٩٥٨)، ص: ١٨١. العظيمي (١٩٨٤)، ص: ٣٠٠. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٧٣. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ٧٨-٨١. الدواداري (د. ت)، ج١، ق٥، ص: ٤٠٧.

[٧٩٩] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ١٠٤-١٠٧. العظيمي (١٩٨٤)، ص: ٣٠٢. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ١٥٥. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٨٢-٢٨٤-٢٨٧. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ٨٣.

[٨٠٠] بالس بلدة في بلاد الشام، ما بين حلب والرقة على الضفة الغربية لنهر الفرات. البكري (د. ت)، ج١، ص: ٢٢٢. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ٣٢٨.

[٨٠١] أرتاح مدينة وحصن من أعمال حلب. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ١٤٠. البغدادي (١٩٥٤)، ج١، ص: ٥١.

[٨٠٢] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ١١٥-١١٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٩٥-٢٩٦. أبو الفداء (د. ت)، ج٢، ص: ١٠٦. الدواداري (د. ت)، ج١، ق٥، ص: ٤١٢. الطباخ (١٩٨٨)، ج١، ص: ٢٤٨.

[٨٠٣] كفرتوثا قرية كبيرة بين دارا ورأس عين من أعمال الجزيرة، وهي من كور نصيبين من ديار ربيعة. الحموي (د. ت)، ج٤، ص: ٤٦٨. البغدادي (١٩٥٤)، ج٣، ص: ١١٦٩. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٤٩٩.

[٨٠٤] انطرطوس بلد من سواحل بحر الشام. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ٢٧٠. القزويني (د. ت)، ص: ١٥١. البغدادي (١٩٥٤)، ج١، ص: ١٢٥.

عقد صلح مع البيزنطيين تجنّباً لهجماتهم، وقام البيزنطيون بنهب وتخريب مدن الساحل، ودمّروا وخرّبوا عدداً كبيراً من القرى، وأسروا عدداً كبيراً من السكان، وبقي البيزنطيون مدّة شهرين في الشام، يقتلون ويأسرون السكان ويُخرّبون ممتلكاتهم وأرزاقهم، ولقد ذكر ابن الأثير وغيره من المؤرخين هذه الأحداث في سنة ( ٣٥٨هـ / ٩٦٨م)[٨٠٦]، وبعد عام من ذلك حوصرت حلب من قبل البيزنطيين مدة سبعة وعشرين يوماً، وبموجب الصلح الذي تمّ فقد تقرر دفع مبالغ مالية عن حلب وحمص وريفهما إلى بيزنطة، ومقداره ثلاثة قناطير ذهب عن حق الأرض، وسبعة قناطير ذهب عن خراج هذه الأعمال، وعن كل رجل حالم دينار واحد في السنة، ويكون لإمبراطور بيزنطة مندوباً له في حلب يستخرج أعشار الأمتعة الواردة إليها من البلاد، ويرفعه إلى الملك مقابل رفع الحصار عن المدن[٨٠٧].

وقام البيزنطيون بحرق الأراضي الزراعية والقرى، وقتل وسبي وأسر الكثيرين من سكانها، إلى جانب سرقة ومصادرة الغلّات الزراعية في مواسمها، وعرّضوا السكان للفقر والجوع، وكرّروا ذلك كل سنة للسيطرة على المدن والقرى، فملكوا بذلك قسماً كبيراً من الثغور الشامية والجزرية وقتلوا وسبوا من أهلها مالا يحصى، وسيطروا على منازكرد وديار مضر وربيعة وديار بكر[٨٠٨].

تكررت الاعتداءات البيزنطية في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري( العاشر الميلادي) على بلاد الشام، إذ هاجم البيزنطيون الرها ونواحيها، وساروا في الجزيرة حتى وصلوا نصيبين، فقتلوا قسماً من سكانها، وخرّبوا البلاد وسلبوا وأحرقوا كثيراً من المناطق، وهذا ما حدث في ديار بكر وربيعة، وفي ميافارقين وآمد، وضجّت العامة ورحل قسم من سكان الموصل إلى بغداد خوفاً منهم، ونتيجة للاعتداءات البيزنطية جرت معركة شديدة مع العرب المسلمين، هُزم فيها البيزنطيون[٨٠٩].

توجّه البيزنطيون إلى داخل بلاد الشام، فقتلوا وسبوا عدداً من سكان حمص وبعلبك والبقاع والزبداني[٨١٠]، كما حرقوا وخرّبوا ممتلكات السكان، ولم ينج سكان مدينة جبيل[٨١١] من سبي البيزنطيين لهم بعد أن سيطروا على مدينتهم، وذكر ابن القلانسي هذه الأحداث في سنة ( ٣٦٥هـ / ٩٧٥م)[٨١٢].

---

[٨٠٥] مرقية قلعة حصينة في سواحل حمص. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ١٠٩.

[٨٠٦] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ١٢٤-١٢٧. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ١٩٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣١٣. أبو الفداء (د. ت)، ج٢، ص: ١١٠. الطباخ (١٩٨٨)، ج١، ص: ٢٦٦.

[٨٠٧] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ١٣٥. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣١٨. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ٩٢. أبو الفداء (د. ت)، ج٢، ص: ١١٠-١١١.

[٨٠٨] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ١٣٦-١٣٧. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ٨٣-٩٣.

[٨٠٩] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ١٤٨-١٥٠. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٢٩-٣٣٦. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٧، ص: ٤٢٧. أبو الفداء (د. ت)، ج٢، ص: ١١٢. الغزي (د. ت)، ج٣، ص: ٦٤-٦٥.

[٨١٠] الزبداني كورة بين دمشق وبعلبك. الحموي (د. ت)، ج ٣، ص: ١٣٠.

وإثر دخول البيزنطيين إلى حمص سنة ( ٣٧٣هـ / ٩٨٣م)، طلبوا مالاً من أهلها، فقالوا هذا بلد خراب ليس فيه مال، عندئذٍ نهبوها وأضرموا النيران فيها وسبوا سكانها، فخربت حمص[٨١٣]، ولم تكن أعمالهم في نواحي حلب بعد عامين أقل وطأة بل أشد حيث أسروا وقتلوا الكثير، وظلّوا على هذا النهج حتى وصلوا إلى الفرات حيث عاثوا فساداً[٨١٤]، وكانت هذه الهجمات تتكرر فكانت سنوية حيث يعودون إلى بلادهم بعد جمعهم وسرقتهم لأرزاق وممتلكات المدن والقرى في بلاد الشام وحرمان سكانها منها[٨١٥]، وكما عاثوا فساداً في نواحي حلب وحمص، فقد سلكوا السلوك نفسه في رفنية[٨١٦] وعوج[٨١٧] واللكمة[٨١٨]، حيث نهبوها وخرّبوها كعادتهم[٨١٩].

وذكرت المصادر أنّ سكان حصن أفامية أكلوا الجيف والكلاب بسبب حصار البيزنطيين لهم من أجل السيطرة عليها واحتلالها، وانعدام المواد الغذائية لديهم[٨٢٠]، وقطعوا الماء عن أفامية وشيزر لمّا حاصروها سنة ( ٣٨٩هـ / ٩٩٨م)، الأمر الذي أدى إلى استسلام السكان، ورحيل قسم منهم إلى حماة هرباً من القتل والأسر والسبي، كما سيطر البيزنطيون على حصن أبي قبيس[٨٢١]، وخرّبوا حصن مصيات[٨٢٢] بعد أن دخلوه، وسيطروا على رفنية وحرقوها وسبوا أهلها، وبقوا يحرقون ويخرّبون ويسبون في طريقهم حتى وصلوا حمص، التي قاموا بحرقها وقتل وتهجير الكثيرين من سكانها، فالتجأ قسم من السكان إلى كنيسة مار قسطنطين فأحرقها البيزنطيون ونهبوها، ما أدّى إلى حدوث أزمة اجتماعية كبيرة

---

[٨١١] جبيل من مدن العواصم، على ساحل الشام شرقي بيروت، وهي مدينة ساحلية على شاطئ البحر المتوسط في لبنان، بين طرابلس وبيروت. الحازمي (١٩٩٣)، ج١، ص: ١٨٨. الحموي (د. ت)، ج٢، ص: ١٠٩. شامي (١٩٩٣)، ص: ١٢٢. العفيفي (٢٠٠٠)، ص: ١٨٥. واصف (د. ت)، ص: ٣١.

[٨١٢] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ١٦١-١٦٣. ابن القلانسي (١٩٨٣)، ص: ٢٣-٢٧. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٧، ص: ٤٧٠. المقريزي (١٩٩٦)، ج١، ص: ٢٢٠.

[٨١٣] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ٢٠١. ابن القلانسي (١٩٨٣)، ص: ٥٠-٥١. ابن العديم (١٩٩٦)، ص: ١٠٢. المقريزي (١٩٩٦)، ج١، ص: ٢٥٨.

[٨١٤] سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ١٦.

[٨١٥] ابن القلانسي (١٩٨٣)، ص: ٧٢-٧٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٥٥. أبو الفداء (د. ت)، ج٢، ص: ١٢٨.

[٨١٦] رفنية من أعمال حمص. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٥٥.

[٨١٧] لا يوجد لها ترجمة.

[٨١٨] اللكمة حصن بالساحل قرب عرقة. الحموي (د. ت)، ج٥، ص: ٢٢.

[٨١٩] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ٢٣٠.

[٨٢٠] ابن القلانسي (١٩٨٣)، ص: ٨٣-٨٤.

[٨٢١] أبو قبيس حصن مقابل شيزر. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ٨١.

[٨٢٢] مصيات قلعة ومدينة، ووردت بعدة تسميات منها مصياد، ومصياب ومصياف، وهي تقع غرب مدينة حماة بمسافة ( ٤٥كم). المعجم الجغرافي (١٩٩٢)، ج٥، ص: ٢٨٢.

للسكان، وسيطروا على عرقة وأحرقوها وهدموا حصنها، ثم رحل البيزنطيون إلى طرابلس وحاصروها مجدداً[٨٢٣].

ولما عمد البيزنطيون إلى غزو عرقة قاموا بنهبها وحرقها وتخريبها سنة ( ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)، كما نهبوا كورين من أعمال حلب، وقاموا بقطع أشجار أعزاز[٨٢٤] والقرى التي حولها[٨٢٥].

وتكررت هجماتهم لأراضي بلاد الشام في النصف الأول من القرن الخامس الهجري(العاشر الميلادي) واستولوا على غلّات رفنية، كما خرّبوها، لأنها كانت تمدّ الحصون الإسلامية بالغلّات، وخرّبوا أبراجها، وأخذوا معهم أسرى قُدّر عددهم حوالي عشرة آلاف إنسان، وأخذوا حصن صافيتا[٨٢٦] وسيطروا على قلعة أفامية، ونهبوها وسبوا أهلها، وسيطروا على الرها[٨٢٧].

نجم عن الاعتداءات البيزنطية المتكررة على مناطق الثغور، وعلى المدن والقرى الشامية المزيد من الدمار والخراب عبر سنين طويلة، خلقت أزمات اجتماعية كبيرة متلاحقة ومتواصلة بتواصل الهجمات البيزنطية أرهقت السكان وكان من مظاهر هذه الأزمات الاجتماعية كثرة القتلى من السكان، وكثرة الوفيات الناجمة عن الأمراض وتلوّث البيئة، وانتشار المجاعة بين السكان، كلّ ذلك كان بفعل الاعتداءات البيزنطية لمدن وقرى بلاد الشام.

وكان لهذه الأزمة الاجتماعية الكبيرة التي ألمّت ببلاد الشام من جرّاء الغزو البيزنطي لمعظم مناطقه تداعيات ومنعكسات سياسية، تمثلت في هجرة عدد كبير من سكان الثغور إلى بغداد وغيرها بسبب الغزو البيزنطي لمناطقهم، ما أدّى إلى خلل ديموغرافي في منطقة الثغور المواجهة للبيزنطيين، ومن آثارها السياسية تعيين مندوب لإمبراطور بيزنطة في حلب من أجل استخراج أعشار الأمتعة الواردة إليها، ويقوم برفعه إلى الإمبراطور، بالإضافة إلى الصلح الموقّع بين البيزنطيين والمدن المحاصرة، والمتضمّن في غالبيته دفع المبالغ المالية للبيزنطيين مقابل فك الحصار والمغادرة، والاتّفاق الذي جرى بين القائد التركي الفتكين وبين البيزنطيين الذين أرادوا دخول دمشق، والمتضمّن دفع مبلغ ستين ألف دينار إلى بيزنطة، ويقال إنّه مائة ألف دينار تفادياً لدخول بيزنطة دمشق، وكان تعيين ولاة من قبل بيزنطة على

---

[٨٢٣] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ٢٤٤-٢٤٥. العظيمي (١٩٨٤)، ص: ٣١٥. المقريزي (١٩٩٦)، ج٢، ص: ٣٢.

[٨٢٤] أعزاز بلدة فيها قلعة شمال حلب، وتبعد عن مدينة حلب حوالي ( ٤٦كم) نحو الشمال الغربي. القزويني (د. ت)، ص: ٢٢١. ينظر حاشية رقم ( ٢٠٥) ابن الجيعان. (١٩٨٤). **القول المستظرف في سفر مولانا الأشرف**. تح: عمر عبد السلام تدمري. ط: ١. جروس برس. ص: ٦٥. المعجم الجغرافي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ١١٣. أيوب (٢٠٠٠)، ص: ٤٧.

[٨٢٥] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ٤٢١. العظيمي (١٩٨٤)، ص: ٣٢٩.

[٨٢٦] صافيتا مدينة ومركز منطقة في جنوبي جبال اللاذقية، تتبع محافظة طرطوس. المعجم الجغرافي (١٩٩٢)، ج٤، ص: ٩٩. أيوب (٢٠٠٠)، ص: ٢٢٦.

[٨٢٧] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ٤٢٥-٤٢٧. العظيمي (١٩٨٤)، ص: ٣٣٠. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢٠٠. أبو الفداء (د. ت)، ج٢، ص: ١٥٧-١٥٨. المقريزي (١٩٩٦)، ج٢، ص: ١٨٠. الطباخ (١٩٨٨)، ج١، ص: ٢٩١.

المناطق التي قاموا بغزوها والسيطرة عليها كما حصل في حصن بانياس[٨٢٨] وجبلة وبرزويه[٨٢٩] وصهيون[٨٣٠] من أبرز المنعكسات السياسية للأزمة الاجتماعية في بلاد الشام الناجمة عن الاعتداءات والهجمات البيزنطية على هذا الإقليم[٨٣١].

إنّ ما ذكرته المصادر التاريخية عن الاعتداءات والهجمات البيزنطية على الأراضي العربية والإسلامية، وخاصة أراضي بلاد الشام وما نجم عن ذلك من تدمير وخراب للبنية التحتية في المدن والأرياف، ومن قتل وأسر وتهجير للسكان ما كان لها أن تحدث وتتكرر لولا التدخل والتسلّط الأجنبي على الخلافة العباسية، والذي أدّى إلى ضعفها وغيابها وتغييبها عن مسرح الأحداث الدائرة والواقعة في جغرافيتها، ولولا الأطماع الشخصية لكثير من الحكام والأمراء والولاة في بلاد الشام ومصر، إذ تحوّل الصراع والتناقض بينهم وبين البيزنطيين المتربصين بهم إلى صراع وتناحر فيما بينهم، وصلت حدّته إلى درجة الاستقواء والاستنجاد بالبيزنطيين الذين تقدّموا نحو بلاد الشام يحملون معهم معاول الهدم والتدمير معبّرين عن أحقادهم القديمة والجديدة على العرب والمسلمين وحضارتهم، فكانت المأساة والمعاناة والمحنة في بلاد الشام، التي ما زالت بعض الشواهد المادية للاعتداءات البيزنطية حيّة تروي لمشاهديها وللباحثين في أعماقها بعض معاناتها مما تركته هذه الهجمات من آثار تخريبية وتدميرية لبلاد الشام.

الأزمات الاجتماعية التي أصابت سكان بلاد الشام حلال المدّة ما بين (١٣٢-٤٤٧هـ/٧٥٠-١٠٥٥م) كان من أبرز أسبابها الحروب والصراعات التي قامت على معظم جغرافية هذا الإقليم بمدنه وقراه، وشكّلت دماء واقتصاد السكان وقوداً لنيرانها التي ما تكاد تخمد في منطقة حتى تشتعل بأخرى، هذا من حيث جغرافية حدوثها وانتشارها، أمّا من حيث زمن حدوثها فقد تتعرّض المنطقة ذاتها لهجمات وصراعات عدّة وهذا مردّه إلى كثرة الطامعين بالسلطة والنفوذ والمال أصحاب الثورات التي وقفت بوجه الخلافة العباسية وأرادت اجتزاء منطقة من جسم الخلافة والسيطرة عليها، وللتغطية على هذا الهدف تظهر العناوين الشتّى لهذه الثورات منها الديني ومنها الاجتماعي بسبب ظلم والٍ هنا أو هناك أو تعصّب قبلي أو إقليمي أو لإرثٍ يتعلّق بعادات الغزو والإغارة على المناطق الآمنة كغارات وحروب الأعراب التي هدّدت أماكن التجمعات السكانية، وحروب القرامطة المتنقّلة وما رافقها من قتلٍ وخرابٍ

---

[٨٢٨] بانياس مدينة صغيرة، قريبة من دمشق، وهي ثغر بلاد المسلمين. الحميري (١٩٧٥)، ص: ٧٤.

[٨٢٩] حصن برزويه حصن قرب السواحل الشامية. الحموي (د. ت)، ج١، ص: ٣٨٣.

[٨٣٠] صهيون قلعة حصينة من أعمال سواحل بحر الشام، وقلعة صهيون هي قلعة صلاح الدين الأيوبي، وقد نسبت إليه حديثاً لبطولته في تحريرها من أيدي الصليبيين. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٤٣٦. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. (١٩٧٢).**المعالم الأثرية في البلاد العربية**. القاهلر: مصر. مطابع مدكور. ج٢. ص: ٢٨٩. موستراس. (٢٠٠٢). **المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية**. تر: محمد عصام الشحادات. ط: ١. بيروت: لبنان. دار ابن حزم. ص: ٣٣٥.

[٨٣١] الأنطاكي (١٩٩٠)، ص: ١٣٥- ١٦١-١٦٣. ابن القلانسي (١٩٨٣)، ص: ٢٣-٢٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣١٨. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٧، ص: ٤٧٠.

وتدمير وأطماع الإخشيديين والفاطميين في بلاد الشام، هذه القوى المشار إليها والتي أثارت الفتن والثورات في معظمها كانت عربية إسلامية، أمّا الحروب التي شنّتها الامبراطورية البيزنطية على بلاد الشام خلال المدّة المذكورة كانت كيدية حاقدة منطلقة من العداء التاريخي ما بينها وما بين الدولة العربية الإسلامية منذ ولادتها، فالهجمات البيزنطية على مدن وقرى بلاد الشام هدفت إلى قتل وأسر وتهجير السكان، بالإضافة إلى نهب وسرقة وتدمير البنية التحتية لسكان هذا الإقليم، وبفعل الصراعات وردّات فعل الخلافة العباسية والمتمثّلة باستخدام القوة العسكرية للقضاء على الثورات ومثيريّ الفتن، عاش سكان بلاد الشام أزمات اجتماعية خانقة كان من مظاهرها كثرة الوفيات الناجمة عن القتل والأمراض وكثرة السبي والتهجير والفقر والجوع والحرمان وانتشار الأمراض والجهل والفساد الذي عانى منه القسم الأعظم من سكان بلاد الشام.

## الفصل الخامس: الكوارث الطبيعية ومنعكساتها على الأوضاع السياسية في العراق وبلاد الشام من سنة ( ١٣٢-٤٤٧هـ / ٧٥٠-١٠٥٥م):

**أولاً: الكوارث الطبيعية في العراق ومنعكساتها الاقتصادية والاجتماعية:**

**١- الفيضانات**

**٢- الأمطار والثلوج والرياح**

**٣- الجفاف**

**٤- الجراد**

**٥- الأوبئة والطواعين**

**٦- الزلازل**

**٧- الحرائق**

**ثانياً: الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومنعكساتها الاقتصادية والاجتماعية:**

**١- الأمطار والرياح**

**٢- الجراد**

**٣- الأوبئة**

**٤- الزلازل**

**٥- الحرائق**

**أولاً: الكوارث الطبيعية في العراق ومنعكساتها الاقتصادية والاجتماعية:**

للتوازن البيئي دوره الحيوي في العمران البشري على سطح الأرض، وأي خلل طارئ وغير متوقع سواء في الزيادة أو النقصان عن هذا التوازن المألوف يؤدي إلى اضطراب المنظومة البشرية بمختلف أبعادها، فطالما كانت قوى الطبيعة غير المروضة وعلى مر العصور ولا سيما القديمة منها والتي كانت غير خاضعة للتحليل الدقيق والمتأني، قوى إلهية خارقة معبودة وجب إرضائها، فغضبها يعني الكارثة والفناء، ومع تلاشي هذا الاعتقاد وتوسع الأفق الإنساني حاول الإنسان وعلى قدر قوته القاصرة أصلاً أمامها تدارك آثارها وتجاوزها قدر الإمكان، مع الإقرار باختلاف الاستجابات بين مجتمع وأخر.

ومن الطبيعي أن تؤدّي الكوارث الطبيعية من زلازل وبراكين وفيضانات وجفاف وأوبئة دوراً في خلق الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبنيوية، انعكست آثارها بشكل طبيعي ومباشر على الإنسان القاطن في تلك البقعة الجغرافية كالوفيات والهجرة والتشرد والفقر والفاقة والعوز وقلة الموارد، مع مرافقة الأوبئة والأمراض لهذه الكوارث في أغلب الأحيان، وهذا ما حدث في العراق، وعلى امتداد جغرافيته، حيث عانى سكانه من آثار الكوارث الطبيعية التي ألحقت الفقر والتشرّد والأمراض والوفيات بالناس، الذين وقفوا عاجزين في معظم الأحيان أمام هول ما يحدث من فيضانات وأمطار وثلوج وغيرها، وانعكس ما أصاب الإنسان في العراق من فعل الكوارث الطبيعية في تلك الحقبة سياسياً على الخلافة العباسية بأفعال وأعمال للتخفيف من أثر الكوارث أو بتعويض المتضررين من أثر ذلك، ومن الكوارث الطبيعية التي عانى منها سكان العراق في تلك الحقبة:

**١-الفيضانات:**

تعرّضت أراضي العراق زمن الخلافة العباسية لفيضانات غزيرة ناتجة عن ارتفاع منسوب نهري دجلة والفرات بسبب غزارة الأمطار وتساقط الثلوج، وعلى الرغم من الاجراءات الاحترازية والتدابير المسبقة من قبل الخلفاء والسلاطين للحدّ من ظاهرة الفيضانات، مثل بناء السدود والجسور والترع وتكليف المهندسين بمراقبتها، فقد بقيت قوّة الإنسان قاصرة أمام قوى الطبيعة التي أثّرت على مختلف مناحي الحياة مثل الزراعة في العراق والتي شكّلت مورداً رئيساً للسكان[٨٣٢].

وبسبب زيادة منسوب مياه الأنهار سنة (١٨٤هـ/٨٠٠م) غمرت المياه معظم مدينة بغداد، وكانت خسائر السكان كبيرة بأرزاقهم ومنازلهم[٨٣٣]. وتكرّرت معاناتهم مرة أخرى عام (١٨٦هـ/٨٠٢م) عندما غمرت

---

[٨٣٢] بلبايق، ي. (١٩٧٢). **العرب والإسلام والخلافة العربية**. تر: أنيس فريحة. مراجعة: محمود زيدان. بيروت: لبنان. الدار المتحدة. ص: ٢٧٥.

[٨٣٣] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج٩، ص: ٩٢.

المياه مدينة بغداد، وحدث ما حدث من خراب وتهجير للسكان حتى أنّ الخليفة هارون الرشيد اضطر للخروج مع أهله وأمواله بواسطة السفن من بغداد بسبب الفيضانات[٨٣٤].

وكلّما ازدادت الأمطار وتساقطت الثلوج، يرتفع منسوب المياه في الأنهار وتحدث الفيضانات وتكون التداعيات السلبية على السكان من خراب للمزروعات، وقلّة للمواد الغذائية، وارتفاع أسعارها، وبالتالي الفقر والجوع والتشرّد الذي يحلّ بالسكان، وهذا ما حدث سنة (٢٠٦هـ/٨٢١م) عندما غمرت المياه قسماً كبيراً من بغداد والموصل والبصرة والكوفة حيث عانى سكانها من ضائقة اقتصادية واجتماعية انعكست على السكان الذين عانوا من الجوع والفقر والذي استمر عاماً كاملاً[٨٣٥].

مدينة بغداد المهدّدة دائماً بالفيضانات والتي عانى سكانها من الفقر والجوع والتهجير نتيجة ما تفرزه فيضانات دجلة من خراب وأضرار، عاش سكانها هذه الويلات سنة (٢١٥هـ/٨٣٠م) حيث خرّبت الفيضانات الجسور[٨٣٦]، كما عاش سكانها حالات من الرعب الشديد نتيجة للفيضانات التي حدثت سنة (٢٢٠هـ/٨٣٥م)[٨٣٧].

وإذا كانت الفيضانات الناجمة عن نهر دجلة في بغداد متكررة ومعاناة السكان منها كبيرة وكبيرة جداً في أرواحهم وممتلكاتهم. فلا بدّ من طرح التساؤل التالي: لماذا كانت الأعمال الوقائية من قبل الخلفاء والسلطة العباسية مثل إقامة السدود والجسور غير كافية ولا تقي الناس خطر الفيضانات، وهل إنفاق المزيد من الأموال على الحروب الداخلية، وعلى بناء القصور وما يجري بداخلها من بذخ وترف أفضل من حماية بغداد وأهلها من خطر الفيضانات؟

والواضح من خلال رصد واستقراء الوقائع التاريخية أنه لم ترحم الأمطار الغزيرة مدينة الموصل سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦م) فقد تحوّلت الأمطار إلى فيضانات أسفرت عن مقتل الآلاف من سكان المدينة وهدم منازلهم، وترافق ذلك مع فيضان نهر دجلة الذي غمرت مياهه الأسواق فكانت معاناة السكان كبيرة من جرّاء كثرة الوفيات إلى جانب الفقر والجوع والتشرّد الذي حلّ بهم، وقُدّر عدد الوفيات بثلاثين ألفاً عندها أمر أمير الموصل غانم بن حميد الطوسي بتكفين الوفيات[٨٣٨].

---

[٨٣٤] ابن الجوزي. (د. ت). **مناقب الإمام أحمد بن حنبل**. تصحيح: محمد أمين الخانجي. ط: ١. مصر. مطبعة السعادة. ص: ٢٧.

[٨٣٥] الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ٥٨١. الأزدي (١٩٦٧)، ص: ٣٦٢-٣٦٣. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٠، ص: ١٤٩-١٦١. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٤٦٧. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١١، ص: ٣٠.

[٨٣٦] ابن طيفور (١٩٤٩)، ص: ١٤٣.

[٨٣٧] الأزدي (١٩٦٧)، ص: ٤٢٢.

[٨٣٨] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ١٥٠. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ١٧٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٩٥.

غمرت مياه الفيضانات أكثر من سبعة آلاف دار في بغداد سنة (٢٧٠هـ/٩٠٦م) عاش أهلها فقراً وجوعاً وتشرّداً نتيجة ذلك[٨٣٩]، وتكررت كارثة الفيضانات في بغداد في سنوات متفاوتة منها سنة (٢٩٢-٢٩٤هـ/٩٠٤-٩٠٦م) حيث تهدّمت العديد من المنازل، وتشرّد سكانها مصطحبين معهم فقرهم وجوعهم وحرمانهم[٨٤٠]، وعانى سكانها من ويلاتها وما أحدثته من خراب ودمار[٨٤١].

وعمّت الفيضانات معظم أنحاء العراق ومنها تكريت التي تعرضت لها سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) بسبب الأمطار الغزيرة، والتي أدّت إلى مقتل الكثيرين من السكان، وتدمير العديد من المنازل والمحلات مما جلب الضائقة الاقتصادية والاجتماعية للسكان فحصلت المجاعة والتشرّد لعدد من سكانها إلى جانب كثرة الوفيات[٨٤٢].

وتعرضت الأنبار للفيضانات سنة (٣٢٨هـ/٩٣٩م) التي أدّت إلى خراب وتهديم للمنازل، فغرق الكثير من الناس مع حيواناتهم من جرّاء ذلك[٨٤٣]، ولم يمض عام واحد حتى أودت أيضاً الفيضانات بحياة الكثيرين من الناس مع تهديم المنازل وتخريب المحاصيل الزراعية مما أدّى إلى ارتفاع الأسعار وزيادة حالات الفقر والجوع[٨٤٤] .

وعانت بغداد الأمرّين من الجفاف الذي اجتاحها سنة (٣٢٩هـ/٩٤٠م) ومن الفيضانات سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م) حيث ارتفعت الأسعار وكثرت الوفيات نتيجة للفقر والمجاعة وانتشار الأمراض، كما دخلت السيول المنازل، وخرّبت عدداً منها[٨٤٥]، وقتلت أعداداً من السكان وخرّبت الأرزاق فارتفعت الأسعار وعمّ الغلاء وكثرت حالات الجوع والفقر، ونشط اللصوص في سرقة المنازل لخلوّها من السكان[٨٤٦]، وعادت الفيضانات لتغمر بغداد سنة (٣٣٧هـ/٩٤٨م) وعاد معها الخراب للمنازل وأرزاق الناس إلى جانب الضحايا من السكان فكان التشرّد ثمرة من ثمارها، إلى جانب الفقر والحرمان والمجاعة[٨٤٧].

---

٨٣٩ الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٦٦٧. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٦، ص: ٧٣.

٨٤٠ ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ٣٣. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٤٢٥.

٨٤١ ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ٥٠.

٨٤٢ ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٧٠. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٩٤.

٨٤٣ ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ١٣٣. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٣٠٦.

٨٤٤ ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ٤٠٣.

٨٤٥ ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٦-٧-١٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ١٥٨. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ١٤٦. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٣١١.

٨٤٦ ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٣٤. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ١٥٩.

٨٤٧ ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٧٢. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ١٧٩. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٣٤٠.

كما عانت مدينة الموصل من ضائقة اقتصادية وبشرية تسببت في هجرة العديد من سكانها نتيجة الفيضانات التي اجتاحتها سنة (٣٤٨هـ/٩٥٩م) حيث نجم عنها المزيد من الضحايا البشرية، وغرق الكثير من الزوارق، وخُرّبت المحاصيل الزراعية[٨٤٨].

ولم تسلم بغداد من آثار فيضان نهر دجلة سنة (٣٧٠هـ/٩٨٠م) حيث تعرضت الدور والمحلات للخراب والغرق مما أدّى إلى المزيد من الضحايا والأرواح البشرية والكثير الكثير من الأرزاق والأموال، وأدّى هذا بدوره إلى قلّة المواد الغذائية وارتفاع أسعارها، والمجاعة والفقر، إلى جانب تشرّد الكثيرين من سكان المدينة بعد أن فقدوا منازلهم[٨٤٩]، وإذا كانت بغداد قد ذكرتها المصادر التاريخية أكثر من غيرها فربما لأنها مقرّ الخلافة العباسية وهذا لا يعني أنّ المناطق الأخرى كان ضررها من الفيضانات محدوداً، ففي عام (٤٠١هـ/١٠١٠م) غمرت المياه معظم المناطق العراقية، وانفجرت السدود وتخرّبت المحاصيل الزراعية فعمّ الغلاء وحدثت المجاعة علاوة على الضحايا البشرية من جراء ذلك[٨٥٠].

وطال الخراب والدمار آلاف المنازل في مدينة البصرة جرّاء الفيضانات التي اجتاحتها سنة (٤٢٦هـ/١٠٣٤م) مما أدّى إلى تشرّد بعض سكانها، رافق ذلك انتشار الفقر والجوع[٨٥١].

إذا كانت الفيضانات متكررة في مناطق العراق وجلبت ما جلبت من ويلات على السكان في تلك الحقبة وأحدثت أزمات اقتصادية واجتماعية حلّت بالناس مثل الفقر والجوع والتشرّد إلى جانب الضحايا البشرية، لذلك ما هي ردّة فعل الخلافة العباسية وإدارتها حيال ذلك؟ إن ما ذكرته المصادر التاريخية لهذه الكوارث وما قامت به الإدارة العباسية كان خجولاً ولا يتناسب مع حجم وخطورة الفيضانات، فالبعض من ردود الخلافة العباسية كان احترازياً، فقد عمد الخليفة أبو جعفر المنصور إلى حفر قناة ما بين نهري دجلة ودجيل وما بين نهري الفرات وكرخايا[٨٥٢]، ومن الاجراءات الأخرى تجاه الفيضانات، إقامة القناطر على كثير من الأنهار، واستعملوا مقاييس لمعرفة منسوب المياه[٨٥٣]، ومن المنعكسات لما أحدثته الفيضانات من أزمات اقتصادية واجتماعية، إقامة الجسور والسدود والترع وتعيين الموظفين لمراقبتها[٨٥٤]، إضافة إلى ما أمر به الخليفة العباسي الواثق بالله بإسقاط ضريبة أعشار السفن بعد أن

---

[٨٤٨] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ١١٨. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٦٧.

[٨٤٩] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٢٧٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٩٥. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٤، ص: ١٤٢.

[٨٥٠] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٧٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٦٦.

[٨٥١] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٢٤٦-٢٧٣. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ٧٧.

[٨٥٢] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج٨، ص: ٧٩.

[٨٥٣] ابن جبير. (١٩٨١). **رحلة ابن جبير**. بيروت: لبنان. دار الهلال. ص: ١٧١.

[٨٥٤] حسن (١٩٩٦)، ج٣، ص: ٣١٩.

غمرت المياه مدينة الموصل سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦م) وما قام به والي المدينة بتكفين ضحايا الفيضانات[٨٥٥].

ومن المؤكد أنّ ما قامت به الخلافة العباسية من إجراءات وقائية للحد من أخطار الفيضانات أو التعويضات وغيرها لا يتناسب مع حجم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي أحدثتها الفيضانات، وإذا لم تقم الخلافة العباسية وإدارتها بالفعل الكافي الذي يقي الناس من هذه الأخطار بسبب عجز مادي أو لأي سبب آخر، فلماذا لم تسع الجهات الشعبية خاصة الأغنياء منها لعمل ما، يخفف من خطر الفيضانات على الناس وأملاكهم؟

وهنا لا بدّ من التساؤل عن الاجراءات التي كانت تقوم بها الإدارة العباسية لإيواء المشرّدين من الفيضانات أو الكوارث الطبيعية، هل أعدّت الخلافة المساكن لإيوائهم؟ وهل قدّمت مستلزمات الحياة لهم من طعام وملابس وغير ذلك؟ الواضح أنّ المصادر التاريخية لم تذكر مطلقاً بأنّ الإدارة العباسية قامت بمثل هذه الاجراءات للتخفيف من معاناة المشرّدين من جرّاء الفيضانات والكوارث الطبيعية.

**٢-الأمطار والثلوج والرياح:**

عندما تتساقط الأمطار والثلوج، يشعر المزارعون بالفرح والسرور لأنها تبشّر بالمواسم الجيّدة والغلال الوافرة لكنها إذا زادت وشكلت السيول الجارفة للمواسم والمنازل وللأملاك، تحوّلت الثلوج إلى صقيع ضار بالمزروعات والإنسان، وكذلك الرياح الشديدة التي تقتلع الأشجار وتهدد المنازل خاصة الضعيفة ببنائها، كل ذلك يشكل كارثة للإنسان تؤدي إلى إفقاره وجوعه، وخرابه وموته في حال شدتها وقسوتها.

ولاحت في الأفق بوادر أزمة اقتصادية اجتماعية نجم عنها الكثير من الوفيات بين السكان، كما تهدمت المنازل بفعلها وتضررت المواسم الزراعية سنة (٢٢٦هـ/٨٤٠م) إثر تساقط الأمطار الغزيرة التي شكلت سيولاً جارفةً في مناطق عديدة في العراق، كما وقعت موجات من الصقيع والبرد[٨٥٦].

والواضح أنّ سكان بغداد والبصرة والكوفة وواسط والموصل وسنجار[٨٥٧] تعرّضوا لأزمة اقتصادية اجتماعية راح ضحيتها الكثير من سكان هذه المناطق، وخرّبت المحاصيل الزراعية وعطّلت الأسواق وشلّت الحركة الاقتصادية وأدّت إلى مزيد من الفقر والمجاعة التي لحقت بقسم كبير من السكان سنة

---

[٨٥٥] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ١٥٠. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ١٧٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٩٥.

[٨٥٦] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ١١١.

[٨٥٧] سنجار: مدينة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام، وهي الآن مدينة عراقية عند سفح جبل سنجار، بالقرب من الحدود السورية. البكري (د. ت)، ج٣، ص: ٧٦٠. الحازمي (١٩٩٣)، ج١، ص: ٥٦١. الحموي (د. ت)، ج٣، ص: ٢٦٢. شامي (١٩٩٣)، ص: ٧٧.

(٢٣٤هـ/٨٤٨م) بسبب الرياح الشديدة التي أصابت هذه المناطق، والتي استمرت خمسين يوماً[٨٥٨]. ومن المؤكد أنّه ترافق معها عوامل متعددة أدّت إلى هذه النتائج الكارثية.

ولحق الضرر بالمزروعات في بغداد وسامراء نتيجة البرد الذي سقط عليهما سنة (٢٤٠هـ/٨٥٤م) مما أدّى إلى إفقار أصحابها من المزارعين، والتي وصفها ابن الجوزي: " أنّ هذا البرد أعظم من الجوز، ومثل بيض الحمام، وفي سامراء كان البرد مثل بيض الدجاج" [٨٥٩].

وساد بغداد والموصل موجات البرد والصقيع سنة (٢٦٠هـ/٨٧٣م) حيث أدّت إلى إتلاف مواسم الحنطة والشعير، إضافة إلى الكثير من الأشجار وثمارها، وهذا ما انعكس سلباً على الناس حيث قلّت الغلّات وفُقدت المواد الغذائية، ومما زاد من سوء الأزمة عدم مراعاة الفلاحين، ومطالبة الإدارة العباسية بدفع ضريبة الخراج المفروضة على محاصيلهم الزراعية، مما أدّى إلى احتجاج الناس على ذلك[٨٦٠].

أطلّت الأزمة الاقتصادية الاجتماعية في بغداد برأسها مجدداً سنة (٢٦٥هـ/٨٧٨م) إثر الفيضانات وموجات البرد القاسية فقد تساقطت عليها الثلوج عدّة أيام، أدّت إلى وفاة الكثيرين من الناس من شدّة البرد[٨٦١]، إلى جانب إتلاف المزروعات ونجم عن ذلك قلّة المواد الغذائية وفقر الناس بسبب موجات البرد والثلوج خاصة التي حدثت في العام التالي، حيث تجمدت المياه لمدّة طويلة من أثر الصقيع وموجات البرد[٨٦٢].

وخسرت البصرة الكثير من أشجار النخيل التي اقتلعتها الرياح الشديدة سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م) وقد ترافقت بالجوع والفقر وكثرة الوفيات[٨٦٣].

وإذا كانت مياه دجلة والفرات قد تجمدت في بغداد والموصل وفي مناطق أخرى من العراق، فكيف تكون كثافة الثلوج التي تساقطت على هذه المناطق سنة (٣١٤هـ/٩٢٦م) والتي تسببت بتجمد مياه الأنهار، وكيف تكون النتائج على المزروعات التي أُتلف الكثير منها وعلى الأشجار خاصة النخيل والتين وغيرها من الأشجار المثمرة، وكانت الكارثة الاقتصادية التي لحقت بالسكان وأدّت إلى المجاعة والفقر[٨٦٤].

---

[٨٥٨] الأصفهاني. (د. ت). **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**. د.ن. ص: ١٤٥. الذهبي (١٩٩١)، ج١٧، ص: ١٢. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ٣٣١.

[٨٥٩] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٢٥٢-٢٧١. القرماني (١٩٩٢)، ج٢، ص: ١١٣.

[٨٦٠] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٢٤٧.

[٨٦١] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٥٤٣.

[٨٦٢] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٢٩١.

[٨٦٣] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٤١٦. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١١، ص: ٣٧٦. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ١٤١.

[٨٦٤] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ٢٥٥-٢٥٦. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٧١.

عادت موجات البرد القاسية على بغداد سنتي (٣٨٨-٣٨٩هـ/٩٩٨-٩٩٨م) والتي نجم عنها تجمد المياه والنبيذ المخزّن، وإتلاف المزروعات والأشجار خاصة النخيل منها حيث قُدّر الشجر التالف بالآلاف ووُصفت الضائقة الاقتصادية التي حلّت بالسكان بالكبيرة والثقيلة[٨٦٥].

ولم تنج تكريت كغيرها من الآثار المدمّرة للرياح الشديدة التي تعرضت لها سنة (٣٩٨هـ/١٠٠٧م) إذ أدّت إلى هدم وتخريب الكثير من المنازل، وقتل الكثير من الناس وإتلاف المحاصيل الزراعية في المنطقة واقتلاع الكثير من أشجار النخيل والزيتون[٨٦٦]، وفي السنة التالية هبّت رياح شديدة على بغداد غطّت الأرض والطرقات بالرمل الأحمر وأدّى ذلك إلى تلف المزروعات وإفقار السكان وانتشار المجاعة بينهم[٨٦٧].

تركت موجات البرد والصقيع سنة (٤١٧هـ/١٠٢٦م) آثارها السلبية على المزروعات التي تضررت بشكل كبير وأدّت إلى قلّة المواد الغذائية وغلاء المعيشة وبالتالي إلى انتشار الفقر من جرّاء ذلك[٨٦٨]، وفي العام التالي وقعت ضائقة اقتصادية اجتماعية حلّت بالسكان، فندُرت المواد الغذائية وعمّ الغلاء وانتشرت المجاعة بسبب تساقط البرد، وهبوب رياح باردة، أدّت إلى تجمّد المياه، ونجم عن ذلك إتلاف الكثير من المزروعات والأشجار خاصة النخيل منها[٨٦٩].

والواضح من المصادر التاريخية أنّ الرياح الباردة التي أدّت إلى تجمّد المياه قد توالت، ففي سنة (٤١٩هـ/١٠٢٨م) حدثت رياح باردة أدّت إلى إتلاف المزروعات وشجر النخيل ونجم عن ذلك ضائقة اقتصادية أرهقت السكان[٨٧٠]، وفي العام التالي هبّت رياح عاصفة على العراق خرّبت المزروعات واقتلعت أشجار الزيتون والنخيل، كما غارت مياه الفرات وقيل دجلة وتعذّر الطحن الذي كان يتمّ بفعل المياه فارتفعت أسعاره وعمّ الغلاء خاصة أسعار القمح والطحين وحدثت المجاعة خاصة أنّ الرياح الباردة والقوية تزامنت مع تساقط حبّات البرد التي وقعت سنة (٤٢١هـ/١٠٣١م) مما أدّى إلى إتلاف المزروعات وتعميق الأزمة الاقتصادية والاجتماعية بمظاهرها المعروفة من فقر ومجاعة ووفيات وأمراض ومعاناة قاسية حلّت بالسكان[٨٧١].

---

[٨٦٥] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٨-١٥. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٣٥٥.

[٨٦٦] سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ١٦٩. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٣٧٦.

[٨٦٧] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٦٠-٦٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٤٩. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٣٧٥-٣٧٩.

[٨٦٨] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ١٧٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٥٨. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ٥٣.

[٨٦٩] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ١٨١. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٦٣. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ٥٥.

[٨٧٠] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ١٩١.

[٨٧١] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ١٩٤-١٩٧-٢٠٤. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ١٨٣. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ٦١.

والرياح القوية والضارة والتي حدثت بين كل مدّة ومدّة في العراق خلال الحقبة المدروسة والتي أضرّت بالمزروعات والمزارعين، حدثت مجدداً سنة (٤٤٣هـ/١٠٥١م) مترافقةً مع أمطار غزيرة أدّت إلى تعطّل الزراعة وتخريب المزروعات وقلع الكثير من الأشجار مثل النخيل والتوت والسرو، كما خرّبت الكثير من المنازل وشرّدت سكانها وألحقت الفقر بالكثير من السكان[٨٧٢].

ومن الواضح أنّ التأثيرات التي أحدثتها الأمطار الغزيرة والثلوج الكثيفة والرياح القوية قد تقاطعت حول إتلاف المزروعات، واقتلاع الأشجار، وتهديم المنازل، ونجم عن ذلك ما نجم من إفقار للناس وكثرة جياعهم، وتشرّدهم والأسوأ من هذا وذاك كثرة الوفيات والأمراض الناجمة عن هذه الأزمة التي غطّت آثارها السلبية معظم جغرافية العراق خلال الحقبة المدروسة من تاريخ الخلافة العباسية.

ولم تذكر المصادر التاريخية ردّة فعل الخلافة العباسية وإدارتها على الأزمات التي أحدثتها الأمطار والثلوج والرياح، ومن المحتمل أن تكون الخلافة العباسية قد قامت بالتعويض للمتضررين استناداً لما قامت به من تعويض للمتضررين من الحرائق، فقد ذكر ابن الجوزي: بأنّ المعتصم بالله عمد إلى تعويض المتضررين من الحريق الذي وقع في بغداد سنة (٢٢٥هـ/٨٣٩م)[٨٧٣]، وكذلك الأمر ما قام به الخليفة الواثق بالله بترك أعشار السفن للمتضررين، وتكفين الموتى من جرّاء الفيضانات التي حدثت سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦م)، وقياساً لهذه التعويضات التي ذكرتها المصادر التاريخية فمن المحتمل أنّ الخلافة العباسية قد قدّمت مساعدات وإعانات للمتضررين الذين تهدّمت منازلهم وخسروا حيواناتهم وأرزاقهم، ومن المؤكد أنّ العبء الأكبر قد وقع على عامة الناس الذين عاشوا أزمة اقتصادية اجتماعية حادّة كان من أخطر مظاهرها كثرة الوفيات والأمراض والتشرّد والمجاعة والفقر.

**٣- الجفاف:**

إذا كان في زيادة منسوب المياه والأمطار والثلوج وبالتالي الفيضانات أو هبوب الرياح القوية نتائج كارثية لا تحمد عقباها، فالأمر عينه يحدث إذا ما نقص هذا المنسوب والمقدار من الماء، فالجفاف آفة خطيرة ومدمرة على الزراعة والاقتصاد بالمجمل، فعندما عم القحط والجفاف سنة ( ١٦٦هـ / ٧٨٢م)، وأجدبت الأرض، خرج الناس للاستسقاء[٨٧٤]، حيث لا يملك الإنسان في مواجهة هذا التحدي أي تدبير احترازي أو استباقي سوى الدعاء والابتهال إلى الله لتدارك هذا الأمر الجلل والمؤثر على الحياة العامة بشكل مباشر.

---

[٨٧٢] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٣٢٩.

[٨٧٣] التنوخي (١٩٧١)، ج٢، ص: ١٠٢. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٩٩.

[٨٧٤] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج٨، ص: ٢٨٥.

وأيضاً عمّ القحط والجفاف العراق، وانعدمت الأمطار، وغارت مياه الأنهار، والآبار والينابيع في سنة ( ٢٨٤هـ / ٨٩٧م)، مما نتج عنه حرق للمزروعات والأشجار، وحدوث مجاعة بين السكان، فخرج الناس للاستسقاء[٨٧٥].

وعندما انعدم المطر في العراق في سنة ( ٣٠٧هـ / ٩١٩م)، وجفّت الأراضي، فخرج الناس للاستسقاء[٨٧٦].

وتعرّضت العراق لموجة حرّ قوية خلال الصيف وشهر أيلول[٨٧٧]من سنة ( ٣٣١هـ / ٩٤٢م)، أدى إلى إتلاف وحرق المزروعات، بالإضافة إلى جفاف الينابيع والمياه.

وتوقف المطر في بغداد في سنة ( ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، [٨٧٨] وعمّ القحط والجفاف سنة ( ٣٤٨هـ / ٩٥٩م)، وخرج الناس للاستسقاء، ومن الطبيعي أن يؤثر ذلك على المزروعات، وبالتالي ارتفاع بالأسعار، وانتشار الفقر والمجاعة، نتيجة لقلة المواد الغذائية[٨٧٩].

ووقع الجفاف بالعراق في سنة ( ٣٥٢هـ / ٩٦٣م)، فارتفعت الأسعار، وانتشر الفقر، مما دفع الناس لدعاء الاستسقاء[٨٨٠].

كما انخفض منسوب مياه نهر دجلة بشكل كبير، كما غارت المياه في الآبار في سنة ( ٣٥٩هـ / ٩٦٩م)، [٨٨١].

وعندما انقطعت الأمطار سنة ( ٣٧٧هـ / ٩٨٧م)، الأمر الذي انعكس على المزروعات بتدني الإنتاج، مما أدّى إلى ارتفاع الأسعار، وانتشار الفقر والجوع[٨٨٢].

وقد تعرضت البصرة والبطائح لموجة حر شديدة في سنة ( ٣٧٨هـ / ٩٨٨م) ، أدّت إلى انتشار الوباء، وذهب ضحيتها الكثير من الوفيات، كما هبّت رياح شديدة بفم الصلح، أدّت إلى تخريب الكثير من السفن المحمّلة بالبضائع والمؤن، وقتلت مجموعة من الناس[٨٨٣].

وانخفض منسوب مياه نهر دجلة لم يعهد مثله من قبل في سنة ( ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م)، حتى بانت بعض الجزر فيه، وتوقف مرور السفن[٨٨٤].

---

٨٧٥ الطبري (١٩٧١)، ج١٠، ص: ٦٦. الأصفهاني (د. ت)، ص: ١٤٨. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٣٩٢. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١١، ص: ٣٤٩.

٨٧٦ ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٢٢١.

٨٧٧ ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٢٦.

٨٧٨ ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٥٨.

٨٧٩ ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٦٤. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٢٠٢.

٨٨٠ ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٨٠. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٢١٧.

٨٨١ ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٢٠٢.

٨٨٢ ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٣٢.

٨٨٣ ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٣٥. ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ٣٠. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٣٢٢. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٤، ص: ١٥٦.

وعمّ القحط والجفاف، السواد في العراق سنة ( ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م)، ، وتوقفت الزراعة فيه، بعد ما تلفت مزروعاته[٨٨٥].

وبسبب توقف المطر سنة ( ٤٢٣هـ / ١٠٣١م)، خرج الناس للاستسقاء، حيث غلت الأسعار غلاءً شديداً، وعمّ القحط، وتلفت المزروعات والمواشي، وكثرت الوفيات، في بغداد والموصل وواسط وغيرها في العراق، مما سبب انتشار الفقر والمجاعة، وبالتالي انتشار الأمراض والأوبئة[٨٨٦].

وأدّت قلّة الأمطار إلى انخفاض منسوب نهر الفرات في سنة ( ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م) ، إلى انقطاع الماء عن نهر عيسى، فأدّى ذلك إلى وقوع ضرر كبير بالمحاصيل الزراعية، وتوقفت الطواحين، فتضرر الكثير من السكان[٨٨٧].

وفي مجال الحدّ من قوى الطبيعة ولا سيما ظاهرة الجفاف فقد كانت ردّة فعل الخلافة العباسية للتخفيف من آثاره قامت بحفر الآبار وشقّ الترع والقنوات وإقامة القناطر في العراق بشكل عام وفي بغداد بوجه خاص.

**٤-الجراد:**

لم تقتصر الأضرار الواقعة على السكان على قوى الطبيعة فقط، فقد تعرّضت مناطق العراق كافة لآفة حشرية ألا وهي الجراد التي حوّلت اخضرار الحقول والمزروعات والأشجار إلى يباس لقضمها الأوراق والنباتات، فأضرّت بالمزروعات وجلبت الفقر والمجاعة للناس بأسرابها المهاجمة للحقول والمزارع.

وترافق انتشار الجراد بأعداد كبيرة في العراق مع انتشار آفة اليرقان[٨٨٨] سنة (٢٠٦هـ/٨٢١م) في نواحي بغداد، مما أدّى إلى تخريب المزروعات في المنطقة المذكورة، وزادها بلاءً تعرّضها للفيضانات أيضاً[٨٨٩].

ولم تسلم مدينة البصرة من موجات الجراد المهاجم لمزروعاتها سنة (٢٤٠هـ/٨٥٤م) وعندما خرج الناس لمكافحته حصلت وفيات عديدة بين صفوفهم نتيجة للأمطار التي تساقطت عليهم أثناء مكافحتهم للجراد[٨٩٠].

---

٨٨٤ ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٧٠.

٨٨٥ ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٢٢٠.

٨٨٦ ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٢٢٢-٢٢٦-٢٢٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢٠٥. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ٧١.

٨٨٧ ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٣٤٤.

٨٨٨ اليرقان آفة تصيب الزرع، وداء يصيب الإنسان. الرازي. (١٩٨٦). **مختار الصحاح**. بيروت: لبنان. مكتبة لبنان. ص: ٣١٠.

٨٨٩ ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٠، ص: ١٤٩. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٣، ص: ٤٣٥.

٨٩٠ ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٢٧٠.

وتعرّض العراق لأزمات اقتصادية أدّت إلى إفقار السكان وإلى المجاعة نتيجة فقدان المواد الغذائية وارتفاع أسعارها في سنوات عديدة من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بسبب موجات الجراد التي حصدت المزروعات وحوّلت الحقول والأراضي الخضراء إلى يباس وجفاف، وبالتالي إلى خراب المزروعات، والمزارعون الذين وقفوا عاجزين عن مكافحة آفة الجراد وآثارها التخريبية، استخدموا الطبول والبوق لدفع الجراد عن مزروعاتهم ( ٤٠٩هـ / ١٠١٨م)[٨٩١] كنوع من الحلول الآنيّة، وقد أظهرت الآفة الحشرية عجز الخلافة العباسية وإدارتها عن التصدّي لهذا الخطر الذي ألحق الأذى الكبير بأهم مقومات الاقتصاد في العراق وهي الزراعة، ومن المحتمل أن تكون الخلافة العباسية قد قدّمت تعويضات وإعانات للمتضررين من آفة الجراد، كما وجّهت المزارعين والناس إلى استخدام الطبول والضجيج لطرد الجراد وإبعاد خطره عن المزروعات والحقول.

**٥-الأوبئة والطواعين:**

لقد عرّف ابن منظور الوباء بأنه: "هو الذي يفسد له الهواء، فتفسد به الأمزجة والأبدان، والطاعون بأنه داء ومرض عام"[٨٩٢]، وعرّف ابن تغري بردي الوباء بأنه: "هو الذي تتنوع فيه الأمراض"، فكثرت الوفيات بين السكان من جرّاء تعرضهم للإصابة به، وأصاب هذا الوباء المواشي والأبقار والدواب، وأدّى إلى موت الكثير من الناس وإفقارهم.

عانى العراقيون خلال الحقبة المدروسة من انتشار الطاعون خاصة في بغداد سنة (١٤٦هـ/٧٦٣م)[٨٩٣]، وقد عرفت أعراض الطاعون مثل السعال الذي عانى منه العديد من سكان بغداد والبصرة، والذي أدّى إلى المزيد من الوفيات سنة (١٦٧هـ/٧٨٣م)[٨٩٤].

وتعرض سكان البصرة مجدداً لمرض الطاعون سنة (٢٢٠هـ/٨٣٥م)[٨٩٥]، حيث حصد في العام التالي الكثير من الأرواح من سكانها[٨٩٦].

لم يسلم سكان بغداد وسامراء سنة (٢٤٠هـ/٨٥٤م) من أمراض الحمّى والسعال والزكام[٨٩٧]، وفي العام التالي أدّى هذا المرض إلى نفوق عدد من المواشي والدواب والبقر[٨٩٨]، الذي أدّى بدوره إلى انتشار الفقر والجوع بين الناس.

---

[٨٩١] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٢٧-٩٨-١١٤. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ١٦-٢٤٧-٢٦٤. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٦١-١٣٠-١٥٥-١٩٣-٢٠٠-٢٠٢. الدوري (١٩٧٤)، ص: ٧١-٧٢.

[٨٩٢] ابن منظور (د. ت)، ج١٣، ص: ٢٦٧.

[٨٩٣] ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ٩.

[٨٩٤] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٢٥٥. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ٦٦.

[٨٩٥] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٥٥.

[٨٩٦] ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ٢٨٨.

غير أنّ هناك بعض العوامل التي ساهمت في تلوث البيئة في العراق وانتشار الأمراض الناجمة عن الجثث المتفسّخة بسبب الحروب الواقعة ما بين العرب والأتراك سنة (٢٤٩هـ/٨٦٣م)، كالطاعون الذي حصد المزيد من الأرواح[٨٩٩]، والواضح أنّ مرض الطاعون كان الأكثر انتشاراً في العراق، فكثرت الوفيات بنتيجته سنة (٢٥٨هـ/٨٧١م) وأصيب قسم من سكان بغداد بمرض اسمه القفّاع[٩٠٠]، كما انتشرت الأمراض الدموية في المدينة سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) ومن هذه الأمراض مرض الماشرا[٩٠١][٩٠٢]، وانتشرت هذه الأمراض حتى أغلقت أكثر دورها[٩٠٣].

وتتالت الأمراض في العراق وعلى رأسها مرض الطاعون الذي أصاب قسماً كبيراً من سكان بغداد، فكانت الوفيات والفقر والمجاعة التي حلّت بالسكان من جرّاء ذلك، وترافق الطاعون مع مرض الجرب والبثور الذي أصاب الناس كما أصاب أبقارهم أيضاً[٩٠٤].

وتسببت الحمّى في وفاة عدد كبير من العراقيين، وفي إفقارهم وجوعهم خاصة عندما ترافقت مع مرض الطاعون، وهذا ما حدث سنة (٣٧٦-٣٧٧هـ/٩٨٦-٩٨٧م)[٩٠٥].

وعلى الرغم من حجم معاناة العراقيين الناجمة عن الأمراض والفقر والمجاعة، يبدو أنّ اجراءات الخلافة العباسية المتمثّلة بإقامة البيمارستانات والاهتمام بالطب والأدوية لم تكن كافية حتى تخفّف من نتائج الأمراض إلّا قليلاً، خاصة مرض الطاعون الذي يزداد انتشاراً عندما ترتفع درجات الحرارة فينتج عنها المزيد من الوفيات والمآسي[٩٠٦].

شهد العراق ارتفاعاً في أسعار المواد ومنها أسعار الحنطة والشعير، فكثرت حالات الجوع والفقر وازدادت الوفيات بين السكان، وسبب ذلك انتشار أمراض السعال المترافق مع أمراض الأوبئة الضارة

---

[٨٩٧] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٢٧٠. سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٥، ص: ٧٠.

[٨٩٨] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٢٨٤.

[٨٩٩] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٢٦٢-٢٦٣. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ٣٩٤-٣٩٥.

[٩٠٠] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٤٩٥. الأصفهاني (د. ت)، ص: ١٤٧. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٢٣٨. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١١، ص: ٢٦٢.

[٩٠١] الماشرا: ورم حاد ينتج عن دم صفراوي، يعم الوجه. السيوطي. (٢٠٠٤). **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**. تح: محمد إبراهيم عبادة. ط: ١. القاهرة: مصر. مكتبة الآداب. ص: ١٩٠.

[٩٠٢] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ١٤١. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٤٨٣. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٥-٦.

[٩٠٣] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ١٤٤.

[٩٠٤] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ٣٧٤. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٢٩٦.

[٩٠٥] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٣١٧-٣٢٣.

[٩٠٦] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٤٣٥. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٣٢٢.

التي حصدت المزيد من الأرواح حدث ذلك سنة (٣٢٩-٣٣٠هـ/٩٤٠-٩٤١م)[٩٠٧]، وتكرّرت حالات الجوع والفقر والوفيات الناجمة عن ذلك بعد سنوات قليلة من هذا التاريخ، فلجأ الفقراء من السكان إلى أكل الجيف من شدّة الفقر والجوع حتى بيعت بعض العقارات بأرغفة الخبز[٩٠٨].

ولم تستطع الخلافة العباسية وإدارتها وضع حدّ للوباء الذي ضرب بغداد والبصرة وواسط سنة (٣٤٤هـ/٩٥٥م) والذي كانت ضحاياه تُقّدر يومياً بألف إنسان[٩٠٩].

وقد تجمعت عوامل متعددة سنة (٣٤٦هـ/٩٥٧م) في زيادة وكثرة الوفيات منها ارتفاع الأسعار ونقص اليد العاملة وانتشار الأمراض كالحلق، والأورام، والماشرا[٩١٠]، والواضح عجز السلطات العباسية عن الحدّ من كثرة الوفيات وعدم اتخاذ اجراءات فعّالة في المجال الطبي.

ولم تكن الأوضاع السياسية هي العامل الوحيد في هجرة السكان أو تناقصهم، بل تضافرت مجموعة من العوامل الأخرى من أهمها الأمراض والأوبئة، فعندما فاض نهر دجلة وانتشر الطاعون تناقص عدد السكان بشكل ملحوظ سنة ( ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)[٩١١].

أصاب مرض الجدري قسماً من سكان العراق فحصد معه أرواح أربعة آلاف صبي في الموصل في سنة ( ٤٢٣هـ / ١٠٣١م)، ومن المحتمل أنّ المصدر يعني الأطفال ذكوراً وإناثاً وليس الصبيان فقط، وترافق انتشار هذا المرض مع انتشار الطاعون الذي حصد بدوره المزيد من الأرواح، وربما يكون سبب هذه الموجة من الأمراض هو قلّة المطر وانحباسه في هذا العام الذي أدّى إلى قلّة المحاصيل الزراعية، وبالتالي إلى انتشار الفقر والمجاعة بين الناس[٩١٢].

تناقص عدد سكان بغداد بسبب انتشار مرض الخوانيق[٩١٣] سنة (٤٢٥هـ/١٠٣٣م) الذي أودى بحياة تسعين ألفاً من السكان، ومن المحتمل أن تكون هذه الأرقام الواردة عن الوفيات مبالغ فيها، كما ازداد عدد الوفيات في بغداد وواسط والبصرة، وانتشر الفقر والجوع لانتشار مرض الطاعون في هذه المناطق[٩١٤].

---

[٩٠٧] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٧-١٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ١٥٨.

[٩٠٨] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٤٧.

[٩٠٩] الأصفهاني (د. ت)، ص: ١٥٠. ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ٩٨. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ١٩٣.

[٩١٠] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ١٠٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٥٨. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ١٩٨.

[٩١١] ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٢٩١.

[٩١٢] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢٠٥. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ٧٢.

[٩١٣] الخوانيق: هو المرض المسمّى بالذبحة، ومن أنواعه الذبحة الصدرية، زناتي (٢٠١١)، ص: ١٤٣.

[٩١٤] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢١٣. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ٧٥. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٤، ص: ٢٨٣.

ومن اللافت للانتباه إنّ أعداد الوفيات الناجم عن الأمراض مرتفعة بين صفوف عامة الشعب بالرغم من اهتمام الخلفاء والسلطات العباسية بالطب والأدوية ومكافحة الأمراض، وهذا يقود إلى السؤال التالي: هل كانت عناية الأطباء مقتصرة على الخلفاء والسلاطين وحاشيتهم؟ وهل كانت العناية الصحية بعامة الشعب محدودة؟ مما أدّى إلى ارتفاع أعداد الوفيات بين صفوفهم؟!

وقد حصدت الأمراض البشر إضافة إلى الحيوانات كالخيول والدواب التي نفق منها أعداد قُدّرت بالآلاف سنة ( ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م)، وكانت ترمى في نهر دجلة، واستمر هذا المرض طيلة العام التالي، وبسبب رمي الحيوانات في نهر دجلة امتنع الناس عن شرب مياهه، وأدّت خسارة السكان لحيواناتهم إلى ضعف الزراعة وبالتالي إلى قلّة المواد الغذائية وارتفاع أسعارها وانتشار الفقر والضائقة الاقتصادية[٩١٥].

ولا بدّ من التساؤل: لماذا لم تمنع السلطات العباسية السكان من رمي الحيوانات الميتة في نهر دجلة؟ حتى أصبحت مياهه ملوّثة، وإذا كانت عامة الناس قد أدركت تلوث المياه من فعل ذلك، أليس من الجدير بالإدارة العباسية إدراك خطورة ذلك؟ أم أنّ الأمر لا يهمها؟

تعرض سكان الموصل والجزيرة سنة (٤٣٩هـ/١٠٤٧م) لمرض الطاعون الذي حصد المزيد من الأرواح، بينما قُدّرت الوفيات في بغداد بثلاثمائة ألف إنسان، مما انعكس سلباً على معيشة السكان فانتشرت المجاعة بين صفوفهم، لذلك اضطر العديد منهم إلى أكل الجيف والدواب[٩١٦].

إنّ تعرض العراق للعديد من الأمراض خلال الحقبة المدروسة من تاريخ الخلافة العباسية، أدّى إلى وفاة الكثير من سكان العراق وإلى نفوق المواشي والخيول والدواب، وبالتالي أدّى كل هذا إلى إفقار السكان وزيادة المجاعة بين صفوفهم، ولا بدّ أن ينعكس ذلك على الخلافة العباسية وإدارتها، فكانت هناك اجراءات للحدّ من آثار الأمراض، وفي طليعة تلك الاجراءات الاهتمام بالطب والعمل على تطويره وبناء البيمارستانات وإيجاد الأدوية المناسبة من خلال التجارب[٩١٧].

وكان أول بناء بيمارستان في العصر العباسي في عهد أبي جعفر المنصور، إضافة إلى البيمارستان الذي بناه الخليفة هارون الرشيد من أجل تعليم طلبة الطب، يضاف إليه بيمارستان البرامكة في بغداد[٩١٨]، وبنى الخليفة العباسي المقتدر بيمارستان سمّي باسمه البيمارستان المقتدري في بغداد سنة ( ٣٠٦هـ / ٩١٨م)، بطلب من الطبيب سنان بن ثابت[٩١٩] الذي أشرف على عمله[٩٢٠].

---

[٩١٥] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٣٠٢-٣٠٥.

[٩١٦] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢٧٩. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ١٠٦. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٥، ص: ٤٥-٤٦.

[٩١٧] حسن (١٩٩٦)، ج٢، ص: ٢٦٢.

[٩١٨] الزهراني (١٩٨٦)، ص: ٤١٠.

[٩١٩] سنان بن ثابت بن قرة الحراني أبو سعيد، كان طبيباً متقدماً، توفي في بغداد سنة ( ٣٣١هـ / ٩٤٢م). ابن النديم (د. ت)، ص: ٤٢١.

ونتيجة لانتشار الأمراض فقد شجع الخلفاء العباسيون الأطباء لإيجاد الأدوية المناسبة، ومن الأطباء الذين تمّ الاعتماد عليهم في هذا المجال الطبيب جبرائيل بن بختيشوع[٩٢١] الذي عاصر عهدي الخليفة هارون الرشيد والخليفة المأمون، وقد ترك عدداً من المؤلفات الطبية[٩٢٢]، شكّلت تراثاً حضارياً كبيراً، ولم يقتصر الدعم على جبرائيل فقط بل دعم كل من الخلفاء المأمون والمعتصم بالله والواثق بالله والمتوكل على الله، أطباء آخرين فقد لمع اسم الطبيب يوحنا بن ماسويه[٩٢٣]، الذي قام بتأليف كتب عدّة في الطب منها كتاب الأغذية والإسهال، وعلاج الصداع، والقولنج، وكتاب المرة السوداء[٩٢٤].

واهتم السلاطين والأمراء البويهيون بالطب وبناء البيمارستان، وهذا ما قام به الأمير البويهي معز الدولة سنة (٣٥٥هـ/٩٦٥)، والأمير عضد الدولة سنة (٣٧٢هـ/٩٨٢م) حيث رتّب فيه الأطباء والمعالجون، ونقل إليه الأدوية، وما يحتاجه الأطباء[٩٢٥].

ومن الملاحظ في هذا المقام، أنّ الخلفاء والسلاطين لم يدخروا جهداً في إيجاد الحلول للمشاكل الصحية وخلق التدابير الوقائية، وبناء بيئة خالية من الأمراض والأوبئة، عن طريق بناء البيمارستانات والإغداق عليها، واعتمد الخلفاء العباسيون على طب الهند واليونان، واعتمدوا التجارب وسيلة ومنهجاً من أجل تطويره[٩٢٦] وقاموا بتشجيع للأطباء والعاملين في المجال الصحي، وإكرامهم وإبراز إبداعاتهم الطبية التي تخدم الدولة والمجتمع، مما انعكس بالإيجاب على النهضة الطبية، وصرف البلاء والوباء.

**٦-الزلازل:**

تحمل الكوارث الطبيعية والزلازل بين طياتها تحديات جسام وآلاماً كبرى على الإنسان والمجتمع نظراً لما تلحقه من أضرار على العمران البشري والبنية المجتمعية، وتتجاوز أضرارها الجانب المادي إلى النفسي والمجتمعي وحتى على المستوى السياسي، وما زال الإنسان لغاية الوقت الحاضر يقف عاجزاً أمام هذه الظاهرة، التي فسرت عند العرب المسلمين على أنها عقاب إلهي نتيجة وقوع الإنسان في الزلل في الرأي

---

[٩٢٠] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ١٥١-١٦٨-١٧٨.

[٩٢١] جبرائيل بن جورجيس بن بختيشوع، من سكان جند يسابور، لقد تميز بصناعة الطب، توفي سنة ( ٢١٣هـ / ٨٢٨م). القفطي. (٢٠٠٥). **أخبار العلماء بأخبار الحكماء**. علق عليه: إبراهيم شمس الدين. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص: ١٠٦. أبو أصيبعة (د. ت)، ص: ١٨٧-١٩٨.

[٩٢٢] القفطي (٢٠٠٥)، ص: ١٠٦.

[٩٢٣] يوحنا بن ماسويه أبو زكريا، وقد ذكر باسم يحيى بن ماسويه، كان طبيباً فاضلاً، توفي في عهد الخليفة العباسي المتوكل سنة ( ٢٤٣هـ / ٨٥٧م) في سامراء. أبو أصيبعة (د. ت)، ص: ٢٥٥.

[٩٢٤] النديم (د. ت)، ص: ٤١١.

[٩٢٥] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ١٧٥-٢٨٩.

[٩٢٦] حسن (١٩٩٦)، ج٢، ص: ٢٦٢.

والانصراف عن الاستقامة كما ذكر ابن منظور في معجمه: " في الأصل الحركة العظيمة والإزعاج الشديد، ومنه زلزلة الأرض، وهو عنها كناية عن التخويف والتحذير".[٩٢٧]

تعرضت منطقة الموصل إلى زلزال سنة ( ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) راح ضحيته عدد كبير من السكان[٩٢٨]، وبعد ثلاثة أعوام من ذلك حدث زلزال جديد في المنطقة أدّى إلى قتل حوالي خمسين ألفاً من السكان، إلى جانب تخريب المنازل والممتلكات، مما أدّى إلى تشرد الآلاف من السكان[٩٢٩].

ولم تتوقف الزلازل في العراق، فقد تعرض العراق لعدّة منها سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م) راح ضحيتها عدد كبير من السكان إلى جانب الخراب والدمار الناجم عنها[٩٣٠]، وتعرضت منطقة واسط سنة (٢٥٨هـ/٨٧١م) إلى زلزال شديد أدّى إلى قتل حوالي عشرين ألفاً من السكان، إلى جانب تدمير الكثير من المنازل وتخريبها[٩٣١].

ولم تسلم بغداد من الآثار التخريبية للزلازل التي تعرضت لها سنة (٢٦٨هـ/٨٨١م) وسنة (٢٨٩هـ/٩٠١م) والتي أدّت إلى سقوط ضحايا بشرية كبيرة وخسائر مادية ضخمة، وهجرة السكان إلى مناطق آمنة بعد فقدانهم كل ممتلكاتهم[٩٣٢]، وحسب الباحثين المختصين بالزلازل فهي تحدث لثوانٍ أو دقائق قليلة جداً، لكنّ ارتدادتها تدوم أشهراً، وهذا ما حصل سنة (٣٤٦هـ/٩٥٧م) في العراق حيث دام ارتدادها أربعين يوماً وقد أدّت إلى مزيد من الوفيات وتدمير المنازل والأملاك[٩٣٣].

والزلازل التي ضربت بغداد سنة (٣٤٧هـ/٩٥٨م) كان من آثارها قتل الكثير من السكان وتهديم المزيد من المنازل، بالإضافة إلى تخريب الكثير من الممتلكات المادية، وبالتالي أدّت إلى هجرة وتشرد وإفقار السكان الذين تعرضوا لها[٩٣٤].

ولم تتوقف الزلازل في العراق خلال الحقبة المدروسة من تاريخ الخلافة العباسية، فقد تعرضت منطقة واسط إلى زلزال سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م) أدّى إلى خسائر بشرية ومادية[٩٣٥]، وبعد أربع سنوات من ذلك

---

[٩٢٧] ابن منظور (د. ت)، ج١١، ص ٣٠٨.

٢ ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٥، ص: ٣٤٤.

[٩٢٨] العجلوني، إسماعيل. (٢٠٠٤). **تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة**. اعتناء: سفيان بن عايش بن محمد. ط: ١. عمان: الأردن. دار ابن الجوزي. ص: ٧٧.

[٩٢٩] الذهبي (١٩٩١)، ج١٧، ص: ١١.

[٩٣٠] الطبري (١٩٧١)، ج٩، ص: ٢١٢. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ٣٨٢.

[٩٣١] ابن كثير (٢٠١٠)، ج١١، ص: ٢٦٢.

[٩٣٢] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ٦. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ٣١٣-٤١٦. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١١، ص: ٣٧٦. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ١٤١.

[٩٣٣] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٥٩. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ١٩٨.

[٩٣٤] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ١١٤. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٢٠٠.

تعرضت منطقة المهدية في العراق بدورها إلى زلزال دام أربعين يوماً وأحدث ما أحدثه من قتل وخراب[٩٣٦]، ومن المحتمل إنّ المقصود من ديمومة الزلزال هي الارتدادات لهذا الزلزال.

كما تعرضت منطقة الموصل للزلازل مجدداً حيث تركت آثاراً تدميرية وتخريبية سنة (٣٧٦هـ/٩٨٦م) والتي أدّت إلى مقتل الكثير من السكان وإفقارهم[٩٣٧].

ولم تذكر المصادر التاريخية الاجراءات الحكومية العباسية تجاه حماية السكان من الآثار التدميرية للزلازل التي أصابت العراق والسكان، وإن كان من المحتمل في مثل هذه الحالات أن تقوم الخلافة بالتعويض للمتضررين الذين فقدوا منازلهم ومحلاتهم وأملاكهم من جرّاء آثار الزلازل عند حدوثها.

**٧-الحرائق:**

لا يخفى على أحد أن للحرائق دور سلبي ومؤثر في انهيار الاقتصاد والبنية التحتية المادية والبشرية، حيث يؤثر على حركة العمل، وقد يؤدّي إلى شللها، وهذا مرتبط بحجم الحريق، والمواد والمصالح المحترقة، والخسائر البشرية والمادية الناجمة عنه، وهذا ما ينطبق على حريق السفن في بغداد سنة ( ١٥٩هـ / ٧٧٥م)، والذي أسفر عن خسائر بشرية ومادية كبيرة، إضافة إلى وفاة الكثيرين من الناس، وإصابة الكثيرين بالحروق، إلى جانب حرق السفن، أمّا بالنسبة للسفن فقد احترقت مع حمولتها، وما أشارت إليه المصادر إنه أرزاق للناس، ما أدّى إلى شلل في الأنشطة الاقتصادية[٩٣٨].

تعرضت البصرة لحريق سنة (٢١٧هـ/٨٣٢م) أدّى إلى خراب الممتلكات والمنازل، نجم عنه تشرّد السكان وشلل الحياة الاقتصادية والاجتماعية[٩٣٩].

ونتج عن حريق الجمل[٩٤٠] الذي وقع في سوق الحرّازين وغيره من المناطق في بغداد سنة (٢٢١هـ/٨٣٥م) خسائر كبيرة تمثّلت بحرق المحلات التجارية وهدمها، وضياع أموال التجار، بالإضافة إلى كثرة الوفيات[٩٤١]، وبعد أربعة أعوام من ذلك تعرضت المنطقة التجارية في بغداد والمسمّاة بالكرخ

---

[٩٣٥] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٤٩. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٢٦٩.

[٩٣٦] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٣٨٠.

[٩٣٧] سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ٢٠. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٣١٩.

٩٣٨ الطبري (١٩٧١)، ج٨، ص: ١٢١.

[٩٣٩] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٤.

[٩٤٠] حريق الجمل: اجتاز في سوق الحرّازين جمل عليه قصب، وكان رجل يثقب لؤلؤاً، وبين يديه نار، فوقع طرف القصب على النار، فاشتعلت وبلغت إلى الجمل في لحظة، فكان الجمل كلّما أحسّ بوقع النار عدا، وتنافض الشرار منه في جانبي الطريق، فحرّق كل ما يجتاز به، فلم يزل على ذلك إلى أن تلف الجمل، وتشاغل الناس بطفي الحريق الواقع في الدور والعقار. التنوخي (١٩٧١)، ج٢، ص: ١٠١.

[٩٤١] التنوخي (١٩٧١م)، ج٢، ص: ١٠١-١٠٢.

في عهد الخليفة الواثق بالله، لحريق نتج عنه احتراق المنازل والأسواق، مما دفع الأغنياء إلى إصلاح محلاتهم ومنازلهم المحترقة بينما عجز الفقراء عن إصلاح ما خرّبته النيران[٩٤٢].

لكنّ الدمار كان أكبر في سامراء سنة (٢٤١هـ/٨٥٥م) حيث احترق ألف وثلاثمائة حانوت، ما أدّى إلى أزمة اقتصادية واجتماعية[٩٤٣]، وبعد عام من ذلك تعرضت الكرخ مرة ثانية لحريق، التهمت نيرانه مائتي حانوت، نجم عنه الكثير من الوفيات، إلى جانب الخسائر المادية الكبيرة التي لحقت بأصحابها من السكان[٩٤٤].

ومن المؤكد أنّ هناك نقطة ضعف في البناء ومحتوياته من أخشاب وأقمشة وغيرها وهناك الكثير من المسببات لهذه الحرائق، حيث التهمت النيران سوق النجارين سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م) حيث أدّى الحريق إلى وفاة الكثيرين من السكان[٩٤٥]، وقد نشب حريق آخر في باب الشام سنة (٣٠٩هـ/٩٢١م) وفي سنة ( ٣١٤هـ/٩٢٦م) الذي نتج عنه احتراق حوالي ألف بيت وألف دكان، ومنعكسات ذلك على الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية[٩٤٦].

إنّ حرائق الأسواق تؤدّي إلى أزمات اقتصادية واجتماعية على الخلافة وعلى السكان، حيث يفقد الكثيرون من التجار والحرفيين مصادر رزقهم، ويتحوّلون إلى أناس فقراء، وبالتالي تخسر الخلافة المردود الناجم عن الضرائب المفروضة على هؤلاء التجار والحرفيين.

وكانت منعكسات الأزمة الناجمة عن الحرائق على الخلافة العباسية وردودها في أغلب الأحيان حلولاً تعويضية كما حدث في عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله عندما وقع حريق في بغداد في عهده والتهمت نيرانه أسواقاً عدّة، فقام الخليفة بتوزيع مبلغاً للمتضررين قدره خمسة ملايين درهم[٩٤٧]، وكذلك الخليفة الواثق بالله الذي وزّع حوالي مليون درهم على المتضررين من حريق الكرخ سنة (٢٢٥هـ/٨٣٩م)[٩٤٨]، وينضمّ إليهم الخليفة العباسي الراضي بالله عندما وزّع مبلغاً قدره ثلاثة آلاف دينار للمتضررين من الحريق الذي حدث في الكرخ سنة (٣٢٣هـ/٩٣٤م)[٩٤٩].

---

[٩٤٢] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٩٩. سنبط (١٩٦٤)، ص: ١٦٣.

[٩٤٣] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٢٨٦.

[٩٤٤] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٢٩٤.

[٩٤٥] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ١٥٥.

[٩٤٦] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٣، ص: ٢٥٥.

[٩٤٧] التنوخي (١٩٧١)، ج٢، ص: ١٠٢.

[٩٤٨] سنبط (١٩٦٤)، ص: ١٦٣.

[٩٤٩] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٣٤٩.

**ثانياً: الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومنعكساتها الاقتصادية والاجتماعية:**

تؤدي الكوارث الطبيعية دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان، من خلال تأثيرها المباشر على حياة الناس وأمنهم واستقرارهم وسبل معاشهم، وكانت ردود فعل الإنسان الوقائية حيال الكوارث الطبيعية في تلك المدّة من تاريخ الخلافة العباسية محدودة ومحدودة جدّاً، ولم ترق ما قامت به الخلافة العباسية أو ملوك وسلاطين بلاد الشام إلى الوقوف بوجه الكوارث وحتى التخفيف من آثارها، بل اقتصرت هذه الردود إنْ وجدت على التعويض للمتضررين من الكوارث الطبيعية وآثارها التخريبية.

**١-الأمطار والرياح:**

من الملاحظ أن مناخ بلاد الشام المتوسطي المعتدل كان تأثيره السلبي أقل وطأة من تأثيره في العراق، فأضرار الأمطار الغزيرة والرياح في بلاد الشام كانت محدودة قياساً بما أحدثته في العراق من خراب وويلات طالت حياة السكان ومعاشهم.

ولم يُعثر على مصادر تاريخية تذكر الأضرار الناجمة عن الأمطار والرياح في بلاد الشام قبل سنة (٢٤٤هـ/٨٥٨م)، حيث تعرّضت بلاد الشام في هذه السنة لأمطار غزيرة أدّت إلى تشكّل السيول الجارفة والتي أضرّت بالمزروعات، وأتلفت قسماً منها، وأحدثت أضراراً بأرزاق السكان، مما أدّى إلى قلّة المواد الغذائية، وحدوث الغلاء، وبالتالي إفقار السكان[٩٥٠].

أمّا الرياح الشديدة التي تعرضت لها منطقة نصيبين سنة ( ٣١٤هـ / ٩٢٦م)، فقد أدّت إلى قلع الأشجار، وهدم وتخريب المنازل[٩٥١]، ونجم عن ذلك تشرّد قسم من السكان إلى جانب فقرهم وحاجتهم.

وعندما توقف المطر سنة ( ٤٢٣هـ / ١٠٣١م) خرج الناس للاستسقاء، وعمّ الغلاء، وأدّى إلى انتشار الفقر والمجاعة، إلى جانب الأمراض والأوبئة[٩٥٢].

أمّا نصيبين فقد تعرضت لرياح شديدة أكثر من مرّة، إحداها سنة ( ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م)، وقد أدّت إلى اقتلاع الكثير من الأشجار، مثل التوت، والجوز، والعنّاب[٩٥٣]، وإفقار السكان من جرّاء الضرر الذي لحق بأشجارهم ومزروعاتهم.

ولم تذكر المصادر التاريخية ردود فعل الخلافة العباسية أو السلاطين والملوك حيال المتضررين من السيول والرياح القوية التي أضرّت بمزروعاتهم، واقتلعت قسماً كبيراً من أشجارهم، وإنْ كان من المحتمل

---

[٩٥٠] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٣٢٢.

[٩٥١] ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٢، ص: ٧١. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٢٤٢.

[٩٥٢] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢٠٥.

[٩٥٣] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢١٣. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ٧٥. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٤، ص: ٢٨١.

تقديم بعض الإعانات والتعويضات للمتضررين من قبل الخلافة العباسية أو السلاطين أو الملوك في بلاد الشام.

**٢-الجراد:**

تعرضت بلاد الشام لموجات الجراد وآثارها التخريبية، حالها حال العراق، ونجم عن هذه الآفة الحشرية أثاراً سلبية أضرّت بالاقتصاد والمجتمع، وتسببت بإفقار الناس من جرّاء الخراب الذي لحق بمزروعاتهم وكانت أولى هذه الموجات سنة ( ٣٤٢هـ / ٩٥٣م)، التي خرّبت المحاصيل وأتلفتها[٩٥٤]، وتسببت بحدوث ضائقة اقتصادية، وارتفاع للأسعار، بسبب قلّتها وفقدانها أحياناً، وانتشار الفقر بين السكان.

وعادت موجة الجراد لتخرب المزروعات والحقول والأشجار في بلاد الشام وتحديداً في ديار مضر سنة ( ٣٤٧هـ / ٩٥٨م)، نجم عنها إلحاق الضرر والأذى باقتصاد السكان، وأدّى هذا بدوره إلى الفقر وانتشار المجاعة[٩٥٥].

أمّا بالنسبة لردّة فعل الخلافة العباسية، أو الأمراء والملوك المحليين في بلاد الشام، لم تذكر المصادر التاريخية أي فعل عن مساعدات وإعانات قُدّمت للمتضررين من موجات الجراد في هذا الإقليم.

كان للكوارث الطبيعية بأنواعها المختلفة تأثيرات على مجمل الأوضاع المجتمعية والأنشطة البشرية، مما أدى إلى خلق أزمات اقتصادية واجتماعية، تمثلت بتأخر الزراعة وخراب المزروعات وتدميرها سواء بفعل فيضان أو جفاف أو موجات الجراد، التي أدّت إلى فقر وجوع وهجرة السكان، ولا يخفى على أحد ما أدّته الكوارث الطبيعية من دور سلبي في هذه الأزمات من تدمير للمنازل وانهيار في البنية التحتية وتهجير للسكان وتغير ديموغرافي.

**٣-الأوبئة:**

يشغل المناخ دوراً هاماً في حدوث الأوبئة، غير أنّ مناخ الشام المتوسطي له الفضل الرئيسي في محدودية الأوبئة والأمراض مقارنة مع العراق الذي عانى سكانه الكثير من كثرة الأوبئة وانتشار الأمراض.

فقد تعرضت بلاد الشام لموجة من الأوبئة والأمراض سنة ( ٤٢٣هـ / ١٠٣١م)، أدّت إلى كثرة الوفيات، وأدّى هذا بدوره إلى تعطّل العمل، وتراجع الإنتاج، وبالتالي نقص المواد الغذائية، ووقوع الغلاء، وانتشار الفقر والمجاعة بين السكان، ومن المحتمل أنّ هذه الموجة من الأمراض التي تسببت بالوفيات كان

---

[٩٥٤] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٧، ص: ٢٤٧.

[٩٥٥] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١٤، ص: ١١٤.

سببها انقطاع المطر في بلاد الشام الذي تسبب في تلوث البيئة[٩٥٦]، أعقبه انتشار مرض الخوانيق سنة ( ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م)، والذي أودى بحياة الكثير من السكان، كما أسس لفقر الناس، الذين تعرضوا للإصابة به[٩٥٧].

وهذا ما اضطر بعض الحكام إلى اتخاذ اجراءات للحدّ من الآثار الكارثية للأمراض فقاموا بدعم الأطباء وبناء البيمارستانات، وهذا ما أقدم عليه الأمير سيف الدولة الحمداني حيث واجه انتشار الأمراض والأوبئة باهتمامه ودعمه للأطباء ومن بينهم الطبيب عيسى النفيسي[٩٥٨].

**٤-الزلازل:**

إذا كان تأثير المناخ أخف وطأة في بلاد الشام منها في العراق، إلا أن الزلازل من حيث حدوثها وآثارها في بلاد الشام كانت أشد وأعنف من العراق، لا سيما أن بلاد الشام تقع على خط الزلازل، وحدوث الزلازل والهزات أمر متكرر، لكن تختلف من حيث القوة والآثار المدمرة.

فقد أصاب المصيصة زلزال سنة ( ١٨٧هـ / ٨٠٢م) وأحدث ما أحدث من خراب ودمار لحق بسكان المنطقة[٩٥٩]، وضرب أنطاكيا زلزال سنة ( ٢٢٠هـ / ٨٣٥م)، فقد دام حوالي أربعين يوماً، وأسفر عنه تدمير الكثير من المنازل وتهجير سكانها، وإفقارهم[٩٦٠]، ومن المحتمل إنّ ارتداداته هي التي دامت أربعين يوماً.

بينما تعرضت دمشق وأنطاكيا والجزيرة إلى زلازل سنة ( ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) والتي أدّت إلى وفيات كثيرة، وتدمير العديد من المنازل، وإحداث الخراب في أرزاق الناس، وتخريب لمناطقهم[٩٦١].

ويقال أنّه خُسفت بعض القرى نتيجة للزلازل التي هزّت مدينة دمشق حيث خُسفت قرية بالغوطة، وشابهتها حمص وأنطاكيا، والنتيجة الطبيعية وفاة عدد لا بأس به من الناس، قيل بأنه بلغ عشرين ألفاً في العامين ( ٢٣٢-٢٣٣هـ / ٨٤٦-٨٤٧م)، وقيل أيضاً بأنّ الزلازل خرّبت الجزيرة أيضاً[٩٦٢].

والجدير ذكره أنّ الشريط الساحلي الشامي معرّض لزلازل وهزات متكررة ويقال أنها مدمرة وذلك سنة ( ٢٤٥هـ / ٨٥٩م)، في أنطاكيا، وفي اللاذقية، وجبلة وفي المدن الداخلية حمص ودمشق، مما أدّى إلى

---

[٩٥٦] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢٠٥.

[٩٥٧] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢١٣.

[٩٥٨] القفطي (٢٠٠٥)، ص: ١٩٠.

[٩٥٩] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٥، ص: ٣٣٦.

[٩٦٠] العجلوني (٢٠٠٤)، ص: ٧٦.

[٩٦١] العجلوني (٢٠٠٤)، ص: ٧٧.

[٩٦٢] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ١٧٦. الذهبي (١٩٩١)، ج١٧، ص: ١١. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ٣١٩-٣٢٦.

وفيات عديدة، وإلى تهديم المنازل، وتهجير السكان من مناطق الزلازل، وكانت نتيجة تعرّض الجزيرة والرها والرقة وحران ورأس العين، والثغور وطرسوس والمصيصة وأذنة للزلازل حدوث كارثة كبيرة تمثلت بعدد من الضحايا وهجرة السكان الذين تهدمت منازلهم إلى جانب الفقر الذي حلّ بهم[٩٦٣].

ولا بدّ من السؤال: إذا كانت الزلازل وآثارها التدميرية متكررة في بلاد الشام، ألا يستدعي من الخلافة العباسية أو السلاطين والأمراء في بلاد الشام رصد الأموال الكافية لمساعدة المنكوبين والمتضررين من آثارها؟ لم تشر المصادر التاريخية إلى مثل هذه المساعدات من قبل الجهات المسؤولة في تلك المدّة، وإنْ ذُكرت بعض المساعدات الخجولة التي قُدّمت من هنا وهناك بهذا الخصوص.

حدثت وفيات كثيرة وتهدم الكثير من الدور والحصون في مدينة حلب نتيجة للزلزال الذي ضربها سنة (٣٤٠هـ/٩٥١م) ودام أربعين يوماً[٩٦٤]، ومن المحتمل إنّ ارتدادات الزلزال هي التي دامت أربعين يوماً.

وحدثت عدّة زلازل في بلاد الشام سنة ( ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م)، نتج عنها وفيات عديدة، بالإضافة إلى هدم الدور والقلاع والحصون[٩٦٥]، وأدّى هذا إلى هجرة الكثير من الناس.

وفي مدينة الرملة التي كانت مركزاً لعدّة زلازل حدثت في بلاد الشام سنة ( ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م) والتي أدّت إلى تهدم ثلث مدينة الرملة، ووفاة الكثيرين تحت الأنقاض، وكما خُسفت قرى عديدة بفعل هذه الزلازل، كما خُرّبت أريحا, وعكا من جرّاء الزلازل هذه[٩٦٦].

وعندما تعرّضت تدمر وبعلبك في بلاد الشام لزلازل فقد نتج عنها تهدم المنازل، ومقتل معظم سكان تدمر سنة ( ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م)، مما دفع بالكثير من السكان للهجرة إثر فقدانهم لدورهم وممتلكاتهم[٩٦٧].

---

[٩٦٣] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٣٢٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٣٠. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١١، ص: ١٩٦. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ٣٨٢.

[٩٦٤] ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٣، ص: ٣٤٩.

[٩٦٥] سبط ابن الجوزي (٢٠١٣)، ج١٨، ص: ١٣٧. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٤، ص: ٢٠٩.

[٩٦٦] ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٨، ص: ٢١٣. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١٣، ص: ٧٥. المقريزي (١٩٩٦)، ج٢، ص: ١٨١. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٤، ص: ٢٨١.

Stephen Casta: Natural Disaster And The Grusades Framing Earth Quakes In Historical Narratives, ١٠٩٥, ١١٧٠, Thesis Presented To The University Of Waterloo In Fulfillment Of The Thesis Requirment For The Degree Of Master Of Arts In History. Waterloo, Ontario, Canada, ٢٠١٧.Pp ٣٠.

[٩٦٧] ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٥، ص: ٣٧.

وشابهتها أخلاط وديار بكر سنة ( ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م)، وأدّت إلى تهدم الدور والقلاع والحصون، وإلى وفاة الكثيرين من السكان، وهجرة آخرين من المناطق المنكوبة[٩٦٨].

ونتج عن هذه الزلازل التي أصابت بلاد الشام في الحقبة المدروسة من تاريخ الخلفاء العباسيين المزيد من وفيات السكان، وهجرة العديد منهم بعد أن فقدوا منازلهم التي تهدمت وتخرّبت بفعل الزلازل، إلى جانب الفقر الذي أصاب سكان المناطق المنكوبة.

ولم تشر المصادر إلى مبادرات الخلفاء للتخفيف من الآثار الناجمة على المتضررين سوى ما ذكرته عن تقديم الخليفة المتوكل على الله من مساعدات قُدّرت بثلاثة ملايين درهم للذين فقدوا منازلهم بفعل الزلزال الذي ضرب بلاد الشام سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م)[٩٦٩].

ولم ترق المساعدات والإعانات التي قُدّمت من الخلفاء والسلاطين والملوك إلى حجم ما دمّرته الزلازل.

**٥-الحرائق:**

بلاد الشام التي تعرضت لكثير من الزلازل، والتي ألحقت الضرر والأذى بالسكان، لم تحدث فيها حرائق كثيرة، ولم تترك آثاراً هامة على الاقتصاد والنشاط البشري في هذا الإقليم خلال مدّة الخلافة العباسية وخصوصاً في مدّة الحقبة المدروسة من تاريخ الخلافة العباسية.

التهمت النيران المنازل والمساجد والبيادر في نواحي عسقلان سنة ( ٢٣٧هـ / ٨٥١م)، الأمر الذي أدّى إلى هروب السكان من المناطق التي تعرضت للحريق، وقد بقيت النار مشتعلة حتى ثلث الليل، ولم يذكر المصدر متى بدأ هذا الحريق[٩٧٠]، كما لم يذكر سببه، ومن الطبيعي أن يؤدّي إلى وفيات وإلى خسائر مادية كبيرة بسبب حرق بعض المنازل والأراضي الزراعية، وأدّى هذا بالمحصلة إلى إنهاك الناس وفقرهم.

إنّ الحرائق بمجموعها وعلى اختلاف أسبابها ساهمت في الكثير من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، وقد نجم عن حرائق الأرياف فقر السكان وهجرة سكان القرى والتشرّد وكثرة الوفيات، وبالتالي خسارة الدولة اقتصادياً من جرّاء ذلك، فخسرت الضرائب المفروضة على المزروعات، وعلى المواشي، وعلى التجار الذين يُتاجرون بهذه المواد والسلع، بالإضافة إلى إضعاف الخلافة اقتصادياً من خلال حرمانها لهذه المواسم ومردودها على خزينة الدولة.

---

[٩٦٨] ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٥، ص: ٤٣.

[٩٦٩] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٣٢٩. ابن الأثير (١٩٨٧)، ج٦، ص: ١٣٠. ابن كثير (٢٠١٠)، ج١١، ص: ١٩٦. ابن تغري بردي (١٩٩٢)، ج٢، ص: ٣٨٢.

[٩٧٠] ابن الجوزي (١٩٩٥)، ج١١، ص: ٢٥٢.

ولم تشر المصادر التاريخية، ولم تذكر أية إعانات ومساعدات قُدّمت للمتضررين من الحريق وآثاره.
كما كان لانتشار الأمراض والأوبئة الدور الرئيس في حصد الآلاف من أرواح الناس، وانعكس انتشار الأمراض والأوبئة والكوارث الطبيعية على السلطة السياسية التي سعت بدورها في البحث عن حلول لهذه الكوارث والأمراض التي فتكت بأرواح الناس وأدّت إلى إفقارهم.
وحاول الخلفاء والسلاطين التخفيف من الآثار الجانبية المقهقرة للاقتصاد والمخلة ببنية الدولة والمجتمع، منها ما هو احترازي سابق للكارثة، وإن كانت أقل مستوى وقاصرة عن الوقوف في وجه الفعل ذاته، ولا سيما قوى الطبيعة الخارجية أو الداخلية الأرضية، ومنها إجراء تعويضي هدفت من خلاله السلطة الحاكمة قدر الإمكان التعويض عن الضرر الذي لحق بالبنية الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية منها.

ويلاحظ ما يلي:

١- لم تقتصر الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي حلّت بالسكان على ما أحدثته الحروب من خراب ودمار، بل جاءت الكوارث الطبيعية لتزيد من حدّتها بفعل الأمطار والثلوج والرياح والجراد والزلازل والأمراض، وما أحدثته من آثار تدميرية حلّت بسكان العراق وبلاد الشام في تلك المدّة.
٢- ترافقت الكوارث الطبيعية مع الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي عاشها المجتمع العراقي والشامي في تلك الحقبة، فأظهرت هذه الكوارث عجز الخلافة والإدارة العباسية حيال الأزمات التي حلّت بالسكان.
٣- جاءت الكوارث الطبيعية لتزيد من حدّة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية في العراق وبلاد الشام، ولتزيد من معاناة الناس وآلامهم.
٤- لم ترحم الطبيعة السكان الذين عانوا الأمرّين مما قام به البشر من حروب وهجمات واعتداءات وما نجم عنها من محن اقتصادية واجتماعية طالت معظم سكان العراق وبلاد الشام، بل جاءت الطبيعة لتكمل هذه المحن ولتزيد الطين بلّة، وذلك من خلال الفيضانات والجفاف والجراد والأوبئة والطاعون وتلوّث البيئة وما نجم عنها من محن اقتصادية واجتماعية كانت عناوينها الأشدّ قسوة كثرة الوفيات والفقر والمجاعة، وجاءت الزلازل والحرائق لتزيد من معاناة الناس وآلامهم.

**الخاتمة:**

لكل حضارة من الحضارات خصائصها ومميزاتها التي تطبعها بطابعها وتنحى بها عن غيرها من الحضارات من حيث الشكل والبنية والمضمون، فلا يوجد تماثل أو تطابق بين المكونات الحضارية لأي مجتمع من المجتمعات، حتى المجتمع الواحد أو الحضارة نفسها لا تعيش في حالة سكون أو تكرار أو تماثل في مختلف مراحل بنائها وتطورها، فالحتمية والصيرورة التاريخية لمجمل الحضارات التي مرت في تاريخ البشرية وعلى اختلاف مراحل سيرها التاريخي لا يعني أنها دائماً تنحى صعوداً إلى ما لا نهاية، فهذا الخط البياني قد يكون مائلاً أو متعرجاً أو لولبياً أو في حال اهتزاز أو ذبول وأفول، فالطبيعة لا تمنح الإنسان الصانع كل ما هو إيجابي بشكل تام أو فاعل بل ما هو سلبي يتجانس أحياناً مع سلبية الإنسان المنتج، ولا يخفى على أحد ما قد تشكله الأزمات الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والبشرية على اختلاف تصنيفاتها من عوائق إضافية وتحديات تقف في طريق هذا الخط البياني المتصاعد وتبعثر أوراق التطور الحضاري للمجتمعات الإنسانية.

فالحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي خلال الحقبة المدروسة ما بين (١٣٢-٤٤٧هـ/٧٥٠-١٠٥٥م) والتي شهدت تطوراً ملحوظاً، تعرضت لهزات أرخت بظلالها على هذا التطور بالرغم من دعم الخلافة العباسية له، فكثرة النزاعات والصراعات الداخلية منها والخارجية عكّرت صفو التطور المتنامي للحضارة خلال المدة المدروسة، فالحرب وعلى مختلف تسمياتها وتصنيفاتها إن كانت ناجمة عن ثورة أو تمرد أو كانت داخلية أو خارجية أتت على الناتج القومي والوطني للمجتمع، فنفقات الحروب وتجهيز الجيوش من أسلحة وعتاد وتدريب ومؤن ورواتب كان أثرها واضحاً وفاعلاً على موارد وخزينة الدولة، وهذا ما انعكس بشكل جلي على مجمل الحياة وأدّى إلى تقهقر الاقتصاد وزعزعة الاستقرار وانهيار البنية التحتية وزيادة الإنفاق وتأخر حال الإنسان والمجتمع ناهيك عن أن تسلط الولاة العباسيون وممارساتهم التعسفية في بعض الأحيان بحق السكان، خلق حالة من البؤس وأدى إلى قيام بعض الثورات كثورة الموصل مثلاً، وقد تغلفت الأطماع الشخصية وتبطنت واستغلت معاناة الناس لركوب موجة السلطة والوصول إلى مبتغاها السلطوي كما حدث في ثورة الزنج الذين استغلوا معاناة الزنوج لتحقيق أحلامهم، وبالتالي فرضت مجمل تلك الحروب والثورات والتمردات وخلقت حالة من التغيير الديموغرافي البنيوي المجتمعي والسكاني نتيجة لزيادة عدد الوفيات والتشريد والتهجير واختلال في موازين الجنس البشري.

ناهيك عما تفرضه الحروب من خلل في روافع الاقتصاد الأساسية فالزراعة تتأثر إلى حد بعيد بفقد الإنسان المنتج التارك الهاجر لأرضه الباحث اللاهث عن الأمان وتعطل ملحقات الزراعة ومقومها

الدافع كمشاريع الري وطرق الموصلات، كما الصناعة حالها حال الزراعة، فيكون المتضرر الأكبر التجارة التي هي مقياس الاقتصاد الأساس والدال على التطور نتيجة تعطل الطرق وفقدان الأمن وما يخلفه من حالات نهب وسلب للأسواق وقطع للطرق بسبب الفاقة والعوز وحال الجوع نتيجة الحرب الدائرة في هذا القطاع أو ذاك، سواء كان لهذا الإنسان المنتج يد فيها أم لم يكن إلا أنه دائماً ما يكون المتلقي الفعلي لنتائج هذه الصراعات والحروب.

كما أن انتشار الفساد المرافق لضعف الخلافة العباسية في طورها الثاني والتحكم في قرارات الخليفة من قبل السلاطين والأمراء والوزراء وبعض الأعوان والقادة وحتى النساء شكل عائقاً حقيقياً وسبباً من أسباب التقهقر الاقتصادي نتيجة العشوائية والارتجال وعدم التخطيط الفعال، رافقته أحياناً كوارث طبيعية ترافقت مع الأزمات الاقتصادية والاجتماعية عاشها المجتمع وكشفت بشكل واضح وجلي حجم الأزمات وعجز هذه السلطة الحاكمة السياسية والإدارية وعدم قدرتها على الاستجابة في مواجهة ومواكبة التحديات المفروضة .

كما أن منعكسات السياسة والصراع السلطوي لم تقتصر على الثورات والحركات الناشطة وتجهيز الجيوش والقضاء عليها، بل تخطتها إلى تباين الرؤى واختلاف في النظريات والتطبيقات العملية لها، فطبيعة السلطة الحاكمة وطرق اعتلائها وهيكليتها وبنيتها التنظيمية وقاعدتها الشعبية فرضت متاعب في نظريات الحكم والعدالة والحق كحركة القرامطة وغيرها التي أخذت خط مغاير لما هو قائم وفعلي وفرضت حالة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية جديدة نتج عنها دمار وتقهقر وويلات كنتيجة حتمية لهذه الممارسات العقائدية المتناقضة.

هذه المشاكل فرضت نفسها وبحدة في أقاليم الدولة العباسية والولايات التابعة لها من حيث الولاء والانتماء والعصبية القبلية التي راجت في بعض الأقاليم ولا سيما في بلاد الشام والتي كانت تميل بطبيعتها لبني أمية على حساب بني العباس، والنظرة الدينية المتعلقة بالحكم، مما جعل بلاد الشام وعلى امتداد الزمن والبقعة الجغرافية موطناً لكل طامح وطامع في الحكم والسيطرة وعلى اختلاف توجهه الديني والعقائدي ومتعلقاته الدينية وبنيته الاجتماعية وعصبيته القبلية المتجذرة، فأضحت بلاد الشام ميداناً للصراع والتناحر والحروب بين القوى الفاعلة على الأرض قرامطة، إخشيديين فاطميين التي حاولت السلطة السياسية ومركزيتها في بغداد إعادتها إلى التبعية المباشرة ووأد هذه الحركات والتمردات وإجهاض هذه النظرة ودفن تلك النظرية، مما ألقى بظلاله على بلاد الشام ككل فأدى إلى تقهقر وتشرذم للقوى الاقتصادية والاجتماعية الناهضة وتشريد وفقر وقتل وانتشار للأزمات وانحلال خلقي فرضته طبيعة هذه الأزمات، واعتلال مرضي واختلال في البنية المجتمعية، زادت من حدتها الاقتصادية

الضرائب المفروضة والعقوبات الجائرة من قبل السلطة الحاكمة، لتؤدّي الكوارث الطبيعية أمطار ثلوج رياح آفات أثراً سلبياً تدميرياً إضافياً.

وإذا وُجدت الأسباب الموضوعية للأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي حلّت بسكان العراق وبلاد الشام كبعد بعض الأقاليم التابعة للخلافة العباسية عن العاصمة بغداد، وأطماع الإمبراطورية البيزنطية وعدوانيتها تجاه الأراضي العربية الإسلامية، وكثرة القوميات والأصول المختلفة للسكان في العصر العباسي إضافة إلى الكوارث الطبيعية، فإنّ العوامل الذاتية لا تقلّ أهمية عن الموضوعية في حدوث الأزمات ومن هذه العوامل الذاتية الاقتتال الداخلي ما بين الخلفاء والسلاطين والحكام بدافع الأطماع وحب السيطرة، بالإضافة إلى غياب مصلحة الخلافة والمجتمع عن ساحة اهتمام البعض من الخلفاء والسلاطين وانصرافهم إلى الترف والملذات الشخصية، كما أنّ الممارسات الجائرة ضد السكان من قبل بعض الولاة العباسيين كانت من الأسباب الذاتية التي أدّت إلى قيام الثورات والتمردات والتي أدّت بدورها إلى أزمات اقتصادية واجتماعية في العراق وبلاد الشام دفع السكان في هذين الإقليمين ثمناً باهظاً من المعاناة والشقاء والبؤس والحرمان.

من خلال دراسة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت لسكان العراق وبلاد الشام ضمن المدة المدروسة من تاريخ الخلافة العباسية برزت الحقائق التالية والتي شكلت الأرضية المناسبة لهذه الأزمات وما نتج عنها من مآسي وأضرار اجتماعية بالغة التأثير ومن هذه الحقائق:

كانت الأطماع الشخصية لدى بعض الخلفاء والملوك والأمراء وراء الكثير من الحروب الداخلية التي أدّت إلى أزمات اقتصادية واجتماعية، ولو أنّ مصلحة الخلافة والناس هي الهدف والمنطلق لأداء المسؤولين في العصر العباسي ضمن المدة المدروسة لماتت هذه الفتن والأزمات في مهدها.

ومنها اعتماد بعض الخلفاء والملوك والأمراء على الأعاجم في إدارة مفاصل الإدارة العباسية، مما فسح المجال أمام هذه العناصر بممارسة دور الفتن وخلق الأزمات وإضعاف الخلافة وإفقار السكان، ولو تمّ الاعتماد على العنصر العربي المعروف بوفائه وإخلاصه لوطنه ولشعبه لتحسنت أوضاع الخلافة والناس من جميع الجوانب.

ولا بدّ من الإشارة إلى أهمية تعزيز الشعور الوطني والقومي بين مكونات المجتمع بدلاً من استغلال هذا التنوع الثقافي والحضاري وتوجيهه باتجاه التناحر والأزمات من قبل بعض الحاقدين على الخلافة والمجتمع.

وكان الترف والبذخ وهدر الأموال الذي مارسه بعض الخلفاء والملوك والأمراء سبباً رئيسياً في إضعاف خزينة الخلافة وإفقار السكان، ولو أنّ هذه الأموال أُنفقت في مشاريع يعود ريعها وفائدتها للدولة والناس لتحققت الحياة الكريمة للمجتمع والقوة والمنعة للخلافة.

كما شكّلت الثورات والفتن في بلاد الشام التي قامت ضد الخلافة العباسية عاملاً من عوامل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، بفعل ما حدث من قتل وتخريب لممتلكات السكان، وبفعل التكاليف الباهظة لخزينة الدولة من جرّاء تجهيز الجيوش التي أُرسلت من العراق لقمعها، وكان بالإمكان أن تُقمع هذه التمردات لو أنّ الخلافة عملت على تقوية الجيوش والحاميات المحلية من أجل فرض الأمن والأمان والمحافظة على أموال الدولة وهيبتها.

وفي معرض الخسائر المادية والبشرية الناجمة عن الكوارث الطبيعية خاصة الناجمة عن فيضانات الأنهار والأمطار والثلوج وغيرها، فقد كانت اجراءات الإدارة العباسية علاجية محدودة الأثر والتأثير ومقتصرة على بعض التعويضات المادية، ولو أنّ جهد الإدارة العباسية في هذا المجال انصبّ على العمل الوقائي تجاه هذه الأخطار، مثل إقامة السدود والأقنية لتصريف المياه والجسور الكافية وغير ذلك من أعمال تحدّ من أثر هذه الأخطار على الناس، ولو تمّ ذلك لكانت الخسائر البشرية والمادية محدودة إذا ما قيست بما حدث من مآسي اجتماعية ناجمة عن الكوارث الطبيعية كما ورد ذكره في الأطروحة.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر:


١.الأبشيهي. ( ١٩٩٩). **المستطرف في كل فن مستظرف**. تح: إبراهيم صالح. ط: ١.بيروت: لبنان. دار صادر. (٣) أجزاء.

٢.ابن الأثير. (١٩٨٧). **الكامل في التاريخ**. تح: أبو الفداء عبد الله القاضي. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. (١١) جزء.

٣.الإدريسي. (٢٠٠٢). **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. القاهرة: مصر. مكتبة الثقافة الدينية. (٢) مجلد.

٤.الأزدي. (١٩٨٥). **أخبار الدولة الحمدانية بالموصل وحلب وديار بكر والثغور**. تح: تميمة الرواف. ط: ١. دار حسان. ص: ٧٠.

٥.الأزدي. (١٩٩٩). **أخبار الدول المنقطعة**. تح: عصام هزايمة، محمد محافظة، علي عبابنة. ط: ١. أربد: الأردن. دار الكندي. ج٢. ص: ٢٥٨.

٦.الأزدي. (١٩٦٧). **تاريخ الموصل**. تح: علي حبيبة. القاهرة: مصر. لجنة إحياء التراث العلمي. ص: ٥٢٦.

٧.ابن أبي أصيبعة. ( د. ت). **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**. تح: نزار رضا. بيروت: لبنان. مكتبة الحياة. ص:

٨.الاصطخري. (١٩٧٦). **المسالك والممالك**. تح: حماه الله ولد السالم. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص:

٩.الأصفهاني. ( د. ت). **مقاتل الطالبيين**. تح: السيد أحمد صقر. بيروت: لبنان. دار المعرفة. ص: ٨٥٤.

١٠.الأصفهاني. (د. ت). **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**. د.ن. ص: ١٨٣.

١١.ابن أعثم. ( ١٩٩١). **الفتوح**. تح: علي شيري. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الأضواء. ج٧-٨. ص: ٤٥٢.

١٢.الأنطاكي. (١٩٩٠). **تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا**. تح: عمر عبد السلام تدمري. طرابلس. جروس برس. ص: ٥٨٢.

١٣.ابن إياس. (١٩٨٤). **بدائع الزهور في وقائع الدهور**. تح: محمد مصطفى. ط: ٢. القاهرة: مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج١. ق١. ص: ٦٢٢.

١٤.البسوي. ( ١٩٨٩). **المعرفة والتاريخ**. تح: أكرم ضياء العمري. ط: ١. المدينة المنورة: السعودية. مكتبة الدار. (٤) أجزاء.

١٥.البغدادي. ( د. ت). **تاريخ بغداد**. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. (١٢) جزء.

١٦.البغدادي. (١٩٥٤). **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**. تح: علي محمد البجاوى. ط: ١. بيروت: لبنان. دار المعرفة. (٣) أجزاء. ص: ١٦٢٤.

١٧.ابن بكّار. ( ١٩٩٦). **الأخبار الموفّقيّات**. تح: سامي مكي العاني. ط: ٢. بيروت: لبنان. عالم الكتب. ص: ٥٩٤.

١٨.البكجري. (٢٠٠١). **مختصر تاريخ الخلفاء**. تح: آسيا كيبان علي البارح. ط: ١. القاهرة: مصر. دار الفجر. ص: ١٧٥.

١٩.البكري. (د. ت). **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**. تح: مصطفى السقا، بيروت: لبنان. عالم الكتب. (٤) أجزاء. ص: ١٦٢٥.

٢٠.البلاذري. (١٩٩٦). **أنساب الأشراف**. تح: سهيل زكار، رياض زركلي. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الفكر. ج٤. ص: ٤٣٤.

٢١.البلاذري. (١٩٩٧). **فتوح البلدان**. تقديم وتعليق: شوقي أبو خليل. ط: ١. دمشق: سوريا. منشورات وزارة الثقافة. ص:

٢٢.ابن تغري بردي. (١٩٩٢). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. قدم له: محمد حسين شمس الدين. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج٤

٢٣.التنوخي. (١٩٧١). **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**. تح: عبود الشامي. ط: ١. بيروت: لبنان. دار صادر. (٨) أجزاء.

٢٤.الثعالبي. (د. ت). **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: مصر. دار المعارف. ص: ٨١٨.

٢٥.الثعالبي. (١٩٨٣). **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**. تح: مفيد محمد قميحة. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. (٤) أجزاء.

٢٦.الثعالبي. (١٩٦٠). **لطائف المعارف**. تح: إبراهيم الأبياري. دار إحياء الكتب العربية.

٢٧.الجاحظ. (١٩٩٨). **البيان والتبيين**. تح: عبد السلام محمد هارون. ط: ٧. القاهرة: مصر. مطبعة الخانجي. ج١. ص: ٤٣٨.

٢٨.الجاحظ. (١٩٣١). **التبصر بالتجارة**. تصحيح: حسن حسني عبد الوهاب التونسي. ط: ١. القاهرة: مصر. مكتبة الخانجي.

٢٩.ابن جبير. (١٩٨١). **رحلة ابن جبير**. بيروت: لبنان. دار الهلال. ص: ٢٨٧.

٣٠.الجرديزي. ( ٢٠٠٦). **زين الأخبار**. تر: عفاف السيد زيدان. القاهرة: مصر. المجلس الأعلى للثقافة. ص: ٥٤١.

٣١.الجهشياري. (د. ت). **الوزراء والكتاب**. تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي. ط: ١. القاهرة: مصر. مطبعة مصطفى الباني الحلبي. ص: ٤٢٨.

٣٢.ابن الجوزي. (١٩٩٥). **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. مر: نعيم زرزوري. ط: ٢. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. (١٩) جزء.

٣٣.ابن الجوزي. (د. ت). **مناقب الإمام أحمد بن حنبل**. تصحيح: محمد أمين الخانجي. ط: ١. مصر. مطبعة السعادة. ص:

٣٤.سبط ابن الجوزي. (٢٠١٣). **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**. تح: زاهر إسحاق، فادي المغربي، عمار ريحاوي . ط: ١. بيروت: لبنان. دار الرسالة العلمية. (٢٣) جزء.

٣٥.ابن الجيعان. (١٩٨٤). **القول المستظرف في سفر مولانا الأشرف**. تح: عمر عبد السلام تدمري. ط: ١. جروس برس. ص:

٣٦.الحازمي. (١٩٩٣). **الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة**. تح: حمد بن محمد الجاسر. دار اليمامة. ج١. ص: ٥٩٢.

٣٧.ابن حزم الأندلسي. ( د.ت). **جمهرة أنساب العرب**. تح: عبد السلام محمد هارون. ط: ٥. القاهرة: مصر. دار المعارف. ص: ٦٩٥.

٣٨.الحصري. ( ١٩٥٣). **جمع الجواهر في الملح والنوادر**. تح: علي محمد البجاوي. ط: ٢. بيروت: لبنان. دار الجيل. ص: ٤٠٣.

٣٩.الحموي. (د. ت). **معجم البلدان**. بيروت: لبنان. دار صادر. (٥) أجزاء.

٤٠.الحموي. (١٩٩٣). **معجم الأدباء**. تح: إحسان عباس. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي. (٧) أجزاء. ص: ٣٥٤١.

٤١.ابن حوقل. (١٩٩٢). **صورة الأرض**. بيروت: لبنان. دار مكتبة الحياة. ص: ٤٣٢.

٤٢.الحميري. (١٩٧٥). **الروض المعطار في خبر الأقطار**. تح: إحسان عباس. ط: ١. بيروت: لبنان. مكتبة لبنان. ص: ٧٤٥.

٤٣.ابن خلدون.(١٩٦١). **المقدمة**. مطبعة بيروت.

٤٤.ابن خلكان. (د. ت). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تح: إحسان عباس. بيروت: لبنان. دار صادر. (٨) أجزاء.

٤٥.خواندمير. (١٩٨٨). **روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وآل بويه والإسماعيلية والملاحدة**. تح: السباعي محمد السباعي. تر: أحمد عبد القادر الشاذلي. ط: ١. الدار المصرية للكتاب. ص: ٢٧٣.

٤٦.ابن خياط. (١٩٨٥). **تاريخ خليفة بن خياط**. تح: أكرم ضياء العمري. ط: ٢. الرياض: السعودية. دار طيبة. ص: ٦٢٨.

٤٧.الدارقطني. (١٩٨٦). **المؤتلف والمختلف**. تح: موفق بن عبد الله بن عبد القادر. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي. ص: ٢٦٦٣.

٤٨.ابن دحية الكلبي. (١٩٤٦). **النبراس في تأريخ خلفاء بني العباس**. علّق عليه: عباس العزاوي. بغداد: العراق. مطبعة المعارف. ص: ٢٠٥.

٤٩.الدواداري. (د. ت). **كنز الدرر وجامع الغرر**. مطبعة عثمان عبد الرزاق. (٩) أجزاء.

٥٠.الدينوري. ( ١٩١١). **الأخبار الطوال**. ط: ١. مصر. مكتبة السعادة. ص: ٣٨٣.

٥١.الذهبي. (١٩٩١). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. تح: عمر عبد السلام تدمري. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتاب العربي. (١٦) جزء.

٥٢.الذهبي. (١٩٨٢). **سير أعلام النبلاء**. تح: محمد نعيم العرقسوسي، إشراف: شعيب الأرناؤوط. ط: ١. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. (٢٥) جزء.

٥٣.الرازي. (١٩٨٦). **مختار الصحاح**. بيروت: لبنان. مكتبة لبنان. ص: ٣١٢.

٥٤.الروذراوري. (٢٠٠٣). **ذيل تجارب الأمم**. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص: ٢٠٨.

٥٥.الزبيدي. (د. ت). **طبقات النحويين واللغويين**. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: ٢. القاهرة: مصر. دار المعارف. ص: ٤١٥.

٥٦.ابن الساعي. (١٩٨٢). **مختصر أخبار الخلفاء**. ط: ١. مصر. المطبعة الأميرية. ص: ١٤٤.

٥٧.ابن أبي السرور. (د.ت). **بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء**. تح: محمد زينهم محمد عزب. بور سعيد: مصر. مكتبة الثقافة الدينية. ص: ١٩٢.

٥٨.ابن سعد. (٢٠٠١). **الطبقات الكبير**. تح: علي محمد عمر. ط: ١. القاهرة: مصر. مكتبة الخانجي. (١١) جزء.

٥٩.السلوي. ( ٢٠٠٦). **الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء وغيرهم من ذوي المناقب**. تح: عبد الله الياسمي. ط: ١. المملكة المغربية. دار أبي رقراق. (٣) أجزاء. ص: ١١٨٦.

٦٠.سنبط. (١٩٦٤). **خلاصة الذهب المسبوك**. تصحيح: مكي السيد جاسم. بغداد: العراق. مكتبة المثنى. ص: ٣٢٣.

٦١.السيوطي. (٢٠١٣). **تاريخ الخلفاء**. إعداد: مركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي. إشراف: محمد غسان نصوح عزقول الحسيني. ط: ٢. بيروت: لبنان. دار المنهاج. ص: ٨٦٤.

٦٢.السيوطي. (٢٠٠٤). **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**. تح: محمد إبراهيم عبادة. ط: ١. القاهرة: مصر. مكتبة الآداب. ص: ٧٢.

٦٣.الشابشتي. (١٩٦٦). **الديارات**. تح: كوركيس عواد. ط: ٢. بغداد: العراق. مطبعة المعارف. ص: ٥٢٠.

٦٤.ابن شداد. (١٩٩١). **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**. تح: يحيى زكريا عبارة. دمشق: سوريا. منشورات وزارة الثقافة. (٣) أجزاء.

٦٥.الشريشي. (١٩٩٢). **شرح مقامات الحريري**. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: لبنان. المكتبة العصرية. (٥) أجزاء.

٦٦.الصابي. (د. ت). **الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء**. تح: عبد الستار أحمد فراج. مكتبة الأعيان. ص: ٤٦٣.

٦٧.الصفدي. (٢٠٠٠). **الوافي بالوفيات**. تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى. ط: ١. بيروت: لبنان. دار إحياء التراث العربي. (٢٩) جزء.

٦٨.الصفدي. (١٩٩١). **تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب**. تح: إحسان بنت سعيد خلوصي، زهير حميدان الصمصام. دمشق: سوريا. منشورات وزارة الثقافة. (٢) قسم.

٦٩.الصفدي. (١٩٨٣). **أمراء دمشق في الإسلام**. ط: ٢. بيروت: لبنان. دار الكتاب الجديد. ص: ٢٢٨.

٧٠.الصولي. (١٩٧٩). **أخبار الراضي بالله والمتقي لله**. ط: ٢. بيروت: لبنان. دار المسيرة. ص: ٣١٤.

٧١.ابن طباطبا. ( د. ت). **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**. بيروت: لبنان. دار صادر. ص: ٣٦٠.

٧٢.ابن طباطبا. ( د. ت). **الأصيلي في أنساب الطالبيين**. تح: مهدي الرجائي. ط: ١. قم. مكتبة آية الله العظمى. ص: ٤٨٩.

٧٣.الطبري. (١٩٧١). **تاريخ الرسل والملوك**. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: ٢. القاهرة: مصر. دار المعارف. (١١) جزء.

٧٤.الطوسي. ( ٢٠٠٧). **سير الملوك أو سياست نامه**. تر: يوسف بكّار. ط: ١. بيروت: لبنان. دار المناهل. ص: ٣٢٠.

٧٥.ابن الطولوني. (١٩٨٨). **النزهة السنية في أخبار الخلفاء والملوك المصرية**. تح: محمد كمال الدين عز الدين علي. ط: ١. بيروت: لبنان. عالم الكتب. ص: ١٩٠.

٧٦.ابن طيفور. ( ١٩٤٩). **تاريخ بغداد**. تح: محمد زاهد بن الحسن الكوثري. مصر. الناشر: عزت العطار الحسيني. ص: ٢٣٩.

٧٧.العامري. (١٩٨٥). **غربال الزمان في وفيات الأعيان**. صحّحه: محمد ناجي زعبي العمر، إشارف: عبد الرحمن بن يحيى الإرياني. دمشق: سوريا. مطبعة زيد بن ثابت. ص: ٦٤٠.

٧٨.ابن عبد ربه. (١٩٨٣). **العقد الفريد**. تح: مفيد محمد قميحة. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. (٧) أجزاء.

٧٩.ابن العبري. (١٩٩٧). **مختصر تاريخ الدول**. وضع حواشيه: خليل المنصور. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص: ٢٦١.

٨٠.ابن العديم. ( ١٩٩٦). **زبدة الحلب من تاريخ حلب**. وضع حواشيه: خليل المنصور. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص: ٥٢٨.

٨١.عريب. (١٨٩٧). **صلة تاريخ الطبري**. مطبعة بريل. ص:

٨٢.العظيمي. (١٩٨٤). **تاريخ حلب**. تح: إبراهيم زعرور. دمشق. سوريا. د.ن. ص: ٥٠٩.

٨٣.ابن العماد. (١٩٧٩). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. ط: ٢. بيروت: لبنان. دار المسيرة. (٩) أجزاء.

٨٤.ابن العمراني. ( ١٩٩٩). **الإنباء في تاريخ الخلفاء**. تح: قاسم السامرائي. ط: ١. القاهرة: مصر. دار الآفاق العربية. ص: ٣٦٦.

٨٥.أبو الفداء. (د. ت). **المختصر في أخبار البشر**. المطبعة الحسينية المصرية. (٤) أجزاء.

٨٦.الفراهيدي. ( د. ت). **كتاب العين**. تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي. د.ن. (٨) أجزاء.

٨٧.ابن قتيبة. ( د.ت). **المعارف**. تح: ثروت عكاشة. ط: ٤. القاهرة: مصر. دار المعارف. ص: ٨١٧.

٨٨.ابن قتيبة. (١٩٨٠). **الإمامة والسياسة**. بيروت: لبنان. مؤسسة ناصر للثقافة. (٢) جزء.

٨٩.القرماني. ( ١٩٩٢). **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**. تح: أحمد حطيط، فهمي سعد. ط: ١. بيروت: لبنان. عالم الكتب. (٣) أجزاء.

٩٠.القزويني. (د. ت). **آثار البلاد وأخبار العباد**. بيروت: لبنان. دار صادر. ص: ٦٦٧.

٩١.القضاعي. ( ١٩٩٥). **عيون المعارف وفنون أخبار الخلائق المعروف بتاريخ القضاعي**. تح: جميل عبد الله محمد المصري. جامعة أم القرى. ص: ٦٥٣.

٩٢.القفطي. (١٩٨٦). **إنباه الرواة على أنباه النحاة**. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: ١. القاهرة: مصر. دار الفكر العربي. (٤) أجزاء.

٩٣.القفطي. (٢٠٠٥). **أخبار العلماء بأخبار الحكماء**. علق عليه: إبراهيم شمس الدين. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص: ٣٢٧.

٩٤.ابن القلانسي. (١٩٨٣). **تاريخ دمشق**. تح: سهيل زكار. ط: ١. دمشق: سوريا. دار حسان. ص: ٥٧٦.

٩٥.القلقشندي. (١٩١٤). **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. القاهرة: مصر. المطبعة الأميرية. ج٤.

٩٦.ابن الكازروني. (١٩٧٠). **مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس**. تح: مصطفى جواد. بغداد: العراق. مطبعة الحكومة. ص: ٤٣٦.

٩٧.الكتبي. (١٩٧٣). **فوات الوفيات والذيل عليها**. تح: إحسان عباس. بيروت: لبنان. دار صادر. (٥) أجزاء.

٩٨.ابن كثير. (٢٠١٠). **البداية والنهاية**. تح: إبراهيم الزيبق. راجعه: عبد القادر الأرناؤوط، بشار عواد معروف. ط: ٢. دمشق: سوريا. دار ابن كثير. (٢٠) جزء.

٩٩.ابن الكردبوس. (٢٠٠٨). **الاكتفاء في أخبار الخلفاء**. تح: صالح بن عبد الله الغامدي. ط: ١. المدينة المنورة: السعودية. الجامعة الإسلامية. (٣) أجزاء. ص: ١٨٧٧.

١٠٠.ابن الكندي. (١٩٠٨). **الولاة وكتاب القضاة**. بيروت: لبنان. مطبعة الآباء اليسوعيين. ص: ٦٨٦.

١٠١.ابن ماجة. (د.ت). **تاريخ الخلفاء**. د. ن. ص: ٦١.

١٠٢.ابن ماكولا. (د. ت). **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**. دار الكتاب الإسلامي. (٨) أجزاء.

١٠٣.المسعودي. ( ٢٠٠٥). **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. مر: كمال حسن مرعي. ط: ١. بيروت: لبنان. المكتبة العصرية. (٤) أجزاء.

١٠٤.المسعودي. (١٩٨١). **التنبيه والإشراف**. بيروت: لبنان. دار الهلال. ص: ٣٦٨.

١٠٥.مسكويه. (٢٠٠٣). **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**. تح: سيد كسروي حسن. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. (٥) أجزاء.

١٠٦.المقدسي. ( ٢٠٠٣). **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**. قدم لها: شاكر لعيبي. ط: ١. أبو ظبي. دار السويدي.

١٠٧.المقدسي. ( د. ت). **البدء والتاريخ**. القاهرة: مصر. مكتبة الثقافة الدينية. (٦) أجزاء.

١٠٨.المقريزي. (١٩٨٧). **المقفى الكبير**. تح: محمد اليعلاوي. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي. ص: ٤٨٨.

١٠٩.المقريزي. (١٩٩٦). **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**. تح: جمال الدين الشيّال. ط: ٢. القاهرة: مصر. لجنة إحياء التراث الإسلامي. (٣) أجزاء.

١١٠.ابن منده. (د.ت). **المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الناس للمعرفة**. تح: عامر حسن صبري التميمي. مملكة البحرين. د. ن. (٣) مجلدات.

١١١.ابن منظور. ( د. ت). **لسان العرب**. بيروت: لبنان. دار صادر. (١٥) جزء.

١١٢.ابن منظور. ( ١٩٨٩). **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**. تح: مأمون الصاغرجي. ط: ١. دمشق: سوريا. دار الفكر. (٣١) جزء.

١١٣.المؤرخ المجهول. (د. ت). **العيون والحدائق في أخبار الحقائق**. د.ن. (٣) أجزاء.

١١٤.النديم. ( د. ت). **الفهرست**. بيروت: لبنان. دار المعرفة. ص: ٥٢٨.

١١٥.النويري. ( د. ت). **نهاية الأرب في فنون الأدب**. تح: عبد المجيد ترحيني. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج٢٢. ص: ٢٨٨.

١١٦.الهمذاني. (١٩٩٦). **البلدان**. تح: يوسف الهادي. ط: ١. بيروت: لبنان. عالم الكتب. ص: ٧٦٠.

١١٧.الهمذاني. (١٩٥٨). **تكملة تاريخ الطبري**. تح: ألبرت يوسف كنعان. ط: ١. بيروت: لبنان. المطبعة الكاثوليكية. ص: ٢٦٢.

١١٨.اليافعي. (١٩٩٧). **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**. وضع حواشيه: خليل منصور. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. (٤) أجزاء.

١١٩.اليعقوبي. (١٩٩٥). **تاريخ اليعقوبي**. ط: ٦. بيروت: لبنان. دار صادر. (٢) جزء.

١٢٠.اليعقوبي. (د. ت). **البلدان**. مطبع بريل. ص: ١٥٩.

**ثانياً: المراجع.**


١. أدهم، علي. (١٩٦٩). **أبو جعفر المنصور**. مصر. دار الكتاب العربي. ص: ٢٦٨.

٢. الأعظمي، علي ظريف. (د. ت). **مختصر تاريخ البصرة**. تح: عزة رفعت. بور سعيد: مصر. مكتبة الثقافة الدينية. ص: ١٧٦.

٣. الألوسي، عادل محي الدين. (١٩٨٧). **الرأي العام في القرن الثالث الهجري ١٩٨-٢٩٥هـ / ٨١٣-٩٠٧م**. ط: ١. بغداد: العراق. دار الشؤون الثقافية العامة. ص: ٢٧٢.

٤. أنيس، فريحة. (١٩٥٦). **أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها دراسة لغوية**. بيروت: لبنان. منشورات كلية العلوم والآداب الجامعة الأمريكية. ص: ٣٦٨.

٥. أيوب، إبراهيم. (١٩٨٩). **التاريخ العباسي السياسي والحضاري**. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الكتاب العالمي. ص: ٣٢٧.

٦. أيوب، برصوم. (٢٠٠٠). **الأصول السريانية في أسماء المدن والقرى السورية وشرح معانيها**. ط: ١. حلب: سوريا. دار ماردين. ص: ٣٠٥.

٧. البطانية، محمد. (د. ت). **العلاقات بين العلويين والعباسيين في العصر العباسي الأول**. جامعة اليرموك. ص: ٤٧٧.

٨. البعلبكي، منير. (١٩٩٢). **معجم أعلام المورد**. ط: ١. بيروت: لبنان. دار العلم للملايين. ص: ٥٤٤.

٩. بك، محمد الخضري. (١٩٨٦). **الدولة العباسية**. تح: محمد العثماني. ط: ١. بيروت: لبنان. دار القلم. ص: ٢٢٠.

١٠. بيطار، امينة. (١٩٨٠). **الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام**. دمشق: سوريا. وزارة الثقافة.

١١. تامر، عارف. (١٩٨٢). **الخليفة الفاطمي الخامس العزيز بالله قاهر القرامطة وافتكين**. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الآفاق الجديدة. ص: ١٤٧.

١٢. الترمانيني، عبد السلام. (١٩٨٨). **أحداث التاريخ الإسلامي**. ط: ٢. دمشق: سوريا. دار طلاس. (٤) أجزاء.

١٣. جمعة محمد، علي. (٢٠٠١). **المكاييل والموازين الشرعية**. ط: ٢. القاهرة: مصر. دار القدس. ص: ١٢٣.

١٤. حتي، فيليب. (١٩٥٠). **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**. تر: جورج حداد، عبد الكريم رافق، أشرف على مراجعته: جبرائيل جبور. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الثقافة. (٢) جزء.

١٥. أبو حجر، آمنة. (٢٠١٠). **موسوعة المدن الإسلامية**. ط: ٢. عمان: الأردن. دار أسامة للنشر. ص: ٥١١.

١٦. حسن، حسن إبراهيم. (١٩٩٦). **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**. ط: ١٤. بيروت: لبنان. دار الجيل. (٤) أجزاء.

١٧.الخطيب، مصطفى عبد الكريم. (١٩٩٦). **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**. ط: ١. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. ص: ٤٥٨.

١٨.آل خليفة، محمد علي. (٢٠٠٤). **أمراء الكوفة وحكامها**. المراجع: ياسين صلواتي. إيران. مؤسسة الصادق للطباعة والنشر. ص: ٧٧٧.

١٩.الخوري، أسعد عيسى. (١٩٨٤). **تاريخ حمص**. ط: ١. مطرانية حمص. ص: ٤٦٨.

٢٠.الدشراوي، فرحات. (١٩٩٤). **الخلافة الفاطمية بالمغرب ( ٢٩٦-٣٦٥هـ / ٩٠١-٩٧٥م) التاريخ السياسي والمؤسسات**. تر: حمّادي الساحلي. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي. ص: ٦٨١.

٢١.دعكور، عرب. (٢٠١٠). **تاريخ الفاطميين والزنكيين والأيوبيين والمماليك وحضاراتهم**. بيروت: لبنان. دار النهضة العربية. ص: ٥٦٢.

٢٢.الدوري، عبد العزيز. (١٩٩٧). **العصر العباسي الأول**. ط: ٣. بيروت: لبنان. دار الطليعة. ص: ٢٤٢.

٢٣.الدوري، عبد العزيز. (١٩٧٤). **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري**. ط: ٢. بيروت: لبنان. دار المشرق. ص: ٣٢٥.

٢٤.رحمة الله، مليحة. (١٩٧٠). **الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة**. بغداد: العراق. مطبعة الزهراء. ص: ٦٥.

٢٥.رفاعي، أحمد فريد. (١٩٢٨). **عصر المأمون**. ط: ٣. القاهرة: مصر. دار الكتب المصرية. (٢) مجلد.

٢٦.الزركلي، خير الدين. ( ٢٠٠٢). **الأعلام**. ط: ١٥. بيروت: لبنان. دار العلم للملايين. (١٠) أجزاء.

٢٧.زكار، سهيل. (١٩٩٥). **الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية المشرق**. دمشق: سوريا. دار الفكر. (٤١) جزء.

٢٨.زناتي، أنور محمود. (٢٠١١). **معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية**. ط: ١. عمان: الأردن. دار زهران. ص: ٥١٢.

٢٩.الزهراني، ضيف الله يحيى. (١٩٨٦). **النفقات وإدارتها في الدولة العباسية**. ط: ١. مكة المكرمة: السعودية. مكتبة الطالب الجامعي. ص: ٥١٩.

٣٠.السامر، فيصل. (٢٠٠٠). **ثورة الزنج**. ط: ٢. دمشق: سوريا. دار المدى. دمشق، ص: ١٩٣.

٣١.سعد، فهمي. (١٩٩٣). **العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة دراسة في التاريخ الاجتماعي**. ط: ١. بيروت: لبنان. دار المنتخب العربي. ص: ٥٦٧.

٣٢.سلامة، جميل محمود. (٢٠٠٣). **دمشق في العصر العباسي خلال الفترة (٢٦٤.١٣٢هـ/٨٧٧.٧٤٩م)**. رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية.

٣٣.شامي، يحيى. (١٩٩٣). **موسوعة المدن العربية والإسلامية**. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الفكر العربي. ص: ٤٥٢.

٣٤.شُرّاب، محمد حسن. (١٩٩١). **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**. ط: ١. دمشق: سوريا. دار القلم. ص: ٣٠٤.

٣٥.ضيف، شوقي. (١٩٩٠). **العصر العباسي الأول**. القاهرة: مصر. د.ن. ص: ٥٧٦.

٣٦.ضيف، شوقي. (١٩٧٣). **العصر العباسي الثاني**. القاهرة. مصر. د.ن. ص: ٦٥٦.

٣٧.الطباخ، محمد راغب. (١٩٨٨). **أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**. نقحه: محمد كمال. ط: ٢. حلب: سوريا. دار القلم العربي. (٨) أجزاء.

٣٨.طقوش، محمد سهيل. (٢٠٠٩). **تاريخ الدولة العباسية**. ط: ٧. بيروت: لبنان. دار النفائس. ص: ٢٨٠.

٣٩.طلاس، مصطفى. (١٩٩٢). **المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري**. ط: ١. مركز الدراسات العسكرية. (٥) مجلدات.

٤٠.عباس، احسان. (١٩٩٢). **تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢-٢٥٥هـ/ ٧٥٠-٨٧٠م**. عمان: الأردن. منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام. ص: ٤١-٤٨.

٤١.عباس، مريم رزوقي . (٢٠١٧). **الثورات العلوية في مرويات المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي الأول**. ط: ١. كربلاء: العراق. وحدة الدراسات التخصصية. ص: ٣٨٠.

٤٢.عبد الباقي، أحمد. (١٩٩١). **معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري**. ط: ١. بيروت: لبنان. مركز دراسات الوحدة العربية. ص: ١٤٨-١٥٠.

٤٣.العجلوني، اسماعيل. (٢٠٠٤). **تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة**. اعتناء: سفيان بن عايش بن محمد. ط: ١. عمان: الأردن. دار ابن الجوزي. ص: ٧٧.

٤٤.عزام، خالد. (٢٠٠٩). **العصر العباسي**. عمان: الأردن. دار أسامة. ص: ٣١٢.

٤٥.عطوان، حسين. (١٩٩٥). **الدعوة العباسية تاريخ وتطور**. ط: ٢. بيروت: لبنان. دار الجيل. ص: ٥١٤.

٤٦.العفيفي، عبد الحكيم. (٢٠٠٠). **موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية**. ط: ١. بيروت: لبنان. أوراق شرقيات. ص: ٥٩٢

٤٧.عُلَبي، أحمد. (٢٠٠٧). **ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد (٢٥٥-٢٧٠هـ/٨٦٩-٨٨٣م)**. ط: ٣. بيروت: لبنان. دار الفارابي. ص: ٣٦٠

٤٨.علي، وفاء محمد. (د. ت). **الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين**. الاسكندرية: مصر. المكتب الجامعي الحديث. ص: ١٥٧.

٤٩.عمر، فاروق. (١٩٧٧). **بحوث في التاريخ العباسي**. ط: ١. بيروت: لبنان. دار القلم. ص: ٣١٨.

٥٠.عمران، محمود سعيد. (٢٠٠٠). **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي**. مكتبة نرجس. ص: ٤١٤.

٥١.عوض، محمد مؤنس. (٢٠٠٧). **الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة**. ط: ١. عين للدراسات والبحوث. ص: ٥٥٤.

٥٢.الغزي، كامل (د. ت). **نهر الذهب في تاريخ حلب**. حلب: سوريا. المطبعة المارونية. (٣) أجزاء.

٥٣.كحّالة، عمر رضا. (د. ت). **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. (٥) أجزاء.

٥٤.كحيلة، عبادة. (١٩٩٦). **العقد الثمين في تاريخ المسلمين**. ط: ١. الكويت. دار الكتاب الحديث. ص: ٣٨٧.

٥٥.كرد علي، محمد. ( ١٩٨٣). **خطط الشام**. ط: ٣. دمشق: سوريا. مكتبة النوري. (٦) أجزاء.

٥٦.الليثي، سميرة. (د. ت). **جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول**. بيروت: لبنان. دار الجيل. ، ص: ٤٢٤.

٥٧.ماجد، عبد المنعم. (١٩٩٤). **ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر التاريخ السياسي**. ط: ٤. القاهرة: مصر. دار الفكر العربي. ص: ٤٧٧.

٥٨.محمود، الشريف. حسن، أحمد. (د. ت). **العالم الإسلامي في العصر العباسي**. ط: ٥. دار الفكر العربي. ص: ٦٣٨.

٥٩.مروة، حسن. (د.ت). **النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية**. بيروت: لبنان. دار الفارابي.

٦٠.مقديش، محمود. (١٩٨٨). **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**. تح: علي الزواري، محمد محفوظ. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي. ج١. ص: ٦٣٥.

٦١.المناصير، محمد عبد الحفيظ. (٢٠٠٠). **الجيش في العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٣٢هـ**. ط: ١. عمان: الأردن. دار مجدلاوي. ص: ٦٤٨.

٦٢.منيمنة، حسن. (١٩٨٧). **تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي- مقاطعة فارس- ٣٣٤-٤٤٧هـ / ٩٤٥-١٠٥٥م**. الدار الجامعية. ص: ٤٣٢.

٦٣.الناطور، وعودات، وبيضون، شحادة، وأحمد، وجميل. (١٩٩٠). **الخلافة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري**. ط: ١. الأردن. دار الثقافة. ص: ٣٧٤.

٦٤.النبهاني، محمد. ( ١٩٩٩). **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية**. ط: ٢. بيروت: لبنان. دار إحياء العلوم. ص: ٤٨٨.

٦٥.النجار، محمد رجب. (١٩٨١). **الشطار والعيارين حكايات في التراث العربي**. الكويت. عالم المعرفة. ص: ٣٤٣.

٦٦.واصف، أمين. (د. ت). **الفهرست معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية**. مراجعة: أحمد زكي. القاهرة: مصر. هنداوي. ص: ٩١.

٦٧.المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. (١٩٧٢).**المعالم الأثرية في البلاد العربية**. القاهرة: مصر. مطابع مدكور. (٢) جزء.

**ثالثاً: المراجع المعربة.**

١. آشتور، آ. (١٩٨٥). **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى**. ترجمة: عبد الهادي عبله، مراجعة: أحمد غسان سبانو. دمشق: سوريا. دار قتيبة. ص: ٤٣٩.

٢. لسترنج، ك. (١٩٥٤). **بلدان الخلافة الشرقية**. ترجمة: بشير فرنسيس، كوركيس عواد. ط: ١. بغداد: العراق. مطبعة الرابطة. ص: ٥٩٢.

٣. علي، سيد أمير. (١٩٦١). **مختصر تاريخ العرب**. نقله إلى العربية: عفيف البعلبكبي. ط: ١. بيروت: لبنان. دار الملايين. ص: ٥١٢.

٤. موستراس. (٢٠٠٢). **المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية**. تر: محمد عصام الشحادات. ط: ١. بيروت: لبنان. دار ابن حزم. ص: ٥٧٣.

٥. بلبايق، ي. (١٩٧٢). **العرب والإسلام والخلافة العربية**. تر: أنيس فريحة. مراجعة: محمود زيدان. بيروت: لبنان. الدار المتحدة. ص: ٢٧٥.

**رابعاً: المراجع الأجنبية:**

١. Tayeb Elhibri: The Abbasid Caliphate. University Of Massabustts, Amberst. Campridge University Press. ٢٠٢١.

٢. Hinrich Biesterfeldt, Sebastian Gunther, Wadad Kadi: Crisis And Continuity At Abbassid Court. Leiden. Boston.

٣. Peter Von Silvers: Taxes And Trade In The Abassid Thugur, ٧٥٠-٩٦٢/١٣٣-٣٥١. Jornal Of The Economic And Social History Of The Orient, Vol, Xxv, Part I, Vol.٢٥,١(١٩٨٢). Pp.٧١-٩٩. Published By Brill.

٤. Stephen Casta: Natural Disaster And The Grusades Framing Earth Quakes In Historical Narratives, ١٠٩٥, ١١٧٠, Thesis Presented To The University Of Waterloo In Fulfillment Of The Thesis Requirment For The Degree Of Master Of Arts In History. Waterloo, Ontario, Canada, ٢٠١٧.

٥. Michael Fishbein: The History of al-Tabari (Tarikh al-rusul wal-muluk) VOLUME xxx١The War between Brothers. University of California, Los Angeles. Edited by Ehsan Yar- Shater. Bibliotheca Persica. State University of New York Press.

٦. Hugh Kennedy: THE ARMIES OF THE CALIPHS. Military and Society in the Early Islamic State. Routledge Abingdon, Oxen OX١٤٤RN. ٢٠٠١. Pp: ١١٣-١٣١

**خامساً: المجلات الأجنبية:**

١. Tom Verde art Leonor Solars: Malika: Khayzuran & Zubayda. Aramco World. Vol. ٦٧, No. ١. ٢٠١٦. Pp: ٤٥

**سادساً: الأبحاث الجامعية:**

١. Muhammad Manazir Ahsan: SOCIAL LIFE UNDER THE ABBASTOS (١٧٠-٢٨٩/٧٨٦-٩٠٢). Thesis submitted for the degree of Doctor of Philosophy. University of London.١٩٧٣.pp:١١٧-١١

# الملاحق

**جدول بالزلازل في العراق وبلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢-٤٤٧هـ/٧٥٠-١٠٥٥م**

| الزلزال | المكان | السنة | ملاحظات |
|---|---|---|---|
| زلزال | دمشق | (٢٣٧هـ/٨٥١م) | هدم منازل، ووفيات كثيرة |
| زلزال | بلاد الشام (طبرية) | (٢٣٩هـ/٨٥٣م) | |
| ضربت عدّة زلازل | بلاد الشام | (٢٤٢هـ/٨٥٦م) | |
| حدوث زلازل قوية | العراق وبلاد الشام | (٢٦٧هـ/٨٨٠م) | |
| وقوع عدّة زلازل | بلاد الشام | (٣٦٢هـ/٩٧٢م) | هدم حصون، ووفيات كثيرة |
| زلزال | بلاد الشام | (٣٦٥هـ/٩٧٥م) | |
| زلزال | بلاد الشام (طرابلس وحمص واللاذقية) | (٣٧٣هـ/٩٨٣م) | |
| زلزال | بلاد الشام (القدس) | (٤٠٧هـ/١٠١٦م) | |
| وقوع زلازل | بلاد الشام | (٤٢٠هـ/١٠٢٩م) | |
| زلزال | بلاد الشام (القدس) | (٤٢٨هـ/١٠٣٦م) | |

**الجدول من عمل الطالب**

**جدول بالأوبئة في العراق في العصر العباسي ١٣٢-٤٤٧هـ/٧٥٠-١٠٥٥م**

| الوباء | المكان | السنة | ملاحظات |
|---|---|---|---|
| وباء شديد | العراق | (١٥٨هـ/٧٧٤م) | |
| أمراض وعلل | بغداد | (٣٠٠هـ/٩١٢م) | وفيات كثيرة |
| وباء | بغداد | (٣١٩هـ/٩٣١م) | |
| أمراض حادّة وانتشار الجرب بين السكان | العراق | (٣٢٠هـ/٩٣٢م) | ووفيات كثيرة |
| وباء وطاعون | بغداد | (٣٢٤هـ/٩٣٥م) | كثرة الوفيات، وارتفاع الأسعار |
| مرض الجرب والبثور | العراق | (٣٢٦هـ/٩٣٧م) | وقوع وباء في البقر |
| وباء وأمراض | العراق | (٣٣٤هـ/٩٤٥م) | وفيات كثيرة، وارتفاع سعر الحنطة، وانتشار الفقر |
| أمراض مختلفة (وجع الحلق، والحمية، والنزلات) | بغداد | (٣٤٣هـ/٩٥٤م) | |
| مرض الماشرى، ووجع الحلق | بغداد | (٣٥٧هـ/٩٦٧م) | انتشار موت الفجأة، ووفيات كثيرة |
| وباء | العراق (البصرة والبطائح) | (٣٧٨هـ/٩٨٨م) | وفيات كثيرة |
| وباء شديد وطاعون | العراق | (٤٠٦هـ/١٠١٥م) | خاصة البصرة، وتعذّر الدفن من كثرة الوفيات |
| أمراض مختلفة | العراق | (٤٢٢هـ/١٠٣٠م) | |
| وباء | العراق (الموصل) | (٤٤٥هـ/١٠٥٣م) | |

**الجدول من عمل الطالب**

**جدول بالكوارث الطبيعية في العراق وبلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢-٤٤٧هـ/٧٥٠-١٠٥٥م**

| الحدث | المكان | السنة | ملاحظات |
|---|---|---|---|
| فيضان نهر دجلة | العراق | (٢٢٠هـ/٨٣٥م) | غمرت المياه الأراضي |
| سيل كبير | العراق (البصرة) | (٢٢١هـ/٨٣٥م) | غرق عدد كبير من المنازل والمحلات |
| أمطار غزيرة | العراق (الموصل) | (٢٣٢هـ/٨٤٦م) | |
| سقوط برد كبير | العراق (البصرة) | (٢٣٧هـ/٨٥١م) | تخريب المزروعات والأشجار، وقُدّر عدد الشجر المكسور من النخيل حوالي ثمانية آلاف شجرة. |
| أمطار غزيرة | بغداد | (٢٤٦هـ/٨٦٠م) | استمر سقوط الأمطار لأكثر من شهر |
| تساقط ثلوج، وموجة برد قاسية | بغداد | (٢٩٦هـ/٩٠٨م) | تجمّد المياه، وإتلاف الكثير من الأشجار |
| جفاف | بغداد | (٢٩٦هـ/٩٠٨م) | خروج الناس للاستسقاء |
| جفاف | بغداد | (٢٩٧هـ/٩٠٩م) | ارتفاع الأسعار |
| موجة حر | العراق (الحديثة الموصل) | (٢٩٨هـ/٩١٠م) | وفيات كثيرة |
| فيضان نهر دجلة | بغداد | (٣٠٠هـ/٩١٢م) | |
| موجة برد قاسية | العراق | (٣٠٨هـ/٩٢٠م) | ضرر بالأشجار |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | | | والنخيل |
| فيضان نهري دجلة والفرات | بغداد | (٣١٦هـ/٩٢٨م) | قُطعت الجسور |
| أمطار غزيرة، وسقوط برد كبير | بغداد | (٣٢٧هـ/٩٣٨م) | |
| أمطار غزيرة، وفيضان نهر دجلة | بغداد | (٣٣٢هـ/٩٤٣م) | دخول المياه لمنازل السكان |
| سقوط برد بحجم كبير | العراق (قطربل بين بغداد وعكبرا) | (٣٣٥هـ/٩٤٦م) | إتلاف المزروعات |
| موجة برد | بلاد الشام (المعرة) | (٣٣٩هـ/٩٥٠م) | يباس شجر الزيتون |
| موجة برد | بلاد الشام (المعرة وكفر طاب) | (٣٤٩هـ/٩٦٠م) | يباس شجر الزيتون |
| سقوط برد بحجم كبير | العراق (قطربل بين بغداد وعكبرا) | (٣٥٠هـ/٩٦١م) | إتلاف المزروعات، وقتل الطيور والبهائم |
| فيضان نهر دجلة | بغداد | (٣٦٦هـ/٩٧٦م) | |
| فيضان نهر دجلة | بغداد | (٣٦٧هـ/٩٧٧م) | تدمير المنازل، ووقوع وفيات |
| فيضانات | العراق | (٣٧٨هـ/٩٨٨م) | خرّبت المنازل، وقطعت الطرقات |
| فيضان نهر دجلة | العراق | (٣٩٥هـ/١٠٠٤م) | تخريب المزروعات، ورحيل قسم من السكان |
| رياح شديدة | العراق | (٤٠٢هـ/١٠١١م) | اقتلاع أكثر من عشرة آلاف شجرة نخيل |
| أمطار غزيرة | العراق | (٤٠٦هـ/١٠١٥م) | سقطت الأمطار في شهر الحصاد |
| فيضانات | العراق (الأبلة والبصرة) | (٤٠٩هـ/١٠١٨م) | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| رياح شديدة | العراق | (٤١٠هـ/١٠١٩م) | شُبّهت بالزلزلة لقوتها |
| رياح شديدة | العراق | (٤٢٠هـ/١٠٢٩م) | قلعت الكثير من الأشجار |
| جفاف | العراق | (٤٢٠هـ/١٠٢٩م) | غارت مياه الفرات وقيل دجلة، وتوقفت الأرحاء، وتعذّر الطحن |
| فيضان نهر دجلة | العراق | (٤٣١هـ/١٠٣٩م) | |
| جفاف | العراق | (٤٣٩هـ/١٠٤٧م) | |
| رياح شديدة | بغداد | (٤٤١هـ/١٠٤٩م) | إتلاف الكثير من الأشجار والمزروعات |

**الجدول من عمل الطالب**

**جدول بمقادير المسافات والعملات النقدية الواردة في البحث**

| | |
|---|---|
| الفرسخ | ٣ميل=٥٥٤٤متراً |
| الورق | الفضة، والورق المال من دراهم وإبل وغير ذلك، والورق المال من الإبل والغنم. |
| البدرة | تساوي عشرة آلاف درهم |
| المن | وزن توزن بها الأمتعة، والمن في بغداد مائتي وستين درهم. |
| العين | الذهب عامة، والعين الدينار. |

**الجدول من عمل الطالب**

# Abstract

Most Historical studies and researches on the Arab and Islam history have always focused on the political and civic characteristics of nations. As a result of the importance of economic social conditions and natural disasters, there are a few studies that have dealt with these points because they so affect its policy and its future recording of its history .

The importance of this research arises from the fact that it deals with the economic and social crises and natural disasters in Iraq and the Levant. This research discusses their impact on the political status of the Abbassy caliphate, and the inhabitant, at all levels political , economic and social. It also discusses how the Abbassy caliphate deal with these crises that affected the course of its policy and forced or obliged the caliphate to change policy by issuing different decisions to deal with these crises.

On the first hand , close attention has been given to the economic crises in Iraq and their impact on the political status in (١٣٢ – ٤٤٧ H/٧٥٠ – ١٠٥٥ AD ) such as wars. Also attention has been given to factors that deepened the effect of these crises such as wealth and extravagance, some regions breaking ties with the Abbassy caliphate and inventing a new post. the prince of princes to deal with economic crises that proved to be a major failure, that influenced all and the response of the caliphate.

These economic problems were the result of wars and separatists' movements that took place throughout the Caliphate territories. These movements were treated fiercely to be under control during the reign of power, while they were treated in a less decisive way during the reign of weakness .

Of course, the separatists movements and the efforts exerted to extinguish them lead to economic crises characterized by lack of food supplies, absence of some goods, of life standards.

This means that wars and natural disasters produced economic and social crises in Iraq that developed into separatists' movements such as the rebellion of Al Mousel , Al Zat , Al zange and Al Quaramita rebellions. These crises were the cause of society's sufferings from hunger, homelessness, displacement and deaths. This led to the spread of diseases and epidemics. In addition, the variety of religions, sects and races in Iraq resulted in social crises for the people. Furthermore, the weakness of the Abbassy caliph, the dominance of the non – Arabs on the caliphate, the role played by the caliphs wives, governors and the spread of corruption prolonged the period of social crises.

On the other hand, what happened in the Levant during this period was different from what had happened in Iraq. Here an organization called "Events " emerged to play contradictory roles . It sometimes depended the nation against enemies and stood against tyrants who ruled the nation , while at some other times it because the cause of some social crises , what made things worse was the Arab tribes trying to attack villages and cities in the Levant to occupy the region . This coincided with the attacks of Al Quaramitan and Byzantines whine.

Then there came the natural disasters, in Iraq and the Levant, to increase the suffering of the people such as earthquakes, fires, floods, drought, locust attacks, and ruining the inhabitants' houses and shops adding to this the huge number of deaths resulting from illnesses and epidemics, on the one hand This encouraged caliphs to deal with this bad situation by paying money to repair damage and by encouraging physicians to find ways to stop the spread of diseases and epidemics, on the other hand.


**Key words :** Economic crises**,** Social crises**,** Natural disasters**,** Iraq in the Abbasid era, The Levant in the Abbasid era.

Syrian Arab Republic
Damascus University
Faculty Of Arts And Humanities
History Department

# Economic And Social Crises And Natural Disasters Affected Political Conditions In Iraq And Bilad Al-Sham .(132-447 H/750-1055 Ad)

## Thesis to attain the PhD in the History of Arabs and Islam

## Conducted by

**Malaz Sleiman Ghali**

## Supervisor

**Prof. Ektimal Ismael**

**AD ٢٠٢٤/١٤٤٦ AH**